
كتاب الجمهورية
العدد ١٤
روبرت
كنيدى
يجب أن
يموت

روبرت كنيدى
يجب أن يموت

تأليف : روبرت كايزر

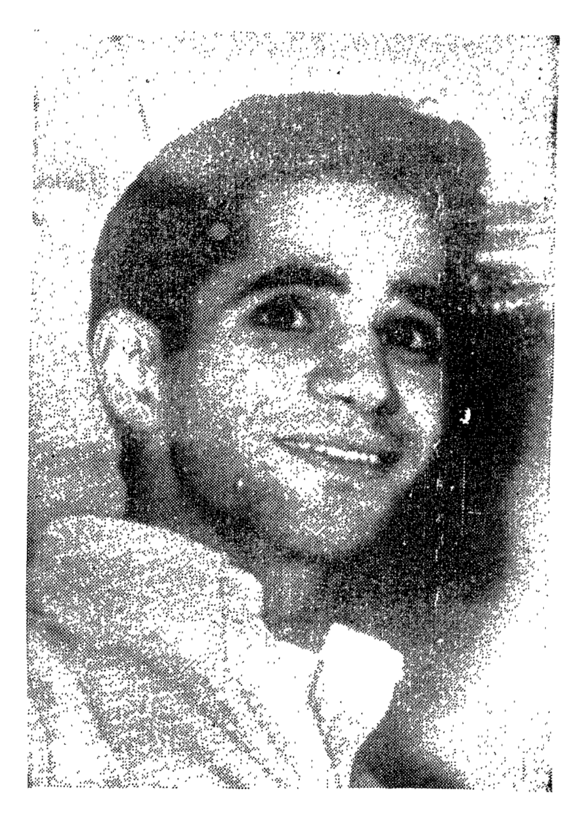
كتاب الجمهورية

يصدر عن دار الجمهورية للصحافة

العدد الرابع عشر
مارس ١٩٧٠



● روبرت كيندي وزوجته ●
أثناء الحملة الانتخابية



● سرحان بشارة سرحان ●

فوضى .. ارتباك .. هستريا

فوضى بالغة .. حالة من الهستيريا أصابت الجميع ، الصــــحفيون ، لم يعرفوا كيف يتصرفون .. مصور التليفزيون الفى بالكاميرا وأخذ يصرخ «مستحيل» بينما مساعده ينبهه « التقط الصور ياجيمى » .. مذيع الراديو ينسى نفســه ويشترك مع الجميع « احذروا المسدس .. خذوه من يده » ..

من هو القاتل ؟ .. شاب يجرى فى الفندق ، يقبضـون عليه ، يضــعون الحديد فى يديه ، ثم يتضح انه كان يسرع لمكالمة تليفونية عاجلة .. المذيع يعلن أن القاتل اسمه « جيسى جربر « .. شاب اسمر نحيل يحيط به ٦ رجال كلهم من الابطال الرياضيين يحاولون تخليص مسدس من يده .. أصـــوات ترتفع .. « هاتوا حبلا .. اقتلوا المجرم » وزعيم الحـــزب الديمقراطى فى كاليفـورنيا يحذر « لن تحدث هنا دلاس اخرى » .. رجال البوليس جاءوا .. أخذوا المتهم الذى كان أول وصف له : شاب عيناه مسالمتان وديعتان الى أقصى الحدود ».

« لانريد دلاس أخرى .. لا .. لانريد دلاس أخرى ! »

هكذا أخذ يصرخ جيسى أنراه زعيم الحزب الديمقراطى فى كاليفورنيا دون ان يسمعه أحد . كان قد سمع طلقات الرصاص تدوى فى حجرة الكرار المزدحمة ورأى بعينيه المنظر الذى لا تكاد تصدقه عين . بوب كنيدى يترنح ويسقطـطريحا على الارض وعيناه ما تزالان مفتوحتين وسط بركة من دمائه ، رجل اخر اســمه بول شرادى مصاب فى رأسه ومن المؤكد انه لقى حتفه . رجال ونساء لا حصر لهم على الارض يحيطون به . مصور تليفزيونى ضخم الجثة يمسح بيده العرق اللزج وهو يصرخ « يا الهى .. يا الهى .. لا .. لا ! ومساعده الاشقر الصغير يصيح فى أذنه « يجب أن تلتقط الصور يا جيمى .. صور يا جيمى .. » كل هذا بينما أحـــد مذيعى الراديو يقف مبـــاشرة خلف الجثــة مســجلا بصوته القوى الحقيقة المذهلة .

« لقد قتل السناتور كنيدى .. قتل السناتور كنيدى .. هل هذا ممــكن ؟ هل هذا ممكن ؟ نعم ممكن . لقد قتل فعلا .. بل ليس السناتور كنيدى وحده هو الذى قتل . أوه يا الهى ! السناتور كنيدى قتل وقتل معه شخص اخر هــو

احد مديرى حملته الانتخابية ، واغلب الظن انه أصيب فى رأسه .. نعم .. هذا ما حـدث .. !

وتزاحمت كتلة من البشر حول كنيدى .. بينما تزاحمت كتلة اخرى حـول الرجل الذى معه المسدس . كانوا قد طرحوه فوق منضدة البخار المعدنية البراقة، ووقف احدهم فوق المنضدة يضغط بكل قوته بقدمه على اليد الممسكة بالمسدس، وفجأة افلت المسدس وسقط على المائدة . وصرخ بيل بارى حارس كنيـــدى الخاص ، فى وجه رجل اسود ضخم الجثة يرتدى سترة رياضية قرمزية اللون:

« خذه ياروزى .. خذه » ..

وفى اللحظة التى خفف فيها بارى ضغط قدمه ، وبينمـــا روزفلت جرير يحاول أن يحرك ذراعه وسط الحشد المزدحم ، عادت أصابع الشاب الاســمر الصغير الحجم تمسك بالمسدس ، وبدات معركة اخرى . انقض رافر جونسون ، وهو رياضى أسود آخر من حرس كنيـدى ، على المسدس ، واســتطاع أن يصل اليه . ويمسك بالفعل بماسورته بيده اليسرى .. بينما كان روزفلت يمسك بالقبضة . ولم يصدق مذيع الراديو ، اندى ويست عينيه وهو يرى اصبع القاتل ما زال ملتفا حول الزناد ! واخذ يصيح فى الميكروفون :

« رافر جونسون يمسك بالرجل الذى يبدو انه اطلق الرصاص . انه فعـلا الذى اطلق الرصاص والمسدس مازال فى يده . المسدس الان مصوب نحـوى مباشرة . ليتهم يستطيعون انتزاع المسدس من يده . خذوا حذركم ارجوكم !.. انتزعوا المسدس . .انتزعوا المسدس .. انتزعوا المسدس . ابتعدوا عن المسدس.

وانقض شخص اخر .. ترى من يكون ! آه .. انه رئيس نادى فان نويز الديمقراطى ـ انقض بدوره على المسدس وهو يصيح : دعونى آخذ المسدس .. دعه يا روزى .. دعه يارافر » .

وصرخ جونسون : « اسكت » .. ثم عاد يهتف فى وجه جرير « دعنى آخذ المسدس » ..

وتخـلى رئيس نادى نويز الديمقراطى عن ماســورة المسدس وهو يتمتم « فلياخذ رافر المسدس » .

وعاد صوت المذيع آندى ويست يهتف :

« ابتعدوا عن الماسورة .. ابتعدوا عن الماسورة .. أيها الرجـــل ، عليك بالمسدس .. اوكى » !

وصاح جونسون نحو جرير مرة أخرى قائلا :

« روزى .. اعطنى المسدس » . واخذ جرير يناضل من اجــــل انتزاع المسدس .. ويشد ويجذب وينحنى ويتثنى كانما الشاب الاسمر الصغير يتمتع بقوة خيالية .. وأخيرا استطاع جرير أن يستخلص المسدس ، وناوله الى جونسون ، بينما كان المذيع ويست مازال يسجل ..

حسنا .. ها هو يارافر .. خذه . خذ المسدس يارافر . أوكى . والان لا تفلتوا الولد .. امسكوا به جيدا . امسكوا به . سيداتى سادتى .. لقــد انتزعوا المسدس من يد الرجل .. لقد انتزعوا المسدس » .

كان الرجل الصغير ما زال يقاوم ، وآخرون ينقضون عليه ليضربوه .وركله واحد فى صدره ، بينما ضربه آخر فوق ركبته .

وتجمع فريق ثالث يلوى عنقه كانما يريد ان يفصل رأسه المدلى على حافة المنضدة عن الجسد المطروح تحت الايدى والاقدام فوقها .

فى هذه اللحظة . كان عدد الموجودين فى الغرفة الصغيرة قــد اصبح لا يقل عن سبعين شخصا .. والى جوار كنيدى ركع صبى صغير فاحم الشعر يدعى جوان روميرو ، ويعمــــل فى احــد الاتوبيسات ، ومسح بيده اليمنى على رأس السناتور قائلا : « لا عليك يا مستر كنيدى .. لا عليك .. انها اصـــــابة بسيطة » ..

وتحركت شفتا كنيدى .. ويقول روميرو ان كنيدى بدا كمن يقول « هــــل الجميع بخير ؟ » . وصرخ آخر كان بجوار روميرو قائلا « ابصق هــذه اللبانة من فمك يا مستر كنيدى » وتحرك روميرو مستعدا لاخراج قطعة اللبـــان من فم كنيدى . ولكنه عاد ففضل الا يفعل . كانت عين كنيدى اليمنى مفتوحة وحاجبه الايسر يتحرك الى اعلى ثم الى أسفل وقبضة يده اليمنى مرفوعة وتتقلص فى ألم وجاء رجل اسود خط الشيب شعر رأسه فركع الى جوار كنيدى واخــذ يتلو صلاة قصيرة ، بينما انحنى شاب آخر فوق كنيدى واخذ بدوره يردد الكلمات التى تعلمها من الراهبات فى مدرسته بنيو جيرسى « يا الهى انى استغفرك من كل قلبى لكل ما اغضبك منى » ..

وأخرج الشاب الذى جاء من نيوجيرسى واسمه دانى كورتين ، من جيبــه مسبحة ، وناولها الى روميرو وهو يهمس فى اذن كنيدى .. « احتفظ بهـــذه يا مستر كنيدى .. احتفظ بها » . ولف روميرو المسبحة حول ابهام اليـــد

اليسرى لكنيدى ثم طواها فى راحته .. وحرك كنيدى يده بالسبحة حتى وضعها على صدره ..

واقبلت اثيل كنيدى .. شديدة الاحتقان ، ولكن بالغة الجمـــال فى ثوبها الابيض المطرز بلا اكمام ، وشقت طريقها وسط الزحام ، وازاحت روميرو بيدها جانبا ، واخذت تهمس فى اذن زوجها بصوت حنون خفيض . وتحرك فكروبرت، كان يحاول ان يتحدث ونهضت اثيل من جواره لحظة ، وبذهن حاضر اكثر من غالبية الحشد الصارخ فى غرفة الكرار . وجدت فوطة وملاتها بالثلج من صندوق ضخم كان ممتلئا لحافته بمكعبات الثلج فى ركن من الحجرة ، وعادت فى اللحظة التى وصل فيها الدكتور ستانلى ابو .. طبيب الاشـــعة فى مستشفى ميداوى بقرب لوس انجلوس . وكان اول طبيب يصل الى مكان الحادث . واقول وصل وانما هو فى الحقيقة دفع دفعا بواســطة الزحام الى الحجرة ، وفحص شرادى بسرعة ، ثم استدار الى كنيدى ، والصق اذنه بصـــدره .. كان التنفس ضعيفا للغاية . وهناك خلف الاذن اليمنى كان جرح صغير .. جرح واحد صغير لايكاد ينزف منه اى دم . واختبر « ابو » النبض . كان بطيئا . ربما كان ذلك بسبب ما سماه « الضغط فى الجمجمة » وضغط « ابو » باصبعه على الجرح لكى يجعله يدمى ، وبذلك يخف الضغط .

وتأوه كنيدى :

ــ اوه .. اثيل .. اثيل ..

فربتت على يده قائلة :

ــ نعم .. نعم ..

سال بصوت ضعيف :

ــ هل انا سليم ؟

فاجاب الدكتور ابو :

ــ انت على ما يرام .. وسيارة المستشفى فى الطريق .

ورددت اثيل :

ــ سيارة المستشفى آتية .

وهنا تناول كنيدى يدها اليمنى فى يده ووضعها فوق الصليب على صدره . كل هذا بينما مزيد من الناس يتدفقون اكثر فاكثر الى الحجرة واصبح الجو خانقا للغاية فخلع ريتشارد تاك سترته واخذ يحرك بها الهواء فوق كنيدى . ولكن بيل

بارى صاح به : «اولى بك ان تذهب لترى أين عربة المستشفى اللعينة أو كيف يمكن ان تصل الى هنا » .

وكبس الدكتور أبو فوطة الثلج فوق راس كنيدى . بينما فك الدكتور روس ميللر ربطة عنقه ، وفك آخر أزرار قميصه ، ونزع رابع نعليه من قدميه .

***

واستقر راى الاطباء على الاكتفاء بهذا القدر ما دامت سيارة المستشفى في الطريق .. والتفتوا الى المصابين الآخرين .

كل ذلك بينما المذيع اندى ويست ما زال يسجل بكلمات غير مترابطة .. وعبارات غير منسقة كما يلى :

« الان كل شيء على ما يرام السناتون الان .. لقد ارسلوا فى طلب سيارة المستشفى .. والسيارة قد .. هاتوا السيارة هنا من هذا المدخل .. ياله من شيء فظيع ! انه يشبه ما حدث فى الوادى فى ذلك اليوم .. عندما أصيب السناتور بحجر فى راسه ووقف القوم عاجزين عن الحركة غير مصدقين هذا الذى حدث . ولكنه حدث فعلا . افسحوا المكان . ها هى اثيل كنيدى .. انها تبدو هادئة .. انها ترفع يدها عاليا لترد الناس المتدافعين . انها تحاول ان تبدو هادئة . هذه سيدة على جانب عظيم من حضور البديهة . لا .. لا يمكن ان يصدق أحد هذا .. هذا لا يمكن أن يصدق . انه الجنون ولا شيء سوى الجنون . مادام هذا قد حدث . ها هم يحاولون زحزحة الجميع الى الوراء .. افسحوا المكان يا قوم افسحوا .. والان .. فى هذه اللحظة يبدو أن السناتور .. لا نستطيع القول ما اذا كان ما زال فى وعيه أم فقد الوعى .. هل نستطيع ان نقول انه فى وعيه ؟ انه فى حالة نصف وعى ! ..

ومرة أخرى يحاول « جيسى انراه » أن يعيد شيئا من النظام الى الغرفة . فيجد مصورا صحفيا بعيدا عن المنضدة ويقذف به الى الدهليز . ثم يستدير الى الاخرين فيدفع بعيدا بكل المصورين ورجال الصحافة والاخبار بما فيهم اند ويست الذى يواصل تسجيلاته كما يلى :

اخرجوا .. اخرجوا من فتحة الخروج .. فلنخرج .. فلنذهب ها نحن نخرج .. وياله من وضع لا يصدقه عقل !

وفى داخل غرفة الكرار صرخت سيدة فى بوريس ياور مراسل جريدة لوس انجيلوس تايمز : « لا تلتقط صورا » .

فقال يارو :

ـ سيدتى هذا تاريخ !

ولـكن السيدة اخذت تجذب يارو بعنف من كم سترته . ويقول هو عن هذه المناسبة : « ولم اجـــد بدا من أن ادفعها بيـــدى تجـــاه الحائط ، وواصلت التصوير ! » ..

ونعود الى المنصدة . فنرى جوزيف لاهيف يحاول أن يرفع قدم « الاسير » بعيدا عن الارض . ورفعها بالفعل وهو يلويها بوحشية بالغة ..

ـ تمهل .. انك تؤذى ساقى !

اخيرا تحدث الرجل .. وبالانجليزية وكانما أيقظت كلماته شيئا ما فى ذهن جونسون فصرخ فى اذن الرجل .

ـ لماذا فعلتها ؟

لا جـــواب ..

وتحرك جونسون الى جوار الرجل الذى كان مثبتا على المنضدة بايدى ستة رجال على الاقل واخذ يحدق فى عينيه . وعلى حد قول بليمبتـــون الذى كان يمسك بذراعه اليمنى « كانت عيناه مسالمتين وديعتين الى اقصى حد يمكن تخيله من المسالمة والوداعة » .

ويقول احد الحاضرين انه سمع الشاب يقول : « دعونى أشرح لكم ..دعونى اشرح لكم » ..

ولكن شخصا أخر أمره أن يغلق فمه .. ففعل .

وكان جرير الذى تخطى وزنه الرياضى ٢٩٠ رطلا قد الصق الشاب بالمنضدة ومعذلك فقد اقترح البعض قيد الاسير بالحبال . فاسرع نيوا يوشيو «٢٣سنة» الذى يعمل طباخا فى قسم اللحوم الباردة . والذى كان يمسك بذراع الرجـــل اليسرى يسلم الذراع لشخص آخر ريثما يحضر حبلا من مكان ما .

ولكنه لم يجد حبالا . فعاد . وتسلم الذراع مرة أخرى صارخا فى هنرى كاريللو احد العاملين بالفندق « هات لنا حبلا » . وذهب كاريللو الى ما يسمى بالمخزن الرئيسى حيث عاد ومعه حبل طويل من المطاط .

ولكن جرير قال : « لا تقيدوه .. فسوف يصل البوليس بعد لحظات ».

وفي نحو الساعة ١٢ر١٥ كان رجلا الدورية ترافيس هوايت وارثر بلاسنشيا يمران بشارع ويلتشاير بوليفارد عندما سمعا نداء موجها لسيارة اخـرى هي ٢ ـ ١ ـ ٥١ ان تتوجه فورا لعنوان ٣٤٠٠ شارع ويلتشاير حيث يوجد مايسمى « سيارة مستشفى واطلاق نار » .. وكان هذا يعنى ان احدا في هـذا العنـوان قد أصيب بطلق نارى ، وان سيارة مستشفى قد اخذت طريقها الى مكانالحادث وان عليهما أيضا ان ينضما الى هناك . وقال هوايت ، وكان صاحب الرتبة الاعلى هذا هو فندق الامباسادور .. فلنذهب !

وفي الفندق .. تبين ان احدا لا يعرف شيئا مما حدث ، ولا مكان وقـوع الحادث غير ان بعض المستخدمين بالفندق تطوعوا باصطحاب رجلي البوليس الى منطقة المطابخ . وقال واحد منهم : انه هنا .. وهم الان يقتلونه !

وبدا كانما هـذا هو ما يحدث فعلا . فقد رأى هوايت وبلاسنشيا المعركة وهي تدور على اشدها فوق منضدة البخار . شاهدا رافر جونسون وروزى جرير وهما يكافحان لرد الناس المتدافعين بعيدا عن المتهم بينما هؤلاء يوسعونه لـكما وركلا . وسمعا صيحات القوم : « اقتلوا المجرم .. اقتلوه » .. بينما هـذا الذي يريدون قتله طريح على وجهه على المنضدة وركبة جيسى انراه في ظهره .

ووصلت دفعة أخرى من رجال البوليس .. واخرج الضابط ويليام ناتلى قيده الحديدى ، وانحنى على المنضدة ، وفي لحظة كان احد طرفي الكلبش قـد احتوى المعصم الايسر ، ولكن الضابط وجد مشقة كبرى في تقييد المعصم الايمن الذي رفض كل من انراه وجرير ان يتخليا عنه .

وقال هـوايت :

« نحن ضباط بوليس ، وسوف ناخذه معنا . ودفع مع زميله جرير بعيـدا من الشاب .. الذي اطلق من صدره نفسا عميقا في ارتياح .

وقال انراه :

ـ انى اعهد اليكم بمسئولية الرجل .

ومع ذلك فقد ظل ملازما لمكانه ممسكا بيد الاسير ، حتى دفعه احـد رجال البوليس دفعة قوية وبدأوا يتحركون وسط الزحام . وقال انراه :

ـ حسنا .. تستطيعون ان تاخذوه .

« هذا الرجل سوف يواجه المحاكمة ، ولن يحدث شيء له ، سوف يدفع ثمن ما قدمت يداه ، ولن تحدث هنا دالاس اخرى » .

كان انراه فى هذه اللحظة يقوم بدوره كرجل سياسة .. انه لا ينسى السياسة حتى فى ساعة الاغتيال ..

وقاد هوايت الركب وهو يكاد يجرى خلال الدهليز ثم فى البهو المفروش بالسجاد الاحمر . ومن خلفه بلاسنشيا ومعه الاسير .

اخيرا .. جاءت سيارة المستشفى ..

وفى اللحظة التى كان فيها البوليس يقود المتهم بعيدا ، وصل تاك ومعه سائق سيارة المستشفى روبرت هولسمان ومساعد طبى ضخم الجثة اسمه ماكس بهرمان ، وكان كلاهما يرتدى ملابس تشبه ملابس ضباط البوليس ، ولكن مع فارق واحد هو شريط على الكتف يقول « خدمة طبية » . ودفعوا بالنقالة ذات العجلات الى حيث يرقد كنيدى . وتناول هولسمان القدمين . بينما تناول بهرمان الراس ..

ويقول بهرمان ان مسز كنيدى قالت فى هذه اللحظة :

ـ ارفعوا أيديكم عنه .. أنا مسز كنيدى .

فقال بهرمان :

ـ نحن هنا من مستشفى الاستقبال المركزى « قسم الطوارىء » نحن هنا لكى نساعدكم .

قالت مسز كنيدى :

ـ لا يهمنى من تكونون .

غير ان شخصا ما طلب منهم أن يسرعوا بوضع السناتور فوق النقالة وتحرك بهرمان بشىء من الخشونة ، فوضع ملاءة تحت كنيدى وحوله ولكن كنيدى تمتم :

ـ لا .. أرجوك .. لا ترفعنى .

وحمل هولسمان وبهرمان الملاءة بما فيها ، حيث امسك كل منهما احد طرفيها ووضعاها بحمولتها على النقالة . وقال بارى للمساعدين « برقة .. أرجوكم .. برقة » ولكنهما انطلقا فى صخب عبر حجرة الكرار الى المصعد ،

حيث كان رافر جونسون يقف حارسا ، ولم يسمح بمصاحبة النقالة الا لمستر كنيدى ، وبيل بارى ، وفريد دوتون احد قادة الحملة الانتخابية لكنيدى، وبلاش هويتاكر زوجة متسلق الجبال المعروف ووارين روجرز محرر مجلة لوك ،وديكتاك.

ونظر بيت هاميل ، الصحفى من نيويورك في ساعته ليجدها ١٢ر٣٢ .. اى ان عشرين دقيقة مرت حتى خرج كنيدى من هذا المكان . وحانت من هاميل نظرة على بركة الدم السابحة على أرضية الغرفة .. دم كنيدى ! ترى هل يستطيع جسده أن يتحمل كل هذه الكمية من الدم التى فقدها ؟

جونسون يتلقى النبأ

وفى الساعة ٣ر٣١ صباحا ، أوقظ الرئيس ليندون جونسون من فراشه بالبيت الابيض بنداء تليفونى من والت هويتمان روستو يبلغه فيه ان السناتور روبرت كنيدى أصيب بطلق نارى فى لوس انجيلوس . والتفت الرئيس الى جهاز ارساله التليفزيونى الخاص ، وسجل نداء الى رجال البوليس السرى للاسراع بوضع حماية كافية لجميع المرشحين للانتخابات ، وأفراد عائلاتهم . ولكن تبين انه لايملك الحق القانونى فى هذه الدعوة ولذلك تقرر أن يطلب تصريحا بذلك من الكونجرس فى الصباح .

ونعود الى مسرح الدماء .. رجال الصحافة الذين لم يتيسر لهم أن يعلموا ما حدث فى الحال يتوافدون ، وقد ظهر عليهم انهم ارتدوا ملابسهم على عجل وكيفما اتفق .

وفى أقصى الغرب من قاعة السفارة . وامام مكتب اصطفت فوقه مجموعة تليفونات كان ستيف ارفين ، مراسل محطة اذاعة « ك.م.ب.ك » يتحدث الى « بروس انسون » فى استديوهات الاذاعة بهوليود ، فى اللحظة التى وصلت اليه فيها أول أنباء عما حدث :

ـ اعتقد ان احدهم أطلق النار على كنيدى !

صرخ انسون :

ـ انتظر دقيقة واحدة .

ـ خليك على الخط ..

وسلم ارفين سماعة التليفون الى زوجته آن وجرى محاولا أن يكتشف حقيقة ما حدث ثم عاد بعد لحظة وكان كل ما استطاع أن يقوله هو أن « هناك انباء غير

مؤكدة عن اصابة كنيدى بطلق نارى » .. ولم يستطع ان يعرف أين حدث ذلك ولا مدى خطورة الاصابة أو من الذى أطلق النار .. بل انه لا يستطيع حتى أن يجزم بما اذا كان كنيدى قد اصيب فعلا .

وبعد تحقيق كان ارفين يطلب انسون مرة أخرى والى جواره دانى كيرتين الذى كان يقف الى جوار كنيدى مباشرة فى غرفة الكرار ، وهو فى الواحد والعشرين من عمره ، ويدرس علم النفس فى كلية سوث ويست بلوس انجيلوس. فتح انسون ارسال اذاعته ليتحدث الى كيرتين على الهواء . وأخذ كيرتين بالفعل يحكى قصته بانفعال عميق ، كيف سمع صوت طلقات الرصاص وهو على باب غرفة الكرار وكيف اندفع من فوره داخلا ليرى كنيدى والدم ينزف من راسه .. ثم كيف تحدث اليه ، واعطاه مسبحته .. ولا يدرى كيرتين لماذا كان يخيل اليه ان روز كنيدى ، أم السناتور ، تجلس الان الى الراديو وتسمع قصته . فحاول ان يطمئنها .

وأمام مدخل السيارات بفندق الامباسادور كان جون فرانكنهايمر المخرج السينمائى الذى أخرج عددا من الافلام الكبيرة مثل فيلم « مرشح من منشوريا » ينتظر برفقة زوجته فى داخل سيارته الرولزرويس الفضية عندما نهره أحد رجال البوليس آمرا :

ـ تحرك بعيدا ..

فقال فرانكنهايمر محتجا :

ـ نحن فى انتظار السناتور كنيدى .

كان فرانكنهايمر قد خرج من الفندق بمجرد انتهاء كنيدى من خطابه ، ولم يدر شيئا عن اطلاق النار . ولكن رجل البوليس عاد يطلب منه أن يتحرك بعيدا. واحس فرانكنهايمر أن هناك شيئا ما .. وما لبث احساسه أن تأكد عندما لمح عددا من مساعدى المأمور يقبلون مندفعين الى الفندق . وأسرعت اصابعه تبحث عن مفتاح الراديو ليتلقى النبأ المفجع .. كان نبأ مفجعا له بنوع خاص فقد كان آل كنيدى ينزلون فى ضيافته !

وفى داخل الفندق كانت جماعات الناس تدور حول نفسها فى ذهول وبلا هدف ، البعض يلعن ، والبعض يبكى والبعض يناقش بحرارة .. وهناك بالقرب من فسقية فى وسط البهو . وقفت سيدة وبين يديها مسبحتان ترجو الآخرين

ان يشتركوا معها في الصلاة .. وركع من هؤلاء على الارض نحو عشرين شخصا. ولكن رجلا واحدا لم يعجبه المنظر فاخذ يسب ويلعن ، وهو يقذف ببعض الكراسى غاضبا في قلب الفسقية .

كل هذا ، بينما اندى ويست مازال يسجل .

« في هذه اللحظة .. نحن في حالة ذهول . اننا نرتجف مثلنا مثل كل شخص آخر في دهليز المطبخ في فندق الامباسادور بلوس انجيلوس . انهم يخلون المدخل الان . ربما لكي يفسحوا طريقا لسيارة المستشفى . هذا كل ما نستطيع ان نسجله في هذه اللحظة . ولا أدري ما اذا كان السناتور مات ام لا يزال حيا.

***

وفي المصعد ، اخذ ماكس بهرمان « يجعر » بتعليماته . فقالت اثيل كنيدى « ارجوك .. اخفض صوتك » ، ولكن بهرمان استمر في اصدار أوامره بأعلى صوته ، الامر الذى أثار بلانش هويتاكر فلطمت بهرمان لطمة خفيفة على فمه وهي تزمجر قائلة :

ـ لا تفعل هذا مرة اخرى والا سحقت راسك .

ووصل المصعد الى الطابق الارضي . ودحرج بهرمان وهولسمان النقالة فوق الممر المرصوف بالاسمنت المسلح . وجاء صوت بارى يصرخ قائلا :

ـ ابطئوا سرعة هذا الشيء بحق الجحيم ..

فاسرع روجرز بشد النقالة ذات العجلات ليبطىء سيرها .. ولكن بهرمان صاح :

ـ بحق المسيح .. دع النقالة ..

بيد ان روجرز استمر ممسكا بها .

ومرة اخرى زمجر بهرمان .

ـ مسز كنيدى فقط هي التى ستركب معه !

ولكن فريد دوتون مرق من جنبه وانضم الى مسز كنيدى داخل السيارة . وكذلك فعلت بلانش هويتاكر . وركب بهرمان . وصاح بارى :

ـ ولكنى ايضا يجب أن أكون معهم فشده روجرز من ذراعه ، واحتلا معا المقعد الامامى بجوار السائق هولسمان . ولوحت اثيل كنيدى بيدها للاب جيمس موندبل ، أحد قسس مارينول وصديق قريب لاسرة كنيدى ، لكى يتبع سيارة المستشفى ..

والتقط بهرمان دفتر تسجيل الحالات الطارئة ، والتفت الى اثيل كنيدى قائلا :

ـ من أجل تسجيل البيانات .. يجب أن اعرف ما حدث ! غير ان اثيل بادرته بقولها انها لا يعنيها أن يعرف أو لا يعرف .. ويقول بهرمان انه بدوره اغلق دفتره بحدة وطوح به الى مؤخرة السيارة .

وفيما بعد كتب روجرز :

« .. وانطلقنا « السرينة » تدوى بأعلى صوتها والنور الاحمر يتوهج ويهتز بشدة . والتمس بارى من السائق أن يهدىء سرعته ، والتفت خلفى . كان بوب كنيدى يرقد هناك وقدماه فى المقدمة وزوجته ودوتون منحنيين فوقه . والتقت عينا اثيل بعينى . وحاولت أن أجعل نظرتى لها تحمل معنى الاطمئنان . ولكنها أشارت بيدها الى حلقها بحركة سريعة من اعلى الى اسفل وبالعكس . ويبدو انها كانت تريد أن تقول « انه لا يستطيع أن يتنفس » .. وصحنا دوتون وأنا بالمساعد الجالس فى المؤخرة فجاء ، وأخرج من حقيبته قناع تنفس من البلاستيك الشفاف ، وثبته فى راس ووجه كنيدى بشىء من الخشونة ، ومد رباطه عبر الجرح الغائر خلف الاذن اليمنى .. وشاهدت اثيل ترتعد فرقا » .

وأمام الباب الغربى لفندق الامباسادور كانت سيارة الشرطة رقم«٨١٤٨اكس٢» تقف استعدادا لنقل الاسير ، بينما الناس بدأوا يتجمعون بسرعة وهم يصرخون. ودفع بلاسنشيا الاسير الى المقعد الخلفى ، وأغلق الباب ، ثم استدار من الناحية الاخرى ودلف الى جواره . واستوى هوايت أمام عجلة القيادة وقفز انراه الى جواره

وانطلقت السيارة تشق الطريق . وضاعف هوايت سرعته ، واجتاز شارعى ويلشير الى شارع الاسكندرية ، ثم دار يمينا فى الشارع الخامس والنور الاحمر يومض بلا انقطاع . وخيل الى بلاسنشيا أن وجه أسيره كانت تعلوه فى تلك اللحظة ابتسامة .. كان وجهه من قبل أثناء وجوده فى حجرة الكراد تعلوه نظرة رعب هائل .. ولكنه الان يبدو مبتسما .

وأضاء بلاسنشيا بطاريته واخذ يحملق في عيني الشاب الاسير الى جواره ، وكان على وشك ان يبدأ معه ما يسميه البوليس باختبار تعاطى الخمر . اذ انه من المعروف أن أي شخص يكون واقعا تحت تأثير الكحول أو المخـــدرات فان حدقتي عينيه لا تهتزان عادة عندما يتعرضان لومضة من الضوء الشديد .

واخرج بلاسنشيا كراسته التي على غلافها من الداخل صيغة مطبـوعة كان بوليس لوس انجيلوس يستخدمها لابلاغ المتهم بحقه الدستوري في أن يلتزم الصمت ، وان يدعو أحد المحامين ، أو أن يزود بمستشار .. وبعد أن قـــرأ بلاسنشيا الصيغة سأل :

ـ هل فهمت حقوقك ؟

فغمغم المتهم شيئا ما جعل بلاسنشيا يعيد تلاوة الصياغة ثم يسأل مرة أخرى :

ـ هل تفهم حقوقك ؟

قال المتهم :

ـ نعم ..

ـ هل تريد أن تظل صامتا .

ـ نعم ..

ومال بلاسنشيا على المقعد الامامي سائلا انراه :

ـ على فكرة .. من الذى اطلق عليه الرصاص ؟

فاجاب انراه :

ـ بوب كنيدى ..

فعلت هذا من أجل بلادى

واستدار انراه في مقعده موجها الحديث الى الرجل المقيد بالحديد :

ـ لماذا فعلت هذا ؟

وكانت الاجابة ، كما يقول انراه ..

ـ فعلت هذا .. من اجل بلادى !

وظن انراه في البداية ان الرجل يبدو عليه انه مكسيكى . وكان يعلم جيدا ان الامريكيين المكسيكيين .. في منتهى الحماس لكنيدى . ففى نفس هذا اليـوم

اعطى ٩ من كل عشرة امريكيين مكسيكيين أصواتهم لكنيدى . واغلب الاحتمال ان العاشر الذى لم يعط صوته لم يصوت لاحد على الاطلاق .

وسال مرة اخرى :

ـ ولكن لماذا هو ؟ لماذا كنيدى ؟

وكانت اجابة الاسير :

ـ لم يعد يجدى السؤال !

قال هذا وهو يهز راسه ، فهز انراه راسه بدوره .. انه لا يستطيع الان ان يهتدى الى الاجابة . ولكن لعله يستطيع فى المستقبل .. يوما ما ، اذا تمكن من الحفاظ على حياة الاسير .

وعند نقطة بوليس رامبارتس سال انراه :

ـ لعله لا يستطيع أن يؤذى نفسه ؟ .. هل يستطيع ؟

فاشار السيرجنت بيل جوردان الذى كان يقوم بالنوبة الليلية ان الرجل مقيد بالحديد واضاف « وسوف يلازمه البعض باستمرار .. تستطيع أن تكون واثقا من ذلك » ..

***

كان المفروض ان يكون جرانت بيركوبر الان نائما . فقد كان فى تلك الفترة يخوض بعض المحاكمات . وكانت عادته اثناء نظر قضاياه ان ياخذ نفسه بنظام صارم لا يتعداه ، فهو يعود الى داره فى السادسة بعد الظهر ، وبعد قدحين او ثلاثة من الروم وقدحا من ماء الصنبور يهدىء بها اعصابه ، يتناول غذاء هادئا برفقة زوجته فيليس ، ثم ياوى الى فراشه فى الثامنة ، حيث يستخدم التليفزيون كاداة لانعاش ذهنه من كل متاعب اليوم بطوله . ما حدث وما لم يحدث ، وما كان يجب أن يقوله ولم يقله .. الى آخر تلك الافكار التى كثيرا ما كانت تطير النوم من عينيه فى أيام شبابه الاولى عندما بدأ العمل فى المحاماه.

ولكن كوبر كان يود أن يرى كنيدى فائزا فى المعركة . وهو فى الواقع لم يكن « كنيديا » متحمسا .. فقد اعطى صوته فى البداية لصالح يوجين ماكارثى وفى ٤ نوفمبر صوت لصالح هيوبرت همفرى . الا ان انتخابات هذا العام كانت فضفاضة غير محددة الاطراف ، وحافلة بالمفاجآت المذهلة وبكل ما لايتوقعه احد..

كان كنيدى يتقدم بسرعة ويقوى يوما بعد يوم . والان فان كـوبر يريد أن يرى ما سوف يفعل ، ولم يكن كوبر يملك الا أن يبتسم لحيوية كنيدى وسعادته ، ولحيوية آل كنيدى وسعادتهم ..

ثم ظهرت صورة كنيـــــدى فجأة على شاشة التليفزيون .. ونهض كوبر ليذهب الى الحمام وعاد بعد لحظات ليرى فى آخر لحظـة ما يجرى فى فنـــدق الامباسادور .

وقال كوبر لزوجته التى كانت عيناها قد استسلمتا للنعاس .

ـ فيليس .. احدهم قتل كنيدى .

كان نفس المشهد يجرى فى ملايين البيوت فى جميع ارجاء البلاد .

وعاد كوبر يقول ..

ـ واحد ابن « .... » ضرب كنيدى بالرصاص !

والمحامى راسل بارسونز . كان هو الاخر ممددا على ظهره ، وعيناه تحدقان فى سقف حجرته بنادى الكس بلوس انجيلوس الذى لا يبعد سوى خطوات قليلة عن فندق الامباسادور .

واخذ بارسونز يسائل نفسه متعجبا ما سر كل هذه الضجة واصوات صفارات سيارات البوليس فى هذه الساعة المبكرة من الصباح ، وتنهد ، فبالنسبة اليـه كانت صفارات سيارات البوليس تعنى دائما مزيدا من المتاعب . ولقد عاش حياته كلها يتربص بالمتاعب . وعلى مدى سنوات طويلة كممثل ادعاء فى كاليفورنياواوتاه ثم سنوات طويلة كمحامى جرائم كان دائما يعيش على متاعب الاخرين . وحتى فيما بعد . اصبح عليه أن يدير عددا من دور العجزة والمجانين وملاجىء البؤساء .

وكأنما كان البؤس يحيط دائما به لسبب ما ، فها هو الان فى سن السادسة والسبعين ، أى فى أواخر العمر ، وفى الوقت الذى ينبغى فيه أن يتقاعـــد ويعيش فى هدوء بداره القديمة فى هوليود هيلز .. ها هو ملقى وحيـــدا فى حجرة قذرة بنادى الالكس ، بينما زوجته الثانية فيكى تنعم بحيـــاتها فى بالم سبرنجر .

ودوت صفارة سيارة اخرى فى الظلام كانت هى الثانية فى ظـــرف دقيقة واحدة تاتى من ناحية الشارع السادس وتحت اذنه مباشرة ، ثم ها هى سـيارة ثالثة ..

ترى ما الذى حدث ؟

وانقلب بارسونز على جنبه .. محاولا أن ينام ..

***

ثم جون هوارد ..

انه رجل كبير الحجم .. متين البنيان يتمتع بملامح واضحة ووجه لوحته الشمس ولا يتفق مظهره الرياضى مع مسئوليته كرئيس لمكتب التحقيقات التابع للمدعى العام بالناحية ، وكرجل يعمل تحت أمرته نحو ٢٠٠ محام .

وفى العادة يكون هوارد فى منتصف ليلة الثلاثاء غارقا فى نوم عميق.ولكنه فى هذه الليلة بالذات ليلة الانتخابات التمهيدية ، كان لايزال مستيقظا وبرفقته صديق له يدعى ليـن فرانتـز ، الذى كان قد سقط فى ترشيحات الحزب الديمقراطى للمؤتمر السابع عشر بولاية كاليفورنيا عن منطقة الخليج الجنوبى بلوس انجيلوس . ولو كان فرانتز فاز فى هذه الانتخابات لكان هوارد قد ترك المقر الانتخابى فى فندق « بلوش هورس » بشاطىء ريدونو وأوى الى داره ، ولكن الصديق الذى فاته الفوز كان فى حاجة الى بعض المواساة . ومع أن فرانتز كان لديه الكثير من الاصدقاء ، الا ان هوارد رأى أن يشاركهم جلستهم الاخيرة ، ليتبادل معهم الحديث كما هو شان الخاسرين ، فيما يجب أن يفعلوه فى المرة القادمة .

وفجاة تلاشت ضجة الحديث وماتت الكلمات على الشفاه . فهناك على شاشة التليفزيون فى ركن القاعة كان احد المذيعين يحاول ان يقول للعالم ان شخصا ما ، يحتمل ان يكون السناتور كنيدى نفسه ، أصيب بطلق نارى فى غرفة الكرار بفندق الامباسادور .

وهتف هوارد ، املا ان يكون المذيع قد اخطأ :

ـ رباه .. ليس مرة اخرى ..

كان هوارد ديمقراطيا من انصار كنيدى . فلم يطق أن ينتظر حتى يتأكد النبأ ، وانما هرع الى سيارته وانطلق بها على طريق هاربور فريواى الى مقر مدعى الناحية بقلب المدينة ، وقبل ان يصل الى هناك ، كانت نشرة الاخبار فى الراديو قد انهت اليه أن كنيدى ، وربما عدة اشخاص اخرين اصيبوا بجراح خطرة ، واستدعى بالتليفون فريقا كاملا من وكلاء النيابة ليحضروا فورا الى المكتب ثم اتجه راسا الى مستشفى الاستقبال المركزى .

فى نيويورك

كان روبرت جرين ، المحـرر بجريدة نيوزداى بلونج ايلاند متمددا فى فراشه بداره بجاردن سيتى . ومعظم جسده الذى يزن ٢٨٧ رطلا فى حالة نوم . ولـكن جانبا من ذهنه لا يزال مستيقظا . فقد كان اعتاد منذ سنوات ان يبقى الراديو مفتوحا طوال الليل ، كأنما هناك ((مؤشر ما)) فى داخل مخه يستمع الى الانباء، ويجعله يقفز مستيقظا حينما يقول احد شيئا يجب أن يعرفه .

وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة بعد منتصف الليل بقليل . ووســط مناقشة متنافرة الاصوات يديرها شخص يدعى ((لونج جوننيبى)) حول موضوع ماء توقف المذيع ليتلو نشرة عن كنيدى . وانتفض جرين فى فراشه مدركا ان شـيئا خطيرا قد وقع . وفى نفس اللحظة استيقظت زوجته كاتى ، وانصتت لما يقـال وتقلصت اصابع يدها على ذراع زوجها وهى تصرخ باكية ..

ـ يا الهى .. بوب كنيدى .. اصيب بالرصاص !

واستوى جرين بجسده الضخم كانه تمثال بوذا على حافة فراشه، واشعل سيجارة ((بول مول)) متحيرا فيما ينبغى ان يفعله ، وهو الصديق القـــريب لروبرت كنيدى ، ومن قبله لجون كنيدى .. ولكن رئيس تحرير جريدته ســارع الى نجدته .. حيث جاءه بعد لحظة صوته فى التليفزيون يقول :

توجه من فورك الى مطـــار كنيدى ((المطار الدولى بمدينة نيويورك)) وطر الى لوس انجيلوس على احدى طائرات ((اميركان اير كاينز)) .. ســتجد فى المطار شخصا ينتظرك ومعه تذكرتك وبعض النقود .

***

وقف الطبيب يستعد لاستقبال روبرت كنيدى ، وهو يؤمن بأن المســالة ليست اكثر من بلاغ كاذب .

وفى الطريق الى المستشفى كانت أعصاب اثيل كنيدى قد بدات تثـــور ، فصفعت المرض ((بهرمان)) .. وأشارت الى أحد الرجال وصرخت : ((اقبضوا عليه)) . ولم يكن الرجل سوى مصور صحفى يؤدى واجبه .. والواقـــع ان الصحفيين والمصورين كانوا يتزاحمون ويثيرون الاعصاب ويسدون الطـــريق مما عطل دخول كنيدى الى المستشفى .

أما ادوارد كنيدى فلم يعرف بنبا اطلاق الرصاص على شقيقه الا من شاشة التليفزيون بينما كان يستريح فى قاعدة هاملتون الجوية بعد جولة انتخابية .. وأسرع ادوارد الى طائرة حربية نفاثة استخدمها للوصول الى مكان الحادث .

في نقطة بوليس شارع رامبارت ، نقل الضابطان هوايت وبلاسنشيا اسيرهما « سرحان » الى حجرة « قياس التنفس » المجهزة والمزودة بمعدات خاصة للكشف عن تعاطي الخمر ، ثم اصطحباه من فورهما الىحجرةالاستجواب « ب » وكانت حجرته عارية تقريبا من الاثاث ، بها منضدة معدنية ، وعدد قليل من الكراسي المعدنية ايضا وميكروفون مخبأ فيمكان ما من الجدران المانعة للصوت .

وهناك فتش هوايت المتهم بينما وقف بلاسنشيا وانراه يراقبان عملية التفتيش ووجد هوايت ٤ ورقات من فئة مائة دولار وورقة واحدة من فئة ٥ دولارات ، واربعة من فئة دولار واحد ــ كل ذلك في الجيب الايسر الامامي لبنطلون محبوك الاطراف لونه أزرق خفيف ، ووجد دولارا واحدا و ٦٦ بنسا بالجيب الايمن . ثم مشطا ومفتاح سيارة ، وقصاصة من عدد ٢٦ مايو من جريدة باسادينا انديبندانت ستار نيوز تحمل مقالا لدافيد لورانس ، ورصاصتان سليمتان من عيار ٢٢ ، وثالثة فارغة من النحاس ، ومنشورا يحمل اغنية لكنيدي وزعت في فندق الامباسادور على انصاره .

ومع هذا كله ، اعلان صحفي مقاسه ٥×٥ بوصة ، عبارة عن دعوة الى اجتماع لتاييد روبرت كنيدي كانت صيغته كما يلي :

انتواصدقاؤك مدعوون على الرحب والسعة لمقابلة وسماع السناتور روبرت كنيدي يوم الاحد ٢ يونية ١٩٦٨ في كوكوناست جروف بفندق الامباسادور ــ لوس انجيلوس

امين الصندوق : ليون م. كوبر ــ الرئيس : جيسي انراه

اما مقال لورنس الذي كان في جيب سرحان ، فكان يحمل عنوان : « بوب المتناقض » .

وكان يبدأ كما يلي :

« خرج المرشحون للرئاسة يجمعون له الاصوات .. ولكن يبدو ان بعضهم لا يدرك كم هو متناقض » ..

والتناقض عند كنيدي ، كما يراه لورانس ، هو انه فيالوقتالذييعارض فيه الحرب في فيتنام ، يؤيد ارسال المعونات لاسرائيل ..

ورمق هوايت الشاب الاسير بنظرة سريعة .. كلا ، انه لايبــدو فيتناميا بالتاكيد ..

ودلف الى الحجرة السيرجنت جويدس لوكد ، وطلب من انراه انيخرج، وعهد الى السيرجنت آ.هـ. اوستن والضابط ف. د. ايلوبى من فـــرقة رامبارت المساعدة بحراسة الاسير .

واخذ كبار رجال البوليس فى ادارة لوس انجيلوس يتدفقــون على نقطة بوليس رامبارت . وعلى الفور بدأ بيل جوردان ، يقوم بمسئولياته باعتباره القائد « النوبتجى » تلك الليلة لوحدة البوليس السرى فى رامبارت .

وكان جوردان ، مثله مثل الكثيرين فى ادارة بوليس لوس انجيــلوس جندى بحرية سابقا ـ ولكنه كأن آبعد مايكون فى مظهره عن جنود البحرية او جنود البوليس على الاطلاق . كان شعره الاشقر طويلا عن المعتاد ، واميل الى الابتسام منه الى العبوس . وعندما يتحدث يكون حديثه عن الرياضة اكثر منه عن الجريمة . ولكنه الآن كان عابس الوجه مقطب الجبين وهو يطلب من ايلــوى واوستن ان ينتظرا بالخارج .

* * *

ابعد يديك القذرتين النجستين عن زوجى ..

هذه هى الكلمات التى يقسم ماكس بهـرمان آن اثيل كنيــدى واجهته بهـا عندما امسك براس السناتور كنيدى داخل سيارة المستشفى ..

ويضيف ماكس ، انه تجاهلها تماما ، واخذ يثبت قناع الاوكسيجين فــوق الوجه المتجهد أمامه ..

وسالته اثيل فى عصبية :

ـ كيف تعرف اذا كان يتنفس ام لا ؟ ..

فاجاب بهرمان :

ـ بوسعك ان تسمعيه ..

واومات اثيل براسها ، بينما السيارة ج ـ ١٨ تنهب الطريق نحومستشفى الاستقبال المركزى ، دون آن تنقطع صفارتها عن العويل ، ومصابيحهــا تطلق وميضا احمر ..

وحاول بهرمان ان يجرب حظه مرة اخرى ، فقال لاثيل كنيدى :

ـ اود ان اعرف ماذا حدث ؟..

ولكن اثيل قالت غاضبة :

ـ لا يعنيني بحق الجحيم .. ما تود ان تعرفه ..

فهز بهرمان كتفيه ، وهو يقول انه التقط شريطا من الشاش ليضعه على الجانب الذى ينزف دما من رأس كنيدى ، فكان جزاؤه ـ كما يقول ـ أن صفعته على خده الايمن . ثم نادت على بيل بارى الجالس فى المقعد الامامى طالبة منه ان يقذف ببهرمان الى الخارج « لأنه يسأل اسئلة اكثر مما يجب » .

وحاول بارى ان يتحرك عبر الحاجز بين المقعدين الامامى والخلفى ، ولكن السائق روبرت هولسمان جذبه الى الخلف دون ان يحول بصره عن الطريق قائلا :

ـ لا عليك .. فقد اوشكنا على الوصول ..

***

مستشفى الاستقبال المركزى ، بناء منخفض من الطوب الاحمر يشغل رقم ١٤٠١ بالشارع السادس فى لوس انجيلوس ، ويقع على بعد ١٨ مبنى بالضبط من فندق الامباسادور ، كان المرضى الذين انتهوا من مشاهد التليفزيون قد بدأوا يطلبون ذويهم بالتليفون .. وفى نفس الوقت أخذت النداءات من فندق الامباسادور تنهال على السويتش .

وقد تصرفت مس نورمان كيس كأحسن ما يكون ، اذ بدأت من فورها تستخدم جهاز الاذاعة الداخلية بالمستشفى « بدلا من التليفونات » لتوجيه عدد من الرسائل العاجلة . ومن بينها رسالة موجهة الى مس بيت ايبى رئيسةالمرضات بالاستقبال المركزى . وأخذ صوتها يتردد فى جميع انحاء المستشفى قائلا : « مس ايبى .. مس ايبى .. اعدى غرفة حالا .. واستعدى لنقل الدم » ..

واختارت مس ايبى حجرة العلاج رقم ٢ ، التى كانتافضل استعدادا ومعدات من اى حجرة اخرى . واقرب فى نفس الوقت من ممشى سيارة المستشفىالمنحنى واعدت جهاز نقل الدم بالحجرة ، وقصت شريطا لاصقا وثبتته بالجهاز،وجهزت بعض المواد اللازمة لنقل الدم على المنضدة الخلفية بالقرب من مائدة العمليات .

وفى ذلك الحين كان العاملون جميعا بالمستشفى قد سمعوا ان كنيدى قد اصيب بطلق نارى وانه الآن فى طريقه الى مستشفى الاستقبال المركزى . وامام

المدخل الذى سستمر منه سيارة المستشفى وقف الدكتور ف . فوستين بازيلوسكاس كبير اطباء النوبة ، ينتظر فى شىء من عدم التصديق .. اجل .. من المؤكد ان هذا البلاغ كاذب .. فما اكثر مايكون مستشفى الطوارىء نهبا للاشاعات ..

واخيرا توقفت امام الباب سيارة تاكسى ، ونزل منها شاب اخذ يتقدم منه وهو يعرج بساقه . كان الشاب هو اروين سترول

فبادره الدكتور بازيلوسكاس :

ـ ما الذى جئت من اجله ؟

ـ لقد اصبت بطلق نارى ..

ـ اين حدث ذلك ؟

ـ قال سترول :

ـ فى الامباسادور ..

وتنهد بازيلوسكاس بارتياح .. اذن فهو ليس كنيدى ، وانما هذا الشاب بجرحه الطفيف .. ولكن ما هى الا لحظة حتى كانت سيارة مستشفى الاستقبال المركزى رقم ج ١٨ تقف بدورها امام الباب ويجتذب منها بهرمان وهولسمان نقالة يدفعان بها صوب الدكتور بازيلوسكاس ، وفى اثرها مباشرة اثيل كنيدى.. وكان هذا هو السناتور كنيدى غائبا عن الوعى ..

وطلب الدكتور بازيلوسكاس من احدى الممرضات ان تعتنى بالغلام «سترول» وتحرك ناحية كنيدى .. ولكن بهرمان صاح به : « ليس هنا يادكتور .. وانما فى حجرة العلاج الخاصة بك » .

وتردد بازيلوسكاس لحظة ثم اخذ يشق طريقه وسط الزحام وهو يكاد يفقد اعصابه من فرط النرفزة ، وكان من حقه أن يفقد أعصابه . فقد كان الجميع يتدافع حول النقالة وبهرمان يكافح ليتخلص من طاقم مصورى ومراسلى التليفزيون .. واخيرا استطاع بهرمان ان يدفع النقالة فى البهو ، بينما اثيل كنيدى تصرخ : « اقبضوا عليه .. امسكوا بهذا الرجل .. » وهى تشير الى مصور مشمر الاكمام كان يحاول تثبيت عدسته . وكان هذا هو جون مالين مصور لوس انجيلوس تايمز . واندفع بيل بارى من مكانه بجوار اثيل ضاربا الرجل ضربة واحدة القته على الارض واطاحت بآلة التصوير فى الهواء..

واخذت مس ايبى ، وممرضة اخرى تدعى مرجريت جان لأيتسى تحاولان جذب النقالة الى داخل غرفة العلاج بينما المصورون والصحيفيون يعطلانهما ليحصلوا على مزيد من الصور • واخيرا استطاع السيرجنت فيتش ان يكسر الحصار ، واصبح كنيدى بين اطباء المستشفى وممرضاته فى حجرة العلاج رقم ٢ .

ووقفت مس ايبى ، ومسز لأيتسى على راس منضدة العلاج ، بينما اخذت ممرضتان اخريان هما مس ريبا نلسون ومسز اليس ميجيا مكانيهما الطبيعى فى منتصف المنضدة امام النقالة لاستقبال المرضى .

ولكن الدكتور بازيلوسكاس وقف بين النقالة ومائدة العلاج صائحا : ضعوه هنا فوق المنضدة •• ضعوه فوق المنضدة ••

وكانت النقالة ما زالت تدفع لتاخذ الوضع المعتاد ، ولكن صبر بازيلوسكاس كان قد نفد ، فوضع يديه تحت فخذى كنيدى ، وبدا يرفعه ، فاذا بانبوبة الاوكسيجين الموضوعة فى مؤخرة النقالة تسقط على الارض محدثة صوتا مدويا فصرخت مس ايبى فى الدكتور محتجة :

« دعنا نؤد هذا كما يجب » •• وتناول مساعدا سيارة المستشفى الملاءة التى كان كنيدى يرقد عليها من طرفيها وفى حركة واحدة كانا قد نقلاه الى منضدة العلاج ، بينما اثيل تصرخ باكية :

ـ ليس بهذه الخشونة .. لا تكونوا خشنين هكذا ••

***

كان زئير النفاثات المقاتلة فى قاعدة هاميلتون الجوية عاليا بحيث استحال معه الحديث •• ولكن لا باس من ذلك • فليس بين الطيارين الاربعة احد لديه مايريد ان يقوله ، مثلهم فى ذلك مثل السناتور تيد « ادوارد » كنيدى ومساعده ديف بورك ، وابن عمه بوب فيتزجيرالد وجون سيجنتالد رئيس تحرير جريدة ناشفيل تينيسيان ••

كانت الانباء قد جاءتهم اثناء وجودهم بفندق فيرمونت بسان فرانسيسكو •• وكان تيد كنيدى يجلس متهالكا فى مقعده يشاهد التليفزيون وبصحبته بورك وقد اعياهما التعب ، بعد يوم حافل توج باجتماع انتخابى ناجح ، ولكن الارهاق لم يمنعهما من متابعة آخر الانباء الواردة من لوس انجيلوس ، حيث كان التصويت يجرى ببطء شديد ••

ثم اضاءت شاشة التليفزيون بشكل بهــر عيونهما .. ولم يكن ما يرياه امامهما هو تسجيل الانتصار الضخم فى لوس انجيلوس ، وانما مزيج هائل من الفوضى والارتباك ، ونبأ مضطرب عن اطلاق النار فى فنـــدق الامباسادور .. وتجمد « تيد » فى مكانه مذهولاً مدركاً لما حدث ، ثم التفت الى بورك قائلا فى صوت يرتجف :

« من الافضل ان نذهب فورا الى هناك » ..

وسرعان ما اعدت طائرة نفاثة من طائرات السلاح الجوى .. وصــعد اليها الاربعة لتنطلق بهم فورا الى الجنوب .. الى لوس انجيلوس ..

***

ومرة اخرى نعود الى نقطة بوليس رامبارت .

الشاب الأسير الذى يبدو انه ليس فيتنامياً مازال صامتا ، صمتا «فيظا» فالسيرجنت جوردان كان قد ابلغه بحقه فى ان يظل صامتا ، واخذ الشاب هذا الحق بمعناه الحرفى ، ورفض حتى ان يدلى باسمه ..

وانصرف جوردان الى الاشياء التى عثر عليها بجيوب الشاب قائلا : أود ان أعد النقود أمامك حتى تكون مقتنعا بان هذا هو المبلغ الصحيح .

ولكن الاسير قال انه متمسك بحقه فى الا يتكلم ..

وتوقف جوردان عند هذه النقطة لحظة قائلا : لا استطيع ان افهم .. كيف يمكن أن يحمل هذا أية ادانة لك ؟ .. آه .. بكلمات اخرى ، أنا لا أريد حتى ان اسألك ما اذا كانت هذه نقودك ام لا .. وانما كل ما سأفعله هو أن اعد هذه النقود .. فاذا وافقت على العد ، فكل ما أريد هو أن تقول لى ذلك .. واذا لم توافق قل ..

ولكن الأسير هز رأسه ..

ـ الا تريد ان تفعل حتى ذلك ؟ حسنا .. سأعدها الان فى حضــورك ، سواء وافقت على العد أو لم توافق ..

وتناول جوردان كل واحدة من المضبوطات ، ناطقا باسمها..فكل حجرات الاستجواب فى ادارات بوليس لوس انجيلوس مزودة باجهزة الاستماع .. وكل كلمة تقال هنا تسجل فى الحال .. وهكذا ، ســجل جوردون ممتلكات الاسير على الشريط ..

ـ والآن دعنا نر .. ها هى أوراق نقدية من فئة المائة دولار .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. اربعة اوراق من فئة المائة دولار ..

وعاد جوردان يفتش الاسير الذى بدأ متالما عندما امسكت يد السيرجنت بساقه ، فقال جوردان :

ـ متأسف .. ماذا حدث ؟..

ـ لقد ذكرت ذلك للضابط رقم ٢٩٤٩ .

ـ آسف .. من هو ؟

ـ لا اعرف اسمه ..

كان الأسير لا يعرف اسماء الضباط الذين اخذوه ولكنه لاحظ ، وتذكر جيدا ارقام علاماتهم ..

ـ حسنا .. ولكن ما اعنيه بالسؤال هو .. ما الذى قلته له ؟

ـ لقد قلت له عن رسغ قدمى .. وركبتى .. وركبتى ..

هناك اسلوب اسمه الدرجة الثالثة ، كان رجـــال البوليس يقنعون به أسراهم بالكلام عن طريق ضربهم بقضيب من المطاط المضغوط .. وقد كشفت عنه المسلسلة التليفزيونية « دراجنت » المأخوذة عن ملفات ادارة بوليس لوس انجيلوس ، ومنذ اذاعة هذه المسلسلة والبوليس يأخذ احتياطاته ..

وهكذا لم يكن أمام جوردان الا أن يطلب من الاسير أن يجلس ، وادخـــل اوستن وويلوبى الى الحجرة مرة أخرى ..

ودخلا .. ليحدقا صامتين فى وجه السجين .. وليبادلهما هو بـــدوره نفس النظرات ..

شهود مزيفون

والآن .. فى فندق الامباسادور .. لم يطلب أحد من الجمهور ان يتفرق .. بالعكس .. كان رجال البوليس يحاولون احصاء كل من شاهد اطلاق النار .. وقيد اسمائهم وعناوينهم واصطحابهم الى نقطة بوليس شارع رامبرانت لأخــذ أقوالهم ..

وكان من بين هؤلاء الشهود عدد من رجال الصحافة الذين اخذوا بدورهم ، ومعهم عشرات من رجال الصحف الاخرين يطوفون بين الجمهور آملين ان يكتشفوا ما رآه الاخرون ، واخذ ريتشارد اوبزى الذى كان يعمل من قبل صحفيا فى بعض

صحف السود يناقش صديقه بوكر جريفين الذى زعم انه كان فى داخل حجرة الكرار لحظة اطلاق النار ..

ـ وسأل جريفين بانفعال :

ـ هل قبضوا على الولدين الأخرين ؟ ..

فقال اوبرى :

ـ مهلا يابوكر .. من قال شيئا عن وجود ولدين اخرين ؟ ..

وجاء أحد المنتجين ، فقدم عددا من امثال هذين الشاهدين الى المراسل التليفزيونى ساندر فانوكر الذى كان يقف فى الدهليز محاولا أن يجمع المعلومات عما حدث بالداخل .. وكثيرا ما يحدث له ما يحدث لرجال البوليس فى امثال هذه الحوادث ، عندما يتقدم احد « شهود العيان » المزيفين ليدلى بشهادة خيالية عن شىء لم يره فى الواقع . وكأنما كان الموقف كله فى حاجة الى مزيد من البلبلة ، فقد حدث ان التقى فانوكر بفتاة عاملة من انصار كنيدى اسمها ساندى سيرانو ابلغته انها شاهدت امراة تنزل سلم الحريق من قاعة السفارة بالفندق وهى تصيح : قتلناه .. قتلناه ..

يعنى مجموعة من المتآمرين ؟ .. اوه يا الهى ..

وقال فانوكر .. محاولا ان يحصل على قصتها كاملة :

ـ مس سيرانو .. على مهلك .. سامسك بالميكروفون أمامك وقولى انت كل شىء منذ لحظة رؤيتك السناتور يدخل الحجرة .. ماذا حدث ؟

وأجابت سيرانو بهذه القصة المضطربة :

ـ حسنا .. لقد كانوا كلهم فى الحجرة الرئيسية يستمعون الى خطابه ، وكان الجو حارا الى حد جعلنى أخرج الى « التراس » حيث مكثت هناك نحو خمس أو عشر دقائق .. كما ترى .. ولكنى بدأت أحس بالبرد .. وساعتها كما تعرف ، كان الجميع يهتف ويهلل .. وما الى ذلك ، بينما بقيت انا فى مكانى ، افكر ، كما تعرف ، فى .. كم كان عدد الحاضرين .. وكيف كان كل شىء رائعا . وفجأة جاءت هذه الفتاة تجرى نازلة من السلم الخلفى.. جاءت تجرى نازلة من السلالم وهى تقول : لقد قتلناه .. لقد قتلناه .. من الذى قتلتموه ؟ .. قالت لقد قتلنا السناتور كنيدى .. وبعد .. كانت ترتدى .. انى أستطيع ان اذكر ماذا كانت ترتدى وكل شىء .. وبعدها جاء ولد فى اثرها على السلالم ، عمره نحو ٢٣ سنة وهو امريكى مكسيكى . اقول امريكى مكسيكى لأننى انا نفسى

امريكية مكسيكية • وسألت ماذا حدث ؟•• وفجاة بدأ كل هؤلاء الناس يأتون ويذهبون ويتدافعون •• ودخلت انا الى مكان البار دون ان يبدو على احد انه يعرف شيئا •• واعتقدت انا انني ربما ، كما تعرف ، قد أسأت الفهم او ماالى ذلك ••

ـ انتظرى دقيقة واحدة .. هل تكلمت ..

وقاطعها فانوكر سائلا :

هذه السيدة الشابة بصيغة الجمع •• هل قالت قتلناه ؟ ••

واجابت سيرانو :

ـ نعم •• قالت ذلك ••

ـ تقصد من ؟ الامريكيين المكسيكيين ؟

ـ لا •• هى لم تكن من اصل امريكى مكسيكى •• كلا •• لقد كانت قوقازية ؟.. كانت ترتدى ثوبا ابيض منقطا ، ولونها فاتح ، وشعرها غامق ، وفى قدميها حذاء اسود ، ولها انف مضحك •• كان انفا •• اعتقد انه كان مضحكا حقا •• ان جميع اصدقائى يقولون لى انى قوية الملاحظة ••

وهكذا عدت ادراجى الى الداخل ، وقلت لنفسى انه اذا كان قد حدث شىء فيجب ان يعرف ذلك ..

وسألت من الذى اطلق النار •• فقالوا لى انه لم يطلق النار على احد•• فقلت لنفسى •• حسنا ••

وانتظرت فترة ، ثم ذهبت الى التليفون وطلبت والدى فى التليفون فى اوهيو وايقظتهما وقلت لهما ان كنيدى قد اصيب بالرصاص •• ووالداى كما تعلم يعملان معى فى تأييد كنيدى •• وهكذا •• كنت فى كابينة التليفون ، ثم رأيت جماهير من الناس تجرى بجوار التليفون ووضعت السماعة •• قلت لوالدى اننى يجب ان اضع السماعة ، ووضعها ، وعدت الى الحجرة الرئيسية وسألت : من الذى اصيب ؟ ومن المؤكد ان عشر دقائق .. عشر دقائق مرت قبل ان يعرف احد فى الطابق الارضى اى شىء •• وسألت : من الذى قتل ؟ •• ثم .. جاءت هذه الفتاة مارجى جاى وقالت فى الميكرفون .. قالت : « كماتعرف احدهم اصيب بجرح خطير •• آه •• افسحوا الطريق جميعا من فضلكم •• توجهوا الى جهاز التليفزيون •• وهكذا كنت اقف عند جهاز التليفزيون••وكنت قد وصلت لتوى استمع الى كل ما حدث ولم أستطع ان اصدق .. ولذلك

ذهبت لاتاكد .. وسالت من الذى اصيب ؟ هل كان هو ؟ .. فقالوا لى نعم انه هو .. فعدت ادراجى الى كابينة التليفون وحاولت ان اتصل مرة اخرى بوالدى ولكن كافة الخطوط كانت مشغولة .. ولم اتمكن من ذلك ..

وسالها فانوكر مترددا :

ـ هل كنت تعملين لحساب ... هل كنت تعملين لحساب السناتور كنيدى ؟ ..

فاجابت :

ـ انا رئيسة شباب كنيدى فى منطقة باسادينا ـ التادينا » لقد عملت لحسابه بنشاط ، وكل شخص فى منطقة باسادينا كان يعمل من اجله بنشاط عظيم جدا جدا .. انا قابلته أول مرة عام ١٩٦٥ فى مؤتمر الحزب الديمقراطى بواشنطن ، داخل مصعد . داس يومها على قدمى فدفعته بعيدا .. وكانت ذكرى لاتنسى .. وفى « سرو » أعطانى نص خطابه الذى القاه فى ذلك المساء .. انا معى نص خطابه الذى القاهفى ذلك المساء .

وعاد فانوكر يسألها :

ـ ألم تكونى قريبة من المكان الذى نقل اليه او المكان الذى ضرب فيه ؟ ..

ـ كلا .. لم أكن .. كلا .. لم أكن ..

قال فانوكر :

ـ اشكرك كثيرا ..

وهز فانوكر راسه فىحيرة .. كان مندهشا لقصة مس سيرانو .. لقد كان يبدو عليها انها مصابة بنوع من الهستيريا .. ولكنها لم تكن كذلك ..ولعل آلاف مشاهدى التليفزيون فى جميع انحاء البلاد تملكهم فى تلك اللحظة احساس بانهم قد اسهموا بواسطة سحر التليفزيون فى بدايات التحقيق الذى سيقتفى آثار هؤلاء الذين تآمروا لقتل السناتور روبرت كنيدى ..

***

كانت عينا كنيدى تلمعان فى جمود ، ولم يبد أنه يتنفس على الاطلاق ، وكانـ اثيل تقف الى جواره بينما كان الطبيب يتصنت من خلال سماعته على ضربات قلبه ثم بدأ يربت بيده على وجه كنيدى وهو ينادى « بوب .. بوب .. بوب .. » .. وكرر المحاولة مرات ولا من مجيب ..

قالت المرضة مس ايبى والامل يراودها ((ان حدقتى عينيه ليستامتسعتين فى ارتخاء)) .. واخذ الدكتور بازيلوسكاس يمر براحة كفه علىصدر كنيدى.. وسمعت مس ايبى صوت نفس متحشرج خافت يصدر عن كنيدى فطلبت من زميلتها مسز لايتس انبوبة امتصاص ، ادخلتها فى فم كنيدى ثم استدارت ونقلت جهاز القلب والرئة الذى كان على منضدة فى الحجرة ووضعته خلفها مباشرة .. رفع الدكتور بازيلوسكاس والمرضات الاخريات كتفى كنيدى قليلا بينما وضعت مس ايبى جهاز القلب والرئة تحت جسمه ثم ناولت الدكتور بازيلوسكاس مطرقة صغيرة للصدر وادخلت انبوبة هواء فى فم المريض ووضعت كمامة اكسجين فوق فمه لتنشيط التنفس .. ضبطت مس ايبى جهاز القلب والرئة فى وضعه الصحيح فى الوقت الذى ربطت فيهمسز لايتسشرائط المطرقة فى جسم كنيدى من الناحية اليمنى بينما تولت ممرضة اخرى ربط شرائط الناحية اليسرى ، وكانت مسز كنيدى ترتجف كلما حركوا زوجها .

بدأ جهاز القلب والرئة عمله فالقت مسز ايبى بنظرها على اذن كنيدى اليمنى فلاحظت وجود دم متجلط داخل الاذن وخارجها كما شاهدت آثار حروق ناجمة عن بارود رصاصة خارج الأذن . ونظرت خلف الاذن اليمنى فرات جرحا تحيط به حروق ..

دلف الى الحجرة الدكتور البرت سى هولتالجراح النوبتجى فى المستشفى وبدأ يعد اجهزة توصيل السوائل الى الاوردة .. كان كنيدى مايزال يرتدى معطفه وقميصه اللذين كانا مفتوحين عند صدره العارى ، وادخل الدكتور هولت اصبعه فى كم المعطف ذى اللون الازرق الداكن فصاحت اثيل ((مزقه .. مزقه)) .. طلب الدكتور بازيلوسكاس مقصا قطع به الاكمام اليسرى بينما قامت المرضة ريبا نيلسون ومسز لايتس بخلع بنطلون كنيدى وجوربه .. لم يكن كنيدى يلبس حذاء ولم تكن هناك فى جيوب بنطلونه اية لوازم شخصية على الاطلاق ، وقامت مس نيلسون بخلع ملابسه الاخرى بمساعدة الدكتور بازيلوسكاس ومس ايبى .. طلبت اثيل كنيدى من المرضات ان يلقين الملابس بعيدا او يحرقنها.. غير أن مسز ميجا عكفت على لف هذه الملابس فى ورق ، طبقا للنظام المعمول به فى المستشفى .. كانت مسز ميجيا تقف فى مكان غير بعيد مما جعل مسز كنيدى تستدير ضجرا من صوت الورق الذى يلف به الملابس ..

ولاحظت ميجيا ذلك فحملت الملابس والورق وتركت الحجرة لتكمل مهمتها فى الممر الخارجى ثم لتعود باللفافة مرة اخرى الى الحجرة ..

كان الدكتور هولت قد بدأ يعد زجاجات السوائل فى الوقت الذى كان يفكر فيه ان عليهم ان ينقلوا كنيدى الى مستشفى « جود سامارتيان » لاجراء جراحة هناك ..

البحث عن قسيس

بدأ الدكتور هولت يجرى اختبارا على انفعالات كنيدى العصبية ، واتى الاختبار بنتيجة طيبة ، فعند ملامسة اسفل القدم اهتزت الاصابع بصورة طبيعية غير ان اختبارات الركبة نجمت عنها اهتزازات متشنجة مما كان يشير الى ان المخ قد أصابه تلف ..

اقترحت مس ايبى ان ينقل كنيدى فورا الى مستشفى جود سامارتيان ، فأقر بازيلوسكاس وهولت هذا الرأى ، وطلبا من مسز لايتس الاتصال بمستشفى جود سامارتيان لاخطاره ، وقال لها الدكتور هولت ان توصله بالدكتور هنرى كونيو تليفونيا ، وان تطلب أيضا الدكتور بيرت مييرز جراح الصدر فى مستشفى جود سامارتيان ، ذلك لان هناك اشتباها فى ان يكون كنيدى قد اصيب برصاصة ثانية فى صدره..

كان الدكتور كونيو واحدا من أبرع جراحى المخ فى لوس انجيلوس ، وفضلا عن ذلك فان الدكتور هولت كان يعرف انه هو ومساعده الدكتور نات دونزريد يتمتعان بخبرة واسعة فى علاج جراح المخ الناجمة عن حوادث اطلاق الرصاص ذلك لأن كليهما يعملان كطبيبين مقيمين فى المستشفى حيث حوادث اطلاق النار تقع كل يوم فى لوس انجيلوس ..

سالت الممرضة ايبى الدكتور هولت عما اذا كان يرى ارسال عينات من دم كنيدى الى معمل مستشفى جود سامارتيان ليكون هذا المستشفى مستعدا بفصيلة الدم المطلوب ، فرد بالايجاب ، وسحب الدكتور هولت كمية دم من ذراع كنيدى اليسرى حتى ملأ انبوبتين تناولتهما مس ايبى على الفور واتجهت بهما الى باب الحجرة لتبلغ احد ضباط البوليس بان هذه العينات لا بد وان يتم ارسالها مباشرة الى معمل جود سامارتيان ..

عادت مسز ايبى ادراجها وسالت مسز كنيدى عما اذا كانت تريد قسيسا فاجابت « نعم » .. هناك قسيس فى الصالة الخارجية ..

وخرجت اثيل الى الصالة وشقت طريقها عبر بابين مزدوجين وهناك وقع نظرها على الاب مونديل فطلبت من الشرطى أن يسمح له بالدخول .. تطلع

الشرطى الى مونديل الذى كان يرتدى سترة زرقاء فضفاضة وبنطلونا رمـــاديا واسعا .. فلم يقتنع الشرطى بان مونديل قسيس حقيقى ولم يسمح له بالدخول.

قالت اثيل للشرطى « انظر .. اننى .. كما تعلم .. مسز كنيدى »

فرد الرجل « وانا شرطى » .

وحدجته اثيل بنظرة قاسية .. لم تكن مستعدة في تلك اللحظة للشجـار فتصرفت على طبيعتها مباشرة .. نحت الشرطى جانبا فاستدار ولكزها بساعده فى صدرها .. وكانت هذه هى النهاية بالنسبة لهذا الشرطى .. فقد هاجمه عدد من الواقفين بالباب فى اللحظة التى انهمك فيها أحد المصورين فى التقاط صور هذا المنظر .. تدخل بيلى بارى ولكم المصور بيده فطرحه ارضا ثم انتزع الفيلم من الكاميرا بينما جذبت اثيل الاب مونديل الى الداخل واصطحبته معها الى الحجرة رقم ٢ .. قرا مونديل على كنيدى موعظة الخلاص .. كانت برنيلة قصيرة بالانجليزية « اننى احررك من كل خطاياك » .. ثم بقى واقفا الى جوار اثيل التى كانت تتابع عمل الأطباء ..

وطلب الدكتور بازيلوسكاس ابرة ادرينالين ليحقن بها قلب كنيدى ـ وعندما ناولته الممرضة الابرة القى ببصره على اثيل ثم وضع السماعة على صدر كنيدى ليستمع الى دقات قلبه مرة اخرى وطلب ان تعطى له الابرة فى الذراع بدلا من القلب مباشرة .. تولت الممرضة نيلسون هذه المهمة .. فنظرت الى كتف كنيدى اليمنى فوجدتها مصابة فاتجهت الى اليسرى وغرزت فيها ابرة الادرينالين وان هى الا دقائق حتى بدأ قلب كنيدى يدق بقوة .. ونظر الدكتور بازيلوسكاس الى مسز كنيدى ثم اعطاها السماعة لتتاكد بنفسها ، واستمعت اثيل الى دقات قلبه ثم أومأت برأسها علامة الرضا .

دق جرس التليفون فى تلك اللحظة يطلب الدكتور هولت ـ وكان الدكتور كونيو على الجانب الاخر ..

قال الدكتور هولت « لقد اطلق الرصاص على السناتور كنيدى واصيب فى الرأس والصدر » ..

صاح الدكتور كونيو ، وكانوا قد ايقظوه لتوه من النوم « يا الهى .. انك لا تعنى ما تقول » ..

وشرح الدكتور هولت حالة كنيدى ثم أردف قائلا « اننـــا نريد نقله الى مستشفى جود ساماريتيان .. رد الدكتور كونيو « سأراك هناك » .. وانتهـــت

المكالمة .. ادار الدكتور كونيو قرص التليفون يطلب مستشفى جود سامارتيان فعرف ان الطوارئ قد اعلنت هناك بالفعل .. وبدأ كونيو يشعر بالاطمئنان فقد كان يعرف انه لا يوجد فى المدينة مستشفى يمكن ان يوفر الرعاية العاجلة لكنيدى مثلما يوفرها هذا المستشفى الخاص بالاستقبال المركزى حيث تملك هيئة المستشفى الخبرة اللازمة فضلا عن انها تكون دائما مستعدة لاى شيء ..

اصدر كونيو تعليماته الى المشرفة باعداد وحدة العلاج العاجل واستدعاء الدكتور بول ايرونسايد جراح الصدر المقيم « واطلبى منه ان يباشر عمله فور وصول كنيدى ، وأردف قائلا : ربما لا يتمكن من الوصول الى المستشفى قبل كنيدى .. فاذا حدث ذلك فابلغى الجراح المقيم أن يبدأ عمله على الفور .. واستدعى كونيو بعد ذلك مساعده الدكتور ريد ..

طبيب أسود

غادر رجال البوليس الحجرة ليروا ما يمكن ان يفعلوه بالخارج ، واستدار الدكتور هولت ناحية السناتور كنيدى فوقع بصره على رجل اسود يقف الى جواره وتتدلى من رقبته سماعة طبيب وقدم الرجل نفسه « انا الدكتور روزميلر ـ لقد كنت الى جوار السناتور فى فندق الامباسادور » وأدرك الاطباء والممرضات ان الدكتور ميلر يريد أن يشرف بنفسه على العلاج فحاولوا تجاهله غير انه اصر على ان يركب الى جوار السناتور فى رحلته الى مستشفى جود سامارتيان ..

وبدا الامر كما لو كان الموقف سيتطور الى مواجهة عنصرية لولا ان انسحب الدكتور ميلر عندما اطاح بيده حقنة الوريد ..

وهرعت مس ايبى ـ التى ظلت موجودة طوال الوقت فالتقطت الابرة واستبدلت بها اخرى فى ثوان . وابعد الاطباء والممرضات ميلر اذ لم يكن فى نيتهم ان يتركوا السناتور تحت اية ظروف ـ ثم حملوا كنيدى فوق نقالة عبروا بها الممر وسط كردون من رجال البوليس حتى وصلوا الى سيارة المستشفى التى كانت فى الانتظار..كان الدكتور هولت يحمل فى يده حقن الوريد وعندما دخل السيارة وضع رأس كنيدى بين راحتيه بينما جلست مسز كنيدى الى جواره وحشر ستيف سميث وزوجته جين كنيدى نفسيهما فى السيارة ، اما بقية ركب كنيدى فقد تبعوا سيارة المستشفى فى عربات خاصة وعامة ..ووصل بيير سالنجر وزوجته نيكول راكبين فوق موتوسيكل خلف رجل بوليس ..

كانت الساعة ١٢ر٥٧ ظهرا عندما تحركت سيارة المستشفى ترافقها مجموعة من رجال البوليس طوال الطريق ، وكانت عربات النجدةبانوارها الكاشفةتتولى وقف المرور عند تقاطع الشوارع .. وفى ثلاث دقائق فقط ، اى فى الواحدة تماما كان السناتور كنيدى يدخل مستشفى جود ساماريتان الذى كان يوجد على واجهة طابقه التاسع صليب ابيض كبير يسطع بالضياء ..

***

فى الطابق الخامس وفى داخل غرفة العلاج الرئيسية بدأ الجراحان المقيمان الدكتور بول ايرونساند والدكتور هيوبرت همبل عملية نقل دم الى السناتور كنيدى كما فتحا بمبضعهما صدره من عند الزور حتىوصلا الىالقصبة الهوائية وشقا فيها طريقا لانبوبة متصلة بجهاز يتولى عملية ضخ الهواء فىرئتى كنيدى وطرده منها ، وبذلك امكن ضمان وجود منفذ للهواء النقى الخالى ، وتوفير كمية كافية ومستمرة من الاوكسيجين لتصل الى المخ ..

وتمت عملية شق الصدر وتوصيل انبوبة الهواءبنجاح كامل ، مما ادى الى خفض ضغط كنيدى من ٢٤٠ الى ١٤٠ اى الى مستواه العادى .

وفى الساعة ١ر١٠ وصل الدكتور كونيو الى باب المستشفى وهو رجل قصير ونحيف يختلف تماما عن جريجورى بيك كما ان مظهره كان بسيطا اقتضى جهدا كبيرا كى يصدق رجال البوليس الواقفون بالباب انه جراح المخ الذى سيعالج السناتور كنيدى..

ويسترجع كونيو ذكرياته فيقول « كان هناك ستة من رجال البوليس يحاولون جذبى الى الداخل فى الوقت الذى كان هناك خمسة عشر اخرون يحاولون ابعادى الى الخارج » ..

وعندما وصل كونيو الى الطابق الخامس قدم اليه الدكتور هولت تقريرا عن كل ما انجزه الاطباء وعندئذ دخل الدكتور كونيو الى حجرة العلاج لفحص السناتور كنيدى ..

كانت هناك اصابة ظاهرة ناتجة عن طلق نارى فى العظمة الناتئة خلف الأذن اليمنى كما كانت هناك بقعة حمراء داكنة خلف الأذن .. وكان الدم مازال يسيل مما يشير الى وجود نزيف داخل الجمجمة .. وكانت الاذن نفسها ترشح سائلا مخضبا بالدماء مصدره العمود الفقرى مما كان يعنى ان قاع الجمجمةمصاب بتهتك خطير وأساسى .. أما الرصاصتان الأخريان اللتان استقرتا فى منطقةالابط

الايمن فلم تكونا تثيران اى قلق وانما كان الجرح الغائر فى الرأس هو مصـــدر الخطورة ..

انضم الدكتور بيرت ميبيرز كبير جراحى الصدر فى مستشفى جـــود ساماريتان الى الفريق الذى يعـــالج السناتور كنيـــدى ، اما الدكتور جورج جريفيث اخصائى القلب فقد قام بعمل رسم كهربائى لقلـب السناتور ، وباشر الاشراف على قلبه وفى نفس الوقت تولى الطبيب الباطنى جون زارو الاشراف على عملية نقل الدم ، وأحضر الدكتور روبرت سكانلان رئيس قسم اشعة اكس فى المستشفى جهاز اشعة اكس والتقط صـــورا للجمجمة والعمود الفقـــرى والصدر ، وبينما كان يباشر عمله ، تقدم الدكتور كونيو ناحية اثيل كنيـــدى التى كانت تقف على مبعدة ٢٠ قدما وقدم اليها تقريرا مبدئيا ..

قال كونيو « الحالة بالغة الخطورة » ثم ابلغها بان المخ مصاب ، غير انه استدرك فقال انه مرتاح للتحسن الذى طرأ على السناتور منذ اجراء جـــراحة الصدر « فقد انخفض ضغط الدم وأصبح قلبه يدق بقوة،ولم تعد هناك عقبات تضايق تنفسه ، كما أن لونه لا بأس به » ..

أثيل تخشى الاجهاض

كانت الانبـــاء التى أفضى بها الطبيب الذى يعرف كل شىء أكبر من أن تتحملها اثيل التى انهارت من فورها ، غير انها استعادت وعيها سريعا ، وطلـب منها الاطباء أن تتمدد على مقعدها ثم سألوها عما اذا كانت تريد منوما فأجابت : « لا .. اشكركم اننى أريد أن اظل متيقظة ومستعدة » ، ثم عادت فطلبت ان تحقن بمصل يقيها من الاجهاض ذلك لإنها عانت كثيرا من مشاكل الحمـــل فى الماضى واستدعى كونيو واحدا من اطباء النســاء فى المستشفى وهـــو الدكتور وليام شومان ..

وصل الدكتـــور ريد الى المستشفى فى سيارة نجدة وتوجه مع الدكتور كونيو الى قسم الاشعة بالطابق الثانى وبرفقتهما سكانلان ليروا نتائج الفحص بأشعة اكس ..

واوضحت صور الاشعة أن الرصاصة الأولى مـــرت كلها فى نسيج الأبط الايمن أما الثانية فقد توغلت داخل الابط نفسه ثم انحرفت الى اعلى عبر عضلات ولحم الكتف لتستقر تحت جلد الرقبة على بعد سنتيمترين من العمود الفقرى، ولكن الرصاصة التى استقرت فى الجمجمة تناثرت اجـــزاؤها وشاهد الأطباء

اجزاء منها فى الجانب الايمن السفلى من الجمجمة واستقر بعضها فى امـاكن غائرة .. وقال الدكتور كونيو انالرصاصة مزقت القناة الدموية التى تغـذى المخ وهى قناة كبيرة فى حجم اصبع البنصر - كذلك شاهد الاطباء قطعا مـن عظام وقد تناثرت داخل المخ ..

كان هناك شيء واحد فقط يمكن ان يقـوم به الاطباء وهو ان يجـروا عملية جراحية بمجرد ان تسمح حالة السناتور بذلك لازالة الجلطة الدمـوية التى كانت تتكون ، بكل تأكيد ، داخل المخ ، ولاستخراج اكبر جزء ممكن مـن الرصاصة التى استقرت فى الجمجمة ..

وصعد كونيو وريد الى الطابق الخامس فوجدا ان دقات قلب كنيـدى وتنفسه مستقران ، كذلك كل الدلائل الحيوية تدعو الى الرضا .. وتحـدث الطبيبان الى اثيل كنيدى مرة اخرى « هذا هو وقت اجراء العملية ، ونحـن نعرف الآن ما ينبغى علينا ان نفعله » ..

وربما كان كونيو يبدو بالنسبة لجميع الذين حوله وكانه رجل من حديد .. وكان عليه ان يكون كذلك باعتباره جراح مخ ، غير انه كان يتصرف انطـلاقا من احساس غامر بالمسئولية ، وقال كونيو « كنت احس أن مـلايين الناس يتطلعون اليه من فوق كتفى » ..

حوار مع السجين

ذهب هانز كورنوف وهو كاتب فى فندق الامباسادور الى مركز البوليس فى شيء من التردد وهو يحمل فى يده ورقة نصف مطوية وقال « لا أعرف ما اذا كانت هذه الورقة ذات أهمية » لقد عثر عليها بالامس فتى رث فى فندق الامباسادور .

وفكر الشرطى فى انها مهمة حقا ذلك لانها كانت تبدو على شـكل خريطة مكتوب عليها ملاحظات تثير الشك بالحبر الاحمر ، ففى أعلى الورقة كانت هناك عبارة جرس الانذار لا يعمل .. وكان هناك رسم للمكان الذى القى فيه كنيدى خطابه والى جواره كلمة « ممر خطر » وفى أسفل الخريطة كانت هناك كلمـة « مطبخ » .. سلم الشرطى هـذه الورقة الى القسم السرى فى مركز بوليس رامبارت ..

وتساءل الملازم هيبوز « لست أدرى هل لهذه الكتابة علاقة بالقاتل ايا كان هو ، واذا لم تكن هناك علاقة ، فمن رسمها ولماذا ؟ »..

سال الضابط ويلوبى : منذ متى انت موجود هنا ؟

ولم يتلق اى جواب .

وقال ويلوبى : هل تتكلم الانجليزية ؟

لا جواب .

وسادت فترة صمت كانت كافية لان يتفرس ويلوبى واوستن فى الفتى الذى حاول اغتيال كنيدى .. بشرته سمراء وشفتاه غليظتان .. شعره أسود فاحم .. عيناه بنيتان ، فى جبينه خدش وبالقرب من عينه اليسرى جرح ، أما ملابسه فكانت مبهدلة ..

عاد جوردان بقدح من الشيكولاته الساخنة لويلوبى ثم قام بفحص حذاء السجين ولم يجد شيئا يدعو الى الريبة ثم غادر الحجرة مرة أخرى ..

وشكا السجين من القيد الذى يغل يديه خلف ظهره قائلا « انه يضغط على يدى بشدة » ..

وسال ويلوبى « ماذا حدث لساقك ؟ »

ولم يجب السجين واخذ يرمق ويلوبى وهو يرشف قدح الشيكولاته الساخنة ثم قال « انا عطشان » ..

ورد ويلوبى « حسنا » ثم لوح بقدحه واردف قائلا « لن نعطيك شيئا من هذا » فاطار السجين القدح من يده .

بذل الضابطان مجهودا كبيرا لكبح جماح غضبهما وقال أوستن لويلوبى : « هدىء نفسك » ثم خرج ويلوبى لاحضار قطعة قماش ليمسح بها الشيكولاته التى سالت فوق الارض .

وصاح اوستن بانفعال « انك لن تفعل شيئا من هذا القبيل مرة أخرى » وكان لكلماته آثرها السريع ..

فقد بدا السجين نادما وقال فى صوت بالغ الرقة « من فضلك اعتذر له فيما بعد نيابة عنى » .

وقال اوستن « سافعل » ..

وعاد ويلوبى الى الحجرة ومسح الشراب الذى كان قد تجمد . وكانت هناك بقع من شيكولاتة تناثرت فوق بنطلونه ، وسال اوستن هل تلوثت ملابسك ؟.. اوما ويلوبى براسه ثم جلسوا ثلاثتهم صامتين .. لم ينطق واحد منهم بكلمة ..

وكان الضابطان يرمقان السجين بعيونهما .. وبدا ان شحنة الرقة التى تحليا بها تلاشت تماما ..

قال اوستن : « يبدو انها ستكون ليلة بالغة السوء » ..

ورد ويلوبى ايوه .. لقد اصبت ، وبحث فى جيوبه عن سيجارة ..

قال اوستن « معى بعض السجائر هنا » ثم ناول ويلوبى واحدة ..

وتكلم السجين متسائلا « هل لى ان أدخن ؟ »

وحدجه الضابطان بعيونهما فقط ، وبعد فترة صمت تكلم اوستن « ما لون عينيه ؟ » كان لحظتها يكتب تقريرا يدون فيه أوصاف السجين .

ورد ويلوبى « بنية »

ـ كم تقدر وزنه ؟..

ـ اوه ـ ١٤٠ رطلا .. كم وزنك ؟ ١٤٠ ؟

ولم يتلق جوابا .

وقال ويلوبى « ايوه ١٤٠ »

وسأل اوستن : كم وزنك ؟ هه ؟ كم وزنك ؟ ١٤٠ ؟ ١٥٠ ، ١٣٠ ، ١٢٠ ؟ ١١٠ ؟ كم يبلغ طولك ؟ ان هذا شىء لا يعنينى .. انما انا مجـــرد موظف أؤدى واجبى هنا .

قال السجين مبتسما : انى معجب بمزاجك ياسيدى ..

ظل ثلاثتهم جالسين فى أماكنهم وطال جلوسهم واخيرا تكلم اوســتن : انى أكره الجلوس دون أن اقول شيئا ..

ـ هل انت متزوج ؟

ـ لا جواب .

ـ هل لديك أسرة ؟

ـ لا جواب .

ـ نحن جميعا بشر .. أنت تعرف .. هل لك صديقة ؟ صديق ؟ اصدقاء ؟

ـ لا جواب .

ـ هل قال لك المخبر انه من حقك ان تبقى صامتا ؟ هل قال لك ؟

ـ لا جواب .

ـ هل قال لك ذلك ؟ هل تفهم ذلك ؟ هل تفهم ؟ هل تفهم أو لا تفهم ؟ حرك راسك علامة الرفض اذا كان الجواب بلا .. او حركها علامة الموافقــه اذا كان الجواب بنعم ؟

وحملق السجين فى وجه أوسنن ولم تكن تبدو على وجهه أية انفعالات .

واوضح اوسنن : ان الاشياء التى اريد استيضاحها منك هى الاشياء التى سنعرفها بأية طريقة .. هل تعرف ذلك ؟.. هل تتكلم الانجليزية ؟

ـ لا جواب .

وتنهد ويلوبى ثم قال : ماذا حدث لساقك ؟

ـ لا جواب .

ـ لا تريد حتى أن تقول لى ذلك ؟

وتحدث ويلوبى الى السجين « انه يريد أن يكون لطيفا معك .. الا تستطيع أن تتكلم : هه ؟ اننا سنبقى سويا هنا لفترة طويلة ، وعليك انت أيضــا أن تكون لطيفا معنا .. يا للجحيم نريد فقط ان يكون بيننا انسجام »

وقال اوستن « نحن لسنا شركاء فى مباراة شعوذة أو سحر .. ولا نستطيع أن نبقى يبحلق كل منا فى الآخر » .

نقل السجين

عاد بيل جوردون فى الواحدة والنصف صباحا لينهى المبــاراة المثيرة التى كسب السجين جولتها الاولى .

وكان عليهم ان يبارحوا المكان ليذهبوا الى مكان آخر وســـط المدينـــة . اصطحب ديلوبى وجوردان السجين وهبطوا جميعا درجـا خلفيــا الى الطابق الارضى ومنه الى الجراج حيث كان السيرجنت باتشيت هناك متحفزا وراء عجلة القيادة داخل السيارة « فورد » لا تحمل آرقاما .. وكان موتور السيارة دائرا .

دفع جوردون السجين الذى كان لايزال موثوق اليدين ليجلسه على المقعد الخلفى وصعد ويلوبى وراءه بينما دار جوردان حول السيارة ثم قفز الى المقعد الخلفى من الناحية الاخرى .. اما السيرجنت ادولف ميلندريس فقــد القى بثقله الضخم فوق المقعد الامامى ثم اغلق الباب وراءه ..

صاح جوردان « فلنتحرك » ثم طلب من السجين أن ينزل من مقعده ويجلس على آرضية السيارة .

وتطلع باتشيت وراءه ليرى ما اذا كانت سيارة الحراسة مستعدة فاضاء قائدها السيرجنت بيريل ميك كشافيها .. انطلقت السيارتان فى طريق بنتون لتفادى مراكز تجمعات الجماهير الغاضبة أو التى استبد بها الفضول . وايضا لتحاشى عدد غير قليل من الصحفيين تصوروا ان السجين قد يمر من شارع رامبارت .

كان جيسى انراه يركب فى السيارة الثانية ، وهو اول مسئول من رجال الحكومة الكبار الذين أبدوا اهتماما خاصا بالحادث .. وقد وضع فى اعتباره منذ البداية متابعة القضية ليتأكد بنفسه من أن السجين لن يتعرض لاى سوء.. وكان واضحا أن انراه قد أصيب بصدمة بالغة بعد رؤيته للحادث فى لحظاته الاولى ولم يكن يتابع المتهم بهدف تدليله ، ولكن ليشهد ان القوانين قد طبقت بدقة وحتى يكون الحكم الذى يصدر ضد المتهم سليما .

كانت السيارتان تنطلقان نحو وسط المدينة فى هدوء .. فقد سلكتا طريق بفرلى بوليفار ، الذى كان غير مزدحم نسبيا فى تلك الساعة متجهتين الى طريق « هوليود ــ فريو ــ لى » وذلك اختصارا للمسافة وللوصول الى وسط المدينة فى أسرع وقت .

وبعد أربع دقائق وصلت السيارتان عند « باركر سنتر » وهو مبنى مرتفع من الالومنيوم والزجاج توجد فيه ادارة بوليس لوس انجلوس ، وتوقفتا فى الجاراج السفلى قريبا من مصعد للعفش ، وكان عدد من الضباط واقفين هناك فى انتظار وصول السيارتين ، بينما وقف عدد آخر داخل المصعد ، وانتشرت مجموعة ثالثة فى ممرات الدور الثالث ومجموعة رابعة أمام أبواب « فرقة جرائم القتل » .

كان هؤلاء الضباط من أبرع ضباط البوليس فى المدينة وكان يعملون طبقا لرسالة شفوية تقول أنه لابد من تدفير أقصى الحماية للسجين « فاذا كان بوليس مدينة دالاس قد فقد القاتل هناك فاننا لا نريد أن نفقد هذا القاتل » .

اجلس رجال البوليس السجين فى غرفة جرائم القتل وسألوه عن اسمه فلم يتلقوا جوابا .

ــ « من انت » قالها السيرجنت باتشيت غير انه لم يتلق هو الاخر جوابا

ودخل ضابط آخر الغرفة لاخذ بصمات المتهم وعاود باتشيت حديثه معتذرا « اذا قلت لنا عن اسمك فانك ستوفر علينا عناء عمل شاق » .

ــ لا جواب .

وصرخ باتشيت « ما هى الحكاية ؟ ألا تخجل مما فعلت هذه الليلة ؟ »

وهنا فقط أجاب السجين بصوت عال وواضح « يا للجحيم ..لا.. »

وهز باتشيت كتفه غضبا ، ثم خرج من الغرفة لكي يرسل بصمات السجين الى مكتب التحقيقات الفيدرالى فى واشنطون بينما اصطحب الضباط الاخرون السجين الى غرفة ثانية أقل اتساعا من سابقتها .. غرفة رقم ٣١٩ .

طلب السجين كوبا من الماء .. وفكر جوردان .. ان السجين فى حاجة الى شيء ما بالفعل .. فشعره منكوش للغاية بينما وجهه مصاب بخدوش ، وملابسه مبهدلة تماما . وخرج جوردان لاحضار كوب المـــاء لكنه عنـدما عاد به رفض السجين ان يضعه على فمه قبل أن يأخذ منه جوردان رشفة .

قال الدكتور ألوين لانز طبيب السجن انه لا يعتقد ان الســـجين فى حالة خطيرة للغاية فقد فحص جراحه فوجد أنتفاخا فى رسغ قدمه اليسرى . ربمـا كان نتيجة التواء ولكن ليس هناك تمزق كما وجد أن أصبع السبابة مصـــابة برضوض ، وفى جبينه جرح بسيط .

وقال له الطبيب « لا تسر على قدمك اليسرى قدر المستطاع » ..

حقى هو الصمت

التقى جون هوارد نائب المدعى العام فى المنطقة ورئيسه جـورج مورفى كبير المحققين بالقاتل وحاولا استدراجه فى الكلام غير ان حظهما لم يكن افضـــل من حظ جوردان فى لقائه الاول معه .

وسأل هوارد السجين « أولا وقبل اى شيء .. هل تفهم حقوقك » ..

فاجاب السجين باقتضاب « نعم .. اعتقد ان من حقى ان أبقى صامتا » ..

قال هوارد « حسنا .. هل نستطيع .. هل نستطيع ان ننحى هذا جانبا ؟ هل تذكر لى اسمك فقط ؟ هل يمكن أن نتفق على هذا فقط ؟ اذا لم تكن ترغب فى ذلك أيضا ، فالامر لك » .

واجاب السجين « وهو كذلك .. ياسيدى لقد قلت لك اننى اريد ان ابقى صامتا » .

- « اوكى .. هذا امر طيب » قالها هوارد فى وضوح وبنبرة يغلب عليهـا طابع الاحتقار ثم أردف .. أوكى .. لنذهب .. اشكرك كثيرا اسمى هوارد .

هل أكتب لك اسمى ؟.. واذا أردت أن تتحدث معى .. ! ونظر هوارد الى مورفى يسأله : هل معك قلم ؟

ثم استدار ناحية السجين وواصل كلامه : سأكتب لك اسمى واسمح لى أن اكتب أيضا اسم السيرجنت ، وكما قلت لك .. تستطيع أن تتصل بى فى أى وقت طوال الاربع والعشرين ساعة .

غير أن السيرجنت ميليندريس لم يكن لييأس بهذه السهولة فحاول من جديد .. حسنا .. اجلس أيها الشاب .. انظر .. هذا مستر هوارد من مكتب المدعى العام فى لوس انجلوس .. وهذا مستر مورفى من مكتب المدعى العام ايضا وأنا السيرجنت ميليندريس من ادارة البوليس السرى فى رامبارت ، وهذا هو السيرجنت جوردان نحن موجودون الان فى حجرة رقم ٣١٩ فى مبنى مركز بوليس لوس انجلوس ((باركرسنتر)) وكل ما نريده هو أن نعرف فقط اســمك اذا أمكن ، فهل تريد أن تقول لنا اسمك ؟.. اسمك فقط ..

وقاطعه السجين متسائلا بلهجة تنم عن قدر من الاحتقار ((هل تتصور اننى سأتكلم لانك سمحت لى بالجلوس ؟))

وتدخل هوارد عندما أدرك ان ميليندريس يقوم بجهد غير مجد .. حسنا .. حسنا .. لقد كتبت لك على هذه الورقة وتستطيع أن تقــرأها .. اسمى موجود فى أعلى الورقة .. جون هوارد مكتب نائب المدعى العام .. اذا أردت أن تتحدث مع اى واحد منا .. هذا أيضا اسم جورج مورفى بمكتب نائب المــدعى العام .. ثم اسم المخبر السرى جـــوردان والمخبر السرى ميليندريس وهما يعملان فى ادارة البوليس السرى فى رامبارت .. والان نحن نريد اسمك فقط لنقوم بالتحريات اللازمة .. التحريات فقط .. هذا كل ما فى الامــر فهل يمــكن أن تحصل عليه ؟ الرأى لك بالطبع .

ورد السجين قائلا : سيدى لقد أوضحت موقفى تماما ، وقلت رأيى فى هذا الموضوع .

وقال هوارد : أنت لا تريد الاعتراف بشىء على الاطلاق .. حسنا .. خــذ هذه الورقة وفيها أسماؤنا ورقم التليفون .

- شكرا ثم استدار الســـجين نحو ميليندريس متســـائلا ((وانت كيف اتصل بك ؟))

فاجاب ميليندريس ((رقم تليفونى ٦١ ٢١-٣٨٨))

وسأل السجين ((متى يحين الوقت لاغسل ؟)) .

فرد مورفى على الفور : عندما ننتهى اجراءات تصويرك وأخذ بصماتك واشياء من هذا القبيل .. ان هذا اجراء قانونى كما تعرف ، وعندما ينتهى كل شىء فانى واثق من انه ستحين الفرصة للاغتسال .. هل من سؤال آخر ؟.

ـ لا .. ليس الان .

ـ حسنا .. أتوقع أن تتصل بى .. أوكى .. هل أنا مخطىء ؟

بدأ هوارد وموردى يتاهبان للرحيل .. ولكن كان عليهما قبل ذلك أن يصنعا بعض ترتيبات الامن لحراسة السجين فى اية لحظه يطلب فيها نقله الى مكان آخر خلال الساعات الاربع والعشرين التالية .. من هذه الترتيبات مثلا ان شرف اداره البوليس على وقف حركة المرور فى كل منطقة باركر سنتر فى حالة اتخاذ قرار بنقل السجين الى مكان آخر . وخرج السيرجنت جوردان ليبلغ تعليمات احتياطات الامن .

ماذا جرى لامريكا

كان ايزاكو ساتو رئيس وزراء اليابان قد فرغ لتوه من القاء خطاب سياسى فى احدى مدن الشمال عندما مال واحد من مساعديه على اذنه وهمس اليه بانباء كيندى وكان هناك عدد من الصحفيين بجوار ساتو تمكنوا من تسجيل انفعالاته فى تلك اللحظه .. قطب ساتو جبينه وظهرت على وجهه دلائل الاختناق ثم همهم فى صوت حفيض ماذا دهى الولايات المتحدة ..

وفى أروقة فندق « أوكورا » بطوكيو تجمع حشد من النزلاء حول جهاز استقبال لاسلكى ليتابعوا حادث اطلاق الرصاص على روبرت كنيدى .. وكان كنيدى بالنسبه لعدد من اليابانيين شخصيه محبوبة ..

ونقل القمر الصناعى تليستار صور الحادث الى محطات التليفزيون اليابانى التى اذاعتها بدورها على الفور فظهر روبرت كنيدى على شاشات التليفزيون وهو ممدد فوق ارض فندق الامبسادور التى خضبتها دماؤه بعد اطلاق الرصاص عليه

وبعد هنيهه كان تلستار يذيع على محطات التليفزيون الاسبانى نفس المنظر فشاهد الاسبان تفاصيل الحادث فى اللحظة التى كانوا يستعدون فيها لبدء يوم عمل جديد .. وكانت الصدمة كاملة فى كل مكان .. وأذاع مانويل براجا ايريان وزير الاعلام الاسبانى نداء على الشعب قال فيه « ان المحافظة على النظام والقانون هما الواجب السياسى لكل اسبانى فى هذه اللحظة » .

وانخفضت الاسعار فى أسواق المال فى أوربا ..

وكانت الصيحه التى ترددت فى أنحاء الولايات المتحدة من هارلم الى واتزهى « لقد اصطادوه أخيرا » ..

قاد رجال البوليس السجين ونقلوه من قسم جرائم القتل الى قسم التحريات عن المجرمين فى السجن المركزى بالدور الثانى من نفس المبنى ، ثم

بداوا فى اعداد دوسيه له فاخذوا بصمة ابهامه وطلبوا منه خلع ملابسه لتفتيشه بدقة ثم امروه بالانحناء ، وعندما اعترض على ذلك بشدة قالوا له « ستدهش اذا عرفت كيف تتم عمليات التهريب فى هذا السجن . »

واعد الضابط مارتن ديسوكس دوسيها خاصا للسجين تحت رقم ٢١٧ وكتب عليه عنوان « هجوم بالرصاص لارتكاب جريمة اغتيال » .. ولم يحاول الضابط استجوابه من جديد وقال له « حسنا .. اكتب هنا اى شىء .. مجرد علامة » .. ولاحظ الضابط أن السجين استجاب لكل ما طلبه فى يسر .

والتقطوا له عدة صور للوجه ثم صورا جانبية . ثم اقتاده شرطى اخر الى قفص من الاسلاك لاخذ بصمات أصابعه كلها . ولم يعلق السجين بشىء ، وعندما قدموا اليه أوراقا تحتوى على عدد من الاسئلة رفض الاجابة عليها بكل تصميم.. ورافقه الضابط جواد آلوب دى لاجارزا الى غرفة الحمام ثم اخذ يراقبه وهو يغتسل فى هدوء ثم وهو يجفف جسمه ببطء شديد .. وارتدى السجين بعض الملابس الداخلية وبنطلونا قدمته اليه ادارة السجن فوجد انه واسع وكبير وأبدى تبرما شديدا به .

سال السجين الضابط المرافق له « هل تسمح لى بالاتصال بمدعى الاتهام جون هوارد ؟ » .. فاعطاه فرانك فوستر عشرة سنتيمات ليطلبه بالتليفون الموجود فى الصالة .. وعندما رد رقم هوارد قال له المتحدث ان هوارد ما زال فى باركر سنتر . فأجاب السجين مندهشا « أما زال فى باركر سنتر ؟ »

وبعدئذ اتصل الضابط جونز بقسم جرائم القتل فى المبنى وابلغه رسالة بأن السجين يريد مقابلة هوارد ..

واصطحب فوستر وجونز السجين الى زنزانة منعزلة حيث بقى معهم فوستر لحراسته حتى يأتى هوارد .

رصاصة فى مخ كيندى

فى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والخمسين صباحا ، أذاع « فال كلينارد » أول الانباء الرسمية فى اذاعة لوس انجلوس . وقد بددت هذه الانباء آمال الكثيرين فى الا يكون الجرح الذى سببته الرصاصة فى الراس بهذه الدرجة من الخطورة .

قال كلينارد :

منذ لحظات عقد فرانك مانكيفتش السكرتير الصحفى للسناتور روبرت كيندى مؤتمرا صحفيا امام مستشفى « جوسا مارتيان » ووسط حشد متدافع من

مندوبى الصحف ومن فوق مقدمة احدى سيارات البوليس اعلن فرانك ان السناتور كيندى فى حالة خطيرة جدا . وقال انه اصيب برصاصتين وبجرح سطحى لم يحدد مكانه ، ولكن الاصابة الخطيرة تقع فى المنطقة خلف الاذن . وقد استقرت فى مخ روبرت كيندى ، وسيحاول فريق يتكون من ٦ من جراحى الاعصاب ازالة الرصاصة من المخ فى الدقائق القليلة القادمة ، والمتوقع ان تستغرق هذه العملية ما يقرب من ساعة ، وهم يقولون او ان فرانك مانكيفتش يقول : ان مسز كيندى موجودة مع زوجها وترقب الحالة عن كثب كما نفعل نحن جميعا ، ويقال ان تنفس السناتور لا باس به وهو يكاد يكون محتفظا بوعيه فى بعض الاحيان وبعد دقائق قليلة يقترب موعد اجراء جراحة المخ لاستخراج الرصاصة التى استقرت بداخله ، ويقول فرانك مانكيفتش نقلا عن الاطباء .. ان كنيدى فى هذه اللحظة فى حالة خطيرة جدا ويؤكد كلمة « جدا » .

فى حجرة العمليات

قال الدكتور « ماكسويل اندلر » هل هناك شىء استطيع ان افعله ؟.. واجاب الدكتور كونيو .. « اقدم يا ماكس » .. فقد اكتسب اندلر – شانه شان كونيو وزميله ريد – خبرة واسعة اثناء الحرب العالمية الثانية فى علاج الجروح الناتجة عن الاصابة بالرصاص فى الراس .. وكان ثلاثتهم من الاطباء المقيمين فى المستشفى العام بلوس انجلوس .. واصبح الآن الى جانب كونيو اثنان ممتازان فى جراحة المخ : ريد من كلية الطب بجامعة كاليفورنيا الجنوبية واندلر من جامعة كاليفورنيا فى لوس انجلوس .

وبدا نقل كنيدى الى حجرة العمليات بالدور التاسع ، ولكن خارج الابواب كان يقف حشد كبير من الاصدقاء المقربين ، يتراوح عددهم ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ شخص وكانوا يسدون الطريق .

وعلى هذا فقد سلك الاطباء والمرضات وكيندى طريقهم على مراحل .. اولا استقلوا مصعدا الى الدور السادس ثم انتقلوا الى مصعد آخر يقود الى قسم الجراحة بالدور التاسع .. وهناك استبدل الاطباء والمرضات ملابسهم وارتدوا ثياب الجراحة ووضعوا الكمامات ولبسوا الاحذية المقمة .

وفى الساعة الثالثة صباحا دخلوا حجرة العمليات ووضعوا كيندى على جانبه الايسر ، وحلقوا ما وراء الاذن ثم توقفوا لحظة حتى يلتقط مصور البوليس صورة للجرح الذى سببته الرصاصة لعله يستخدم دليلا فى المحكمة .. ثم بدات الجراحة فى الساعة الثالثة وعشر دقائق صباحا بمساعدة الدكتور ايرل سكينى طبيب التخدير ..

فى الساعة الثالثة والربع صباحا نقل ضباط البوليس السجين الى غرفة التحقيق رقم واحد ولا تبعد اكثر من ١٥ خطـــوة من زنزانته الانفرادية ، وكان هناك جون هوارد وبيل جوردان . قال هوارد : هه ..

اجاب السجين : هالو .. فاشار له هوارد بان ينضم اليهم على مـــائدة خشبية ، فجلس برشاقة على مقعد خشبى وشكا الى هـــوارد من الملابس التى اعطوها له .. واعترف السيرجنت جوردان بان الملابس ليست مضبوطة تماما .

وقال جوردون هوارد : وماذا يهمك من هذا ؟ .. ثم أشار الى حزام بنطلونه ومقاسه ٤٢ وقال : هل تبادلنى ؟

قال السجين فى لهجة جادة : اننى أرغب فى أن تعمل على راحتى أكثر

وانضم السيرجنت ميليندريس الى الجالسين ، وشـــارك كلا من جوردان وهوارد فى ابتسامة رقيقة لقد طلبهم السجين وربما كان هذا بداية انفراج الازمة فربما قرر أن يتكلم .

كانت للسجين آراؤه الخاصة .. كان يرى أن المدعى المحلى رجل شرير يبذر بذور « الجزاء غير العادل » .. وفى هذه اللحظات كان السجين يستمتع بالموقف بقدر مايستطيع .

وكان قد مضى على اطلاقه الرصاص على رأس السناتور كيندى ٣ ساعات.. ولكنه مصمم على اثارة مناقشة فلسفية حول الحرية والعقاب .

« وكيف .. كيف ان شخصا عاديا .. ولتكن أنت ـ وجدت نفسك تتحول من مدع عام يطالب برأس المتهم ويتعطش لدمائه الى متهم .. وتصبح مكانالرجل الذى تطالب برأسه .. »

***

وقال هوارد : انك فى الحجز .. لقد خصص لك مـكان .. هـل تدرك من أكـون .

وتكلم السجين قائلا : انى كنت أقف أمـام أحـد القضـــاة .. هل هذا صحيح أم لا ؟

فأجاب هوارد : لا .. سوف تقدم الى أحد القضاة باسرع ما يستطاع وربما حوكمت ..

وهنا قال السجين فى خوف

ـ هل تعتزم أن تصعد الى الطابق الاعلى ؟

فقال هوارد : سوف أخذك الى هناك اذا ساءت الامور ..

فصاح السجين فى فلق : لا..لا..لا..

فطمانه جوردان قائلا : هل ستكون حسن المظهر ؟

والتفت السجين الى جوردان .. أنت رجل طيب يا مستر جوردان ..

فاجابه : لا أعرف هذا

سأل السجين : ماذا تعنى ؟

وتمتم جوردان : حسنا .. اظن اننى كذلك ..

التفت السجين الى هوارد وقال :

ـ وماذا عنك أنت .. هل لك أطفال وأسرة .. أو ماذا أنت ؟

ـ عندى أطفال .. وأنت ماذا عنك ؟

ـ هل تنوى أن تدربهم على مثل هذا العمل الذى تقوم به ؟

ـ لا .. فاطفالى بنات ..

ـ أوه .. ربما أصبحن محلفات وقاضيات طيبات مثل القاضية « كانون »

نعم .. ربما استطعن هذا ..

وسأل السجين : هل تعتقد انها ستفعل نفس الشىء ثانية ؟

وكانت القاضية نويل كانون وهى شقراء ضئيلة الجسم جذابة .. قد أثارت استياء ثلاثة أرباع قضاة المحكمة المحلية فى لوس انجلوس بسبب نشر صورها فى صحيفة لوس انجلوس وهى تقدم فن النساء فى الدفاع عن النفس « كانت تحمل مسدسا أمريكيا صغيرا فى يد وترتدى فستانا قصيرا منقطا مثيرا . وقد ادان القضاء تصرفها ووصفوه بأنه محاولة .. للدعاية الشخصية ضمن حملة اعادة انتخابها . وقال هوارد انه يعتقد أنها ستفعل هذا مرة ثانية .

فسأل السجين : لماذا ؟

وأجاب هوارد : لاننى سمعت أخيرا انها متقدمة فى الاصوات . لقد سمعت هذا من البعض .

قال السجين : اننى احب تلك السيدة . انها سيدة ضئيلة .. انها تشبه فتاة صغيرة من اللاتى يرتدين المينى جوب .. وهنا نظر الضباط كل منهم الى الاخر ..

قال جوردان : اننى احاول أن أؤدى عملى بالصورة التى يجب فى اعتقادى أن تكون ، وبالطريقة السلـ ـ ـ والان أرجو أن يكون كل شىء سليما .

ـ اننى احترمك لهذا ..

والآن هل تريد ان تتحدث الينا عن الحادث الذى وقع فى «فندق امبسادور» ام لا تريد ؟ هل كنت فى فندق امبسادور الليلة ؟ اعاد السجين الى اذهانهم انه لا يرغب فى التخلى عن حقوقه الدستورية بان يظل صامتا . وقد دخل هـوارد ـ وكان يستمع من الخارج ـ ليطمئنه بانه يتمتع بتلك الحقوق وانه اذا رغب فى التخلى عنها فان هذا بمحض اختياره .. اختياره وحده ، وقال هوارد : اننـا نريد ان نتحدث اليك الليلة .. اننا نريد ان نحضر كاتبا مختزلا هنا ليـاخذ اقوالك .. اقوالك انت ..

قال السجين : اوه ..

ـ ما حدث فى غضون الساعات الاربع الماضية قبل ان تجىء الى هنا ..

ـ هذا هو ما نريد ان تفعله .. وليس عليك التزام بان تقول ذلك ..

وقال السجين فى ضيق :

« يا للجحيم .. لست نجما سينمائيا يرغب فى كل هذا .. »

حسنا .. ان هذا متروك لك .

كيندى فى يد الجراحين

قطع الجراحون الجلد السطحى والعضلة فيما وراء أذن السـناتور كنيدى وشدوها الى الوراء ونظروا خلال الجمجمة واستعانوا بمثقاب هوائى ومنشـار وازالوا جزءا من العظم .. وفى اللحظة التى كان فيها الدكتور « ريد » يتحكم فى النزيف .. كان الدكتور « كونيو » يفحص الجرح ، وهز راسه فى أسف ، وقال :

لو ان الرصاصة اصابت جزءا يقترب من وسط الجمجمة سنتيمترا واحدا او اكثر لكان السناتور فى حالة طيبة نوعا .

ان سمك عظمة الجمجمة ـ وهى سميكة بصورة غير مالوفة عند كنيدى ـ ربما كان كفيلا بتغيير مسار الرصاصة الصغيرة ، اما عظمة الاذن فقد اخترقتها الرصاصة بسهولة ، وعندما أصيبت تناثرت ودفعت الى داخل المخ بقطع العظام الحادة الملوثة ـ بلغة الطب ـ ولابد من ازالتها .

وازال « كونيو » اولا كتلة الدم المتجلطة وازال قطعا صغيرة من نسيج المخ التالف مستخدما فى ذلك الماء .. ثم شرع فى معالجة شظايا العظم .. الرصاصة .

رابع كنيدى يقتل

وفى الساعة السادسة والنصف صباحا - الثالثة والنصف بتوقيت لوس انجلوس - استيقظت روز كنيدى لتستعد لحضور صلاة السابعة .. ثم فتحت التليفزيون لترى كيف كان « بوبى » متفوقا فى الانتخابات الاولية فى كاليفورنيا .

كان « تيد كنيدى » قد ابلغ « كيب كود » ان بوب قد اطلق عليه الرصاص واتصل بـ « آن جارجان » ابنة عمه التى كانت ترافق والده جوزيف كنيدى منذ اصابته بالشلل وابلغها بالا توقظ امه بل تنتظر حتى تستيقظ من نفسها .

غير ان « رئيسة عشيرة كنيدى » التى فقدت اثنين من أبنائها فى حوادث سقوط الطائرات .. وفقدت آخر برصاصة .. ها هى ذى علمت بمقتل كنيدى آخر .. كما علم أكثر الشعب فى ذلك الصباح بالحادث عن طريق التليفزيون .

وفى هدوء انتهت من ارتداء ملابسها استعدادا للصلاة .. واخذت شالا ونظارة شمسية واتجهت رأسا الى كنيسة القديس « فرانسيس اكسافييه » واحتلت المقعد الامامى مع جون دريسكول مدعى بوسطن واحد أصدقاء الاسرة .

فى الوقت نفسه كان الرئيس ليندون جونسون يصدر بيانا من البيت الابيض عن الحادث .

سفاح بوسطن

ظل الضابط فرانك فوستر مع السجين فى زنزانته الانفرادية .. وكان واجبه الاول : ان يتاكد من ان السجين لن يفعل شيئا يؤذى به نفسه .. وواجبه الثانى ان يحمله على الكلام فاذا كان هناك بعض الشركاء فى المؤامرة فانه من الافضل اكتشافهم بسرعة .

هل كانت هناك فتاة مع هذا الشاب عندما اطلق رصاصة على كنيدى ؟

لقد حاول فوستر ان يقيم علاقة ود بينه وبين السجين وعلى اية حال فقد استطاع ان يدخل مع السجين فى حديث عن « سفاح بوسطن »وهو شخص مصاب بلوثة جنسية ، قتل ١٣ امراة فى عام ١٩٢٦ - ١٩٣٦ .. قال فوستر ..

مما يثير الدهشة ان السفاح لم يذهب الى الفتيات الجذابات بشكل ملحوظ ، كانت احداهن فى الثانية والعشرين واخرى فى الثالثة والعشرين .. والباقيات كن عجائز فى سن ٦٣ و ٦٥ و ٦٨ .

وقال السجين : ماذا بك يا رجل ؟.. ان هذا شيء آخر .. انني اتســـاءل ما الذي يدفع او يستثير رجلا كهذا لان يفعل ما فعل .

قال فوسنر . لا شك أن الرجل كما نعلم مصـاب بلوثه جنســـيه والذي يتصورونه الآن يتلخص في ان القاتل شخص اصـــغر سنا وانه مدفـــوع بدافع سيكولوجي يحتم عليه قتل أمه ..

قال السجين : أوه ..

واستمر فوسنر يقول :

ـ يبدو انه عاني من طفولة ســـــيئة هذا هو الاســـــلوب الذي نفسر به السيكولوجيون هذا الطراز من الناس .

كان واضحا أن السجين قد قرا ما فيه الكفايه عن سفاح بوسطن ، بحيث يدرك أن ما فعله في حالة من حالات « الانفصال عن الواقع »

واستغرق الاثنان في الصمت .

واخيرا سال السجين فوستر : أعندك أطفال ؟

أجاب فوستر : عندي اثنان .. بنت صغيرة وولد صغير .

وتحدث فوستر والسجين لمدة خمس دقائق اخرى عن معجزة النمو ومعجزة الولادة ثم عن التكاليف المرتفعة للولادة في هذا العصر وقال السجين انه يعارض نظام العلاج الذي يحصل عليه الانسان في المستشفيات العادية .. وقال ان المريض يشعر في هذه المستشفيات وكأنه يتعامل مع محطة بنزين .

***

جلس هنري كاريون ، وهو طالب جميل الطلعة في كلية ايست لوس انجلوس يحدق أمام جهاز التليفزيون ، وينتظر المزيد من الانباء عن حادث اطلاق الرصاص .. فربما الشاب الذي قتل كنيدي هو ذلك الشاب الغريب الضئيل الذي شاهده هو وديفيد مونتيلانو يشترك في نادي الرمايةفي «فيشر كانيون» . كانت انباء الاذاعة قد ذكرت ان الرجل الذي قتل كنيدي قصير اسمر نحيل .. وسمع فيها أوصافا تنطبق على ذلك الشاب الذي رآه في نادي الرماية وقال : اني اتساءل اذا كان البوليس قد عثر على البندقية ، فاذا كانوا قد فعلوا وهي بندقية ذات ٨ طلقات « ايفر ـ جونسون ـ ٢٢ و » فاني ساتصل بهم » .

وأخيرا عرف كاريون من انباء التليفزيون ، أن البندقيـــــة كانت ذات « ٨ طلقات ـ ايفر جونسون ـ ٢٢ و » فاتصل بصديقه ديفيد تليفونيا وقال :

ديفيد هل تذكر ذلك الشاب الذى تحدثنا اليه فى نادى الرماية ؟ . الشاب الاسمر الضئيل ؟ أظن انه هو الذى قتل كنيدى .. فقال له مونتيلانو أنه يذكر ذلك .. فاستدعى كاريون رجال البوليس وأبلغهم بالقصة ، وقال أنه اذا كانوا فى حاجة اليه فسوف يكون فى منزل مونتيلانو .

كان البوليس فى حاجة اليه بالتأكيد وصل « ايسترلا » وهو من ادارة جرائم القتل فى بوليس لوس انجلوس فى الساعة الرابعة صباحا وحصل على تقرير شامل كامل من كاريون ولونتيلانو عن اليوم الذى قضياه فى نادى الرماية ويبدو ان الشاب الذى تذكرا صورته .. فى نادى الرماية لم يكن يعرف الكثير عن البنادق .. لا بل لم يعرف – مثلا – ما اذا كان مسدسه « ٢٢ » هو من النوع الذى يطلق رصاصة واحدة او رصاصتين .. وكان مترددا كذلك فى بعض اجاباته عن اسئلتهما ، وكان بعض الاحيان لا يجيب .. كان يتكلم بسرعة بحيث انهما كادا لا يفهمانه كان يطلق النار بسرعة فائقة ويصوب بسرعة ، وهو أمر يخالف قواعد الرماية وكان يصوب على أهداف ذات ابعاد قصيرة .

واطلع ايسترلا كل واحد منهما على مجموعة الصور المتعددة لشاب اسمر نحيل فتعرفا عليه فأدرك ايسترلا أن الصورة هى للشاب الذى قبض عليه بتهمة اطلاق النار على كنيدى .

حديث تليفونى مع جاكلين

وفى لندن ، تلقى الامير ستانسلوس رادزيول النبأ تليفونيا وفى الحال طلب مكالمة مع شقيقة زوجته جاكلين كنيدى فى نيويورك .

سأل ستاس : كيف حال « بوبى » ؟

اجابت جاكلين وهى تغالب النوم : لقد سمعت أنه كسب فى كاليفورنيا .

وسأل الامير : نعم .. ولكن كيف حالها ؟

واصرت مسز كنيدى قائلة : لقد ابلغتك الان انه كسب فى كاليفورنيا .

وادرك رادزويل انه أول من حمل النبأ السيىء عن بوبى الى ارملة جون .. كان الامر عسيرا عليه ، ولكنه مضى قدما وأبلغها بسرعة بما كان يعلم ، وبأنه هو و « لى » شقيقة جاكلين سيستقلان اول طائرة للالتقاء بها فى نيويورك .

* * *

زائر هام

كانت الساعة الرابعة والوقيقة الخامسة والعشرين صباحا . وعندما استقبل كل من السرجنت باتشيت وميلندريس زائرا هاما جدا فى الحجرة المغلقة رقم ٣١٨ بادارة جرائم القتل .. كان هذا الزائر هو فانسان دى بيرو .. طويل اسمر نحيل متوتر الاعصاب .. وهو حتى هذه اللحظة اهم شـــهود العيان ممن راوا جميـــع الاشخاص الذين قالوا انهم كانوا فى حجرة غسيل الاطباق فى فندق امبسادور بعد منتصف الليل بقليل .

قال الشاب « دى بيرو » انه راى القاتل قبل اطلاق النار بلحظات .. وكان مع فتاة ترتدى جاكيت منقطا .. وكانت ساندرا ســـــيرانو (شاهدة اخرى) قد شاهد فتاة فى ثوب منقط تهرب من موقع الحادث .

اخذ المخبرون الشاهد « دى بيرو » الى قلب المدينة حيث يســـــتطيع المحققون أن يواجهوه بالقاتل .. واذا كانت هناك مؤامرة فان من الافضل لادارة البوليس فى لوس انجلوس ان تتبين حقيقتها قبل مرور وقت طويل .

وامام المحققين أعاد دى بيرو قصته امام « باتشيت » وميلندريس وقال :

لقد سار خلال حجرة غسل الاطباق وراء السناتور كنيـــدى راسا ورأى القاتل يتحرك صوب كنيدى بابتسامة غريبة على وجهه . كما لو كان يريد ان يصافحه ثم انطلقت رصاصتان او ثلاث وتلوثت نظارة دى بيـرو بالدم وارتمى بول بين ذراعيه .

وقال دى بيرو انه قبل اطلاق النار بلحظات لوحظ ان القاتل يقف بجوار عربة يستعملها جرسونات المطعم فى حمل الصوانى وترتفع حوالى ٤ بوصـات عن الارض . وكان ينظر حوله وكانت معه فتاة .

وهنا اراد باتشيت ان يعرف لماذا تصور ان الفتاة كانت معه .

وفى هذه الاثناء دخل جون هوارد الحجرة رقم ٣١٨ ولم يكن قد وصـل الى شىء مع القاتل . ومن واقع ما علمه من رجال البوليس كان عند دى بيرو معلومات لا يستطيع انكارها . وجلس هوارد هناك وانصت باهتمـام الى رواية الشاب ..

قال دى بيرو : ان الفتاة كانت تتبعه . كانت تتشبث بالناحية الاخـرى من مائدة حمل الصوانى . وقد بدت لو انها تكاد ان تكون ممسكة به .

سال باتشيت

هل رايته يبتعد عن عربة حمل الصوانى ؟

اجاب بيرو :

نعم رايته ..

ثم سار صوب السناتور بعد ذلك ..

نعم .. رايته يسير صوب السناتور بعد ذلك

قال باتشيت :

والفتاة ؟

قال بيرو :

لقد ظلت هناك ..

عند عربة حمل الصوانى ؟

بالضبط .. لقد صوبت اليها نظرة للحظة .. كانت فتاة جذابة ولذلك لقد نظرت اليها .

وسال باتشيت :

ماذا دار فى ذهنك ليجعلك تعتقد انهما كانا معا . هل يرجع هـــذا لانهما كانا يقفان معا ؟

قال بيرو :

لا . لا لقد التقت به مرة عندما كان يقف عند عربة حمل الصوانى وكان يحمل نفس الابتسامة كما تعلم ثم التفت اليها وقال شيئا ولـــكن لست ادرى ماذا قال .

وتدخل هوارد قائلا هل رايته يتحدث اليها ؟

قال بيرو :

لقد حول وجهه كما لو انه قال بالتاكيد شيئا ..

قال هوارد :

هل حركت فمها كما لو كانت تتحدث اليه ؟

اجاب بيرو ..

لا .. انها ابتسمت فقط ..

قال هوارد :

وهل بدا لك انها ابتسمت لشيء قبل ؟

ورد بيرو :

نعم ..

وصف دى بيرو الفتاة .. انها بين الحادية والعشرين والرابعة والعشرين .. شقراء معتنية بمظهرها جدا وكانت ترتدى فستانا ابيض وعليه جاكيت أسود أو بنفسجى داكن .

عاد جوردان الى غرفة التحقيق رقم واحد وهو أكثر تحديا مما كان عليه عندما خرج .. وقال للسجين :

هل تعمل فى حرفة بالذات ؟

قال السجين :

فى الحقيقة ، كل شيء يستهوينى فى الحياة انت تعلم ان هناك الكثير لتتعلمه بحيث انك اذا حاولت التخصص فى شيء واحد .. فانك تعرض معلوماتك للخطر بوصفك محققا فانك بالتاكيد تحب أن تتخصص فى التحقيق .. انظر الى ما تفتقده فى مجالات اخرى فى الحياة .. انت تعرف القانون وأنا أعنى أن التحقيق ليس هو القانون ولا الطب ولا العلوم وانت تدرى ..

ودخل شخص ما يحمل افطار السجين . أخذه جوردان والتفت الى السجين ..

ما رايك فى قدر من السجق والبيض مع قهوة ؟

قال السجين اذا كنت تشاركنى فيه .

وقدم جوردان السجق والبيض .

قال السجين : رائع وبدا عليه السرور ..

قال جوردان : انت تعرفنى . الم اقل كل شيء ؟

ودعا السجين مورفى لياخذ شيئا بدوره مجرد دعوة ودية .

قال مورفى والتعب يبدو عليه :

كم من الوقت تعتقد اننا فى حاجة اليه لنكتشف من هو أنت ؟

قال السجين : انه لغز يا سيدى . انت تعلم أن شكسبير ، رجل شاعرى جدا انه سيد الالغاز . اليس كذلك ؟ ومع هذا فهو يتلاعب هنا وهناك ويقرع كل طبلة ، وبالرغم من ذلك فهو يحتفظ بوحدته الدراماتيكية .

قال السجين ذلك ثم انتقل من النقد الادبى الى افطاره انه لم يستسغه ولاحظ جوردان ذلك فسأله :

هل يعجبك السجق والبطاطس والبيض ؟

قال السجين :

لا . اننى صريح جدا يا سيدى . اذا كنت احس ان هناك .. خطا ما فاننى اقول كذلك . واذا احسست انه صواب . فاننى اقوله ايضا .

قال جوردان :

حسن ..

قال السجين :

واذا كان طيبا – لعنه الله – فاننى ساقول انه طيب . واذا كان رديئا فاننى ساقولها صريحة ..

قال جوردان :

هذا سليم الى حد ما .

قال السجين :

سالقى بها فى وجهك .

قال جوردان : لا .. لا لاتلق بها لست مسئولا عن ذلك .

ونظر جوردان الى مورفى ورفع حاجبه وقال :

ان هذا الشاب قد صار طيبا حقا .

وقال السجين : انها كما تعلم مجرد احاديث ..

وأبلغ جوردان السجين أنهم فحصوا بصمات أصابعه محليا وانتهوا الى ان صحيفته خالية من السوابق .

وأحس السجين بغريزة حب الاستطلاع بالشكليات القانونية التى تنتظره .. شرح مورفى وجوردان القضية التى هم بصددها وقال مورفى : وفى جميع هذه الاجراءات سوف يكون لك محام يحضر معك .

وسال السجين : أوه .. لماذا ؟

وقال مورفى : لان هذه هى الطريقة التى يسير بها القانون ، يجب أن يمثلك محام ، وهنا سال السجين :

لماذا لا يستطيع هو الدفاع عن نفسه ؟

ـ ان هذا جزء من القانون كذلك .. واستخدم لفظا لاتينيا معناه « لشخصه هو » وصححه مورفى للسجين اللفظ اللاتينى .

فقال السجين : معذرة ..

وقال مورفى : انه يتحتم على المحكمة ان تقتنع فى ضمير القاضى .. اذا كنت مؤهلا للدفاع عن نفسك بشخصك انت ، فهنـــاك اناس قلائل جدا ممن يدافعون عن انفسهم باشخاصهم .. قلائل جدا جدا .

اجاب السجين : لماذا .

قال مورفى : لابد ان يكون المتهم مؤهلا ليدافع عن نفسه ، غير ان المحاكم لا ترغب فى السماح لفرد بالدفاع عن نفسه بنفسه لان هذا يؤدى الى الاستئناف بعد الادانة وبعد عدة جولات يلغى الحكم ثم تعاد القضية الى محاكمة جديدة بسبب انعدام الدفاع ومعنى هذا تكرار العملية لعدة مرات .

مفتاح السيارة ..

وعندما استدعى جوردان وخرج من الحجرة . احيط علمـا باول خيط فى القضية لقد أخذ الضباط مفتاح سيارة السجين الى فندق امبسادور .وحاولوا تجربته على كل سيارة قرب الفندق . ونجحوا أخيرا . انه يطابق سيارة من طراز كريزلر ١٩٥٨ مسجلة باسم روبرت يوجينى جندروز وهو جرســـون فى فندق امبسادور .

واحس جوردون ان الوقت قد حان ليبلغ السجين ان البوليس عرف من هو فقال له حسنا فلنجرب هذا .. ماذا عن روبرت جندروز ؟

قال السجين مسرورا : « ياللجحيم انه اسم جميل – جندروز » وكانت هناك نبرة انتصار فى صوته سال جوردان :

روبرتو أم بوب ؟

– هذا اسم لطيف .

سال جوردان : انه اسم لطيف .. وماذا عن سيارتك ؟

فسال السجين : « كاديلاك » .

قال جوردان : لا

سأل السجين : « رولزرويس ؟ »

فقال جوردان : وما رايك فى الكريزلر ؟

قال السجين : جميلة .

وسال جوردان : جميلة وهل هناك خطا فى « كريزلر » هل يوجد كريزلر ١٩٥٨ ؟ وظن جوردان انه استطاع ان ياخذ بخناق السجين ولكنه كان مخطئا . لقد استمر السجين فى ترديد عباراته . ثم سال كيف عرفت اننى املك سيارة كريزلر ٥٨ ؟ هل هو المفتاح ؟ جميل ثم ابتسم فقد كانت سيارته الخاصـــة دى سوتو ٥٦ .

فى الساعة السادسة صباحا احس مورفى وجوردان بالتعب ولم يكونا قد حصلا على شىء كثير سوى أن سجينهما عنيد جدا وماهر جدا ..

المجتمع الامريكى مريض

بالرغم من انه لم تمض ســوى ســـــاعات قلائل منذ اطـلاق النار ـ فان مجموعات كبيرة من صحف المساء ظلت مكدسة فى شوارع المدن الاوربية والناس الذين لم يدروا شيئا مما حدث .. أخذوا يدفعون النقود الى ايدى باعةالصحف ليروا ما اذا كان لدى الصحفيين مفتاح اللغز .

ملأت صحيفة الديلى ميرور اللندنية صفحتها الاولى بصورة ضخمة للسناتور كنيدى وعيناه مفتوحتان ، ولكنهما لا تبصران ، ومانشيت باللون الاسود يقول : يا الهى .. ليس مرة أخرى ..

وكان المقال الافتتاحى لصحيفة الميرور يفصح عن شعور عنيف مفــاجىء : « ما هذا الداء الرهيب الذى يتخفى تحت سطح اغنى دولة على الارض ؟ انه المرة تلو المرة .. يصيبنا جميعا »

وفى القارة الاوربية حيث تعد المؤامرات ودس السم والانقلابات ، أكثر الاجزاء التى تعلق بالذاكرة فى كتب التاريخ بالنسبة للجميـــع فان الهمس عن التآمر السياسى أصبح حقيقة .

وقالت صحيفة لوسوار ـ التى تصدر فى بروكسل : ان هناك مؤامرة خبيثة منظمة ضد اكثر الزعماء الامريكيين تحررا ، تنظمها عصابة تشبه ـ المافيا ـ وهى تتالف لا من السفاحين فحسب بل تساندها دوائر قوية ذات نفوذ .

وأبرز معظم المعلقين فى باريس نظرية التآمر ..

غير أن صحيفة « كومبا » وهى من صحف المثقفين اليوميـــة فى باريس تحدثت عن داء يصيب العالم كله « ليس لامريكا حقوق فى العنف تنفرد بها .. انها ليست الا المرآة التى تضخم ظاهرة الصراع الذى يسيطر على الراسمالية الغربية .. لقد ابتليت أمريكا بجنون فرنسى وهى مريضة بدائنا . انها ليست كابوس احلامنا ، انها البؤرة التى تتركز فيها.هذه الحمى التى تتصاعد فى بطء فى عروقنا » .

وفى المانيا تساءلت صحيفة « فرانكفورتر روندشاو » .. هل صارت اقوى دولة على الارض مجرد جمهورية من جمهوريات الموز لا حدود لها فى نهاية الامر ؟

ولكنها انهت المقال ـ كما فعلت صحف المانية متعددة ـ بقولها .. ان المجتمع الامريكى مريض بصورة تجاوز ما يعترف به أكثر الامريكيين .. وأعادت صحف أخرى بحث ظاهرة العنف الصارخة .

قالت صحيفة « نيوز زايتونج » انه حتى قبل أن تنطلق الرصاصات على بوبى كنيدى فان الحياة السياسية الدولية فى أيامنا تحدوها أساطير تحمل الكثير من العنف ومنذ مقتل الرئيس كنيدى ظل اليسار الجديد يعمل على أســـاطير فلسفية لقوى الظلام التى تقتل الشخصيات اللامعة التى تهـــدف الى مستقبل أفضل .

وأشارت هاندلسبلات الى أعمال العنف الصارخة للطلبة الراديكاليين وختمت بقولها .. منذ اللحظة التى تتخذ فيها الخطـــوة الاولى فى طريق العنف ، فان الخطوات التالية لا يمكن التكهن بها او السيطرة عليها . ان المثقفين قد يظنـــون انها قد تتقدم الى حدود معينة ثم تنحسر وتستدعى قواها التى تحولهـــا الى الارتداد .. غير أن التجربة تعلمنا ان العنف البدائى هو الذى ينتصر فى النهاية

ان هذه المقالات الافتتاحية لم تكن الا من قبيل التخمين غير انه ما من واحدة منها ادركت مدى صدق ما تقـــول والى اى مدى كان تاثير العنف ـ والعنف بالذات ـ على القاتل .

***

السجين الآن جالس فى زنزانته الانفرادية بسجن مدينـــة لوس انجلوس وصوته رقيق بالغ الرقة يجعلك تؤمن انه جنتلمان حقيقى ؟

وسأله الضابط فرانك فوستر :

هل تؤلمك ساقك ؟

فأجاب :

ـ الى حد ما ..

كيف حدث ذلك ؟

ـ لا أدرى .

هل وقعت ، أو حدث لك شىء من هذا القبيل ..

ـ لا ..

متى حدثت الاصابة ؟

ـ لا اذكر ..

الا تذكر ؟

كان هذا عجيبا حقا .. فاما أن السجين حريص جدا جدا أو انه بالفعل يعانى من فقدان الذاكرة تماما !

وعاد فوستر فسأل :

الم يسبق لك ان وضعت فى سجن كهذا من قبل ؟

ـ الان فقط ..

وكان السجين يعنى بذلك ان هذه هى المرة الاولى .. ثم اضاف ..

ـ انه كما ترى مكان مقبض جدا .. ويجعلك تحس بانك معزول تماما عن المجتمع .. وعن العالم ..

نعم .. ويجعلك تصاب بالخوف من الجنون !

وقال فوستر للسجين كاذبا انه لا توجد بالزنزانة أجهزة تسجيل .. وظل السجين صامتا .

ثم سأل فوستر :

ما الذى تنوى أن تفعله بعد خلاصك من هذه القضية ؟

وجاءت اجابة السجين معبرة الى أقصى حد عن اعماق شخصيته قال :

ـ لا أدرى .. سأحاول أن أصحح المجتمع الذى اعمل من أجله !

غير أن فكرة « تقويم المجتمع » لم ترق كثيرا فى عينى فوستر فقال :

ـ ولكنك تعلم اننا اذا أصبحنا مجموعة من الالات فاننا للاسف سنكون فى حال أسوأ مما نحن فيه الان .. نعم .. ان مجتمعنا مريض نوعا ما .. انا أوافقك على ذلك .. ولكن .. ان تتحول الى مجموعة من الالات .. هذا فظيع .

ـ لماذا ؟..

ـ حسنا لا أدرى .. هل تستطيع أن تتصور .. هل يمكن ان نتصور ان يتناول كل انسان نفس نوع الطعام أو أن يرتدى الجميع نفس الملابس ؟.. انا اتكلم على أساس اننا آدميون من عظم ولحم .. ولكن اذا كنا جميعا فى صورة واحدة ونتحرك حركة واحدة ، ونلبس لباسا واحدا وكلنا متشابهون تماما .. اذا كانت كل النساء فى العالم نسخة مكررة وكل الرجال فى العالم متشابهون فانت ترى ، اقصد أن الامر سيصبح بالنسبة لى مملا بعض الشىء بعد فترة قصيرة من الزمن ..

قال السجين :

ـ حسنا .. انى افهم وجهة نظرك .. او على الاقل اعتقد انى افهمها .. ولكن .. انظر الى الحيوان الى الجياد مثلا .. ان أى جواد اذا قورن بآخر سيبدو شبيها به .. انها كلها تتصرف بنفس الاسلوب .. وتفكر تفكيرا متماثلا

- كما تعلم - ومع ذلك فان لكل منها بعض الصفات المميزة بصرف النظر عن الصفات العامة .. مثلا .. ان لكل جواد اربع أرجل .. وسمات جسمانية معينة ولكن لها ايضا الصفات المميزة ، مع انها لا تملك عقلا » أو منطقا تميز به بين الاشياء وتقيم به سائر الحيوانات ..

وهنا قال فوستر : انه شخصيا شاهد جياداً تملك عقلا راجحا الى حد ما وسأل السجين ..

- هل كل رجال البوليس الاخرين ، يفكرون على هذا النحو ؟
فاجاب فوستر :

- أوه .. أؤكد لك ان كثيرين منهم يعتنقون نفس الافكار وانا شخصيا اعرف كثيرا من الزملاء على هذا النحو .. ولكن بالطبع لا اعرف كيف يفكر الجميع .. ومهنتنا .. كما ترى مثلها مثل اية حرفة أخرى ، لا تخلو احيانا من حالات سوء التقدير او سوء استخدام السلطة او الافتقار الى .. العدل وكل ما هو موجود في اية حرفة اخرى ..

- اوافق تماما !

قال السجين ذلك بلهجة تاكيد .. كما لو كان هو نفسه قد واجه الظلم في مكان ما .. فرضته عليه سلطة عليا .
وواصل فوستر حديثه قائلا :

- الظلم مازال قائما .. وهناك سوء استخدام للسلطة .. وتجد ذلك بين ناس عاديين .. وآخرين في أعلى منصب في العالم ..

ويبدو ان هذه الكلمات ادخلت السرور الى قلب السجين .. فقال بحرارة:

- دعني اشد على يديك .. انك اول رجل يتكلم بنفس الطريقة التي احس بها .
- كيف هذا ؟
- أعني انني لااستطيع ان اعبر عن هذه الاحاسيس بافضل من هذه الكلمات المحددة الدقيقة او هذه الطريقة التي عبرت انت بها .
- عن ماذا ؟
- عن سوء استخدام السلطة ..

فقال فوستر انه يفهم ذلك .. فهو كوالد قد يسيء استخدام سلطته احيانا .. واجاب السجين على ذلك بقوله انه يعتقد ان فوستر والد طيب ..
وتبادل الاثنان بعض المجاملات .. وقال فوستر في سعة افق يحسد عليها :

ـ حسنا .. ربما .. من الجائز انك مجرد ضحية للظروف ..!

فعلق السجين :

ـ جميل .. هذا الكلام .. اكثر مما كنت اتوقعه ..

ولعله كان يعني بذلك ان فوستر اقرب الى الحقيقة مما يظن

فقال فوستر :

ـ حسنا .. ان احدا لا يســـــتطيع أن يعرف ماذا كان يحدث لو تغيرت الظروف .. ربما كان الامر يتحول الى العــكس .. اعنى أن اكون انا على سرير السجين وانت هنا مكانى لا يستطيع احد ان يعرف اطلاقا ..

هتف السجين :

ـ كان يجب ان تكون وزيرا او شيئا من هذا القبيل.. انا.. انا لا استطيع ان اتصورك كمجرد رجل بوليس ..

فضحك فوستر واكمل السجين حديثه قائلا :

ـ تعبر عن الاشياء باسلوب مناقض تماما .. لكل ما يمكن ان اتصوره .. عن رجل البوليس ..

ـ حسنا .. انى ارجو لاعتبارات كثيرة ان تنظر لى كمجرد انسان آخر ..

فقال السجين :

ـ نحن كلنا أشبه بالدمى التى يلعب بها الاطفال ..

***

كان فرانك « مانكيفتش » و « ستيف سميث » ينتظران فى منتصف الطريق عندما خرج الاطباء من حجرة العمليات فى الساعة السادسة والدقيقة العشرين صباحا ..

قال الدكتور كونيو : ان الساعات الاربع والعشرين او الست والثـلاثين القادمة ستحدد كل شىء ؟

سال مانكيفتش : تحدد ماذا ؟

قال كونيو ببساطة : ما اذا كان سيعيش ام لا ؟

فسال : « واذا عاش » ؟

اوضح الدكتور كونيو الامر بصراحة قال :

ان هناك بعض الدلائل على اصابة منتصف المخ وهو اكثر منــــاطق تجمع الاعصاب اهمية فى الجسم ، ولو اصابت الرصاصة او شـظية فى العظم منتصف المخ لما كان هناك داع لحديثنا هذا لان كنيدى يكون قد مات .. ولكن الصدمة

المزدوجة الناتجة عن الرصاص وشظاياها وشظايا العظم قد أسفرت عن نزيف قليل فى وسط المخ ، والزمن وحده كفيل بأن يكشف عن مدى الخطورة .

لقد ازيلت الجلطة الدموية .. غير ان ورم المخ أعاق بعض الشيء وصول قدر كاف من الاكسجين ، وهذا قد يسبب ، أو لا يسبب عاهة مستديمة .

وحتى لو عاش كيندى ،فانه لن يكون « بوب » الذى عرفناه .. سوف يعانى من صمم تام فى احدى اذنيه وتلف فى الجانب الايسر من جهاز بصره ، وشلل فى الجانب الايمن من وجهه ، وبعض التقلصات فى ذراعيه وساقيه .

واضاف الدكتور كونيو : ولكن يبدو ان المراكز العليا فى المخ لم تتأثر ومعنى هذا انه سيكون قادرا على التفكير المنطقى .

ونقل السناتور كيندى على مقعد متحرك الى المصعد ، وأعيد الى وحدة العلاج بالدور الخامس من المستشفى ، وارقد على مرتبة من الثلج لخفض درجة حرارته ، وتقليل نسبة التمثيل الغذائى ، وهذا من شأنه تخفيف الضغط على قلبه وحماية مخه الذى يحتاج الى قدر أقل من الاوكسجين فى درجة الحرارة المنخفضة .

وواصل الاطباء مراقبة رسام القلب وأعدوا سجلا دقيقا لجميع الوظائف الحيوية الاخرى .. وأعطيت « اثيل كنيدى » سريرا صغيرا الى جانب سرير زوجها ، وكانت أحيانا تجلس ، وأحيانا ترقد ، وعلى الدوام تمسك بيده ..

وأبلغ مانكيفتش الدكتور كونيو أن ممثلى الصحف سيقدرون فضله اذا احاطهم علما بما حدث .

أجاب كونيو : قل لهم أنت ..

قال الدكتور كونيو : فيما بعد .. مادام المريض على سرير المستشفى فاننى أنسى انه بوب كنيدى .

استدعاء طبيب آخر

قدم مانكيفتش الدكتور كونيو الى السناتور ادوارد كنيدى الذ ىكان يرافق اثيل فى الطابق الخامس .. ولكن يبدو أن كونيو ـ وبصفة خاصة مع تيد كنيدى خانته الكلمات .. وفكر كونيو بينه وبين نفسه :

ماذا يقول لرجل فقد واحدا من اخوته .. كان رئيسا للولايات المتحدة .. برصاصة .. وله اخ آخر .. هو أحد شيوخ أمريكا فى حالة خطيرة نتيجة لرصاصة اخرى ؟

ومع هذا ، فقد كان تيد كنيدى هو الذى ادار الحديث . قال الدكتور كونيو انه طلب من الدكتور جيمس بوبين طبيب مستشفى « لاهى » فى بوسطن ، بان يجىء الى لوس انجلوس .

وفى الواقع ، كانت هناك طائرة نفاثة من سلاح الطيران قد تقرر ان تطير الى انكوراج فى الاسكا ، غير انها غيرت طريقها بمقتضى اوامر من همفرى نائب الرئيس .. وهى الان مستعدة لمغادرة بوسطن فى اية لحظة وعلى ظهرها بوبين .

كان كونيو يعرف بوبين من خلال عدة اجتماعات مهنية .. وكان بوبين يشرف على علاج جون كنيدى بسبب آلام ظهره ، ويعالج تيد كنيدى بعد اصابته بعدة جروح عندما سقطت به طائرة فى عام ١٩٦٤ ، وايضا كان يعالج جوزيف كنيدى ، الذى ما زال يعانى من اصابته بالشلل فى عام ١٩٦١ .

ابدى كونيو ترحيبه بالدكتور بوبين .. ثم التفت الى اثيل كنيدى وطمانها بأن زوجها احسن الان من اللحظة التى وصل فيهـا وانه يتنفس حاليـا بدون مساعدة خارجية ، وابلغها انه لابد وان تكون هناك اصابات على اية حال ، ولكنهم سيعرفون نتائج أكثر بعد ٢٤ ساعة .

تضليل الصحفيين

وفى قلب المدينة ، كان هناك جيش من الصحفيين ينتظر خارج « باركر سنتر » للحصول على مزيد من الانباء عن الرجل « المتهم » الغامض الذى أبى ان يذكر اسمه .

لم يسمح لاحد بدخول المبنى سـوى رجال ادارة بوليس لوس انجلوس ، الامر الذى لم يسبق له مثيل اطلاقا مما أكد لرجال الصحف المحليين ان القاتل موجود هناك فى باركر سنتر ، واخيرا سمحوا للصحفيين المعتمدين بالدخول الى قاعة الاجتماعات فى الطابق الاول لحضور مؤتمر صحفى فى السـاعة السـابعة صباحا ، يعقده رئيس البوليس « توم ريدين » .

لم يكن لدى ريدين سوى القليل من الاخبار .. فالامر لم تعرف زواياه بعد رفض المتهم ان يعطى اسمه .. لقد ارسل البوليس بصمات اصابعه الى رياسـة مكتب التحقيق الفيدرالى بواشنطن لم يقل ريدين ان ادارة التحقيق الجنائى فى ولاية كاليفورنيا تحاول اقتفاء اثر المسدس الذى انتزعه « ريفيرجونسون » اخيرا من قبضة القاتل .. ولم يقل ان القاضية « جوان ديمس كلين تتجه راسا الى محكمتها فى الطابق السابع من مبنى قاعة العدالة استعدادا لمحاكمة المتهـم ولم

بقل ان الضابط « دونالد داى » يقف بسيارته الخاصة عند مدخل المصعد فى جاراج البوليس استعدادا لنقل السجين مسافة ثلاث عمارات الى قاعة العدالة ، بحيث لا يراهم احد ، بقدر المستطاع .

ويبدو ان الهدف فى المؤتمر الصحفى كان صرف انظار الصحفيين اكثر من كونه محاولة لتزويدهم بالانباء .. فقد اراد البوليس ان يشغل الصحافة عن اذاعة انباء نقل السجين الى قاعة العدالة . لقد حدث اثناء عملية نقل علنية سابقة شهدها عدد كبير من الصحفيين ان اطلق « جاك روبى » الرصاص على قاتل جون كينيدى .

وقال ريدين : انه تحدث مع المتهم حوالى ١٥ دقيقة ، ويبدو انه مثقف يتحدث الانجليزية جيدا وهو محدث ظريف .. لقد تحدثنا عن أمور كثيرة .. كان مستريحا جدا ورغب فى أن يتحدث عن كل شىء باستثناء احداث الليلة الماضية ، واذا تحتم على أن احكم عليه ، على اساس محادثتنا - وهذا هو الاساس الوحيد فاننى اصفه بانه جنتلمان ..

سأل احد الصحفيين : هل يمكن ان نجرى حديثا مع المتهم ؟

اجاب ريدين : بعد دالاس ، لن يسمح لاحد بان يقترب الى مسافة الف قدم منه . وفى الواقع لم يسمح لاحد ، ولن يكون هناك اى تصريح رسمى الا اذا جاء من مكتب العمدة « سام يدرتى » بنفسه .

***

نحن الان فى القاعه الاربعين بقصر العداله وريتشارد بوكلى كبير محامى الدفاع ، وهو رجل ضئيل الحجم عصبى المزاج ، تتوج رأسه صلعة لوحتها الشمس بلون برونزى أنيق .. يشق طريقه وسط الزحام نحو قفص الاتهام الذى يضم الرجل المقرر استجوابه .. والتفت بوكلى ليرى حوله ستة حراس على الاقل فطلب منهم ان يبتعدوا ليتحدث الى المتهم على انفراد .. فتحركوا بعيدا نحو خمس عشرة خطوة وقال السجين انه يود أن يتحدث مع أحد من الاتحاد الامريكى للحريات المدنية ، فاجاب بوكلى انه سينقل رغبته هذه .. ثم واصل كلامه ناصحا : وفى الوقت الحالى ، أنت لست ملزما بأن تقول اى شىء لهم اذا كنت تريد ذلك .. ولا حتى اسمك .. فاوما السجين براسه فى رزانة ، بينما استمر بوكلى قائلا : بل انك لست مضطرا حتى الى اخبارى أنا .. فهز الاسير راسه مرة اخرى وهو مازال غير واثق بعد ما اذا كان هذا الرجل صديقا ام عدوا ولكنه ما لبث ان بدا عليه انه قرر اعتباره صديقا عندما قال له بوكلى .. ولا تضع توقيعك على اى شىء .. ولا حتى على استمارة القيد .

كانت نصيحة بوكلى ملائمة تماما للظروف ويبدو أن السجين كان واعيا بها.. هذا الصباح ، فقد امتنع عن التوقيع باسمه على استمارة القيد وكتب بدلا عنه الاسم المستعار « جون دو » .

وفى الساعة السابعة والاربعين دقيقة صباحا نقل السجين الى مقعد أمام المنصة محاط بالحراس ، حيث تليت عليه التهم الموجهة اليه .. وسألته القاضية بلين بصوت جذاب ، ولكنه لا يخلو من صرامة القضاة ..

ـ هل لك اسم ما ؟

ورددت القاضية مرة اخرى :

ـ هل لك اسم ما ؟

اجاب السجين :

ـ جون دو ..

وكان بالفعل فى السروال الابيض والقميص الازرق والشبشب الاسود يبدو مثل جون دو ..

« جون دو شخصية امريكية رمزية مثل المصرى افندى » .

ـ هل لديك محام ؟

فاجاب السجين بالنفى « ليس بعد » .

وعلى هذا ، عينت القاضية المحامى بوكلى رسميا وقالت ان السجين متهم بانه انتهك المادة « ٢١٧ج » من قانون العقوبات وارتكب اعتداء بسلاح مميت بهدف القتل .. وابلغ المتهم بحقه فى محاكمة سريعة علنية وحقه فى الاختيار بين ان يحاكم امام محلفين او امام محكمة ، وحقه فى أن يدلى أقواله او يمتنع عن الادلاء بأقواله .

وسألت القاضية :

ـ هل لديك أسئلة ؟..

فأجاب :

ـ ليس الآن ..

وكان يبدو رابط الجاش تماما ..

القاضية والمدعى والمحامى

وطلب المدعى لين كامبتون حجز المتهم بدون كفالة ، وعلل طلبه هذا الاسباب الاتية :

١ ـ هناك احتمال كبير ان يموت احد الضحايا « كان يقصد كنيدى » والذين يتهمون بالقتل لا يفرج عنهم بكفالة .

٢ ـ رفض المتهم ان يعطى اسمه الامر الذى يجعل من المستحيل اجراء اية تحريات عن ماضيه لتقديركم يجب ان يكون مقدار كفالته .

٣ ـ ربما كان هناك آخرون لهم علاقة باطلاق النار .. او ربما اقدموا على قتل هذا الرجل حتى لا يرشد عنهم .

واشار كامبتون بنوع خاص الى ان « هذا الرجل قد شرع بالفعل فى قتل عضو مجلس الشيوخ الامريكى » .

ولكن بوكلى عارض مطالبا بأن تحدد المحكمة كفالة ، وبمبلغ معقول .

فسألت القاضية كلين :

ـ ما هو المبلغ المعقول فى تقديرك ؟

وأضافت انها تجد من الصعب أن تفكر حاليا فى مسألة الكفالة ، وقالت : لم انى سمعت انباء جديدة تقول ان أشخاصا كثيرين قد عبروا عن رغبتهم فى قتل المتهم او شنقه او اعدامه بالحبال غير أن بوكلى كان يعرف قانونه ، فما دام القتل لم يتم فلابد من تحديد كفالة .

وختمت القاضية قائلة :

ـ حسنا .. ساحدد فى الوقت الحالى كفالة قدرها ٢٥٠ الف دولار .

ثم حددت الساعة ٨٫٣٠ من صباح يوم الاثنين موعدا للجلسة الابتدائية ، ولكن المدعى جون هوارد كان فى تلك اللحظة يعد العدة لكى يجتمع المحلفون يوم الجمعة لسماع الشهود واقامة الدعوى .

العودة الى السجن

واحاط ١٢ من نواب المأمور بالمتهم ، ووضعوا يديه فى القيود ثم قادوه من خلال دهليز خلفى الى المصعد الخاص بالسجناء وهبطوا به بسرعة الى البدروم حيث كان فى انتظاره سيارة « ستيشن واجون » دفعوا به الى ارضيتها الخشبية ثم أسرعت السيارة من خلال نفق متجهة الى شارع « سبرينج » ومنه شمالا الى السجن الذى تقرر أن يكون مأوى السجين للثلاثين يوما القادمة .. وسجن نيو كاونتى عبارة عن بناء منخفض من الاسمنت المسلح خال من النقوش فيما عدا بعض شجيرات على مبعدة منه . وقد دخل الحراس من المؤخرة من خلال بوابة تدار الكترونيا من برج زجاجى ملون فى مواجهتها مباشرة ، ودرجوا الى ساحة

واسعة معبدة بالاسفلت ومروا بعدد من سيارات السجن المخططة بالاسودوالابيض، ثم وقفت سيارتهم فجاة فارتفع صوت احتكاك الفرامل عند أبواب المدخل الشمالي للسجن .. وكان السجن حينئذ في حالة تسمى حالة الطوارىء المشددة ، فكل السجناء والحراس في داخل الزنزانات ، ومكان قيد الاسماء خال فيما عدا اثنين من كبار الضباط سرعان ما قاما بالاجراءات المعتادة .. ورفض السجين ان يجيب على اسئلتهما تماما ولكنهما سجلا طوله ووزنه وكانا ٣ره قدم و ١٢٠ رطلا على التوالى . ثم نقلوه من خلال بابين من الصلب لونهما أزرق ضارب الى الخضرة وبداران الكترونيا ، وسلموه ملابسه ، وكانت بنطلونا أزرق مناسبا تماما ، وقميصا ازرق ثم صوروه واخذوا بصمات أصابعه مرة أخرى ، وبعد ذلك سار به الضابطان خلال دهليز طويل بالطابق الاول ، يتردد فيه صدى الصوت ، الدهليز فى هذه اللحظة خال تماما وساروا ١٥٠ مترا حتى مستشفى السجن ودلف السجين يعرج الى العيادة وتلفت حوله متطلعا ثم جلس .

وجاء احد المساعدين الطبيين فمسح على ذراعه اليسرى بقطعة من القطن ، ثم التقطوا ابرة وحقنة ولكن السجين أجفل الى الوراء معترضا على ادخال الابرة فى ذراعه .. فقال الحارس :

ـ انها مجرد اخذ عينة من الدم .

فهز السجين كتفيه ومد ذراعه سائلا :

ـ أية كمية ستأخذها ؟

ـ عشرة سنتيمترات مكعبة

فهز السجين راسه .. ثم ساقوه الى الحجرة التالية التى كان يحتلها جهاز ضخم لاشعة أكس والتقطوا صورا بالاشعة لركبته اليسرى ، ورسغ قدمه اليسرى ، ويده اليسرى .

وكان طبيب الاشعة هو الدكتور هنرى ويليامز وهو شاب اسود أنيق متخرج فى جامعة هافارد ومدرسة الطب فى كلية « سيتر » بمدينة نيويورك وعضو فى الكلية التى تضم ثلاث مدارس طبية فى كاليفورنيا الجنوبية .

ومن الحديث القصير الذى دار بينهما حيث ظهر أن هناك قدرا ما من التجاوب بين الطبيب الاسود والسجين ـ استخلص الدكتور ويليامز ان السجين « معتز بنفسه شديد الثقة ، ولا يشعر بأى ندم » .

ويضيف ويليامز : وبدا لى انه كان يتوقع كل هذا ، وكانه لم يفاجأ بوجوده فى السجن وانه مستعد لتلقى العقوبة .

واظهرت اشعة اكس انه لا توجد اية كسور فى الساق ولكن تالم السجين اقنع المامور بانه من الافضل نقله على كرسى ذى عجلات ، فاحضروا واحدا ودفعوا به الى مصعد من الصلب اللامع أزرق اللون صعد به الى الجناح الجنوبى الغربى من الطابق الثانى الذى أخلى خصيصا فى ذلك الصباح لكى يحبس فيه السجين .

ووضعوه فى زنزانة صغيرة كئيبة من الخرسانة المسلحة دقمها ٧٫٠٥٧ مؤثثة بأثاث السجن الحديث المكون من سرير من الانابيب السوداء ومرتبة وحوض غسيل وتواليت بلا مقعد واغلقوا عليه بابا من الصلب . وتركوه هناك لاثنين من الحراس يراقبانه من خلال نافذة واسعة .

طبيب من مصر

وفى الساعة التاسعة و ٣٢ دقيقة حضر الى زنزانة السجين الدكتور فيليب عطاالله وهو احد اطباء سجن نيو كاونتى ، ليضع شريطا على أصبع السبابة اليسرى للسجين ، وكان عطاالله مهاجرا من مصر .. ونظر الى السجين متسائلا : « ترى هل هو عربى ؟ » ونطق بعدة كلمـات باللغة العربية ولكنه لم يجد أية استجابة .

مخالفة للسيارة

وهناك فى الجانب الاخر من المدينة على بعد نصف عمارة من ويلشـير ، وفى شارع نيوهاميشير بعد ٣ عمارات فقط من فندق الامبسادور وجد ضابط بوليس يعمل فى مرور لوس انجلوس سيارة بلونين وردى وأبيض ماركة ـ ديسوتو ـ ماير فلايت ـ ورقمها ج.و.س ٩٣ ـ مركونة فى منطقة حمراء ممنوعة ـ فحرر لها المخالفة رقم ٣٩ـ ٤٢٣٥٥٩م ، ووضع صورة صفراء من محضر المخـالفة تحت مساحة المطر .. ولم يكن فى استطاعة الضابط بطبيعة الحال أن يفتش العربة دون وجود أحد جنود البوليس ، ولكنه لو فعل ، لما وجد بداخلها سوى طلقتى مسدس فارغتين من عيار ٢٢ على المقعد الامامى ، وكتاب ملقى على المقعد الخلفى بعنوان ـ الشفاة ـ الفن المقدس .

البوليس يعرف الان ان المسدس ماركة « إيفر جونسون » الذى اطلق منه الرصاص قد تم شراؤه من محل بيع أسلحة فى باساديتا بواسطة شخص يدعى « البرت هيرتز » لحماية ابنته اثناء الاضطرابات التى جرت فى « واطس » عام ١٩٦٥ ، وقال الرجل للضباط أن ابنته مسز « دانا ويستليك » قد نقلت الى « مارين كاونتى » شمالى سان فرانسسكو واتصل مساعدو المامور هناك بمسز

ويستليك ليسالوها ماذا صنعت بالمسدس فقالت : انها سلمته الى جار لها في باسادينا اسمه « جورج ايرهارد » واضافت انه كان من هواة جمع الاسلحة ، ولم اكن اود ان احتفظ بهذا الشيء اللعين معي خصوصا وان لدى طفلين صغيرين .

وفي باسادينا عثر البوليس على ايرهارد حيث يعمل في مخازن فرع شركة ناش وقال :

ـ بالتاكيد كان المسدس معي ، ولكنى بعته لشخص يدعى « جو » يعمل هنا بالمحل .

وكان « جو » الذى يفضل مناداته باسمه الحقيقى « منير سرحان » قد حضر مبكرا في الصباح لعمله . وسمع هناك بنبا اطلاق النار على روبرت كينيدى ورأى صورة القاتل المجهول التى ظهرت اكثر من مرة على شاشة التليفزيون ، فتعرف فيها على شقيقه « سرحان » فانطلق خارجا من المحل ، والقى بنفسه في سيارة رئيسه مسرعا الى داره ، ولم تكن سوى كوخ متواضع يحمل رقم ٦٩٦ ـ هـ شارع هوارد ، تطل عليها شجرة منجوليا ضخمة مزهرة في الفناء الامامى ، وهناك وجد امه لحسن الحظ قد انصرفت لعملها ، فايقظ اخاه الاكبر عادل قائلا :

ـ عادل .. هل عاد سرحان الى الدار امس ؟

ـ لا ادرى .. الم يعد ؟

كان عادل ، كعازف عود محترف يعمل طول الليل وينام بالنهار ، ولذلك فقد كانت الساعة ٩ صباحا بالنسبة اليه كانها منتصف الليل .. ولكنه افاق لنفسه بسرعة عندما انهى اليه منير ان البوليس قبض على سرحان بتهمة اطلاق الرصاص على السناتور روبرت كينيدى .

صورة سرحان

وفي ظرف ١٥ دقيقة ، كان الشقيقان ، عادل ـ ٢٩ سنة ـ ومنير ـ ٢١ سنة يقدمان نفسيهما في نقطة بوليس باسادينا . وسأل عادل السيرجنت المقيم بلطف : هل معك احدى صحف الصباح ؟

فادار السيرجنت رأسه الى الناحية الاخرى ، وقال : كلا

وخرج الشابان .. شاهد عادل احد اكشاك بيع الصحف على ناصية الشارع فقال : ساذهب لاحضار جريدة .. فقد كان يفضل ان يطلع البوليس على صورة شقيقه بالصفحة الاولى في الجريدة بدلا من أن يخبرهم بنفسه .

ولكن منير قال :

ـ ساذهب انا لاعيد السيارة لصاحبها .

وعاد عادل وحده الى نقطة البوليس ، وفى يده نسخة من جريدة « باسادينا اندبندانت ستار نيوز » .

ـ اعتقد ان هذه صورة اخى !

قال ذلك وهو يشير الى صورة سرحان على الصفحة الاولى ، فاخذه رجـل البوليس الى الطابق العلوى لاستجوابه ، وسرعان ما انضم اليهما احد رجـال مكتب التحقيقات الفيدرالى .

انت مقبوض عليك

أما منير فعندما عاد الى مخزن شركة ناش واوقف السيارة وصـعد الى مكتب رئيسه وجد هناك عددا من رجال مكتب التحقيقات ..

ـ انت مقبوض عليك ..

فسأل :

ـ لماذا ؟ ..

ـ هل اشتريت مسدسا من جورج ايرهارد ؟

كان منير ، باعتباره اجنبيا ، وسبق الحكم عليه وهو الآن تحت المراقبة لا يحق له ان يحمل سلاحا ، فاجاب :

ـ كلا .. ولكن اخى فعل ذلك ..

واحضر المخبرون جورج ايرهارد الى المكتب وساله احدهم :

ـ هل هذا هو الشخص الذى اشترى المسدس ؟ ..

فاجاب ايرهارد بالايجاب .. ولكن منير اصر على انه مخطىء وان اخـاه هو الذى اشترى المسدس ..

والح منير ان يصحبهم الى عادل قائلا انه ذهب بصحبة عـادل من تلقاء نفسيهما الى نقطة بوليس باسادينا وليس لديهما ما يخفيانه ..

غير انهم عندما وصلوا الى نقطة البوليس كان عادل قد انصرف بصحبة فرقة من البوليس والمخبرين الى منزله رقم ٦٩٦ ـ هـ ـ شارع هوارد . ومع انهم لم يلقوا القبض على عادل الا انهم ابلغوه بحقـوقه قائلين « من حقك ان تلتزم الصمت .. ومن حقك ان تستعين بمحام ، فاذا لم يكن بوسعك ان تحضر محاميا فان الدولة ستنتدب لك محاميا مجانا »

وكانت هذه الكلمات بالنسبة لعادل الذى هاله بالفعل جسامة الجرم الذى ينسبه البوليس الى شقيقه .. كافية لكي تجعله يرتعد .. فقد ادرك منها انه في موقف لا يحسد عليه

تفتيش منزل سرحان

وقال سيرجنت ويليم براندت من بوليس لوس انجيلوس الذى كان قـــد وصل على وجه السرعة ليكتشف ما اذا كان هناك ما يدل على وجود مؤامرة :

ـ الديك ما تخفيه هنا ؟ ..

فقال عادل :

ـ كلا ..

ـ اذن فلا مانع لديك من أن ندخل ونلقى نظرة ؟

وتطلع عادل حوله .. كان هناك جمهور من عدة مئات بدأ يتزاحم حـــول المنزل بسرعة ، او بمعنى أصح جاء بهم الى منزل العمـدة « يورتى » الذى دعا إلى مؤتمر صحفى ليعلن فيه اكتشاف شخصيةالرجل الغامض الذى اطلق النار.

وقال عادل . « نستطيع الدخول » ..

وفي حجرة نوم المتهم ، وجد ضباط بوليس لوس انجيلوس اكثر مما كانوا يأملون ، فقد كان هناك على الارض الى جوار الفراش كراسة كبيرة ، وعـــلى المنضدة الصغيرة التى يستخدمها كمكتب كانت هناك كراسة كبيرة ايضا وبضعة اشياء اخرى مثل منشور يدعو الناخبين الىاجتماع للسناتور « يوجينماكارثى » في باسادينا وعدد من نسخة ٢٣ مايو لجريدة « كريستيان ساينس مونيتور » ومفكرة صغيرة لا تحمل مذكرات الا على صفحتين فقط منها ، وكمية لا بـاس بها من كتب العلوم الغيبية وشهادة تسريح شرفية من قوات تدريب الجنـــود بكاليفورنيا بسبب تخرجه فى المدرسة الثانوية فى ١٣ يونيو عام ١٩٦٣ واعلان عن كتاب حول « نقل افكار » تاليف انتونى بورفيل ، ومظروف بنى اللون كبير الحجم كتب عليه « روبرت ف. كنيدى يجب التخلص منه كما حدث لاخيه » . وفي اسفل الظروف كتبت كلمة « رجعى »

ورأى سيرجنت براندت ان من الصعب ان يكون فيما وجده دليلا عـــلى وجود مؤامرة ، ولكنه كاف جدا للتدليل على « الارادة ، والعمد » ..

حوار مع طبيب نفسانى

ومرة اخرى فى زنزانة السجين ••

ـ كيف تشعر الآن ؟

وتطلع السجين من مكان جلوسه على السرير الحديدى الى الدكتـــور اركوس كراهان •• وكان رجلا متقدم العمر ، مكتئب النظرات ، اصفر الوجه••

ـ ليس كما يجب ••

ولمح كراهان صينية افطار السجين على الارض لم تمس ••

فسال : « هل تشعر بألم ؟ »

ـ لا ادرى يا سيدى ••

ورفع السجين يده ممسـكا باصـبع السبابة الايسر المربوط بالشــاش والمشدود الى شريحة من الخشب قائلا :

ـ انه بارد ••

ولكن الأصبع المكسورة لم تكن هو ما يهتم به الدكتور كراهان ، فقال :

ـ الا تريد تناول شيء من هذا الطعام ؟ ..

فانحنى السجين ، والتقط كوبا ورقيا من عصير البرتقال ، ونظر فيه ، وقطب جبينه ثم وضعه فى مكانه على الصينية ••

وساله كراهان .

ـ كم تبلغ من العمر ؟

ـ من انت يا سيدى ؟

ـ انا الدكتور كراهان •• انا المدير الطبى هنا ••

كان السجين قد شاهد كراهان فى غرفة الاشعة منذ ساعة واحدة فقط •• ولكنه الان بصحبة مساعد مامور ورجل آخر يدون اشياء فى مفكرة معه ••

ـ ما هى جنسيتك ؟

« لا تعليق »

ـ الا تريد ان تخبرنى كم عمرك ، او اى شيء اخر ؟ ••

« لا تعليق »

ـ هل والداك على قيدالحياة ؟

« لا تعليق »

ـ هل لديك اخوة او اخوات ؟

« لا تعليق »

ثم اضاف السجين :

● هل هذا مطلوب لاسباب طبية ؟

فقال كراهان ، الذى كان يبدو مستمتعا بمحاولة حل اللغز الذى يسعى الى معرفته كل انسان فى العالم فى تلك اللحظة .

ـ انا فقط اريد ان أتعرف على تاريخك ..

« لا تعليق يا سيدى » ..

فزفر كراهان :

ـ حسنا.. دعنا نساعدك فى كل ما يتصل باوجاعك الجسمانية .. هل تفعل ذلك ؟ ..

ورأى السجين ان يحول اتجاه الحديث فسأل الطبيب :

ـ ما نسبة ضغط الدم عندى ؟

اجاب كراهان :

ـ لا اعلم .. فانا لم انظر فى بطاقتك .. هل تشكو من شىء يتعلق بضغط الدم ؟

ـ ان دورتى الدموية سريعة جدا ..

ـ ماذا تعنى بقولك سريعة جدا ؟

قال كراهان ذلك وهو يمسك بمعصم السجين وينظر فى ساعته .. ثم اضاف :

ـ اجل .. هل كنت تشكو من ضغط الدم فى الماضى ؟

ـ لا تعليق .. هذه هى تعليمات المحامى .. لقد نصحنى بالا اجيب على اية أسئلة ..

واخلى كراهان معصم السجين سائلا فى شىء من المفاجأة :

ـ هذه نصيحة محاميك ؟ متى تحدثت الى محاميك ؟ ..

ـ هذا الصباح .. ومن المفروض أن يرانى ، وسيأتى الى هنا بعد قليل..

وبهذه الانباء تخلى كراهان عن استجوابه ، ولعله كان يود ان يدلى بشهادته امام المحكمة عن سلوك السجين فى صباح الليلة التى اطلق فيها النار على السناتور كنيدى ، ولكن لم يعد هذا مجديا .. وعاد يسأل السجين اذا كان يشكو من شىء فى معدته ، ولكن السجين اجاب بالنفى ..

ثم سأل السجين سؤالا وهو يشير الى كاتب الاختزال :

ـ هل سيستخدم هذا ضدى ؟ .. هذا الذى يكتبه ؟ ..

قال كراهان :

ـ انت لم تقل شيئا يذكر ، حتى يمكن ان يتخذ ضدك ..

ـ وهل يمكن أن يعول على هذا فيما بعد ؟

فاجاب كراهان بصراحة : « محتمل » ..

اعتراف مثير

وقضى السجين وقتا حتى اعتدل في فراشه .. ثم بدأ ذلك الحـــــديث القصير الذى كثيرا ما سره ان يستعيده وهو في سجن المدينة ..

ـ منذ متى وانت تعمل طبيبا ؟

قال كراهان :

ـ منذ عام ١٩٢٥ .. اى قبل ان تولد ..

فصفر السجين بفمه ، وابتسم .. ثم لوى وجهه واحنى كتفيه قليلا وهو يقول : « هذا يجعل المرء يقشعر » ..

فسأل كراهان :

ـ هل تشعر ببرد ؟

ـ ليس من البرد ..

ـ ماذا تعنى ؟

« لا تعليق »

ـ هل تعنى انك تشعر بقشعريرة ؟

ـ انى اشعر بقشعريرة خفيفة جدا ..

وكان هذا اعترافا مثيرا .. اعترافا اثار فيما بعد اهتمام طبيب نفسانى كان معنيا بمعرفة ماحدث حقا في ليلة ٤ يونية ..

ومرة اخرى يعود السجين الى أسلوبه في التهرب .. بتبادل الاحاديث القصيرة .

ـ ماهو تخصصك يا دكتور ؟

ـ انا لى تخصصان .. الطب الباطنى ، والتحليل النفسى ..

غير ان رد فعل هذه الاجابة على السجين كان عجيبا .. فقد قال : « يجدر بك ان تحترس »

ثم التفت الى كاتب الاختزال واشار اليه باصبعه صائحا فجـــاة باعلى صوته : « بوم » .. وابتسم .. ويبدو ان علمه بان كراهان يعمل بالطب النفسى

قد اثار شيئا من حب العبث .. فعاد يسال عن الطبيب الاخر ، ذلك الـذى وضع الضمادة على أصبعه ..

ـ انه الدكتور عطا الله ..

ـ عطا الله ؟ ..

قال كراهان ـ انه واحد من مواطنيك ..

كان عطا الله مصريا .. وقد تكهن كراهان ـ وكان على حق بان السجين عربى ولكن السجين لم يؤيد ولم ينف « وانما قال : لا تعليق » .. ثم عاد الى حديثه القصير :

ـ ما هى آخر منجزاتك باعتبارك طبيبا نفسيا ؟ ..

فقال كراهان .. وقد احس ببعض الحيرة :

ـ هناك جديد يحدث كل يوم ..

ـ تحدث باسهاب .. بتفصيل ..

واعتدل السجين فى فراشه .. وسوى الوسادة خلف ظهره ، ثم اشار الى كاتب الاختزال ، وعلق تعليقـا ساخرا ثم عزم عليه بكوب عصير البرتقال ، وهو يبتسم ابتسامة متكلفة عريضة تحولت الى ضحكة بلا صوت ، والتفت الى الدكتور كراهان مبتسما وهو يرشف عصير البرتقال :

ـ هل هو ايضا طبيب نفسانى ؟ ؟

***

فى الساعة ١٠٫٥٠ وصل الدكتور بوبين الى مستشفى « جودسامارتان » .. حيث قدم له الدكتور كونبو تلخيصا كاملا للموقف ، واخذه الى حيث يوجد السناتور .. واجرى الدكتور بوبين فحصه الطبى بينما اثل كنيدى تراقبه عن كثب ، وقاس النبض ، وكشف على ضغط الدم ، وحركة الدم فى الاوردة ، وصور اشعة اكس .. ثم .. التفت الى تيد كنيدى وسمبـث وماتكـفتش قائلا لهم أن أطباء لوس انجيلوس قد فعلوا كل شىء ، وانه ليس هناك ما يمكن عمله سوى الانتظار ..

***

فى الساعة ١١ ودقيقتين ، جاء الى السجين زائر اخر ، وكان رجـلا اسمر اللون له ابتسامة جذابة وقال :

ـ انا بيتر بيتشيس .. مامور مركز لوس انجلوس .. وقد جئت لاقـول لك لماذا انا هنا ..

فقال السجين ـ اجل .. انى اعلم .. انا اعرفك ..

كان بيتشيس قد انتخب لمنصبه عام ١٩٥٨ ، واعيد انتخابه عام ١٩٦٢ ثم فى عام ١٩٦٦ . ومن المرجح انه سيعاد انتخابه كلمـــا أراد ، وذلك اولا لانه اثبت قدرته فى ادارة اكبر مكتب لعمـــدة فى الولايات المتحدة الامريكية .

وثانيا لانه مامور حريص على ان يتردد على المواطنين وان يروم اكبر وقت ممكن .. وقد شاهده السجين من قبل عدة مرات .. كما شاهدهمعظمابناء البلاد وهو يقود بنفسه مهرجان الزهور ، مطلع كل عام فى باسادينا ، يخطو علىانغام نشيد « واحد فى المليون » ..

واوما بيتشيس برأسه قائلا :

ـ حسنا .. أريد أن ابلغك انى قرات التقرير الطبى الخاص بك ،واطلعت على صور الاشعة لاصبعك ورسغك وركبتك ، وانا شخصيا راض عن حالتـــك الطبية ، فهل انت راض عن معاملتك الطيبة هنا ؟..

فتردد السجين لحظة وتطلع الى بتشيس ثم اضاف

● هل انت معنى حقا بحالتى الجثمانية ؟ ..

ـ انا لست هنا لالعب .. وانما سالت سؤالا جادا وآتوقع اجابة جادة ..

وفكر السجين لحظة فى هذا ثم اجاب :

● أجل .. انا راض ..

ـ هل لديك أية شكاوى ؟ ..

● كلا ..

ـ هل تود ان تخبرنى باسمك .. من انت ؟ ..

« لا تعليق »

ـ اوكى .. دعنى اشرح لك مايهمنا هنا .. انت هنا فى عهدتنا .. وتحت حراستنا .. ونحن مسئولون عن حياتك ـ من نفسك ومن الاخرين ـ وقد حدثت بالفعل تهديدات تطلب حياتك .. ونحن سنفعل كل مابوسعنا من اجل ان نوفر لك الحماية القانونية الكاملة .. وانا أود أن أسمع منك بوضوح انك ستفعل كل ما تستطيع من اجل مساعدتنا فى هذا السبيل ..

فرمش السجين بطرف عينه وسأل بهدوء :

● هل تعنيك سلامتى حقا ؟

ـ فقال بيتشيس بحدة :

ـ لقد سالتك سؤالا •• واريد اجابة عليه ••

● حسنا •• سافعل كل ما استطيع من اجل مساعدتك ••

قال ذلك ثم سال بيتشيس عن حقوقه فقال له

ـ من حقك ان لك محاميا .. اما ان تختاره انت ، او نعينه لك المحكمة ..

ولكن السجين قال

● ما اعنيه هو حقوقى هنا فى السجن••ما هى الامتيازاتالممنوحة لى ؟••

كان السجين قد بدا يقتنع بانهم لن يقتلوه فى الفجر ، وانه سيبقى هنا بعض الوقت ••

ـ ان لك نفس الحقوق المكفولة لكل سجين ••

● هل استطيع ان اقرا الصحف ؟

ـ نعم •• وفي العادة نحن نحضر « لوس انجيلوس تايمز » و « الاكزاميتر» ونوزعها يوميا ، وتستطيع ان تشتريهما اذا اردت ما دمت تملك النقود ••

وتستطيع ايضا ان تشترى مجلات ••

● وماذا عن الكتب ؟

ـ لدينا مكتبة استعارة .. وتستطيع ان تتقدم باية طلبات خاصة عن طريق مكتبة المركز ••

فهز السجين راسه ، قائلا انه سوف يتقدم بطلب بعض الكتب فيما بعد•• وطلب ان يوافيه بيتشيس باحدى الجرائد الصباحية ••

وانصرف بيتشيس ، مدركا ان المحامى « ويرين » عضو اتحاد الدفاع عن الحقوق المدنية قد يصل فى اية لحظة •• وفى الدهليز التقى بمساعده ويليام ماكلوبد فنقل اليه انطباعاته قائلا

ـ انه سجين غير عادى بالمرة .. شاب فى منتهى رباطة الجاش وعديم الانفعال على الاطلاق •• ويريد ان يرى ما كتبته الصحف عنه ••

ماذا تقول الصحف

الى جوار الاعمدة المستفيضة التى تحدثت عن الحادث نفسه وما احاط به •• عبرت الصحف عن سخط شامل لدى الرأى العام ازاء مصرع كنيدى اخر •• كما عبرت عن انقسام حاد فى الراى حول تحديد المسئولية عن هذا الحدث ومن الذى يجب ان يلام عليه ••

فالليبراليون يقولون ان المجتمع الأمريكى نفسه هو الذى يهيىء المناخ الذى سرعرع فيه الجريمة ·· بينما المحافظون يؤكدون ان المجتمع ليس فيه ما يعيبه وانما هم فقط قلة من الافراد ··

● قال جيروم كافانو – عمدة ديترويت – ان هذا الحادث يكشف لنا عن عمق المرض الذى اصاب أمريكا .

● وكارل ستوكس – عمدة كليفلاند – وهو رجل اسود – يعرف شخصيا الكثيرين من الرجال الذين تهبب المجتمع فى ايذائهم – يدعو الله « ان يطهر المجتمع نفسه من الحقد والعنف » .

● وريتشارد دالى – عمدة شيكاغو – يرجو هو واصدقاؤه الليبراليون ان يصدر الكونجرس قانونا فيدراليا لتقييد حمل السلاح « من هناك كثيرين – اكثر مما يجب – من الناس الذين يحملون السلاح دون ان ينبغى لهم ذلك »·· ودعا بعض أعضاء الكونجرس بالفعل الى وضع قيود صارمة حول حمل السلاح .. وهى قيود كان كنيدى قد ايدها من قبل ·· بينما قال عدد من النواب الجمهوريين انهم يفضلون صدور قانون يعالج الجريمة عن طريق وضع قيود خفيفة نسبيا حول حمل السلاح .. واقترح السناتور مانك مانسفيلد ، زعيم الديمقراطيين بمجلس الشيوخ تشكيل لجنة خاصة « لبحث الطرق والوسائل الكفيلة بالقضاء على العنف فى المسرح السياسى الامريكى » ··

المادية والعنف

● غير ان الدكتور دافيد ابراهامسن ، مدير مركز ليمبرج لدراسة العنف بجامعة براندیس كانت له وجهة نظر اكثر عمقا باعتباره عالما نفسانيا·· فقد قال ان انصراف الأمريكيين الى المادية ، يولد العنف

● اما ارثر شليزنجر الابن ، وهو صديق شخصى لكل من جون وروبرت كنيدى فقد تحدث فى ذلك اليوم فى بداية الدورة التدريبية لـ ٤٨ من طلبة الدراسات العليا فى جامعة سيتى بنيويورك ، فقال :

« ان الامريكيين هم اكثر شعوب هذه الأرض ارهابا ، لأن الشرور التى نرتكبها لا تكاد تثير اى نوع من القلق لدى ضميرنا الرسمى .. ولا يترتب عليها ما يجب ان يترتب من ادانة صريحة لقمننا الخلقية » ··

وكانما كان هناك اتفاق مسبق   عاز تنب   لقسادة السياسيين فى كاليفورنيا كانا يقدمان فى نفس اللحظة الدليل العملى على صدق نظرة شليزنجر

لقد توجه رونالد ريجان حاكم كاليفورنيا الى التليفزيون ليقول للناس انهم لا ينبغى ان يحسوا بعقدة الذنب الجماعى « ان مليونين من الامريكيين لم يفعلوا ذلك .. وانما هو شاب واحد فقط » ..

كذلك قال العمدة سام يورتى :

« هذا امر يمكن ان يحدث فى اى مكان » ..

ولكن الواقع انه لم يحدث فى اى مكان ، انه حدث فى لوس انجيلوس .. بكاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وقد ساد الشعور بالوجوم فى جميع انحاء الأمة .. حتى أن احدى محطات التليفزيون فى نيويورك الغت برنامجا لعرض بعض افلام الرسوم المتحركة للاطفال واكتفت بكلمة واحدة استمرت معروضة على الشاشة الصغيرة ، بلا اى صوت لمدة ساعتين ونصف ساعة .. هى « العار » .. وفى لوس انجيلوس ، ترك جيم موراى ، الذى يعد من افضل كتاب الرياضة فى البلاد - ترك الكتابة عن مباريات فرق البيسبول وعن الناديين الشهيرين « دريسديل » و « دودجرر » ليجلس الى الته الكاتبة ويبدأ مقالا عن « آل كنيدى » ..

قصيدة (ايفتشنكو)

وفى موسكو ، كتب الشاعر الروسى « يفجينى ايفتشنكو » - وكان قد تحدث الى روبرت كنيدى لمدة ٣ ساعات عندما زار امريكا عام ١٩٦٦ - قصيدة تحت عنوان « حرية القتل » جاء فيها :

لون تمثال الحرية
يكتسب شحوب الموت يوما بعد يوم
فانك يا امريكا ..
من فرط حبك لحرية الرصاصات ..
تطلقين النار على نفسك كل يوم

***

على باب الزنزانة ، ظهر رجل صغير الحجم فى عينيه بريق لامع ونظرة متسائلة وله لحية رمادية رائعة ، وقال ببساطة : « انا من الاتحاد الامريكى للحريات المدنية .. انا ال ويرين » ..

هز السجين رأسه باهتمام واشار الى « ويرين » ان يجلس على السرير ، وهمس قائلا :

« انت تعرف انني فعلتها .. انا اطلقت النار عليه » ..

واشار السجين بيده كانما يضغط على زناد خيالي لمسدس غير موجـــود وردد : « انا اطلقت النار عليه » ..

فهز ويرين راسه ، ولكن شيئا في صمت ويرين اثار غريزة الحذر لدى السجين ..

فسال

● هل وضعوا اجهزة استماع في هذه الزنزانة ؟

ـ لقد اكد لي المامور انهم لم يفعلوا شيئا من ذلك ..

وهنا اشار السجين الى مكانين لتوصيلات كهربائية في حائط الزنزانة .. متسائلا : « وماذا عن هذين ؟ » ..

ـ لقد أكد لي المامور انهم لم يزودوا الزنزانة بآلات الاســتماع وعلى ايــة حال ، فمن الأضمن ان تفترض انهم فعلوا ذلك ..

ـ حسنا .. اني اود ان اسمع من المامور بنفسه انهم لا يتصنتون على ..

ودق ويرين على الباب ، مستفسرا من الحارس عما اذاكان المامورموجودا..

وسال المامور : « هل استطيع مساعدتك ؟ »

قال ويرين ان السجين يريد ان يتاكد مما اذا كانت هذه الزنزانة مزودة باجهزة استماع ..

اجاب المامور : « ابدا بالمرة .. هذه الزنزانة غير مزودة باجهزة استماع »

فسال السجين : « هل تستطيع ان تؤكد ذلك .. كتابة ؟ »

قال المامور : « بحق الجحيم .. كلا .. ان كلمتي هي ميثاقي » ..

فهز السجين كتفيه وابتسم ، وبعد انصراف المامور طوح وسادته ناحيــة الجانب الغربي من فراشه وجذب ويرين الى جواره هامسا في أذنه :

« انا لم اذكر لهم اسمي .. ولكني ساخبرك..اسمي سرحان سرحان »..

وجعله ويرين يردد الاسم حتى يستوعب كيفية نطقه ..

وحـــدثه السجين عن أسرته في باســــادينا ، وطلب منه ان يذهب اليهم ليرى ما اذا كانوا على خير ما يرام ، وان يخبرهم بانه ـ اى سرحان ـ على ما يرام ايضا . وكان قلقا أيضا بشان سيارته ، قال « لقد تركتها بالقـــرب من مقر قيادة « كوتشيل » في شارع جانبي غير بعيد من ويلشير ، وفي داخلهــا بضع طلقات » ..

ساله ويرين عما اذا كان يستطيع ان يخبر البوليس عن السيارة ، فاطرق سرحان لحظة .. وعاد ويرين يقول ان البوليس يعرف اسمه الان .. وانه سمع منذ لحظات العمدة يعلن اسمه فى الراديو ، فقال له سرحان : انه يستطيع ان يخبر البوليس ، فسوف يعرف ذلك آجلا او عاجلا ..

وعاد ويرين يسأله ، لماذا طلب محاميا من اتحاد الحريات المدنية ؟ ..

فاجابه : « لانها تمثل الاقليات » ..

قال ويرين : « أجل .. انها كذلك » ..

فساله سرحان : « اذن فسوف تمثلنى ؟ » ..

قال ويرين : « كلا » ..

ـ لماذا ؟ ؟ ..

ـ أولا لاننى يهودى ..

فتاوه سرحان قائلا :

ـ أوه .. لقد انتهيت فعلا ..

قال ويرين : « سأحاول ان أكون صادقا معك .. انا ساجد لك محاميا .. فاتحاد الحريات المدنية مهتم بسير الاجراءات القانونية ، والحقوق الدستورية.. ولكن .. ليس هناك اى حق دستورى » ..

ومد ويرين ذراعه دون ان يكمل جملته ويقول .. « لقاتل » ..

هز السجين رأسه ، فقد كان الامر واضحا بما فيه الكفاية ..

وعاد ويرين يقول انه سيجد محاميا لسرحان ..

ـ اريد محاميا قديرا .. أريد احسن محام ..

فهز ويرين رأسه ، وهو يتساءل بينه وبين نفسه عن يستطيع ان يطلب اليه القيام بمثل هذه القضية ..

وكان لسرحان طلب اخير :

ـ قل لامى ان تنظف غرفتى ، فهى فى غاية الفوضى ..

لعل سرحان كان يأمل ان تجد أمه مفكراته التى تركها وراءه فى حجرته وتتخلص منها ، ولكن الوقت كان قد فات ، ففى اللحظة التى كان فيها سرحان يطلب من ويرين ان يبلغ آمه ان تنظف غرفته .. كان رجال البوليس السرى

ينجحون الكراسات بمزيد من الرضا ، وفي احدى الصفحات وجدوا سطورا ..
كانت ابلغ من كل ما يحلمون به ، اذ تقول :
الساعة ٩ صباحا ١٨ مايو ١٩٦٨ :

« ان تصميمي على القضاء على ر.ف.ك. « روبرت فيتزجيرالد كنيدى » قد اصبح اكثر فاكثر فكرة متسلطة ثابتة لا تهتز .. ر.ف.ك يجب ان يموت .. ر.ف.ك يجب ان يقتل .. روبرت ف. كنيدى يجب ان يقتال .. ر.ف.ك يجب ان يقتال قبل ٥ يونيو ١٩٦٨ .. روبرت ف. كنيدى يجب ان يقتال .. ارجو ان تدفعوا لحساب فلان ، فلان ، فلان ، « وكررها ١١ مرة » .. ارجو ان تدفعوا » ..

ماذا اكثر من هذا يؤيد سبق الاصرار ؟..

يوجين مكارثى

اخذت سيارة البوليس تشق الطريق فى المقدمة بصفارتها الصارخة وبداخلها السناتور يوجين ماكارثى ، اكثر شحوبا من اى وقت مضى ، وتوقفت امام القافلة المكونة من اربع سيارات امام مستشفى جود ساماريتان ، وبينما كان ماكارثى ينزل من السيارة السوداء الكبيرة اخذ صوت السرينة يتلاشى فى عويل حزين .. وكان ماكارثى قد اعد منذ ساعة ونصف ساعة بيانا يندد فيه بنظرية الفرد الواحد المجنون ..

فالسؤال عند ماكارثى كان : « لماذا » ؟ .. وقد تحدث فى بيانه عن « الاهمال الذى يسمح لظاهرة العنف ان تترعرع هنا فى ارضنا » .. وقال ان هذا العنف فى الداخل انما هو « انعكاس طبيعى للعنف الذى نفرضه نحن على بقية انحاء العالم » ..

ودلف ماكارثى الى داخل المستشفى حيث وجد نيد كنيدى وايثيل فى حالة « استراحة » فطلب من ريتشارد جودوين وبيير سالينجر ابلاغهما تمنياته.. ثم انصرف من المستشفى تحت حراسة البوليس السرى دون ان يدلى باى حديث اخر ، وطار من فوره الى واشنطن حيث قرر وقف حملته من اجل الرئاسة ..

حراسة على شقة نيكسون

وفى نيويورك ، اقام البوليس السرى حراسته حول شقة ريتشارد نيكسون فى الشارع الخامس . وكان نيكسون قد الغى جميع مواعيده لمدة اسبوع واعتزل العالم ..

كذلك دعا كل من تيلسون روكفلر ونائب الرئيس هيوبرت همفرى الى وقف الحملة الانتخابية ..

هل له صديقة

وفى قسم البوليس بنقطة رامبارت حجز البوليس عادل سرحان ومنيــــــر سرحان فى غرفتين منفصلتين وقـــــرر كل من الاثنين ان لا علم له بالمرة بنوايا شقيقهما ، ونفيا معرفتهما بتصرفاته ، وكان يبدو على الاثنين انهما يشعـــــران بخوف شديد ..

وكان واضحا ان منير ليس اكثر من غلام قلق فقد هرب من منزله فى سن الخامسة عشرة ، وقضى تسعة شهور فى السجن ، ثم ـ كما يبدو ـ اشتـــــرى مسدسا من تشيك ايرهارد فى فبراير ١٩٦٨ .

اما عادل سرحان فشاب مهذب ،مؤدب ، هادىء الحـــديث .. يعزف على العود فى ملهى « فيز » ويصنع اطارات للصور ، وبار بوالدته وسئل هل لديه صديقة ؟ .. كلا .. هل لشقيقه صديقة ؟ .. كلا .. او عشيقة ؟ .. كلا ..

اذاع البوليس فى الساعة الثانية عشرة والنصف نشرة رسمية لــكافة الهيئات ذات السلطة القانونية فى البلاد جاء فيها ما يلى :

٥ـ٦ـ١٩٦٨ ـ عاجل جدا .. اطلاق النار بقصد ارتكاب جريمة ..

وفى حجرة متهم يدعى سرحان بشارة سرحان وشهرته سرحان شريف بشارة .

قبل اطلاق النار رئى المتهم بصحبة فتاة قوقازية الملامح عمرها بين ٢٢ و٢٧ سنة ، وطولها ٥ اقدام ونصف قدم ، ترتدى ثوبا ابيض بكم ٣/٤ بوصة منقطا بنقط سوداء صغيرة ، وحذاء اسود ، وشعرها مصفف بطريقة بوفانت ..هذه الفتاة لم يتم التعرف عليها ولم يقبض عليها ..

اية معلومات عن الفتاة المذكورة اوصافها ترسل فورا الى قســم البــوليس السرى بنقطة رامبرانت ..

***

وفى بهو نقطة رامبرانت كان هناك اكثر من ٢٥ صحفيا مشــغولين باحاديثهم فى انتظار اية انباء رسمية جديدة .

قال مارتن كازيندوروف ، مراسل نيوزويك : « من يراهننى على انه هنــاك سيكون جديد لدى العمدة » ..

وكأنما كان كازيندوروف يتنبأ .. فان هى الا لحظة حتى كان احد رجال البوليس يخرجه من المكتب قائلا : انه تلقى طلبا من العمدة يسأل فيه عن عدد رجال الصحافة الموجودين هنا ، وما هى الصحف التى يمثلونها ؟ ..

وبدا الصحفيون يعلنون هوياتهم .. كان هناك ممثلون لوكالات « سوشيتد برس » و « يونايتد برس » و « رويتر » وصحف « التايمز » و « لايف » و « نيووزيك » ، وعدد من محطات التليفزيون ، و « سان فرانسيسكو كرونيكل » و « نيويورك تايمز » .. كانت اجهزة الاعلام كلها هنا .. وتساءل احد الصحفيين عما اذا كان العمدة سيأتى فى الحال فقال كازيندروف : سيأتى بالتأكيد .. ان هذا سيضعه تحت الاضواء ..

وبالفعل جاء العمدة ، ولكن بعد ان أسدل البوليس ستارا كثيفا من الكتمان حول شقيقى سرحان .. فقد دعوا الى المؤتمر الصحفى فى الساعة الثانية عشرة والنصف ، وبينما كان كل من هناك يتصايحون – بما فيهم بول أوديل مراسل التليفزيون « نريد صورة للشقيقين .. أين الشقيقين » وبينما كانوا يتدفقون على البدروم الذى عقد فيه المؤتمر كان الشقيقان يساقان بعيدا من خلال الباب الخلفى ..

وفى بدروم ، كانت القاعة تسبح فى ضوء ساطع .. قدم المفتش ماك كولى للصحفيين بعض التفاصيل حول منير وعادل سرحان ، قال المفتش :

روى منير سرحان ان شقيقه سرحان سرحان اشترى المسدس من شخص يدعى جورج ايرهارد منذ خمسة او ستة شهور فى مقابل ٢٥ دولارا .. وكان مسدسا من طراز ايفر جونسون عياد ٢٢ ويبدو ان سرحان كان يتدرب فى هوليود بارك .

وقد جاء منير الى نقطة بوليس باسادينا مبكرا صباح اليوم .. وبقدر ما نعلم فان احد من العائلة لا يحمل الجنسية الامريكية .. وأمه موجودة ، وقد التحق سرحان بجامعة سيتى بباسادينا .. وتقاريره طيبة ويتحدث عدة لغات من بينها الروسية ..

● هل كان لدى سرحان اسباب سياسية لاطلاق النار على السناتور كنيدى

أجاب المفتش ماك كولى :

– لقد سألنا منير ذلك .. ولكن لا اريد الخوض فى هذا الان ..

مؤتمر صحفى

وكانت هذه هى نهاية المؤتمر الصحفى ولكن ليس تماما فبينما كان الصحفيون ينصرفون بانتظام ظهر العمدة يورتى فجأة نازلا على السلالم .. وسأله صحفى يمثل مجلة لايف :

ـ ماذا تستطيع ان تقول لنا عن سرحان سرحان ؟

اجاب العمدة :

ـ حسنا •• انه عضو في عدد من المنظمات الشيوعية •• ومن بينهـــــا جماعة « الروزيكروشيانز » ••

● ولكن الروزيكروشيانز ليست منظمة شيوعية ••

فزفر يورتى : « حسنا » ..

واضاء رجال التليفزيون انوارهم وبداوا يصـورون ، وهـــرع المذيعون بميكروفوناتهم يضعونها تحت ذقن العمدة •• وتوقف هذا لحظة وهو يتلفـــت حوله •• ويبدو انه وجد « الحفلة » غير كاملة فقال مقترحا انه من الافضل العودة للداخل حيث المكان اكثر راحة ••

ومره اخرى يتدافع الجميع الى قاعة البدروم ، وكانت الساعة حينذاك الواحدة والرابع ، واتيح للعمدة يورتى ان يعقد مؤتمره الصحفى الثانى في يوم واحد •• واخذ ينطق باكبر سيل من المعلومات غير الصحيحة التى يستطيع ان يدلى بها رجل مسئول ..

قال العمدة :

« يبدو ان سرحان كان من ذلك النوع من الافراد الذين ينطـــوون على انحراف شيوعى •• فهو يحبذ الشيوعيين من جميــــع الانواع • وقد قال ان الولايات المتحدة يجب ان تسقط .. وذكر ان ر.ف.ك. يجب ان يغتــــال قبل ٥ يونيو ١٩٦٨ . كتب ذلك فى صفحة ١٨ مايو بمفكرة يومية وعندما اعتقل كان يحمل معه مقالا لدافيد لورانس حول دعوة روبرت كنيــــدى الى تزويد اسرائيل بالسلاح • •

وهرع المراسلون من فورهم ال ى الخارج ليبلغوا الانباء الخطيرة بالتليفـون بينما اخذ كازيندوروف يغمغم لنفسه « لقد فعلها يورتى مرة اخرى »•

مساعدة امريكا لاسرائيل

فى الساعة ١٥ر٢ كان هناك بضع مئات من المواطنين قادهم الفضول الى التجمع امام مسكن سرحان ودفع كثيرون منهم دولارا الى مصور شاب ••انتهز الفرصة ليلتقط لهم صورا تذكارية امام منزل المتهم •• وكان البوليس قـــد منع مرور العربات من الشارع ووقفت فرقة للحراســـــة حول المنزل •• وفى الداخل كان رجال مكتب المباحث الفيــدرالية يستجوبون ســعدالله سرحـــان :

شقيق آخر لسرحان .. واكتشف المذيعون بين الجمع الفضولي صديقة لعادل سرحان كانت تجلس حزينة على مقعد سيارته الفولكس واجن وكانت فتاة جذابة من اصل عربي ، يبدو عليها انها لا تستطيع ان تفهم شيئا مما كان يجري ، وقالت:

● لقد صدمنا عندما بدأت امريكا تساعد الاسرائيليين ، وتظاهرنا ضد الصهاينة في موكب نظمناه بشارع هوليود بوليفار وفي موكب اخر بشارع هوليود باول .. ولكن لم يكن هناك اي حديث او تفكير عن قتل كنيدي ..

وتطوع بعض الجيران لابداء رأيهم في سرحان .. قال احدهم انه شاب متدين جدا .. وقال اخر انه دائما لا يحب الاغنياء .. وقال ثالث انه " مجرد شاب عادي ، يهوى فك أجزاء السيارات والدراجات واعادة تركيبها من جديد !! وتحدث الجيران ايضا عن شقيقة له تدعى عايدة وهي الان مريضة ، وكانت تعيش من قبل في بالم سبرنجر وتحدثوا عن شقيقه عادل ومنير اللذين يعيشان هنا في المنزل ، وشقيقيه الاخرين شريف وسعد الله اللذين يقيمان بعيدا .. وقالت احدى الجارات ان سرحان سبق ان هرب من المنزل منذ سنوات .. « وكانت مخطئة في ذلك فالذي هرب من المنزل كان منير وليس سرحان » ، وقالت انه « كانت لديه اشياء لا يستطيع أن يوضحها لنفسه » ، أما والدته فكانت تعمل في مدرسة ممرضات ملحقة بالكنيسة المسيحية « البرسبيتيرية » .. وقال شباب الجيران ، وهم خليط من البيض والسود ، ان سرحان لطيف « ولكن هل كان شابا ساخطا ؟ » أجابت على هذا فتاة سوداء « ابدا .. لم يكن يبدو عليه ذلك » ..

وقد اثار شاب اخر في العشرين من عمره ، يبدو عليه الذكاء ، احتمال وجود مؤامرة عندما اقسم « ان شخصا ما اقنع هذا الغلام بقتل كنيدي » .. وقال كاتب بريد على معرفة بسعد الله يقف في ظل شجرة برتقال عبر الشارع انه لا يوجد ما يدعو الى الشك في ان يحمل سرحان أوراقا من فئة المائة دولار في جيبه « هذه هي عادة أبناء سرحان مع نقودهم » ..

وظهر « آل ريرين » وتحدث الى البوليس .. وعلم ان الام ماري سرحان موجودة حاليا عند بعض الاصدقاء ، فاخذ عنوانها وعاد الى سيارته التي كان قد اوقفها عند الناصية ..

وفجاة ظهر سعد الله منطلقا خارج المنزل في اعياء .. بقميص ابيض منشى وبدون كرافتة واجفل الجمهور مبتعدا عنه .. بينما مضى هو مندفعا عبر الشارع ، ووجهه غارق في الدموع ..

سرحان يرفض المحامى

وفى تلك الاثناء كان سرحان يتلقى زائرا آخر هو ايروين جارفينكل ، احــد المحامين المنتدبين فى مكتب المحامى العام .. غير ان سرحان لم يكن يولى ثقته لجارفينكل ، الذى يتقاضى اجرا فى نهاية الامر من نفس الجهـــة التى تدفع اجر المدعى العام وقال :

ـ سيدى .. انى لا اذكر شيئا بالمرة : عن اطلاق النار .. هل فعلـــت ذلك .. حسنا .. انهم يقولون لى انى فعلت ذلك ولكن ما اذكره انى كنت فى فندق الامباسادور .. حيث تناولت بعضا من مشروب توم كولينز .. واحسست بالدوار .. فعدت الى سيارتى لاذهب لدارى ولكنى كنت قد سكرت الى حـد لم استطع معه قيادة السيارة .. ورايت انه ربما يكون الافضـــل ان احتسى قدحا من القهوة .. وآخر ما اذكره بعد ذلك ان عددا من الناس كانوا يضربوننى واحدهم يلوى ركبتى ..

كان معنى هذا ان سرحان ـ كما قال ـ لايذكر شيئا بالمرة منذ اللحظة التى عاد فيها الى سيارته ، حتى بعد اطلاق النار بقليل .

مات المخ .. والقلب ينبض

الساعة الخامسة والنصف مساء .. والدكتور كونيو يتطلع الى جهـــاز تسجيل اهتزازات الموجات المخية ، ويلاحظ بجزع المنخفضات والمرتفعات التى يرسمها الجهاز تتقارب الى مستوى واحد ومعنى هذا ان المراكز العليا للمخ لم تعد تتلقى حاجتها من الدم ..

وفى الساعة السادسة كان الخط قد اصبح مستقيما ، اى لم يعد هنـاك نشاط ذهنى بالمرة .. وبمعنى اصح ـ لقد مات المخ ـ ولكن جهاز القلـــب يقول : بيب .. بيب .. بيب .. ان القلب مازال ينبض ..

ترى الى متى يمكن لهذا ان يستمر ..

جونسون يتكلم ..

فى منتصف الليل بتوقيت الباسفيكى ، ظهر الرئيس الامريكى ليندون جونسون على شاشة التليفزيون ليدلى برسالة خاصة ، قال فيها انه قــرر تشكيل لجنة تابعة للرئاســة ، لبحث اســباب العنف الذى ادى الى مصرع روبرت كنيدى ، واضاف :

« ومن الخطأ ايضا ، ومن نفس باب صراع النفس ان نستنتج من هذا العمل ان بلادنا مريضة .. انها قد فقدت قدرتها على الاتزان .. واحساسها بالسلوك المعتدل .. ليس المائتا مليون امريكى هم الذين ضربوا روبرت كنيدى بالامس .. لا .. وليسوا هم الذين ضربوا جون كنيدى عام ١٩٦٣ ، او مارتن لوثر كنج فى ابريل من هذا العام ، ولكن هذه الاحداث المفجعة ينبغى أن تحذرنا انه فى ظل مناخ التطرف وعدم احترام القانون وعدم ادراك حقوق الاخرين ، فان العنف يمكن ان يصرع افضل من فينا .. ان امة تسمح بالعنف فى اى شكل من اشكاله لا يمكن أن نتوقع منها ان تستطيع قصره على نتائج محددة

وقال جونسون ان اللجنة سوف تبحث فى اسباب ووسائل الحد من العنف فى جميع ارجاء البلاد ابتداء من « الجرائم التى يكون دافعها التحيز والايديولوجية والسياسة والجنون ، الى العنف فى شوارع مدننا .. بل حتى فى بيوتنا ..

« كان جونسون السياسى هو الذى يتحدث هنا » ..

وفى الطابق الخامس من مستشفى جود ساماريتان بلوس انجلوس حرص انصار كنيدى على مشاهدة التليفزيون .. راوا وجه جونسون المجدور وسمعوا صوته « المصرصر » وضحكوا ساخرين عندما اعلن أسم السناتور رومان هروسكا شيخ ولاية « نبراسكا » وهو من أشد أنصار اباحة حمل السلاح رئيسا للجنة دراسة اسباب العنف

اما الاخرون اعضاء اللجنة فكانوا لا يختلفون كثيرا وهم .

- الدكتور ميلتون ايزنهاور رئيس جامعة جونز هوبكنز فى بالتيمور وشقيق الرئيس السابق ايزنهاور .
- الأسقف تيرنيس كولد ـ اسقف نيويورك
- البرت جينر الابن ـ محام من شيكاغو كان عضوا فى لجنة وارين .
- باتريشيا هاريس ـ استاذة القانون بجامعة هوارد .
- ايريك هوفر ـ من رجال ميناء سان فرانسيسكو ومتفلسف .
- السناتور فيليب هارت ـ عضو الشيوخ عن ولاية ميشيجان ، وهو من قادة حركة الدفاع عن الحقوق المدنية ومعارض لفكرة تقييد حمل السلاح .
- النائب هيل بوجز ، من لويزيانا وهو « كرباج » الاغلبية فى مجلس النواب وعضو لجنة وارين .

● النائب ويليام ماكلوش ، من اوهيو ، وعضو اللجنـة التشريعيـة بمجلس النواب •

● ليون هيجينبوتام الابن – وهو قاض محلى ببنسلفانيا الشرقية وكان كل من هاريس وهيجينبوتام من السود •

⊙●⊙

الساعة السابعة بعد الظهر لاحظ الاطباء ان خط حـركة مخ السناتور مازال كما هو ، لا نشاط بالمرة •• وتبين ان السماعة عاجزة عن تسجيل ضغط الدم •• ولكن قلب كنيـــدى كان مايزال ينبض •• وتنفسه بمساعدة جهاز تنفس •• كان مايزال طبيعيا ••

وجاءت جاكلين

ثم وصلت جاكلين كنيدى ، وبصحبتها شقيقتها « لى » وستاس رادزويل• والله وحده يعلم ماذا فى قلبها من احاسيس وهى ترى بوب كنيدى راقدا هناك فوق مرتبة من الثلج ، وقد احاطت بجسده الانابيب والاسلاك التى كانت كلها تشير الى قرب نهايته ، كان امر شبيها بيوم دالاس •• ومختلفا عنه فى نفس الوقت ••

غريب .. وغير معقول .. ولا يمكن تفسيره .. نعم .. ولكن بلا فـوضى .. بلا فوضى على الاطلاق ، لان البوليس والاطبـاء كانوا قد بدأوا يتعلمون كيف يتناولون اغتيالات آل كنيدى ••

فلسطين وليست اسرائيل

ووجد كايزر ، وهوارد بنجهام مصور مجـلة لايف ، سعدالله سرحان فى مسكنه المكون من حجرة واحدة وحمام فى رقم ١٦٥٩ شارع تورث ليك ستريت، على بعد عمارتين من مسكن سرحان فى شارع هوارد • وكان المسكن يقـع فوق جراج فى مؤخرة العمارة • وطلب سعد الله من كايزر وبنجهام ان يوقعـا باسميهما وعنوانيهما ، كما طلب ان يطلع على بطاقتيهما كذلك ••

وبينما كان بنجهام يوقع باسمه ، اخذ كايزر يتطلع حوله ، كانت حجرة مشوشة لشاب اعزب •• على الارض سجادتان كبيرتان احداهما خضراء بزهور بيضاء ، مفروشة فوق سجادة اخرى متعددة الالوان واكبر منها قليلا •• وهنا وهناك تناثرت علب البيرة الفارغة ، وكان سعد الله يشرب احداها وهـو يتحدث مع المراسل ••

وساله كايزر عن عائلته .. كانت الام والاب وعادل سرحان ومنير وعايدة قد جاءوا الى الولايات المتحدة فى ١٢ يناير ١٩٥٧ .. وبعدها بستة شهور وصل الشقيقان الكبيران شريف وسعد الله ..

وسال المراسل - وابوك .. هل هو موجود ؟
فتطلع سعد الله الى المراسل بحدة سائلا :
- ماذا ؟ ..
- هل مات ؟ ؟ ..
- لا اعلم ..
- اين هو ؟ ؟ ..
- لا اعلم ..
- متى سمعت عنه آخر مرة ؟ ..
- منذ شهرين .. منذ شهرين كان فى القدس ..
- فى اسرائيل .. هه ؟ ؟ ..
- فصاح سعد الله :
- لا .. ليس فى اسرائيل .. بل فى فلسطين .. انى عربى فلسطينى .. لا تنس ذلك ..
- هل كانت لسرحان ميول شيوعية ؟ .
- هذه فرية . .
وعلا صوت سعد الله فى ثورة عارمة وهو يردد :

- هذه فرية ، هذا البيان الذى القاه العمدة يورتى محض اختلاق .. ان هذا الولد لم يفعل فى حياته ، ولم يكن فى نيته ابدا ، ولم يكن لديه اية فكرة عن اطلاق المسدسات .. هذا الولد لم يكن ابدا من هذا النوع .. هل وجدوا له محضرا واحدا فى سجلات البوليس ؟؟..
واستطرد سعد الله :

- انظر .. هناك فى هذه المدينة كثيرمن المثلين .. هناك ممثلون قادرون على اطلاق الرصاص على كنيدى .. ولكن اخى ؟ .. كلا .. انى بخبرتى لاقسم لك يا رجل ان سرحان لا يمكن أن يكون له علاقة بامثال هذه الحركات .

- هل قال سرحان يوما انه يود أن يرى كنيدى وقد انتهى ..
- كلا ..
- هل ناقش الحرب العربية الاسرائيلية ؟
- ليس فى حدود علمى ..

وبدا واضحا للمراسل الصحفى أن سعدالله قد اتخذ موقف الدفاع على طول الخط عن شقيقه .. فان جون ويدنر ، الرجل الذى استخدم سرحان فى متجره قال انه كان يتحدث كثيرا عن الحرب .. فلماذا الانكار ؟..

ملحوظة : شطب المؤلف نحو ١٥ سطرا فى التصحيح الاخير الذى قام به ، وكانت هذه السطور تحكى الازمة التى يتعرض لها عبدالله سرحان بعد أن زاره ممثل لمصلحة الهجرة ليخبره انه لن يستطيع الحصول على الجنسية الامريكية .. ثم انه كيف لا يجد عملا .. مع انه عامل فنى وكان من قبل يعمل على ماكينة بلاستيك تحول الواح البلاستيك الى مفاتيح وأزرار من النوع الذى يستخدم فى الاجهزة الالكترونية .

واخذ كايزر يتطلع حوله بمزيد من العناية فوجد على الجدار فوق الفراش الضيق « عودا » وصورة رخيصة للمسيح ، وقاموسا ضخما فوق منضدة صغيرة .. وراديو ماركة ادميرال على رف فوق السرير ، والى جوار السرير تليفزيون خفيف الحمل وجهاز تسجيل ومجموعة من نوت .. الموسيقى الشرقية وعدة مجلدات للمسرحيات الطويلة .

سأل الصحفى عبدالله سرحان عن الآلة الوترية فاذا به يعلوه الخجل ، قبل أن يتناول العود وليشرح ما هو .. وبعد الحاح بدأ يعزف عليه ، وكانت الموسيقى حزينة ، ولكنها أصبحت أكثر حزنا عندما كف عن العزف باصابعه واستخدم ريشة جناح طائر .

واسترعى نظر كايزر نسخة من جريدة « باسادينا اندبندنت » على وسادة سعد الله ، وعلى صفحتها الاولى مانشيت اطلاق الرصاص على كنيدى .. آخر التفاصيل .

وفجأة كف سعد الله عن العزف وصاح : ماذا تفعل ؟ فهز كايزر كتفيه ولكن سعد الله واصل صياحه استمر .. انظر كما يحلو لك !

غير أن كايزر استمر ينظر الى سعد الله قائلا :

ـ اظن سرحان كان يعمل سائسا فى احد ملاعب السباق ؟

اجاب سعد الله :

ـ بعد أن سقط من فوق ظهر جواد قالت أمى انه كان يشكو من حالة عصبية :

ـ تقول حالة عصبية ؟

فصاح سعد الله :

ـ كلا .. اقول انه كان يبدو فى حالة ذهنية .

ـ نتيجة لسقوطه من فوق الجواد .

ـ انا لا اقول نتيجة ! وانما اقول بعد السقوط ..

وكان احد الجيران قد اخبر كايزر ان سرحان زار القدس منذ نحو عامين وسأل المراسل الصحفي سعدالله عن هذه الواقعة .

وكانت اجابته بطيئة جدا : رزينة جدا .. قاتلة جدا .. اذ قال وعيناه تومضان :

ـ لقد .. نشا .. في ظل ثقافة .. الولايات المتحدة .. كليـــة سيتي .. با .. سا .. دينا !

نعم كانت وجهة نظر سعد الله ان هذه الجريمة اذا كانت كجريمة على الاطلاق فانها لا يمكن أن تقع الا في الولايات المتحدة .

وحاول بنجهام عبثا ان يقنع سعد الله بالتقاط صورة له .. واخذ يحاوره ويداوره لنصف ساعة واخيراً أخرج سعد الله من محفظته صورة أصغر من حجم صور جواز السفر يبدو فيها بشارب على عكس ما هو الآن .. وقال : خذ هـذه الصورة .

واخيرا لم يجد كايزر وبنجهام بدا من الانصراف وقد ظهر عليهما اليأس

ـ وداعا ..

قال سعد الله : وداعا .. ارجو ان تكرر الزيارة !

***

الخميس ٦ يونية ، الساعة ١٫٣٢ صباحا . كان يوما طويلا .. لا تكاد دقائقه تمر . وها هو قلب السناتور كنيدي الذي ظل ينبض لمدة اطـــول كثيرا مما قدر الاطباء . يبطيء خفقاته ، وها هي الفترات بين كل نبضة واخرى كما يسجلها جهاز قياس النبض تطول الواحدة بعد الاخرى . والنقطة البيضاء الصغيرة التي تتحرك على اللوحة تزداد تكاسلا .

ودبت موجة مفاجئة من النشاط .. ذهب البعض الى أقرب الناس من كنيدي الذين مازالوا ساهرين ليقدموا تحياتهم لآخر مرة الى جسد بوبي الحي ، مجرد الجسد الحي . وكاد قلب جورج بليمبتون يتمزق عندما دلف الى الغرفة ليرى اثيل كنيدي وهي تمسك متشبثة بيد زوجها ، بينما كل آل كنيدي مشغولين بفحص أجهزة قياس النبض ، هذا يقرأ اخر ما تسجله اللوحة ، وهذا يتأمل الانابيب ، وذاك ينظر في الاجهزة . واخيرا لم يبق سوى افراد الاسرة فقط ، ومعهم الاطباء الذين ما زالوا ينتظرون .

بيب .. بيب .. بيب .. بيب ..

واخيرا ، وفي الساعة الواحدة واربع واربعين دقيقـــة توقفت النبضات واستوى الخط الذي يرسم جهاز قياس النبض في خط واحد مستقيم ومال راس

الدكتور كونيو الى جوار رأس الدكتور بوبين . ثم هز الاثنان راسيهما .. فقد مات السناتور كنيدى .

وتحرك السناتور ادوارد كنيدى الى جانب اليــل واحاطها بذراعيه ممسكا بها بقوة .

وفى الساعة الثانية صباحا ، دخل فرانك مانكيفتش غرفة الصحافة عبــر الشارع للمرة الاخيرة . واختنــق صوته مرة أو مرتين ، ولـكنه قال ، ما كان عليه ان يقوله :

ـ لدى بيان قصير لكم .. وسأقرؤه عليكم هذه المرة .. فى الساعة ٤٤ر١ من صباح اليوم ٦ يونية ١٩٦٨ مات السناتور روبرت فرانس كنيدى . وكان الى جواره لحظة وفاته زوجته اثيل وشقيقتاه مسز ستيفن سميث وباتريشيا او لورد ، وزوج شقيقته ستيفن سميث ومسز جون كنيدى وكان عمره اثنين وأربعين سنة .

سجين غير عادى

هذه هى الليلة الاولى لسرحان فى السجن ، وهو لا يستطيع ان ينام . ومع ان قواه لابد قد استنفدت تماما الا انه لم يتمكن من النوم ، ولعل ذلك يرجع الى انه كان يشكو من الامساك والالم فى ركبته وفى أصبعه ، والى أن حلقـــه كان يزداد جفافا . ولـكنه اغفى قليلا فى الساعات الاولى من الصباح ، واستيقظ فى السادسة واخذ يحدق فى باب الزنزانة متسائلا عما يمكن ان يجىء به اليوم الجديد .

من المؤكد ان « الويرين » سيعود لقد وعده بذلك .. نعم ســيعود ويرين ليتحدث اليه .. ولكن ، ما العمل ما دامت هذه الزنزانة اللعينة مزودة باجهـزة استماع ، ونهض سرحان من فراشه ، ونظر ليرى ما اذا كان الحارس فى الخـارج يراقبه ، ثم تحرك الى الجدار الشرقى للزنزانة واخذ يحاول انتزاع الغطاء المعدنى الذى يغطى احدى التوصيلات الكهربائية ظنا منه ان جهاز الاســتماع قد يكون مخبأ هنا ..

ولـكن الحارس الذى كان يراقب سرحان لم يتصور انه يبحث عن شىء وراء التوصيلة ، وانما اعتقد انه يحاول قتل نفسه بالتيار الـكهربائى وفى دقائق كانت كافة التوصيلات مغطاة بصفائح معدنية سميكة ، وكلف أحد الحراس بالجلوس فى داخل زنزانة سرحان ، الذى تمدد فوق سريره الحديدى واخذ يرقب الحارس من خلال عينين نصف مغلقتين ، وهو يلعن ويسب بينه وبين نفسه .

وبعد الافطار ، جاء الدكتور كراهان ليطل عليه لمدة دقيقة واحدة .. ثم عاد فى الساعة ٢٥ر١٠ ومعه كاتب اختزاله المســـمى « بليك » وقال كراهان انه قرأ

ما كتبته الصحف عن سرحان .. وفهم انه كان يود ان يعمل « جوكيا » في السباق .. فاجاب سرحان بان محاميه نصحه بان يلتزم الصمت .

ـ يعني .. ستلتزم الصمت نهائيا ، ولا تجيب على اى سؤال ؟

قال سرحان :

ـ هذا يتوقف على موضوع السؤال ،. وما اذا كان له اية علاقة بالقضية .

فقال كراهان : « يجب ان يستجيب لنصيحة المحامى » .. ثم تحسدثا عن اصبع سرحان ، كان الورم قد خف نوعا ما ، اما الركبة والرسغ فلم يتحسنا كثيرا ، ولاحظ كراهان ان اظافر سرحان مشوهة بسبب قضمهما بالاسنان . فقال سرحان منفعلا بغضب :

ـ هذا مجرد افتراض تعسفى .. والآن يا سـيدى ، قل لى هل تريد أن تحاكمنى هنا ، ام ماذا ؟.. كيف تريدنى ان افهم تصرفك ؟ التطبيب فى الظاهر ، والتحليل النفسى في الباطن « ام هو العلاج ولا شيء سوى العلاج ؟ »

فاعترف كراهان قائلا : « بل الاثنان معا »

ثم عاد يحاول ان يهدىء الموقف ليسال اسئلته .. وقدم بالفعـل عددا من الاسئلة ولكنه لم يتقدم خطوة واحدة . واخيرا لزم الصمت وعلى فمه ابتسـامة لا معنى لها .

وفجاة قال سرحان : « انى احب ابتسامتك يادكتور كراهان .. انها تبدو مخلصة » .

فاجاب كراهان : « وانا احاول أن أكون كذلك »

عاد سرحان يمدد نفسه فى فراشه ، متحاشيا النظر الى كراهان محركا أصابع قدميه ، ونافخا دخان سيجارته ، وهو يبتسم ـ مثل كراهان ـ ابتسامة جوفاء ، ثم اشار الى كاتب الاختزال الذى كان مشغولا برصد تصرفات سرحان قائلا :

ـ هل هو يمارس تحضير الارواح ياسيدى ؟

فاجاب كراهان ، دون أن يفطن الى ما يعنيه سرحان :

ـ احيانا يخيل الى انه يفعل ذلك !

ففسر سرحان سؤاله قائلا : ان بليك يستمر يكتب ويسجل حتى اثناء فترات الصمت .. فلماذا ؟

وهز كراهان كتفيه ، مفكرا بينه وبين نفسه بان الذى امامه هنـا سجين غير عادى . انسان يقظ .. حريص .. رابط الجاش .. بل انه يبدو سـعيدا ومرحا ..

البحث عن مؤامرة :

وفى تلك الاثناء كان بوليس لوس انجلوس مشغولا للغاية ، فشاهدا العيان « سيرانو » و « دى بيرو » قدما من الاقوال ما يكفى لكى يرتاب البوليس فى أن هناك آخرين لهم علاقة بالجريمة .

هل هناك مؤامرة ؟ واذا كان الامر كذلك فمن هم المتآمرون الآخرون ؟

وهكذا انتشر رجال البوليس ومكتب المباحث الفيدرالى فى باسادينا وميدان سباق هوليوود بارك ومدينة كورونا حيث عمل سرحان لبضعة شهور ، واسطبلات الخيول فى سانتا اينتا ، وكان الهدف هو التحدث مع كل شخص عرف يوما ما سرحان ـ سرحان .

كذلك توجه عدد آخر من الضباط لزيارة كل شخص وقع على دفتر الدخول فى نادى .. « وادى سان جابرييل للصيد والبندقية » يوم ٤ يونية وتأكدوا من قصة هنرى كاربون بأن سرحان كان هناك يوم الثلاثاء « ٤ يونيو » يتدرب على اصـــابة الهدف وقد اتضح من دفتر التوقيعات وجود توقيـــع سرحان سرحان الى جوار ٤٦ اسما وعنوانا ، والى جوار ، عنوانه ٦٩٦ أ شارع هوارد .. وكان هذا غريبا ، لان مدير النادى لم يكن يعنيه كثيرا أن يوقع كل من يتردد على ساحة اطلاق النار . فاسم هنرى كاربون نفسه لم يكن موجودا ، ولا اسم تلميذه دافيد مونتلانو ، ولا اسم ميشيل سوكومان . وهو طالب جامعى من مونروفيا ، وقدم نفسه الى بوليس لوس انجلوس لانه كان قد تصادف أن أمسك بيده مسدس سرحان فى الساحة ، وخشى أن يكتشف البوليس وجود بصماته عليه ويتهمه بالاشتراك فى الجريمة . وقد أطلعه رجل البوليس السرى « براون سوكومان» على صورة سرحان فقال :

ـ أجل .. هذا قطعا هو نفس الشخص الذى قابلته فى ساحة اطلاق النـــار وقد أطلقت مسدسه كما أطلق مسدسى . وقال لى انه اشـــترى مسدسه بأربعين دولارا .. وانه يتدرب عليه منذ أربعة أشهر .. وكان بالفعل حسن التصويب .. وقد توجه نحوى مشيرا الى مسدسى وقال : « انه لا بأس به ، وهو ثقيل نوعا ما .. هل أستطيع مشاهدته .. فطلبت منه أن يجربه اذا كان يريد ذلك ، فأطلقـــه مرتين ، وسجل به أفضل اصابتين فى لوحة الهدف التى كنت أتدرب عليها .. ثم ذهبت أنا الى موقعه واطلقت مسدسه بدورى مرتين .. ولكنى وضعته جانبا لانى خشيت ان ينفجر فى يدى .. وكان يستخدم الطلقات الفارغة والمسدس يبدو كأنه قطعة من الخردة القديمة ، وسألته لماذا يستخدم الطلقات الفارغة فقال انها كانت كل ما معه .. ولكنى لاحظت أن معه بعض علب من نوع أرخص من الرصاص . فقال

لى انه يعتزم الذهاب فى جولة صغيرة . فقلت له انه من الصعب أن يصطاد بمسدس كهذا من عيار ٢٢ الا انه قال : « حسنا » انه يستطيع أن يقتل كلبا .

هل كان وحده ؟

ولكن هل كان سرحان بمفرده فى ساحة اطلاق النار ؟ أجاب كل من سوكومان وموتتلانو وكاريون انه كان وحده ، ولكن مدير الساحة ، ايفرين بوكيز يقول شيئا آخر .

فقد ذكر لرجلى البوليس السرى « ويرين » و « سينجهاوس » ان فتاة شقراء فاتنة كانت ترتدى ثوبا فاتحا جاءت الى مكتب السباحة بعد وصول سرحان بقليل ويصحبنها رجل آخر . واطلعت بوكنر على مسدسها قائلة : هذا هو أول مسدس أملكه فى حياتى .. أما رفيقها الذى كان يحمل بندقية فقد تركها وتوجه الى الطرف الجنوبى من الساحة المخصصة لاستخدام البنادق . بينما اختارت هى موقعا قريبا من موقع سرحان . وتوجه سرحان اليها قائلا : دعينى أعلمك كيف تطلقين المسدس .. ولكنها كما قال بوكنر للبوليس قالت : ابتعد عنى .. اللعنة .. والا فسوف يتعرف علينا البعض .

تفتيش سيارة سرحان

كذلك تبين أن سيارة سرحان تحمل بعض الادلة ، فعلى أثر المخالفة رقم ١٧٩٣ التى حررت مساء يوم ٥ يونيو ، فتش الملازم « البين هيج » السيارة وقيد محتوياتها ، فوجد طلقتين فارغتين على المقعد الامامى ، وطلقة سليمة من عيار ٢٢ .. وفى « تابلوه » السيارة وجد محفظة سوداء من الجلد تحتوى على رخصة القيادة الخاصة بسرحان ، وعدد من بطاقات الشخصية ودولار كندى ، وحلقة مفاتيح بها ٦ مفاتيح ، وميدالية نقش عليها رقم رخصة السيارة « توج و س - ٩٣ » ، وعلبة فارغة كتب عليها « مينى - ماج - عيار ٢٢ وموسى حلاقة ماركة « اتشى - بى » و ١٥٠ طابعا صغيرا أزرق ، وعديد من الفواتير ، وورقة يانصيب من «سانتى اليزابيث ويسترن فيستا » سحب ٢٠ و ٢١ مايو وجائزتها الاولى سيارة بونتياك فايربيرد موديل ١٩٦٧ وصورتين لرجل يمتطى صهوة جوادوصورة أخرى لعدد منالخراف ، وعدةعلب كبريت من محل «شاركيز بيزا بارلور» بشارع فوت هيل بوليفارو فى باسادينا ، وعلى المقعد الخلفى كان يوجد كتاب بعنوان « الشفاء .. الفن المقدس » تاليف مانلى بالمرهول ، وكيس من الورق كتب عليه « جاك انكرى بوكس » وأربع صحف هى « لوس انجلوس تايمز » عددا ٤ و ٥ يونيو و « كريستيان ساينس مونيتور » عددا ٢ و ٤ يونيو ولكن أهم ما فى هذا كله كانت

بطاقة من محل « لوك ، ستوك باريل » لبيع أحسن الاسلحة ٨٩٧٢ شارع ايست هانتنجتون درايف ، سان جابرييل ، وفاتورة بمبلغ ٩٩ر٣ دولارات من نفس المحل بتاريخ اول يونيو ١٩٦٨

وثار هذا السؤال :

هل كان سرحان وحده عندما اشترى الطلقات من عيار ٢٢ فى اول يونيو ؟

قال « لارى ارنوت » وهو رجل مطافىء سابق من باسادينا تقاعد بسبب عدم لياقته ، فاشتغل كاتبا فى محل لوك ستوك باريل ،ان سرحان جاء فى الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم أول يونيو وكان برفقته رجـــلان ، يبدو عليهما منتهى الخطورة ، ولايتكلمان الا قليلا ، وانصرف الجميع بسرعةبعد شراء سرحان لعلبتين من الرصاص عيار ٢٢ ماركة « مينى ماج » وعددا من الطلقات الفارغة واشترى أحد الرجلين الاخرين علبتين ماركة « سوبر اكس ويسترنز » وقال ارنوت انه قيـــد الصناديق الاربعة تحت رقم واحد هو ٢٣٧٢ ..

ولكن من كان الرجلان الآخران ، لقد أطلع ارنوت على صور سرحان واشقائه فتعرف على صورة سرحان قائلا انه الشخص الذى اشترى منه علبتى المينى ماج .. كما تعرف على صورة منير سرحان كأحد الشخصين الآخرين .. ولكنه لم يستطع أن يتعرف على الشخص الذى اشترى علبتى السوبر اكس ويسترنز

وننتقل الى « و.ج.وودو » وهو جيولوجى كان يعمل فى الشرق الاوسط وجاء ليبلغ البوليس انه كان يعملأحيانا متطوعافى المقرالانتخابى لروبرت كنيدىفىرقم ٥٦١٥ شارع ويلشير مساء يوم الاحد عندما وصلالىسمعه حديث باللغةالعربية، قال : كانوا ثلاثة رجال يتحدثون بلهجة أردنية واضحة .. وسمعت أحدهم يقول انه لن يكون فى الفندق غدا مساء ، ولكننا نستطيع أن نناله فى الليلة التالية ..

غير ان هناك فتاة شقراء فاتنـــة سنعرفها هنـا باسم « مارى افيلا » كانت لديها قصة أخرى ..

فى وقت ما ، فيما بين الساعة الثالثة والرابعـــة من بعد ظهر يوم الاثنين ٣ يونيو كانتتقف بسيارتهافى اتجاه الغرب بشارعميلروز بالقرب منميدانسانت اندرونه ، عندما شاهدت سيارة فورد ذات لون ازرق لامع من طراز ١٩٥٩ تتقدم لتقف امامها .. وقفز منها شاب تنطبق صورته على صورة سرحان ، واخذ يتحدث بحدة الى رجلين كانا يجلسان فى المقعد الامامى . وتطاير ذيل سترته لتلاحظ مارى بفزع انه يحمل مسدسا مثبتا فى حزام سرواله وسمعت احدهم ينطق اسم «كينيدى» و « هيا بنا .. يجب ان نناله هذه الليلة » وهو يقول « لا أريد .. انا خائف ».. ثم ـ كما تقول ـ انتبه الرجل الذى كان يحمل المسدس الى انها ترقبه . فقفـــز

عائدا الى السيارة والرعب ماثل فى عينيه .. وكانت مارى فى هـــذه اللحظة قد اوقفت محرك سيارتها واخذت تدور ببطء حول الفورد الزرقاء ونظرت بداخلهـــا .. فرأت المقعد الخلفى مغطى بفراش من الفرو الابيض ، وعليه بندقيتان .

وكان « جوان روبيرو » عامل الاوتوبيس الذى امسك براس كنيدى بين يديه وهو طريح فوق أرض غرفة الكرار بفندق الامبسادور قد حدث البوليس من قبل عن رجلين لا يستطيع وصف ملامحهما جاءا الى مطبخ فندق الامباسادور يوم الاحد ٢ يونية فى محاولة للحصول على معاطف بيضاء شبيهة بتلك التى يرتديها عمال الفنادق .

وقالت احدى الجرسونات بالهمبرا للبوليس انها فى صـــباح ٤ يونيو ، وفى حوالى الساعة العاشرة ، شاهدت شخصا يشبه سرحان وبصحبته رجل آخر ، وكان الاثنان يرسمان شيئا يشبه خريطة . فهل يمـــكن ان تـكون هذه هى نفس الخريطة المرسومة بالحبر الاحمر والقلم الاسود التى وجـــدت وسلمت لمكتب الاستقبال بفندق الامباسادور فى الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ٥ يونيو؟

* * *

وجورج جرين ، وهو رئيس منظمة للسود الامريكيين تسمى منظمة « الصور الجديدة » قال هو أيضا للبوليس انه قبل اطلاق النار على كنيدى بنحو نصف ساعة شاهد سرحان فى مطبخ الامباسادور بالقرب من الصحفيين الذين كانوا متجمعين حول فرانك مانكيفيتش أوبيير سالينجر . وكان بصحبته ـ كما يقول ـ رجـــل آخر طويل نحيل أسود الشعر ، وفتاة فى بداية العشرينات من عمرها جميلة الملامح وترتدى ثوبا منقطا ، وانه فيما بعد عندما أقبل بسرعة داخلا المطبخ على أثر اطلاق الرصاص مباشرة ـ شاهد نفس الرجل الطويل النحيل ، والفتاة ذات الثـــوب المخطط يشقان طريقهما خارجين من المطبخ ويضيف جرين :

كانا هما فقط اللذين يحاولان شق طريقهما للخروج من الغرفة ، بينما كـل واحد آخر كان يحاول الدخول .

* * *

والى جانب هذا ، فان البرت اليس ، الذى كان يقيم فى نفس غرفة جون شامل أحد مديرى فندق الامبسادور قال لمكتب المباحث الفيدرالية انه أثنـــاء الضجة والفوضى عقب اطلاق الرصاص فى حجرة الكرار سمع صوتا نسائيا يهتف : لقد قتلناه ، ولكنه لم ير من قالت هذا ، ولا يستطيع أن يميـــز الصوت بأية خاصية معينة .

اكتشف كل من رجال مكتب المباحث وبوليس لوس انجلوس ان سرحان كان قليل الاصدقاء ، فمعظم الذين عرفوه كانوا لا يعرفونه جيدا . ومن بين الذين اكتشفهم رجال مكتب المباحث شاب قصير بدين يدعى « والتر كرو » اعترف انه هو وسرحان كانا زميلين منذ الصف السادس حتى السنة الثانية بكلية باسادينا سيتى ، وبعدها افترقا ، اذ انتقل كرو الى جامعة لوس انجلوس حيث حصل على شهادته فى التاريخ ، بينما ذهب سرحان للعمل مع الخيول . وأضاف كرو :

« وعندما عدت فى مارس رأيت سرحان للمرة الاولى بعد عامين .. وكانت امه قد سألت أمى لماذا لم أعد أرى سرحان فطلبته فى التليفون ذات مساء ، والتقينا فى « بويزبيج بوى » بالقرب من كلية باسادينا سيتى ، وزرنا معا بارين مكشوفين حيث احتسينا البيرة ، وأنهينا المساء بتناولنا بعض السندوتشات فى مطعم « ايرنى » بشارع كولورادو بالقرب من فيرباكس .

مشكلة الشرق الأوسط

وسأل رجلا المباحث الفيدرالية « مورنو الابن » و « وارفين ويلز » عما تحدثان فيه .

فقال كرو :

تحدثنا عن دراستى فى جامعة لوس أنجيلوس ، وعن الشرق الاوسط وفى السياسة ..

ـ ماذا عن الشرق الاوسط ؟

قال كرو أنه رغم كل آمال سرحان فى عبد الناصر الا أنه يحس بأنه من الصعب استعادة العرب للارض التى فقدوها فى حرب الايام الستة .. وقد تحدث كذلك عن المنظمة الفدائية العربية « فتح » وبقدر ما يعرف كرو ، فان سرحان لم تكن له أية صلات بمنظمة فتح .. وأضاف كرو ان سرحان كان يؤمن بأن فتح قد ساعدت كثيرا على رفع معنويات العرب ولكنه شخصيا كان يعتقد ان الحل الحقيقى لمشكلة الشرق الاوسط سيأتى عندما ينظم العرب داخل اسرائيل انفسهم ويعملون على تغيير الدولة العنصرية الدينية الى دولة « علمانية غير عنصرية » .. وقال كرو : ان سرحان كان يبدو غير مهتم كثيرا بالسياسة .. وأنه كان فى الواقع كثير الشكوك عند أى حديث حول الايديولوجية ، وانما كل ماكان يريده هو المال وكثير من المال .. واحس كرو انه أصبح هناك بين الصديقين ما يشبه الحاجز .. لان كرو قد ذهب الى جامعة لوس انجيلوس ، بينما انقطع تعليم سرحان .

سئلة غبية

قال كرو : كان سرحان دائما شخصا متقلب المزاج .. تراه يوما فى احسن حال وفى اليوم التالى فى اسوا حال .

ويقول كرو : انه لم يبلغ رجال المباحث بكل هذا فى اول لقاء له بهم .

« لقد سالونى اسئلة غبية .. مثل : هل كان سرحان يدمن العـــادة السرية ؟ .. هل كان يشد شعره ؟.. هل حاول الانتحـــار مرة او اكثر من مرة ؟ .. وقد اجبتهم على كل هذا بانه لم يكن من محبـــذى العنف ابدا .. ولكنى عدت فصححت ذلك فيما بعد » .

وقد واتت كرو الفرصة لتصحيح اقواله فى اليوم التالى .. فقد ذهب رجلا المباحث نفساهما الى منزل اسرته فى باسادينا واخذا كرو معهما حيث وضعاه فى المقعد الخلفى للسيارة ، وقال احدهما :

« نحن الان نعرف كل شيء عنك ، انت شيوعى » .

وتملك الفزع كرو ، بينما كانت السيارة تسرع مبتعدة ، ولكنهما لم يبتعد لاكثر من بضع عمارات ثم توقفا بالقرب من ملعب جولف مجاور واخذا فى استجوابه ، وقال احدهما :

ـ ان مسالة وجود مؤامرة مشـــارة فى الوقت الحاضر .. وربما كانت مؤامرة اشترك فيها الحزب الشيوعى .. ان الرأى العام والكونجــــرس ، ورئيس الولايات المتحدة كلهم يريدون أن يعرفوا .. ومن حقهم أن يعرفوا ..

فهز كرو راسه ، واستطرد رجل المباحث يقول :

ـ وقد يطلب منك أن تدلى بشـــــهادتك فى المحكمة أو امام الكونجرس نفسه عن ذلك .. فهل تفهم هذا ؟

قال كرو انه يفهم .. وبدا يقول كل شيء ..

ناد سياسى

فى عام ١٩٦٥ شارك كرو فى تاســـــيس لجنة طلابية للدفاع عن حقوق السود ، وفى الواقع كان هو المنظم الرئيسى للجنة .. كذلك بدا ينظم فــرعا لجماعة « الطلاب من أجل مجتمع ديمقراطى » .. ولكنه وجد الطلاب ـ بما فيهم سرحان اكثر تبلدا من ان يقيموا مثل هذا الفرع .

وفى جامعة لوس انجيلوس انضم كرو الى نادى « دى بوا » .. وفى ١٩٦٦ حضر المؤتمر القومى لجماعة « دى بوا » فى شيكاغو وفى أواخر ١٩٦٦

او اوائل ١٩٦٧ اغلق النادى أبوابه فى جامعة لوس انجيلوس ، فأنشأ كرو وسبعة آخرون ناديا للطلاب يتبع الحزب الشيوعى الامريكى .

سأله رجل المباحث بأى هدف ؟

فأجاب : بهدف اجراء مناقضات سياسية .

ـ ولكن ماذا عن سرحان ؟

قال كرو : ان سرحان لم يكن أبدا عضوا فى نادى دى بوا أو النادى الشيوعى ، كان يميل الى اليسار سياسيا ، لكنه كان غير منظم .

وعاد رجل المباحث يسأل كرو : وماذا عن اللقاء الاخير مع سرحان ؟

كانت ذاكرة كرو أفضل هذه المرة .. فقد تم هذا اللقاء فى ليلة ٢ مايو ، وفى اليوم التالى كان كرو يتولى عمله فى ادارة الشئون الاجتماعية بلوس انجيلوس ..

وقال كرو فى عصبية :

« تحدثت مع سرحان عن علاقاتى بالحزب الشيوعى ، وقلت ان الحزب فى روسيا والحزب فى الولايات المتحدة لا يعملان فى انساق واحد وان الحزب فى روسيا يساعد العرب بالسلاح ضد اسرائيل .

ولكن هل كان كرو يعتقد ان مثل هذه المعلومات يمكن أن تؤثر على سرحان !؟

اجاب كرو على هذا بقوله :

ـ كيف لى ان أعرف ماذا يؤثر على سرحان .. أنه لم يقل لى أبدا أن هذه كانت معلومات هامة بالنسبة اليه .. ولم يفاجأ بهذا الذى قلته له .. ولم يشر آية اشارة تنم عن أنه استمع الى شىء جديد وانما فقط كان يستمع الى ..

وماذا عن الاعضاء السبعة الآخرين فى نادى كرو ؟

ـ انا لم اخبر سرحان بالمرة عن اسمائهم . وأنا لا آتجول فى الشوارع لاجند الاعضاء للحزب الشيوعى .. وسرحان لم يكن معنيا بالاتجاهات الاشتراكية ، فكيف اسعى لتجنيده للحزب الشيوعى ؟

ولكن رجلى المباحث الفيدرالية الجالسين فى المقعد الامامى استمرا يرقبانه فى برود ، بينما واصل كرو كلامه قائلا :

ـ انظر .. أنا أدرك تماما هذه الورطة لقد سمعت العمدة يورتى وهو يقول ان سرحان كان يؤمن بأهداف الحزب الشيوعى وكل ما ارجوه من الله ان

تكون التواريخ التى ذكرها العمدة يورتى مطابقة للقائل مع سرحان فى ٢ مايو .. كما انى ارجو الله الا اكون قد اثرت على سرحان اى تاثير يدفعه الى قتل السناتور كنيدى .. انا لا اتصور ان اى شىء قلته لسرحان يمكن ان يكون قد حرك لديه اى دافع .. ولكنى لا اعرف اى انسان اخر يستطيع التاثير على سرحان .. كل ما اعرفه انى كنت معه وبعد بضعة اسابيع قتل كنيــدى .. وهذا ما يقلقنى .. انى ارتعد لمجرد تصورى انى قد اكون مسئولا عن احــدى جرائم العصر ..

وكانت فعلا كلمة بليغة . فان مجرد اعتراف كرو بخشمينه من ان يكون مسئولا عن جريمة هذا العصر كان كافيا لاقناع رجلى المباحث بان هذا الشاب المثالى لا يمكن أن يكون متآمرا ..

وعاد به الرجلان الى داره .

خطابات التهديد

الجمعة ٧ يونيو .. وسرحان قد استقر به المقــام فى سجن نيوكاونتى ، واجراءات الامن ما زالت على اشدها . فقد تدفقت على السجن مئات خطابات التهديد ، حصرها مكتب المأمور ، وأعطى كلا منهما رقما وملفا خاصــا . . واستطاعت بالفعل احدى السيدات ان تصل حتى حجرة المدعى بالســـجن وفى شنطة يدها مسدس . وجاء وارين كريستوفر مساعد المدعى العام من واشنطن ليزور السجين وبصحبته اثنان من كبار موظفى وزارة العدل وتمت الزيارة تحت حراسة مشددة من المأمور « بيتسسيس » ونائبه بيل ماكلويد ومساعد المأمور « جيم دونى والمفتش رالف ويلتش » ولكن كبير الحراس « مونتاج » الذى كان قائما بالعمل فى كشك الادارة المركزى المعزول تماما ، طلب من الزوار الغرباء ان يدخلوا من خــلال بوابة مكهربة ، وأحكم اغلاقها خلفهم ثم سأل المأمور بيتسسيس : هل أنت هنا يا ســيدى المأمور تحت اى ضغط ؟

فتلعثم المأمور لحظة قبل أن يجيب بان الزوار لا غبار عليهم .. والواقــع انه سر من هذه المظاهرة التى دلت على منتهى المبالغة فى الحــذر .. فهؤلاء القادمون من وزارة العدل .. من الممكن ان يكونوا قادمين من المريخ .. ومعهم بنادق اشعة يهددون بها المأمور ورجاله ..

صحب بيتسسيس الزوار الى جناح سرحان وسمح لهم ان يلقوا نظــرة على السجين من خلال الكوة الزجاجية المغطاة باسلاك لكى يطمئنوا الى انه حى وفى حالة جيدة .

قصة سرحان كما ترويها مجلة لايف

اذا وضعنا فى الاعتبار كل الضغوط الرهيبة والصمت الرسمى الذى أحاط بالمتهم فيما عدا ما تطوع به العمدة يورتى بجرأة ـ فان الترجمة السريعة لحياة سرحان التى قدمتها مجلة لايف جاءت أكثر من كافية .. قالت لايف :

ولد سرحان ، لابوين مسيحيين عربيين فى مدينة القــدس القديمة ، وكان من بين الابناء الخمسة الذين انجبهم بشارة سرحان : وزوجته مارى ، اكثرهم ادبا واجتهادا وذكاء وكان بشارة سرحان يضرب اولاده . ويقــول الجيران أنه شوهد مرة يكوى كعب سرحان بقضيب ملتهب . وفى عام ١٩٤٨ عاش سرحان الطفل أهوال الحرب فى مدينة القدس ذاتها ، ثم جاء الى الولايات المتحدة بصحبة ابيه وامه واثنين من اشقائه وشقيقة اخرى . ولكن أبـوه مالبث ان تركهم وعاد الى فلسطين ، والتحق سرحان كطالب خجول بمدرسـة « جون موير » الثانوية بباسادينا ، وتخرج فيها ، ليدرس عامين فى كليــة باسادينا سيتى . ثم حاول ان يعمل جوكيا فى السباق .

وكان سرحان يتدرب على الركوب فى مزرعة للخيــول تسمى « جرانجا فيستا ديل ريو » فى كورونا بكاليفورنيا ، ولكن فى صباح ذات يوم من أيام سبتمبر ١٩٦٦ تحطمت اماله حيث سقط سقطة مؤلمة من فوق ظهر جــواد جامح ، ونقل الى المستشفى مصابا بالجروح والرضوض ، واضــطر الى التخلى عن فكرة العمل فى السباق وطالب بالتعويض عن اصابته وفقا لقانون تعويض العاملين فى كاليفورنيا .

وبينما كان يناضل من أجل هذا ، وجد عملا كصبى مخزن سائق بأحد محال بيع الاغذية الصحية فى باسادينا . ولكنه رفض أن « يهين » نفســه هناك بارتداء المريلة ، وترك العمل بعد ستة شهور عندما أبدى صاحب المحـل استياءه للطريقة التى كان يؤدى بها مهمة معينة .

وفاز سرحان بتعويض قدره ٢٠٠٠ دولار عن اصابته .

وقد حز فى نفسه كثيرا تأييد روبرت كيندى الواضح لاسرائيل فى حربها ضـد العـرب ..

وتقول مجلة لايف ان سرحان كما يبدو نموذج كلاسيكى للمجرم السياسى .. صغير الحجم .. شديد الكبرياء .. مؤدب . مقهور . وينطوى على سر يملا وجدانه ويصل الى مستوى العقيدة .. ذلك هو القومية العربية » ..

البحث عن محام

فى يوم الجمعة ٧ يونيو أى فى اليوم الثالث بعد وقوع الحادث ، وبينما كانت المحكمة العليا تعدل صيغة الاتهام الى تهمة القتـــل ، كان روبرت كايزر يعرف كيف يجد القصة الحقيقية انها هناك فى داخل ذهن سرحان .

واتصل كايزر تليفونيا بمحامى الحريات المدنية « ال ويرين » ليســـأله : هل توجد أية وسيلة يستطيع أن يتحدث بها الى سرحان ؟ » .

قال ويرين : « كلا .. اعتقد أنه لا توجد » .
فقال كايزر انه يدهشه أن يقول ويرين « لا » بهذه السرعة .. وأضاف :

لقد تحدثت منذ لحظة الى جرانت كوبر حول التخريجات القانونية بهـــذا الشأن وقال لى ان مطلبا كهذا ليس مستحيلا استحالة قاطعة » .

وسادت فترة من الصمت عند الطرف الاخر من الخط .

كان كايزر يعلم جيدا أن ويرين يعد واحدا من أكبر المحامين الدستوريين فى البلاد . وانه قد يكون هناك منفذ دستورى على أساس ان الفرد لا يفقـــد حقوقه بمجرد اتهامه .. ومن بين هذه الحقوق حقه فى حرية الـــكلام . فاذا كان سرحان يريد أن يتحدث مع كايزر ..

وسأل ويرين :
ـ هل تعرف جرانت كوبر ؟.

لم يكن بالمدينة كلها تقريبا صحفى واحد لا يعرف جرانت كوبر . ففضـــلا من أن كوبر قد ترافع فى عدد من أكثر القضايا شهرة فى تاريخ كاليفورنياالحديث بما فى ذلك قضية الدكتور « برنارد فينش » وعشيقته الممرضة كارول تريجوف اللذين اتهما بقتل مستر فينش ، فانه أيضا كان يعطى الكثير من وقته من أجل تطوير مهنة المحاماه . فقد كان رئيسا لرابطة المحامين بلوس انجلوس واحـــد الاعضاء المؤسسين فى الكلية الامريكية للمحامين ، وعضو لجنة خاصـــة مهمتها تحديد العلاقات بين القانون والطب النفسى ، ومشتركا فى لجنة كـــونتها رابطة المحامين الامريكيين للبحث عن وسيلة للتوفيق بين عاملين متناقضين .. الاول توفير محاكمات عادلة لكافة المتهمين .. والثانى حرية الصحافة فى الـــكتابة عن المتهمين ، وكان طبيعيا امام كل هذا أن يكون كوبر موضع اهتمـــام الصحف ، ولكن الشىء الاهم .. هو أن كوبر كان يعرف كايزر شخصيا ..

لقد كان ويرين يفكر في طلب سرحان أن يجد له محاميا ، لذلك استأنف حديثه التليفزيوني وسأل كايزر : « هل تعتقد أن جرانت كوبر يقبل الترافع في هذه القضية ؟ » .

فقال كايزر انه يعتقد بأن كوبر لا يستطيع ذلك ، لأنه في يوم الاثنين القادم يبدأ نظر الدعوى المرفوعة من الدولة ضد ستة مقامسرين بتهمة التآمر لغش وخداع شخصية معروفة في هوليوود وسلبها بضعة الاف من الدولارات ، كان احد هؤلاء المقامرين متهما باستئجار رجل يراقب المقامرين من ثغرة في سقف نادى « فريارز » ببيفرلى هيلز ، ثم يبعث اليه باشارات بواسطة جهاز الكترونى .. وقد وكل هذا الرجل كوبر عنه في القضية .

ولكن ويرين قال : حسنا .. اذا كان مستر كوبر لا يمانع في قبول هذه القضية ، فاننا نستطيع ان نؤجلها . فهل تتفضل بمفاتحته مرة أخرى ؟ انى أرجو أن يدرس بجد امكانية قبوله الترافع في هذه القضية .

والواقع أن كوبر كان اختيارا موفقا . ففضلا عن مهارته كمحامى جرائم ؛ فانه كان متحدثا رائعا باسم مهنة المحاماه . ومن المحتمل أنه يود بعد قضية نادى فريارز التى يتقاضى فيها الف دولار يوميا - ان يتناول قضية تحظى من الجماهير بمثل هذا الاهتمام .

وتساءل كايزر .. لماذا لا يفاتح ويرين كوبر بنفسه ؟.

فقال ويرين ان رجال الصحف يقتفون آثار خطواته أينما سار .. وهو يفضل الا يرونه وهو يتحدث الى كوبر . وبالطبع فانه يرجو الا ينشر كايزرشيئا عن ذلك الان . ولعله يستطيع فيما بعد .

في يوم الاثنين ١٠ يونية تلقى سرحان رسالة من نيويورك بتوقيع « جون لورنس » رئيس منظمة تسمى « الاتحاد الامريكى ضد العنصرية الاسرائيلية » . يقول فيها :

« انت بالنسبة لنا جندى مقاتل في سبيل الهدف العادل للشعب العربى.. وكما ان الله غفور رحيم ، فيجب على جميع البشر أن يكونوا كذلك .. وانت أجدر بالغفران لانك ارتكبت خطاك بحثا عن العدالة » .

وأرفق لورنس برسالته ٣ أعداد من مجلة « انسايت » اللسان الرسمى لمنظمة الاتحاد الامريكى ضد العنصرية الاسرائيلية ، ومبلغ ٥ دولارات احتجزها المأمور في مكتبه .

ولكى يؤكد لورنس وجهة نظره لسرحان ، أرفق أيضا فقرة نشرتها جريدة نيويورك تايمز تنقل عن لورنس قوله : « لا توجد لدينا دموع نذرفها من أجل

روبرت كنيدى .. الذى وصفه بانه «داعية تزويد اسرائيل بقاذفات القنابل الامريكية النفاثة لكى يقتل بها اليهود مزيدا من العرب» .

ولما لم يتلق لورنس الرد العاجل الذى كان ينتظره من سرحان ، اخذ يوجه سلسلة من المكالمات التليفونية الغاضبة الى المأمور ، وأرسل ٣ برقيات الى سرحان بتاريخ ١٠ و١١ و١٣ يونية حافلة بعبارات التشجيع والنصيحة وفى ١٣ يونية ابرق سرحان الى لورانس بهذه البرقية :

« السادة المحترمون - شكرا للنقود - امتعتنى الانسايت - ارجو موافاتى بمزيد من الاعداد - ويهمنى رد الفعل فى الشرق الاوسط - سرحان .

ولكن لورانس لم يقتنع بهذا ، وانما كتب فى ١٤ يونية رسالة مطولة الى سرحان أبلغه فيها بانه محروم من حقه فى ارسال وتلقى الرسائل البريدية واختيار المحامى الذى يريده . وأرفق رسالته بصورة من خطاب أرسله الى السفير الاردنى بالولايات المتحدة عبد الحميد شرف يطلب فيه التحقيق فى الامر.

من هو لورانس

وقرر المأمور أن يجرى بعض التحريات بنفسه عن لورنس . وتبين انه يسمى « جون لورانس بولاك » وانه ولد فى ٤ ديسمبر عام ١٩٢١ فى « فورت ورث » بولاية تكساس وانه طبقا لتقارير بوليس لوس انجلوس ودينيفر ونيويورك قد عاش معظم حياته كمهيج جماهيرى ، وأحيانا بنجاح كبير ، وأنه فى ١٩٦٤ استطاع أن يلغى قرارا لمدينة نيويورك كان يحظر التدخين فى الفراش . وانه التقى اثناء فترة عقوبة قضاها فى السجن بشاب أسود يدعى « جيمس هوابتمور » جعله ينحاز لقضية السود .

وفى خريف ١٩٦٧ آمن لورانس بالقضية العربية فى فلسطين ، وأخذ يوزع المطبوعات المعادية لليهود فى شوارع نيويورك . كذلك حدث ذات مرة أن تقدم الى القاضى يلتمس منه أن يضعه فى السجن لكى يستفيد من المكتبة القانونية فى السجن . ويتولى ارشاد المسجونين الى حقوقهم . وحذرت احدى هيئات التحرى المأمور من لورنس قائلة انه مشاكس الى أبعد حد .

والواقع أن لورنس مقاتل . هذه حقيقة لا شك فيها ولكن سرحان كان يتساءل عما اذا كانت مساعدة لورنس هى الشىء الذى يريده فعلا ؟ ومع أن لورنس يعترف بانه ليس محاميا الا أنه قام ببعض البحوث القانونية التى انتهى منها الى أن سرحان لا توجد أمامه فرصة للحصول على حكم بتبرئته ولذلك فهو ينصح سرحان بأن يلتمس تخفيف الحكم بناء على الظروف المخففة .

ولكن ما هي الظروف المخففة ؟

يقترح لورنس فى هذا الصدد أن تتحول القضية الى محاكمة للمجتمع الامريكى والحكومة الامريكية وكنيدى نفسه لسلوكهم الذى يزهق روح المجتمع ؟

وفى نفس الوقت ، طالب لورنس سرحان بأن يتخذ لنفسه نموذجا من جون براون الذى كان يقاتل من اجل هدف عادل ، هو تحرير عبيد الجنوب ومن اجل ذلك قبض عليه وحوكم وشنق . وفى رسالة لورنس الى سرحان المسجلة تحت رقم ٢٩٨٢٩٠١ نجد هذه الابيات :

جسد جون براون يرقد عفنا فى المقبرة ، ولكن رسالته الصادقة تمضى قدما دائما للامام الى المجد .. هيا هاليلويا .

.. فرسالته الصادقة تمضى قدما دائما للامام .. »

غير أن سجلات المامور لم تذكر أبدا ان سرحان قد ردد هذا النشيد لنفسه او لاى انسان آخر طيلة فترة وجوده بالسجن .

شرط جديد

ترك كايزر رسالة فى مكتب ويرين بشارع سبرينج يبلغه فيها بموافقةكوبر على قبول القضية .. وفى يوم الثلاثاء التقى الاثنان مصادفة فى البهو المؤدى الى مكتب ويرين ، الذى بدأ عليه السرور ، فقد كانت رابطة المحامين قد قررت الابتعاد تماما عن القضية ، وبذلك أصبحت الحاجة الى كوبر اكثر منها فى اى وقت مضى وقال ويرين انه ذاهب من فوره ليقابل سرحان .

ـ انه يعرف اسم كوبر جيدا وسأذهب اليه حالا لاجعله يوقع على التوكيل.

وتوجه كايزر الى دار المحكمة الاتحادية ليلتقى بكوبر اثناء فترة استراحة الظهر وهناك وجد المذيع التليفزيونى اللامع (بول أوديل) الذى يعمل بالقناة الثانية فى انتظار كوبر أيضا .

وفى اثناء الاستراحة قال كوبر انه يسره أن يعلق على هذا . وحدد موعدا فى الساعة الثامنة صباحا . وما أن انصرف أوديل حتى اخذ كايزر كوبر جانبا بعيدا عن الجمهور وأخبره أن سرحان يوقع فى هذه اللحظة توكيله له طالبا منه أن يترافع عنه .

فتطلع كوبر فى أثر أوديل الذى كان يسرع خارجا وقال : (هذا يغير الامر بعض الشيء .. اليس كذلك ؟.. ولعل الافضل الان الا ادلى بالحديث) .وانطلق ليلحق بأوديل ، ولكن كايزر اقترح أن يرجىء الان الغاء الموعد ، خوفا من أن

يفهم اوديل أن كايزر قد حمل الى كوبر انباء معينة جعلته يغير رايه .
وقال كوبر :

– يقول موكلى فى قضية نادى القمار انه لا يمانع فى ان آتناول قضية سرحان ولكن زوجته لا تحبذ الفكرة ظنا منها أن ذلك قد يثير المحلفين .

وتوقف كوبر قليلا ، ورفع حاجبيه وهو يتطلع الى من فوق شنبر نظارته قائلا وهو يؤكد رأيه باشارة من اصبعه : (وأظنها على حق) .

ثم عاد يردد مؤكدا : (نعم هى على حق .. لعلها كذلك) .

وهكذا وضع كوبر شرطا آخر ، هو ان يجد ويرين محاميا آخر مستعدا للقيام بالمهمة فى البداية ، حتى يتمكن كوبر من التفرغ لها .

وتحدثنا أيضا عن امكانية التقاء كايزر بسرحان . وكان كل ما يفكر كايزرفيه حينذاك هو الحصول على موضوع للمجلة التى يعمل بها .

مرة اخرى يلتقى كايزر بويرين فى صباح اليوم التالى بمنزله فى الحى المرتفع بجوار جريفيث بارك الذى يسمى لوس فيليز ، وكان ويرين لا يزال فى ملابسه المنزلية وتبدو عليه آثار الاصابة بالبرد وقال ويرين بسرعة :

– سرحان يريد آن يقص عليك قصته وسوف يتبرع للاجئين العرب بالمال الذى ستدفعه له فى مقابل ذلك .

ولكن كيف الدخول ؟ هذه هى المشكلة .

وقال ويربن : (ان الرجل لم يفقد حقوقه المكفولة له بحكم الدستور ، ومن بين هذه الحقوق ، حقه فى حرية القول . ولكنه الان تحت حراسة مشددة ولا يستطيع أحد أن يراه . ولست واثقا بعد من أننى سيباح لى آن أزوره . ولكن عليك ان تناقش الامر مع كوبر ومع المامور) .

ووضع ويرين يده فى جيب الروب ليخرج منه ثلاث وريقات منتزعة من مفكرة صغيرة . وكانت تتضمن توكيلات لثلاثة محامين : كوبر ، واثنين آخرين ، كان كوبر قد أبدى رغبته فى أن يعاوناه فى القضية ، هما جوزيف بول ، وهو محام من أبرز المحامين فى كاليفورنيا الجنوبية ، وكان عضوا فى لجنة وارين ، وهيرمان سيلفن وهو أيضا من أفضل محامى الدفاع فى الدولة .

وكان ويرين واثقا من ان المحكمة سوف تؤجل نظر القضية حتى الصيف . ولن يكون فى هذا شىء غير عادى . ولكن من يكون المحامى الذى يتولى المسئولية حتى هذا الوقت .

هل أنت صهيونى ؟

مرة أخرى مع سرحان ..

فى ١٥ يونيه توجه الدكتور أريك ماركوس لزيارة سرحان لاول مرة ، ولكنه منذ لحظة دخوله الزنزانة أدرك ان عمله الذى كلفته به المحكمة كطبيب نفسانى لن يكون سهلا .. فسرحان لم يتحرك من مكانه على السرير وانما استقبل زائره قائلا وهو يميل برأسه للامام :

ـ اذن فانت الطبيب المفروض فيه ان يكتشف ما اذا كنت مجنونا ام لا ؟

وكان هذا تصريحا .. أكثر منه سؤالا .

وقبل أن يجيب ماركوس رده التقليدى فى مثل هذه الحالة ، ساله سرحان متحديا :

ـ هل انت يهودى ؟

فهز ماركوس كتفيه دون أن يجيب .

ـ اين تقف سياسيا ؟

مرة اخرى لا يجيب ماركوس .

ـ هل انت صهيونى ؟

وهنا قال ماركوس انه ليس كذلك وأضاف : انا لست سوى طبيب وقد جئت هنا لاجعلك تتكلم حتى أستطيع أن أكون ذا فائدة لك ولمحاميك ويلبور ليتلفيلد .

فقال سرحان ساخرا :

ـ ان ليتلفيلد من مكتب المحامى العام . ويبدو انه المحامى الوحيد فى القائمة !

وكان واضحا أن سرحان غير مطمئن بالمرة الى ليتلفيلد وقد اخذ نفس الموقف من الدكتور ماركوس .. فكلا الاثنين يتقاضى مرتبه من مجلس المدينة . وبالتالى فهو لا يفهم كيف ان نفس الجهة التى تطالب براسه هى التى تدفع نفقات الدفاع عنه او اجر الطبيب الذى ينتدبه الدفاع .. ثم كيف يمكن لهؤلاء أن يتيحوا له دفاعا عادلا ؟..

هز ماركوس كتفيه قائلا :

ـ ما قولك فى أن تعطينى فكرة كاملة عما حدث فى يوم ٦ يونيه ؟

ـ فضحك سرحان وقال :

ـ فى يوم ٦ يونيه كنت فى السجن .

- تلعثم ماركوس .. وتراجع قائلا :

- حسنا .. دعنا نرى متى كان ذلك ؟ أقصد ليلة اطلاق النـــار .. أعنى يوم الثلاثاء .. يونية ..

ولكن سرحان قاطعه قائلا بصـــوت قاطع كالسيف « لا أذكر » .. ثم أدار وجهه بعيدا ، ناظرا الى الجدار .

وتوقف ماركوس لحظة كانت هذه هى أول تجربة له مع قاتل سياسى ولكنه خلال الثمانى السنوات التى قضاها فى العمل كطبيب نفسانى ، والثلاث‌سنوات الاخيرة منها التى قضاها فى خدمة المحكمة العليا . التقى بأكثر من ٣٠ قاتلا .. والذين لم تكن لديهم رغبة فى الحديث فى أول الامركانوا يتكلمون‌فيما بعد وفضلا عن ذلك فان ماركوس كان قد استهوته أخيرا نظـرية « جيستالت » وهى نظرية حديثة فى علم النفس تقوم على أساس تحليل تصرفات المريض مثلما تحلل كلماته ، وتجد فى صمته من الدلائل مثلما تجد فى أقواله .

قطع سرحان حبل الصمت قائلا :

- أنا ببساطة لن أناقش القضية معك ، فأنت لست صريحا معى ولذلك فلن أكون صريحا معك .

فذكر له ماركوس أن صراحته هو نفسه ليس لها أهمية تذكر ، ثم أضاف « ولكن عليك أنت ان تكون واضحا معى حتى أستطيع أن أساعدك ، هـــذه هى المسألة ببساطة » ..

ففكر سرحان برهة ، وأخيرا هز كتفيـــه ، الامر الذى فسره ماركوس بأنه دلالة على الموافقة وعلى هذا بادره بسؤال عن العمل الذى كان يؤديه فى العـــام الماضى ، فقال سرحان :

- اشتغلت ثلاثة أو أربعة أشهر ووجدت الكثير من الصعوبات للحصـــول على العمل .

كان ماركوس قد استخلص منذ البداية أن سرحان لايميل الى الاسهاب فى الحديث وانه ليس من السهل أن يستجيب الى مناقشة مطولة حتى فى حـــالة وجود قدر من التفاهم .. وهو شىء مفقود هنا ، ومع ذلك فقد حـــاول أن يطرق بابا بعيدا .. فسأل سرحان عن أحلامه .

قال سرحان :

- انى أحلم بأن أصلح سيارتى .. وان أكون انسانا نافعا ..

فسأل ماركوس السجين عما يعنيه بقوله « نافع »

فاجاب هو « اى أعمل » .. لقد كنت أريد عملا طيبا .

ولم تكن هذه الاحلام التى يقصدها ماركوس ، فعاد يسال :
ـ هل تنتمى الى اى تنظيم سياسى ؟
ـ لا ..
وساله عن مستقبله فقال سرحان :
ـ لا أحب أن افكر فى هذا
ـ هل تزوجت ؟
ـ لا ..
فسال ماركوس مرة أخرى عن حالته اثناء الدراسة ، وأجاب سرحان على ذلك بانه لم يحقق نجاحا كبيرا فى دراسته واضاف :
ـ ولكن حصلت بالفعل على ٤٠ درجة فى شهادة الكلية .
ـ ما الذى تفخر به ؟
قال سرحان :
ـ انى افخر بانى عربى
ثم أضاف بسرعة :
ـ وأنا اخجل أيضا لانى أعامل كمواطن من الدرجة الثانية فى المجتمع الغربى
ثم تحدث الى ماركوس عن اهتمامه بالعلوم السياسية ومناقشاته السياسية الحامية بالمدرسة .
سأله ماركوس :
ـ وماذا عن أشقائك ؟
فاجاب :
ـ اثنان منهم يعيشان فى المنزل ، وقد دخل شقيقى الاصغر منير فى مشاكل مع البوليس ووضع فى السجن فترة .
كان صوت سرحان بادى المرارة وحاول ماركوس أن يجعله يستطرد ، ولكن سرحان قرر انه قال ما فيه الكفاية .
وكانت مقابلة مخيبة للامال .. ولكنها لم تكن عديمة الجدوى تماما .. لقد استطاع ماركوس على الاقل أن يستخلص منها ان سرحان أهل للمحاكمة .
وانصرف تاركا لسرحان بعض الاسئلة الشخصية المكتوبة ليجيب عليها فى وقت فراغه .

***

كان السيرجنت « ليل ساندلين » والسيرجنت « توماس سترونج » يحاولان الحصول على تاريخ اسرة سرحان من شريف سرحان ، ثانى اكبر اشقاء سرحان ، وبدا شريف مجاملا ، مؤدبا ، رقيقا .. ولربما حدث فى مناسبات

سابقة أن فقد شريف قدرتهعلى التحكمفى اعصابه ، وقدحدث مرة ، أنفشلفى الحب ، وضبط وهو يحاول اعطاب فرامل سيارة صديقته السابقة . ووجهت اليه تهمة الشروع فى القتل .. ولكنه هنا ، فى الغرفة رقم ٢١٧ فى « باركر سنتر » كان يبدو مؤدبا مجاملا ، ولم يظهر عليه الغضب ، حتى عندما عجز الضابط عن فهم لغته الانجليزية ذات اللكنة الخفيفة .

وساله السيرجنت ساندلين :

هل تعلمت الانجليزية فى وطنك القديم ؟ وما اسم المدرسة التى درست بها هناك ؟

ـ مدرسة سانت جورج ..

ولكنها بدت كما لو كان يقول ساندين .. فاستفسر منه السيرجنت

ـ مدرسة سانت جوزيف !

ـ لا .. سانت جورج ..

فسال السيرجنت سترونج مرة أخرى ..

ـ تقول سانت جوليوس ؟

ـ سانت جورج

فعاد سترونج يسال مرة اخرى :

ـ سانت جورج

وهنا هز شريف راسه موافقا ..

وقال شريف للضابط انه وشقيقه الاكبر سعد الله حضرا الى الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ حيث انضما الى والدتهما فى باسادينا ، وحصلا على عمل كميكانيكيين وذكر انه يعيش مع أسرته ، ولكنه يستأجر غرفة خاصة فى فندق صغير بالقرب من مقر عمله . وأضاف :

ـ لقد وقعت لىأربع حوادث بالسيارة فى الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٦٨ .. ولذلك فقد الحت على امى أن اكون حذراً ، ولذلك فعندما حصلت على عملى الجديد استاجرت مكانا لابقى به عندما اعمل وقتا اضافيا حيث قالت والدتى انه من الافضل الا اقود سيارتى الى باسادينا .. انها لم تكن تريد ان تقع لى أية حوادث اخرى .. فقد كدتافقد حياتى .

أما الاب والام والابنة عايدة . فقد جاءوا من قبل الى الولايات المتحدة فى يناير ١٩٥٧ ، غير أن الاب « بشارة » ما لبث أن عاد بعد ستة أشهر الى القدس حيث كان شريف وسعد الله مازالا ينتظران التصريح لهما بالمجىء الى

الولايات المتحدة ، غير انه فى تلك الفترة لم يكن يعيش مع أبيه .

وسألساندلين :

ـ هل كنت قريبا من والدك ؟

فاجاب شريف :

ـ أوه .. لا استطيع ان افهم ما تعنيه ..

قال ساندلين :

ـ حسنا .. اعنى .. هل كنت تسر اليه باحاسيسك وهو يسر اليك باحاسيسه وكل منكما يثق بالاخر ويتحدث اليه فى كل شىء ؟

ـ كلا ..

ـ أبدا بالمرة ؟

وتدخل سترونج فى الحديث سائلا بدوره :

ـ هل تعرف أحدا من الابناء كان له مثل هذه العلاقة الابوية ؟

ـ حسنا .. فى بلدنا كان كل شىء بيد الاب .. هو الذى يدفع نفقاتنا ومصاريف المدارس ، وكل مشاكل العائلة كانت بيده بشكل حاسم .

وتوقف شريف ، ليكمل سترونج عبارته قائلا : « كيفما يقرر »

ـ هكذا كان الامر أعنى .. فكيف تستطيع أن تقول له ان هذا خطأ أو ان هذا .. الواقع انى نسيت الكلمة .. يبدو أن عقلى ..

ولكن أيا كان ما يريد شريف سرحان قوله عن تأثير هذه العلاقة البـاردة بينه وبين ابيه على عقله ، لم يكن يهم الضابطين فى قليل او كثير ولذلك فقد حول ساندلين الحديث الى موضوع علاقة الاسرة بالكنيسة .

حادث الجواد

وتحدث الثلاثة عن الاماكن التى اشتغل فيها سرحان ، وعن سقطته من فوق ظهر الجواد ، ولكن شريف كان ضعيف الذاكرة جدا فيما يتصل بالاماكن والتواريخ ، الا انه كان واضحا جدا فيما يتصل بالتغير الذى اصاب سرحان بعد سقطته من فوق ظهر الجواد قال :

ـ بعد حادث سقوطه ، لاحظنا ان هناك شيئا غير طبيعى اصابه ، لانه بدأ يتغير تدريجيا .. نعم .. نحن لم نلاحظ التغير دفعة واحدة.. ولكنه كان يتم بالتدريج .. شيئا فشيئا .. خطوة خطوة .. وفى الشهور الثلاثة الاخيرة لم يعد بوسعنا حتى أن نتحدث معه .. كان دائما يتجنبنا .. وحاولنا نحن أيضا أن

نتظاهر باننا نتجنبه ، فقد تصورنا انه من الافضل أن نتركه وشانه والا نثقل عليه ، وأن نبتعد عن طريقه .

قال سترونج :

ـ تقول انه بدأ يتغير الى الاسوأ .. ماذا تعنى ؟ وبأى شكل ؟

ـ قبل ان يسقط ، كان عندما تتحدث اليـه يستمع لك .. و .. أعنى أنه كان عاقلا رزينا .. أى عمل تعهد به اليه يقوم به كما تريد باخلاص وأمانة وكان دائما مستعدا لعمل اى شيء تطلبه منه .. كان يستمع دائما لغيره .. ولكنه بعد ذلك اخذ لا يستمع لاى انسان .. كان من قبل معتادا ان يعنى بحجرته بنفسه ، أن ينظفها ويرتب فراشه بنفسه .. كانت امى تقول له اذهب ونظف الحديقـة الصغيرة .. فيذهب من فوره ليفعل ذلك .. ولكنه فيما بعد لم يعد يعتنى بأى شيء .. لا بحجرته ولا حتى بنفسه ولا بأى شيء .

واضاف شريف ، انه واخاه سعدالله نادرا ما تحدثا الى سرحان منذ سقطته فقد وجد أن الحديث معه لا يؤدى الا الى الشجار فقررا أن يتجاهلاه ، ويبدو أن هذا وافق سرحان تماما .

.. احيانا كان ياتى لنا بعض الزوار ، ولكنه كان يبدو شديد النفور من الزوار ، لا يريد حتى ان يقول لهم مرحبا أو يظهر نفسه لهم ، وانما يلزم المطبخ أو حجرته حتى ينصرفوا .. اذا جاء اى شخص الى الدار فهو غير موجود .. أعنى انه موجود ولكنه لا يريد ان يراه احد ، ولا يريد أن ..

وسأل ساندلين عن أصدقاء سرحان :

ـ هل كان لسرحان صديق قريب ؟.. من هو أقرب اصدقائه ؟

قال شريف :

ـ أقرب أصدقائه .. فراشه وكتبه .

فسأل ساندلين :

ـ من كانت أقرب صديقاته ؟

ـ لقد سئلت هذا السؤال ألف مرة ، وربما بدا الامر غريبـــا .. ولـكن سرحان كان الاخ الوحيد الذى لم أره أبدا مع فتاة .. انه الوحيد .

ـ ألم يكن يتحدث أبدا عن الفتيات ؟

ـ ربما تحدث عنهن .. وربما تحدث اليهن فى التليفون حول الدراسة مثلا ولكنه لم يكن يتحدث أبدا عن مواعيد غرامية ولم أسمع أبدا انه خرج مع فتاة .. أبدا فى حدود علمى .. فيما عدا ..لا..لا أعرف .

فيما عدا ...

ان شريف لا يريد أن يقول ، وقوله لا..لا أعرف .. يعنى انه يعرف لكنه لا يريد أن يقول .

وسأل الضابطان شريف حول مدى اهتمام سرحان بالبنادق والتنظيمات والسياسة ولكن شريف قال انه لا يعرف .

ـ ألم يشر ابدا الى اى جانب يميل سياسيا .. أو ما هو اتجاهه السياسى؟

ـ أبدا .. فى حدود علمى ..

ثم سألاه عن سيارة سرحان .. فقال شريف انه لم يلمس سيارة سرحان فى حياته .. كما ان سرحان لم يمس سيارته .

وعقب ساندلين على هذا قائلا :

ـ يعنى بكلمات أخرى .. لقد فقدتما الاحساس بعاطفة الاخوة أليس كذلك؟

فأجاب شريف محتجا :

ـ كلا لست أنا ..

ـ حسنا .. لقد توقفتما حتى عن مجرد تبادل الحديث .

فقال شريف بصوت خافت :

ـ ولكن قلوبنا كانت دائما معه .. لاننا كنا ندرك أن شيئا قد حدث ..

ـ أوه .. هكذا ..

ـ شيئا ما قد حدث له .. وقد ناقشت ماما هذا الامر معى ومع عادل مرات .. ومرات .. وكنا فى كل مرة تتفق وجهة نظرنا على ان شيئا ما .. شيئا غير طيب قد حدث له .

ـ ألم تقترح على والدتك أن تذهب به الى بعض الاطباء ؟

ـ بالتأكيد ..

وماذا قالت والدتك ؟

قالت .. انه يتردد بالفعل على أحد الاطباء .. ولكن الطبيب الذى ذهب اليه لم يعرف شيئا عن تجنبه الاسرة وانما استمع فقط الى شكواه من ألم فى عينيه .. لقد انتهى بهالامر الى اعتزال الناس جميعا .. بلا اصدقاء .

رجل القمامة

وأضاف شريف انه بدلا من الاصدقاء اكتفى بشخص واحد .. هو رجل القمامة .. سأل ساندلين

ـ تقول رجل القمامة ؟

ـ نعم .. ما ان يراه حتى يجرى خارجا اليه ليساله كيف حال الجو ؟.. انتظر ثم يعود ليصنع له بعض القهوة ويقدم اليه الفطائر والكعك .

ـ لرجل القمامة ؟

وتعجب ساندلين وسترونج لهذا الامر فاى طراز هذا من الفتيان الذى يهتم بتقديم القهوة والفطائر الى رجل القمامة ؟ وطلبا من شريف ان يقول لهما رايه فى ذلك ..

ـ والان قل لنا .. بصراحة : ما رايك فى أخيك ؟

قال شريف :

ـ اعتقد انكما تريدان ان تسالا فعلا هذا السؤال .. وانا مستعد للاجابة .. بالنسبة الى .. اعتقد ان هذا امر لا يصـــدق .. انا شـــخصيا لا استطيع ان أصدقه .. لابد ان شيئا ما قد أصابه والا ما كان ..لا.. انا لا أستطيع ان أصدق

فسالاه ما اذا كان سرحان قد اعتاد ان يمر بنوبات من الهيـــاج أو انه كان يدخل فى معارك مع الاولاد فى المدرسة ؟ فاجاب شريف :

ـ لا..لا معارك .. وليس له ســـجل فى البوليس .. ولم يســـتدع ابدا للبوليس ..

ـ هل كان يخرج عن وعيه احيانا و .. ويسب الدين مثلا ..

ـ ابدا .. هذا لا يحدث عندنا .. لانه مجرد أن يعصى أمرا لوالدتنـــا كنت أصفعه على وجهه ..

ـ هل كنت معتادا أن تعاقبه بالضرب ؟

ـ كنت أضربه أحيانا اذا فعل شيئا سيئا .. وهذا هو السبب فى أننى حاولت أن أتجنبه قدر الامكان خلال العامين الاخيرين .. فقد شب وأصبح رجلا ولا ينبغى ان أضربه ..

⊙ ● ⊙

فى ١٨ يونيه ، اتصال كايزر تليفونيا بالمحامى « آل ويرين » ليرى مـــا اذا كان قد حاول الاتصال براسل بارسونز فوجده لم يفعل فساله كايزر عما اذا كان قد قرأ فى صحيفة لوس انجلوس تايمز النبا الذى يقول ان اربعة محامين عرب من الاردن هم فؤاد عطاالله واحمد الخليل ومحمـــد براده وحسن حـــواء يزمعـــون الحضور الى لوس انجلوس للترافع فى المحكمة عن سرحان بشارة سرحان .

فقال ويرين ـ اجل ، لقد قرات هذا وارى انك مصيب فى رايك ..

ولم يكن كايزر عبر عن رأيه .. ولكن مجرد اشارته الى الرجال المحترمين الذين يزعمون المجيء من الشرق كانت كافية لان يفهم ويرين ، وهو المحامى المتحمس من أعماقه ، انه لابد وان يتحرك ..

وكان من الواضح ان كوبر وبارسونز سيكونان أكثر جدوى فى داخل المحكمة العليا بلوس انجلوس من المحامين الاربعة العرب الذين لا يعرفون شيئا عن قانون ولاية كاليفورنيا .

وقال ويرين انه سينصرف من فوره واتصل تليفونيا بمكتب المأمور يطلب التصريح له بمقابلة سرحان ، ولكن طلبه رفض على أساس ان سرحان الان ممثل فعلا بواسطة أحد المحامين العامين .

حسنا .. لم يكن هذا يهم الان ، فقد دفع سرحان بالفعل توكيلا لبارسونز وسوف يمثله بارسونز .

وبالمناسبة .. كان سرحان قد سأل ويرين عما اذا كان أحد المحامين عنه يهوديا .. ولم يكن هذا ينطبق لا على كوبر ولا على بارسونز ، ولكن كان من الضرورى ان يتضح لسرحان انه لا يستطيع أن يحصل على كل ما يريد .

ممنوع الكلام بالعربى

كان المأمور يعانى كثيرا من المتاعب ، فالقنصل الاردنى فى لوس انجلوس واسمه « جورج زريقات » يلح فى طلب مقابلة سرحان .. غير ان مثل هذه الزيارة فى مدينة مازال رجال البوليس والمباحث الفيدرالية والبوليس السرى يتحرون فيها عن امكانية وجود مؤامرة .. كانت آخر ما يمكن ان يسمح به المأمور « بيتر بيتشيس » ولكن « زريقات » كان قد وصل الى مكتب المحامى العام الذى أكد له أن من حقه كل الحق أن يزور سرحان اذا كان سرحان يرغب فى لقائه .. وأبلغ المحامى ليتلفيلد سرحان برغبة القنصل الاردنى ، ووجه سرحان برقية الى زريقات نصها « أرغب رؤياك بأسرع ما يمكن » .

والان .. ها هو زريقات فى السجن ليقابل سرحان

وقضى زريقات سبع دقائق مع سرحان ، مفزوعا الى حد كبير باحتياطات الامن التى اتخذها مكتب المأمور ، فقد قدموا اليه فى البداية نسخة من الامر القضائى الذى أصدره القاضى ألاركون والذى يمنعه من مناقشة القضية مع اى شخص كان .. ثم تعرض للتفتيش ٣ مرات واجتاز بصحبة المحامى « ويلبور ليتلفيلد » غابة من الابواب المصفحة .. وأخيرا جلس أمام « شباك » الزيارة وعلى جانبيه

ضابطان يحومان حوله ويلحان عليه بأدب .. ولكن تحتم الا يتحدث الى السجين باللغة العربية

وبينما كان سرحان يساق فى هذه اللحظة من الطابق الثانى الى اسفل اعترض زريقات على كل هذه التدابير .

وبعد أن تبادل كلمات قليلة مع سرحان غادر السجن مسرعا عائدا لداره ؟ واتصل تليفونيا بواشنطون

وفى صباح اليوم الثانى ، كان روبرت نيومان ، احد العاملين فى قسمالاردن بوزارة خارجية الولايات المتحدة ، يتصل بدوره بالمامور بيتشيس ، ليقول له ان أى سجين امريكى فى الاردن يملك الحق فى التحدث بالانجليزية مع القنصل الامريكى فى عمان وان البروتوكول الدبلوماسى يقتضى أن أى مواطن أردنى مسجون فى لوس انجلوس ينبغى أن تكون له نفس الحقوق .. وكانت هذه وجهة نظر سليمة تماما ، ولكن بيتشيس قال بحسم :

ـ اسمع يابنى .. لقد قبل القنصل شروطنا قبل ان ياتى هنا .. وعلاوة على ذلك فان هذا الولد تربى فى باسادينا وهو يتحدث الانجليزية جيدا ، مثله فى ذلك مثل القنصل ، وهذا يكفينى جدا .. فانا لست على استعداد بالمرة لان اترك شيئا للصدفة مع هذا السجين .. انه مسئوليتى أنا .. فسأل نيومان بتشيس عما يفترض بشان المسجونين الامريكيين فى الاردن .. فاجاب :
ـ هذه مسئوليتك أنت ..

⊙ ● ⊙

فى صباح يوم ١٩ يونيو التقى « آل ويرين » مع راسل بارسونز ليتناول الافطار فى كافتيريا مانينج بحى القضاء فى لوس انجلوس .. وأبلغ ويرين صاحبه أن كوبر يريد منه أن يتولى كل شىء فى القضية حتى تنتهى قضية نادى القمار ، واضاف « هكذا .. فانك ستاخذ المسألة على عاتقك حتى ذلك الحين »

وتم الاتفاق بين الاثنين على أن يرسل كل منهما على حدة برقية الى سرحان وانه على بارسونز أن يقابل سرحان باسرع ما يمكن .

وكانت برقية ويرين الى سرحان كما يلى :

وافق المحامى الذى اخترته اولا على أن يمثلك .. كذلك وافق راسل بارسونز الذى سلمته توكيلك المكتوب .. سوف يتصل بك فى أقرب وقت .
ويرين

وكتب بارسونز يقول :

سلمنى مستر ويرين توكيلك الموقع منك لكى أحضر عنك . انا اقبل هـذه المهمة وسأترافع عنك بدون أجر كخدمة عامة .. واعتزم رؤياك فى أسرع وقت .

راسل بارسونز

وعند الظهر كان بارسونز وريتشارد موكلى فى مـكتب المأمور بقصر العدالة ليكتشفا ان كلا من برفيتى ويرين بارسونز لم تصـلا بعد .. غير ان مساعد المأمور ويليام ماك كلاود قال :

ـ حسنا يا سادة .. تستطيعان بالتأكيد أن تصعدا لمقابلة سرحان

كان ماك كلاود يدرك أن محاميا كبيرا مثل بارسونز لايمكن أن يلجأ للتزييف وهذه الورقة التى فى يده واضح بلا شك انها موقعة من سرحان

وسيق موكلى وبارسونز الى سجن نيو كاونتى ومرا بالتفتيش ثلاث مرات ، ثم اخذا الى زنزانة الطابق الثانى بالجناح الجنوبى الغربى .

وقدم موكلى بارسونز الى سرحان ، وجلس بصحبتهما سبعدقائق ثم انصرف ووجد بارسونز سرحان مسرورا للغاية لانه وجد أخيرا محـاميا من اختياره .. وبقى هناك نحو ٢٠ دقيقة تبادل فيها مع سرحان حديث التعـارف ، ثم انصرف ليتحدث الى الصحفيين الذين كانوا قد تلقوا بالفعل بضع كلمات قليلة من ويلبور ليتلفيلد باعتباره مازال المحامى المسئول .

مؤتمر صحفى

ولم يلبث المراسلون المثلون لسبع محطات تليفزيون ووكالتى أنباء أن تدفقوا على مكتب بارسونز ومعهم طابور ضخم من مراسلى الصحف وهنـاك ، فى الـدار القائمة فى قرية ويستليك على الحافة الغربية للولاية اخذ كايزر يراقب بارسونز ويتساءل كيف سيكون العمل معه . وعلى الشاشة ظهر بارسونز فى صورة المقاتل فقد سأله أحدهم عن صحته فأجاب :

ـ هذا سؤال شخصى ، وتدخل فيما لا يعنى صاحبه ، غير انى انحدرت من عائلة كلها من ابطـال الرياضـة ، وأتمشى كل ليـلة مسافة ميلين ، وامـارس التمرينات الرياضية كل صباح .

وسأله آخر عن عمره فأجاب ـ كاذبا :

ـ انا فى الستينات .. ولكن ماذا يهمك بحق الجحيم ؟.. من الذين تود أن تخبرهم عن سنى ؟.. بعض الفتيات ؟

وعندما سأله ثالث لماذا قبل الحضور فى هذه القضية .. رد بارسـونز

السؤال بسؤال قائلا :

ـ الا تعتقد ان هذا الرجل من حقه الحصول على محاكمة عادلة ؟

وساله آخر :

ـ وماذا ستكون طلباتك من المحكمة ؟

ـ علينا أن ندرس ذلك أيها الشاب .. علينا أن ندرس ذلك .

ـ هل سيقف سرحان للشهادة أثناء الدفاع عنه ؟

ـ سوف ندرس هذا أيضا ، هذا شيء لا نستطيع أن نعرفه قبل الساعة الحادية عشرة .. ذات مرة كان عندي عميل رفض ان يقف في مكان الشهود

ولم اقبل انا أيضا أن أتناول آجرا عن هذه القضية .. ولكن اذا رجعت الى السجلات فانك ستجد ..

ولكن جون لورانس ـ رئيس الاتحاد الامريكي ضد العنصرية الصهيونية كان على العكس يرى أن بارسونز قد قال أكثر مما يجب .. ذلك أن بارسونز تحدث من امكانية الابعاد الى الاردن ، والدفاع على أساس جنون المتهم .. وفي بيانين صحفيين متتاليين من اللجنة التنظيمية من أجل الرأفة بسرحان أدان لورانس بارسونز لسلوكه غير الاخلاقي و « فرقعة البالونات لتمييع نظريات الدفاع الممكنة واطلاق البيانات التي تحض على كراهية الاجانب » . وقال مؤكدا انه لا سرحان ولا أي فرد في عائلته كان له يد في اختيار راسل بارسونز .

وفي نفس اليوم ، اصطحب بارسونز عادل سرحان وهو أهم شخص مسئول في عائلة سرحان ، ليقابل شقيقه ، وهناك سأل عادل الذي كان قد تلقى مكالمة تليفونية بعيدة من لورانس ـ سأل سرحان :

ـ هل هذا هو الرجل الذي تريد ؟

فاجاب سرحان بهدوء : نعم هو .

ثم ذكر لعادل ان جرانت كوبر ايضا سيحضر عنه في القريب العاجل غير ان بارسونز سيتولى القضية في الوقت الحاضر ، وكان واضحا ان سرحان احس بالميل نحو بارسونز ، وهكذا ايضا ، كان شعور كثير من الافراد الذين أخذوا ينظرون الى بارسونز وكانه نموذج جديد للقضايا الميئوس منها . وأخذ عشرات المظلومين والمرضى بعقدة الاضطهاد يتوجهون الى مكتب بارسونز كأنه معبد مقدس متوسلين اليه أن يقبل الدفاع عن قضاياهم . وجاءت احدى السيدات تطلب منه أن يعمل على منع زميلاتها من أن ينظرن اليها بعين السوء .

غير ان هناك سيدة اخرى لم تكن تشكو من أيه حالة نفسية ، ولكنها كانت تنوء بحمل يكفي لقصم ظهر اثنى عشر شخصا .. جاءت تخطو ببطء في دهاليز باركر سنتر الباردة كالثلج .. كانت هذه هي ماري سرحان – أم المتهم – كانت في الخامسة والخمسين ولكنها تبدو في السبعين وكانت متماسكة في شجاعة ورأسها مرفوع وقادرة على كبت الاحساس بالهول الذي يحيط بها . كانت قد استجوبت عدة مرات بوساطة البوليس والمباحث الفيدرالية ، والبوليس السري ، ومازال ينتظرها الكثير من الاستجوابات لانها كانت تعتبر نفسها انسانة ملتزمة بالقانون وراغبة في التعاون مع القانون ، ولكن الامر لم يكن سهلا لم يكن سهلا أبدا .. ولكي تستطيع ان تجعل من الامر أكثر سهولة ، قالت لنفسها ان سرحان لا يمكن أن يكون هو الذي أطلق الرصاص على كنيدي .. ولكن البوليس أخذ يؤكد انه فعل ذلك .

وقد شكر لها السيرجنت هانك هرنانديز مجيئها .. ولم يقل لها بالطبع انهما يجلسان الان في نفس المكان الذي استجوب فيه سرحان لاول مرة في صباح ٥ يونيه ، وانما أخبرها انه ، وزميله السيرجنت توم سترونج مسئولان حاليا عن استقصاء ماضي سرحان قائلا :

نحن نريد أن نكتشف لماذا حدث هذا .. ونحن الان نحاول ان نعرف كل ما نستطيع عن طريق التحدث مع أفراد الاسرة .

غير ان ماري سرحان لم تقل لهما سوى القليل جدا مما يمكن أن يساعدهما في تحرياتهما .. فسرحان لم يشتغل لفترة طويلة ، وكان لا يكاد يتحرك من مكانه لان سيارته كسرت ولم يتمكن من اصلاحها ، وكان يقرأ كثيرا ، ويذهب الى الفراش مبكرا ويستيقظ مبكرا ، ويقضي وقتا طويلا في المكتبة ، وكان قليل الاصدقاء .

وسأل هرنانديز : متى كانت آخر مرة استقبل فيها زائرا بالمنزل ؟

– كان احيانا يستقبل رجلا متقدما في السن من حفاظ الانجيل في نحو السبعين من عمره .. وكانا يجلسان في غرفة الطعام ويدرسان الانجيل سويا .

غير انها لا تعرف اسم الرجل وانما تعرف فقط انه يتبع كنيسة ما شعارها « دع الانجيل يتحدث اليك » .

وعاد هرنانديز يسألها عن صديقات سرحان .. فقالت ان لديها عدة صور لسرحان أيام الدراسة ، وفي هذه الصور عدد من الفتيات ، ولكنه لم يكن لديه اي صديقة . واضافت :

ـ نحن كما تعلم مختلفون فى هذا الامر .. أعنى .. اننا اذا كنا لا نزمــع الزواج من فتاة ما ، فاننا لا نخرج معها .. ان هذا يتنافى مع .. اقصــد اننا مختلفون .. ولعل هذا هو السبب فى أن اولادى كما ترى لم يتزوجوا حتى الان.

وعاد هرنانديز يحاول ان يجعل مسز سرحان تتذكر تصرفات ولدها فى الايام الخمسة السابقة للحادث . فقالت انه بقدر ما تتذكر ، ظل ملازمــا المنزل معظم الوقت .. وأضافت :

ـ تسال عن يوم الاثنين ؟.. أجل لقد كان بالمنزل يوم الاثنين .

فسألها : هل كنت تعلمين أنه يحتفظ بمسدس ؟

ـ كلا ..

ـ الم تسالى عادل ابدا منذ يوم الحادث عن كيف حصــــل سرحـان على المسدس ؟

ـ كلا ..

ـ لماذا ؟..

ـ لاننى لا اعرف . انا لم ار اى مســـدس . ولم اسمـع عن ذلك .. هل هناك مسدس ؟

قال هرنانديز : « أوه .. نعم .. لقد كان معه مسدس .

وكان واضحا أن مارى لا تستطيع ان تقول كلمة واحدة ضد ولدها .. وسألها هرنانديز عما اذا كان سرحان ولدا عاديا أم أنه كان حاد الطباع فأجابت :

ـ كلا .. كلا .. لا أستطيع أن أقول أبدا انه كان حاد المزاج وانما كان بسيطا جدا .. لقد كنا نعيش فى منزلنا حياة بسيطة جدا . وكان يسـعد لسعادة الناس ويحزن لحزن الاخرين . كانت هذه هى طبيعته . ولكنه ابدا لم يكن حاد الطباع .. أبدا .

ـ ولكن الم يتشاجر سرحان ابدا مع اشقائه ؟

اعترفت مارى أنه كان احيانا يختلف مع شقيقيه الكبيرين سعد الله الذى كان يكثر من الشراب ، وشريف فقد كان الاثنان يريدان أن يفرضا رأيهما على أهل الدار وكان هذا يؤدى الى الخلاف وأخيرا طلبت هى من الولدين الكبيرين ان يبحثا لهما عن مكان آخر .

وذكرها هرنانديز بمشاجرة جرت بينه وبين منير حـــول المياه الساخنة فقالت ان هذا لم يكن شيئا ذا بال بالمرة .. لم يكن شيئا بالمرة ..

ثم سألها :

ـ فى آخر مرة رأيته فيها . هل لاحظت شيئا ؟ يوم الثلاثاء عندما انصرف هل تظنين انه كان به أى شىء غير عادى ؟

ـ أبدا .. فقد استيقظ كالعادة ، وغسل وجهه . أنا أعرف انه اغتسل وذهب ليجىء بالجريدة ولم يقل شيئا بالمرة .

ـ ألم يقل انه ليس على ما يرام أو انه .. اقصد بالنسبة لك الم يبد مختلفا عن يوم آخر رأيته فى حياتك ؟

ـ كلا ..

اجابت المرأة المسكينة بذلك وهى لا تدرى ماذا يجب ان تخفى وماذا يجب أن تقول ..

وانتهت المقابلة نهاية حزينة . فقد سأل الضابطان الام عن ابنتها عايدة ، وتحدثت المرأة عن الايام المؤلمة الاخيرة لعايدة عندما كانت ترقد رقدة الموت بسبب اصابتها بسرطان الدم .

وقال سترونج : « هذا هو كل شىء ، ولا اظن اننا سنثقل عليك بعد الان وانما أعتقد اننا قد غطينا .. »

فقالت مارى سرحان : « انى آسفة جدا لما حدث » .

أجاب هرنانديز : « نحن واثقون من انك آسفة فعلا » .

صديق سرحان

وفى ٢٠ يونيو .. أى بعد أكثر من اسبوعين من اغتيال روبرت كنيدى كان رجال المباحث الفيدرالية قد استطاعوا اخيرا ان يعثروا على الشخص الذى يمكن ان يوصف بأنه اقرب أصدقاء سرحان . ذلك هو « ايفان فالاداريس جارسيا » مواطن من جواتيمالا ، لا يزال يحمل جنسيتها .

وكان شابا طويلا حسن الحديث جاد الهيئة ، وبدا منفعلا للغاية بهذا اللقاء الذى وقع فى حرم كلية باسادينا سيتى .. وقد قال لرجل المباحث لويد جونسون :

ـ كلا . لن اعطيكم عنوان منزلى . تستطيعون الوصول الى فى عملى .. لان أمى مريضة ولا أريد ازعاجها .

وذكر جارسيا لجونسون انه تعرف بسرحان فى الكلية . وانهما لم يتناقشا ابدا فى السياسة ، وانه لم يناقش معه ابدا سياسة السناتور كنيدى او

الصدام العربي الاسرائيلي فيما عدا قول سرحان ان نجاحه كجوكي سباق قد يقف في سبيله ، أغنياء اليهود لانهم هم الذين يملكون معظم اصطبلات الخيول في كاليفورنيا .

وقال ان سرحان لم يكن يهتم بالفتيات • ولم يكن يهتم بالمسدسات .. واعرب جارسيا عن اعتقاده بأن سرحان ليس جزءا من مؤامرة • فلما سئل لماذا .. قال :

ـ لان اى متآمر كان يجب ان يختار مسدسا من عيار اكبر ، وكان اولى به أن يختار لقتل كنيدى مكانا افضل وكان يستطيع ان يدبر خطة انجح يستطيع بها الفرار .

وختم جارسيا حديثه قائلا :

ـ بصراحة •• انى مذهول لكل هذا •• فلم أكن اتصور ابدا أن سرحان يمكن أن يخرق اى قانون من اى نوع .

خلاصة القول .. لقد ذكر جارسيا كثيرا من الاشياء التى لم يكن سرحان يفعلها •• وقليلا من الاشياء التى كان يفعلها ، وكان هذا نموذجا غريبا لشخص يريد أن يعرف العالم عنه أنه كان صديقا لسرحان ••

زيارة الأم

وفى ٢١ يونية توجهت مارى سرحان ، بصحبة ابنها عادل لرؤية سرحان للمرة الاولى • وبعد أن فتشتها احدى السجانات تفتيشا دقيقا ، قادتها وبرفقتها عادل والمحامى « راسل بارسونز » الى داخل حجرة زجاجية بالطابق الاول من سجن نيوكاونتى • وطلب منها ألا تتحدث الا بالانجليزية • ودخل سرحان يعرج وجلس مواجها لامه فى الجانب الاخر من الحاجز الزجاجى • وامتلأت عيناها بالدموع لحظة . واختنق صوتها فترة أطول . ولكن نبراتها ما لبثت أن تماسكت وهى تقول :

ـ انت لم تكن ابدا شيوعيا . تستطيع الصحافة ان تجعلك شيوعيا ولكنك لست شيوعيا . ولم تتسلم نقودا من احد .

كانت زيارة قصيرة . وقد توقفت تماما كل حركة فى الطابق الاول . طوال وجود مارى سرحان مع ولدها .. وبعد الزيارة قادها بارسونز الى الخارج دون أن تنبس هى او عادل بحرف واحد .. لا بالانجليزية ولا بالعربية .

وفى المساء قال سرحان لحراسه انه متوعك ، ويحس بدوخة والـــم فى معدته واعطته احدى ممرضات السجن قرصى اسبرين وبعضا من الراونغوالصودا ومن يومها وطوال عدة اسابيع ، كان سرحان يتناول نصف قرص منوم كل ليلة ليتمكن من النوم .

٥٠٠٠ شخص

كان « روبرت هوتون » نائب رئيس البوليس قد توقع منذ البداية مدى اتساع نطاق التحريات التى سيكون على بوليس لوس انجلوس ان يقوم بهـا ، فجمع افضل المخبرين الذين استطاع انتزاعهم من مهامهم الاخرى ، ووصـل عددهم الى ٤٧ شخصا ، شكل منهم وحدة خاصة تعمل تحت اسم شـفرى هو « السناتور » وبمضى الوقت اطلق أعضاء الفريق على أنفسهم أسم « الوحدة الخاصة سناتور » أو « اس . يو . اس » على سبيل الاختصار .

كانت مهمة هوتون الشاقة التى تكفل بها هى ان يتقصى كل شاردة وواردة فى كافة الادلة وأقوال الشهود حول الحادث ، ومعنى هذا ان يبحث البوليس من كل شاهد محتمل رأى الحـــادث وعن أى شخص آخر كان فى فندق الامباسادور ليلة الرابع من يونية يمكن ان يكون قد لاحظ أية حركة مريبة من جانب المتهم ، او شاهده برفقة آخرين فى فساتين منقطة او فى اية صـورة اخـرى .

وكان معنى هذا أن يتحدث رجال البوليس السرى الى كافة العاملين بالفندق ، وأن يحاولوا الوصول الى نحو ٥٠٠٠ شخص كانوا بالفندق ذلك المساء . وان يجروا الاختبارات على مسدس سرحان ، وأن يفحصوا ما اذا كان يحمل بصمات أشخاص آخرين يمكن أن يكونوا قد لمسوه ، وان يتعرفوا على مسار ونهاية كل طلقة أطلقت فى حجرة الكرار .

وهكذا .. قامت احدى المجموعات باعداد ملف كامل عن تاريخ سرحان الطبى وخصصت مجموعة أخرى لفحص ملفات المعلومات التى ترددت من الجهـــات الاخرى ، وتتبع أى خيط يمكن ان تشير اليه .. كما كلفت مجموعة ثالثة بعمل مكتبى افرد له مكان فسيح فى الطابق الثامن من باركر سنتر ، هو اعـداد واستكمال تقرير كامل بالقضية مزود بعدد من الخرائط الكبيرة ، لكى يتضح وسط كل هذه المعميات خط سليم دقيق . وتحدد لهم للانتهاء من هذا العمل يوم ٢٧ أغسطس حيث كان مكتب المدعى المحلى يتوقع أن تبـدأ المحاكمة فى سـبتمبر .

وكان احتمال وجود مؤامرة بالطبع هو اكثر الاحتمالات اثارة فلو اكتشف رجال هوتون مثل هذه المؤامرة لاصبحوا ابطالا ، واذا لم يجدوا أثر لمثل هذه المؤامرة فانهم على الاقل سيكونون قد احتفظوا لبوليس لوس انجلوس بسمعته الطيبة ، وقطعوا الطريق على احتمالات النقد التى كان يمكن ان تستمر سنوات

وسنوات مثلما حدث ولا زال يحدث بالنسبة لقتل الرئيس جون كنيدى الذى آثار العديد من النظريات التى ما زالت تزود صناعة النشر بمادة لا تنفد وصلت الى حد دعوة الشعب الى الدخول فى مسابقات حول أى النظريات المتعلقة بمقتل الرئيس كنيدى تفضله : نظرية الاكمة وراء سياج الاعشاب ؟ أم نظريةجسر السكة الحديد ؟ أم نظرية الطلقات الثانية ؟ أم نظرية أوزوالد الآخر ؟ .

نظرية جديدة

والآن ، ها هو ترومان كابوت ، وهو صديق مقرب من جاكلين كنيدى وشقيقتها ((لى رادزويل)) يسوق نظرية جديدة حول اغتيال روبرت كنيدى . ذلك أن كابوت ، الذى اصبح أشبه بخبير فى جرائم القتل بعد قصة ((الجريمة الباردة)) وصاحب اعلى رقم فى توزيع الروايات البوليسية والى جوار ذلك كان مؤلفا سينمائيا فوق المتوسط .. وبهذه الصورة جلس فى شاشة التليفزيون ذات مساء ليشرح فكرته فى أن سرحان ((وشركاءه)) ربما يكونون رجالا مدربين جيدا ، واعدوا خاصة للقتل بعد اجراء عملية غسيل مخ لهم على النحـــو الذى صوره الكاتب الروائى ((ريتشارد كوندون)) فى قصته ((تلميذ من منشوريا)) وهدفهم هو قصم ظهر الولايات المتحدة عن طريق اغتيال كافة زعمائها .. وهو هدف ـ كما يقول ـ سبق ان عبرت عنه مدام هيلينا بلافاتسكى التى يعرف الجميع أن سرحان يقرأ لها فى سجن المدينة .

شهود مزيفون

كانت مهمة هوتون ورجاله ان يستوثقوا من كل شىء ، وأن يثبتوا ادانة الرجل الذى يحتجزونه ((سرحان سرحان)) .. ولكى يفعلوا ذلك كان عليهم ان يجمعوا اكبر عدد ممكن من شهود العيان وكانت عملية استبعاد شهود العيـــان المزيفين عملية طويلة مجهدة وكان لديهم بضع صور قليلة التقطت فى غرفةالكرار فى لحظات الفوضى الاولى التى اعقبت اطلاق النار . وكانت تصلح أساسا للتأكد من وجود شاهد العيان هذا او ذاك ولكنها لم تكن كافية بالمرة . وقد حشــد البوليس ومكتب المدعى الاقليمى اكثر من مائة شخص فى غرفة الكرار بفنــدق الامباسادور وجعلهم يستعيدون ما شاهدوه أمام عدسة التليفزيون وسجلوا المشهد كاملا على شريط الفيديو .

وكان من حق كولينز وزميله السير جنت فرانك باتشيت أن يحمــدوا الله كثيرا لان اقوال الاذاعة والصحف الاولى اجمعت على أن القبض على سرحان تم بوساطة روزفلت جرير ورافر جونسون فقد جاء شاهد عيان ليقول للبوليس

ان هذا غير صحيح وانه لا جريرولا جونسون امسكا بسرحان ، وانما هو كارل بويكر ، وهو ميتر دونيل فى فندق الامباسادور .

وقال أحد الرجال « لو جمعنا معا كل من يقول انه كان فى حجرة الكرار تلك الليلة .. لما كفاهم استاد الكوليزيوم » .

٢٥ الف دولار

وفى الخامس والعشرين من يونية اعتمد مبلغ ٢٥ الف دولار لاعادة تهيئة حجرة الحرس بالطابق الثالث عشر فى قصر العدالة ، حيث قرر مكتب المأمور انه يستطيع توفير اقصى قدر من الحماية لسرحان بالقرب من قاعة المحكمة التى سيحاكم فيها . فقد كان عقد الجلسات فى كنيسة سجن نيو كاونتى يسبب للمامور والحرس صداعا كبيرا .. فالجلسة القادمة مثلا المقرر لها ٢٨ يونية ، كان لابد من اتخاذ احتياطات تملأ تعليماتها ٢٨ صفحة كاملة .

وكان الاعتماد المالى يتضمن اعداد درع من الزجاج الواقى من الرصاص يحيط بالمتهم ، حتى لا يتاح لاى شخص مسلح يمكن أن يكون قد تسلل الى الداخل ان ينال من المتهم . وبدأ العمل فعلا لاعداد المكان الجديد ليكون مأوى لسرحان طوال المدة الباقية له تحت تحفظ المأمور . وكان معنى هذا ان حراس سرحان سيكون عليهم قريبا ان ينقلوه . والى ان يتم ذلك . اخذ المفتش رالف ويلش يحسب الزمن الذى يستغرقه قطع كل طريق من سجن نيو كاونتى الى قصر العدالة . فقد كان يريد العثور على أسرع الطرق ، وفى نفس الوقت اقلها حركة لتفادى أى تعطيل أو مفاجآت .. وسرعان ما اهتدى ويلش الى الطريق المناسب ، وأخذ يجتاز المدة بعد المدة فى أوقات مختلفة بالليل والنهار لكى يكون مستعدا تماما فى اللحظة التى تصدر فيها تعليمات المأمور بنقل سرحان .

اختلال العقل :

وفى نفس الوقت ، أدلى راسل بارسونز للصحف ببعض تلميحات تشير الى انه قد يتقدم بدفاعه على أن سرحان مصاب بمرض نفسى . الامر الذى دفع بجون لورانس الى ارسال برقية أخرى من نيويورك الى سرحان يقول فيها انه سيرسل اليه كتابى « الحرية والطب النفسى » و « خرافة المرض العقلى » تأليف الدكتور توماس تشاتش وهو عالم نفسى من نوع غريب لا تعرف هل يؤمن أو لا يؤمن بوجود شىء اسمه المرض العقلى . ولكن له موقف حساس ضد فكرة الدفاع عن المتهمين على أساس المرض النفسى .

***

تجمع حشد كبير من الصحفيين يوم ٢٨ يونية لحضور أول جلسة لمحاكمة سرحان ، الذى تم نقله ، فوق مقعد متحرك ، عبر مسافة طويلة من زنزانته الى كنيسة السجن حيث تجرى المحاكمة .

وكان من بين الصحفيين دافيد سميث مندوب « لوس انجلوس تايمز » وجلادوين هيل مندوب « النيويورك تايمز » ومارتن كاسندروف مندوب «النيوزويك» والصحفى العجوز والتر وينشل .

ووقف ٤٣ رجلا من رجال البوليس لتفتيش الصحفيين ، ثم مصاحبتهم الى الكنيسة ، واستغرق التفتيش حوالى ساعة ، بينما استغرقت الجلسة التى رأسها القاضى « ريتشارد شوير » ٧ دقائق .

طلب المحامى بارسونز التأجيل للاستعداد ، بعد ان اعتذر الدكتور (ادوارد شيفيرولد) أحد الاطباء النفسانيين الذين عينتهم المحكمة عن مهمته .. ولم يكن بارسونز قد تلقى بعد تقريرا من الدكتور فاركوس . وقد عين القاضى الدكتور « جورج ايب » بدلا من « شيفبروك » .

ويبدو ان القاضى « شوير » لم يكن فى عجلة من أمره فعادة ما يجرى تأجيل المحاكمة لاخماد روح التعصب عند المجتمع ، وبالتالى لا يميل ميزان العدالة كثيرا ضد المتهم .

والامر الوحيد الذى تبقى فى هذه الاجراءات القانونية هو ان يتخلى سرحان عن حقه القانونى فى ان يحاكم خلال ٦٠ يوما . ولقد تخلى عن هذا كما كان مأمولا .

وبعد تحليل القرائن والادلة قرر ممثلو الادعاء « كومبتون » و « هوارد » و « فتسى » انه لم يبق امام « بارسونز » سوى طريقين للدفاع ، ضعف القوى العقلية عند المتهم او تضاؤل قدرته . وكلاهما من وسائل الدفاع التى تعتمد على الامراض النفسية ، والتى تتطلب نوعا من الخبرة لا يملكونه .. ولهذا استأجروا طبيبا نفسيا لحسابهم وهو الدكتور « سيمور بولاك » أحد أطباء النفس الممتازين ، ممن تستعين بهم المحاكم ، يرأس معهدا خاصا للعلوم النفسية والقانون بجامعة « جنوب كاليفورنيا » .

ولم يستطع الدكتور بولاك بوصفه احد رجال مكتب المدعى المحلى ان يتحدث الى المتهم .. ولكن فى استطاعته ان يراقبه فى المحكمة .. وفى خلال الجلسة التى استغرقت ٧ دقائق جلس الى يمين سرحان وهو يوجه نظره اليه ويسجل ملاحظاته عن سلوكه .. وقد لاحظ مرة أن سرحان امسك بيد محاميه بارسونز كما يفعل طفل صغير مع أبيه .

كانت اجراءات المحاكمة مخيبة لامال الصحفيين .. ولكن سرحان كان مضطربا .. لقد عاد الى زنزانته يشكو ألما فى المعدة ، فناولته احدى ممرضات السجن بعضا من الراوند والصودا .

وفى الصباح التالى اشترى سرحان نسخة من صحيفة «لوس انجلوس تايمز» ليقرأ ما كتب عنه .

وفى نفس اليوم ألقى القبض على امرأة زنجية فى منتصف العمر داخل دهليز السجن وفى حقيبة يدها مسدس اوتوماتيكى عيار ٤٥ محشو بالرصاص .

وبعد انعقاد المحكمة رد بارسونز على صحفى ساله عما اذا كان سيطلب تبرئة سرحان بسبب ضعف قواه العقلية قال ان هذا ليس من حقه والامر متروك للاطباء النفسيين والمحلفين .

وسمع جون لورنس كلمات بارسونز عبر التليفزيون ، فارسل مذكرة أخيرة الى سرحان اشار فيها - وكان ذلك صحيحا - الى ان بارسونز يتلاعب بالحقيقة .. لانه ليس الاطباء النفسيون ولا المحلفون هم الذين يقررون طلب البراءة ، وانما محامو الدفاع .

وهاجم لورنس - للمرة الاخيرة - الطريقة التى يسلكها الدفاع عن سرحان ، واتهم كلا من الدكتور « ايريك ماركوس » و « جورج اييب » بانهما « يقبضان مرتبيهما من الدولة » ويعملان وفقا لنظرية اورويل عن رفاهية « الدولة البوليسية » .

ورفع لورنس يده ليعرب عن مخاوفه الحقيقية التى لم تكن لصالح سرحان وانما لصالح لورنس نفسه .. لقد حذر سرحان قائلا « اذا كنت تسلك هذا الطريق « السيكولوجى » فى دفاعك .. فانك ستعرض كل شخص من المعنيين بالقضية العربية فى امريكا لان يتهم بانه « مختل العقل » وعندما تضطرب اعصابه ويستبد به الغضب بسبب ما حدث وما يحدث للشعب العربى الفلسطينى ..

أصوات القنابل

وعندما خفتت الاضواء حول محامى الدفاع « راسل بارسونز » بدأ يدرك أن مشكلاته تكاد تشبه مشكلات بوليس لوس انجلوس ، فقد كان عليه أن يكشف أيضا السبب الذى من اجله اقدم سرحان على قتل كنيدى .

وبدا هذا الامر سهلا فى ظاهره فبارسونز يملك وسيلة لا يملكها البوليس وهى سهولة الاتصال بالمتهم . ولكن المحامى لم يحصل على شىء يذكر من سرحان ، وهو امر يثير الدهشة . وذلك لان بارسونز اعتاد الا يوجه لاى من موكليه سؤالا

مباشرا عن الجريمة .. وكان لا بد أن تاتي المعلومات من الاخرين ، وهنا يبدو البوليس اكثر قدرة من بارسونز بما يملكه من مخبرين في كل مكان .. بينما لم يكن تحت تصرف بارسونز سوى محقق واحد هو « مايكل ماك كوان » .

كان ماك كوان طيبا ، لا شك في هذا .. وقد عمل في البحرية ثم في بوليس لوس انجلوس لمدة عشر سنوات قبل التخرج من مدرسة القانون .. والان اصبح مشهورا بوصفه محققا خاصا . وقد حصل أخيرا على نسبة كبيرة من احد عملائه وكان قد أصيب الرجل في حادث طريق واستطاع الحصول على تعويض قدره ٦٠٠ ألف دولار ، وهواكبر مبلغ دفع كتعويض في تاريخكاليفورنيا . وكانت مساعدات « ماك كوان » وتحرياته سببا مباشرا في كسب القضية .. ولهذا فعندما طلب منه بارسونز ان يساعده في قضية سرحان دون أجر ، تردد لحظة ثم وافق وأصبح اليد اليمنى لبارسونز .

قال بارسونز - ان ما نحتاج اليه هو الحقائق .

وعدد بارسونز عشرات القضايا التي بدت في أول الامر ميئوسا منها ، وكان ماك كوان يعرف ذلك .. ولكن المسألة هي كيف يصل الى الحقيقة وبدت عليه علامات التوتر العصبي عندما كان يفكر في الامر اثناء خروجه مع بارسونز لتناول قدح من القهوة هنا أو هناك .. وقد تكرر هذا مرات حتى جاء يوم ٢٤ يوليو عندما ذهب بارسونز ومعه ماك كوان للقاء سرحان .

وفي نفس الوقت كان ماك كوان يقضي ساعات طويلة في احاديث مسجلة مع عائلة سرحان « أمه ماري واخويه عادل ومنير » .. لمعرفة البيئة التي عاش فيها سرحان .. وقصت الام روايتها الشخصية عن النزاع العربي الاسرائيلي . والمشاق التي لقيتها الاسرة وسط حرب عصابات لا نهاية لها .. والمرة التي اطلق فيها الجنود اليهود الرصاص على زوجها بشارة الذي كان يعمل في محطة المياه بالقدس ، بينما نسف الديناميت رئيس زوجها .. وكانت كل هذه الاحداث في عام ١٩٤٤ ، نفس السنة التي ولد فيها سرحان .

ارهابيون يهود

وعندما بلغ سرحان الرابعة كانت أمه تملأ اذان الاطفال بقطع القطن كل ليلة حتى لا يسمعوا أصوات القنابل والانفجارات التي كانت تحدث كل ليلة .. وقد عمد بعضهم - وتقول ماري انهم ارهابيون يهود - الى دفع عربة مليئة بالديناميت الى أسفل التل صوب منزل المندوب السامي ، فانفجرتقرب مدرسة سويدية لا تبعد سوى مبنى واحد عن بيت سرحان وقد انبطح افراد العائلة ارضا من شدة الانفجار ..

كان هناك الكثير جدا ، الذى يمكن أن يروى عن أثر الحرب على نفسية سرحان وكانت مارى شديدة الاهتمام لان تدرك مدى هذا التأثير .. وحاول ماك كوان ان يحصل على الصورة كاملة .. لقد ابلغته مارى ان الاسرة أرغمت على مغادرة بيتها وترك جميع ممتلكاتها لتعيش فى بيت مهدم فى القدس القديمة فى عام ١٩٤٨ حتى غادروا القدس فى ديسمبر ١٩٥٦ . كانت الحياة هناك اسوأ .. لقد عاشت الاسرة كلها فى حجرة واحدة دون تدفئة او غذاء كاف ، حياة مضطربة تقوم على حصص « جراية » الطعام التى تشرف عليها ادارة الاغاثة التابعة للامم المتحدة والقنابل مستمرة .

وفى احدى المرات نسفت قذائف الهاون التى أطلقت فى القطاع الاسرائيلى احد أصحاب الحوانيت ، ورأى سرحان ما تبقى من الرجل ملقى فى الشارع ، وظل يحس بالخوف ٤ او ٥ أيام .

منير اشترى المسدس

لم يصدق السيرجنت هانك هرنانديز قصة منير سرحان عن المسدس ، لان جورج ايرهارد تذكر انه باع المسدس لمنير وليس لسرحان .. وحتى لو صدقت رواية منير فى أنه اكتفى بتقديم أخيه لايرهارد لكى يشترى منه المسدس ، فان هرنانديز لم يتصور أن منير فعل ذلك دون أن يعرف لماذا احتاج سرحان الى المسدس او ماذا كان ينوى ان يفعل به ؟ .. ولهذا استدعى البوليس منير الى « باركر سنتر » يوم ٢٤ يونيو لاجراء كشف « الكذب » عليه .. ولكن هرنانديز لم يصل الى شىء مما كان يعتقد أن منير يخفيه ، ولعل غلطة هرنانديز لم تجعله لائقا للعمل الذى يؤديه ولم تمكنه من الوصول الى نتيجة .

وسرد هرنانديز القصة المعادة ، والان ، اسمع يامنير انى بالتأكيد اقدر حقيقة ان سرحان اخوك واستطيع اقدر الاحساس الذى تستشعره ، بوصفك اخا ولكننى أريدك أن تكون على علم بانه بعد عشرين عاما من الان سوف يقرأ الناس عن هذا التحقيق .. وبعد مائة عام سيظلون يقرأون عنه .. انك عندما ذهبت الى المدرسة قرأت عن ابراهام لنكولن ، وانا واثق انه بعد مائة عام او مائتين اذا ظل العالم فى الوجود ، فان بعض الناس سوف يقرأون عن السناتور كنيدى ، ولهذا فانى ارجوك ، واطلب اليك مرة ثانية ان تقول شيئا . انت تعلم ان كشف خطوة واحدة سوف تقود الى خطوات اخرى .. والان هل لديك اقوال عن شراء المسدس ؟..

- هل اشتريت المسدس من هذا الشاب جورج ؟
- لا ..

لم يكن هرنانديز مقتنعا لان جورج ايرهارد أبلغه انه باع المسدس لنيروليس لسرحان وقد ظل ساعتين يحور ويلف دون جدوى .

وظل منير مصرا على انه ساعد سرحان فى أن يشترى المسدس من ايرهارد، وانه قال لايرهارد ان اخى يريد بندقية ولكن لا تبعها له .. ويقول منير أنه لم يكن عنده سوى نية مساعدة أخيه على شراء مسدس وان أخاه مضى قدما واشتراه على اية حال ، على خلاف ما كان يامله ويتوقعه .

لقد حمل هرنانديز منير على أن يعيد القصة كلها مرة ثانيـــة . وتناقش الاثنان حول ما اذا كانت الرواية التى ذكرها منير تختلف عن روايته السابقة

احتج هرنانديز : « كل ما اريد ان افعله هو ان اوضح الامر »

وكان من الممكن ان يصل هرنانديز الى نتيجة افضـــل من ذلك لو اكتفى بمحاولة الحصول على الحقيقة ، ولكنه ظل يرهق منير بالاسئلة .. ســاله عن الحديث الذى جرى بينه وبين شقيقه سرحان بعد أن خرج منير من سجنه منذ اكثر من عام ..

فاجابه منير :

ـ سيدى .. ان هذا زمن بعيد ..

قاطعه هرنانديز : لا .. انه ليس بعيدا جدا .. ليس هناك شىء بعيد .. هل تدرى ان ٤ من رجالنا طاروا الى الاردن .. الىفلسطين..هل تظن ان هذا بعيد جدا ؟

قال منير : سيدى لست اعنى انه بعيد جدا .. اننى أعنى ان المســألة قديمة .. فلست اذكر متى خرجت من السجن فى اغسطس أو فى يوليو ١٩٦٧

ـ أوه .. ماذا قال لك ؟

ـ لقد اراد مسدسا ، ليذهب الى نادى الرماية ، هذا ما كان يردده .

ـ ولكن .. هل صدقته فى حكاية نادى الرماية .

ـ انت تعلم كيف يكون الاخوة .. اننى لم أساله ..

ـ ان لى ٨ اخوة واعرف كيف يكون الامر

ـ حسنا .. اننى أعرف انه لم يكن فى حاجة الى المسدس للذهاب الىنادى الرماية ، ولكننى لم اعرف فىذلك الوقت شيئا اخر .. لقد قال لىماقاله وكنت اعرف أنه من طراز عنيد .

ـ حسنا .. انت تعرف انه لم يكن يحتاج الى المسدس للذهاب الىالنادى

ـ سيدى لقد عرفت انه لشىء آخر ولكنى لم اعرف ما هو .

ـ ماذا اعتقدت يا منير ؟

ـ لم اعرف شيئا .. وهذا هو ما حدث .

ـ هل تشعر بانك مذنب .. أليس كذلك ؟

ـ نعم ياسيدى ..

ـ لانك أحضرت له المسدس

ـ حقا .. انه بدونى ، ربما عجز عن الحصول عليه .

هذا هو ما استطاع هرنانديز أن يصل اليه ، لقد أرهق نفسه كما ارهق الشاب الذى حقق معه كما انه لم يقم باختبار كشف الكذب .

⦿ ● ⦿

ظل سرحان فى زنزانته منهولا امام اختبار الدكتورماركوس ، ولكن بارسونز رجاه ان يتعاون لان هؤلاء الاطباء يستطيعون مساعدتنا مساعدة حقيقية .

غير ان سرحان لم يقطع سوى نصف الشوط ، وترك جانبا هذا الاختبار الذى يطلب منه رسم اشكال معينة : صورة رجل .. امرأة .. صورته كما يرى نفسه .

ووصف سرحان العبارة التى سيكمل بها الاختبار بانها ساذجة ، ربما لانه لا يحتاج الا لمجهود بسيط للاجابة على الاسئلة التى تتناول أكثر من ٥٠٠ فقرة يجيب عليها بنعم او لا .. وبعد ذلك سيفسر الخبراء النفسيون اجابات سرحان حسب معاييرهم .. وقد كانت بعض الاسئلة التى امتنع فيها سرحان عن الاجابة بنعم او لا ، ذات مغزى مثل : « أكثر من مرة فى حياتى ، شعرت بأن شخصا ما يدفعنى الى عمل اشياء بواسطة تنويمى مغناطيسيا » أو « ان شخصا ما كان يحاول التاثير على عقلى » .

محاولة اغتيال سعد الله

فى الساعة الرابعة والنصف صباحا ، يوم ٣ يوليو ، كان سعد الله سرحان يتجه بسيارته شمالا عبر طريق باسادينا ، عائدا من لوس انجلوس ، حيث كان على موعد مع مندوبة صحيفة « لوس انجلوس فرى برس » ولكنه لم يجدها ، كانت هناك سيارتان تقتفيان اثره لمسافة ستة اميال تقريبا . وكانت احدى السيارتين اتوبيس فولكس فاجن .. تقل اربعة رجال . والثانية شيفروليه خضراء طراز ١٩٦٩ وبداخلها ثلاثة رجال .. وقرب نهاية الطريق ، فى باسادينا توقفت السيارتان ثم وجه احد ركاب الفولكس فاجن ـ وربما كان السائق ـ بندقية الى سعد الله واطلق النار . اصابت الطلقة الاولى بدلة سعدالله ، الطلقة فى

المقعد الخلفى وانطلقت الثانية فوق رأسه واستقرت فى الباب المجاور له .
وتوجه سعد الله مباشرة الى بوليس باسادينا .

هذه هى قصة سعد الله .. لم يصدق البوليس القصة ، فرجال البوليس يذكرون ان سعد الله سبق أن قدم بلاغا كاذبا عن ارسال اثنين من الرجال الاشداء لضربه فى شقته بايعاز من مندوب ومصور مجلة « لايف » ..

وتصور رجال البوليس ان قصة سعد الله عن محاولة اغتياله قد تكون غير صحيحة كذلك ، وان المقصود منها هو لفت الانظار اليه ، وسط الدعاية التى تحيط باسرته ، ولاينال منها جانبا كافيا..كان سعد الله يعتقد انه يستطيع ان يبيع قصته مقابل مبلغ كبير من المال .. ولم يكن امامه سوى جريدة « فرى برس » وهى محدودة الميزانية ..

فحص رجال البوليس سيارة سعد الله فوجد ثقبان متجاوران فى رفوف السيارة .. ولو كان سعد الله يريد أن يصيب سيارته بنفسه ، فهذا هو الوضع المناسب لذلك .. اما فى حالة الاصابة من الخارج فانه من المعقول ان تصيب الرفرف رصاصة واحدة .. ولكن رصاصتين فهو امر غير معقول .

والاكثر من هذا ان الرصاصة التى استقرت فى الباب كان لا بد وان تخترق جسم سعد الله اولا اذا كان يجلس فى مقعد السيارة ..

لقد استخدم البوليس معه جهاز كشف الكذب ، وكانت اجاباته ولا سيما الاجابات الهامة - غير مقنعة ومع هذا ، فقد ظلت اتهامات سعد الله تحتل مكانها فى الانباء وقد ساعدت النتائج التى تضمنها - وهى ان هناك من يحاول ان يؤذيه - على تبرير حماية البوليس له باستمرار ، وابلغ البوليس الصحافة عن حادث اطلاق النار فى الطريق .. ونصح سعد الله بان ينتقل هو واسرته الى منزل آخر ..

بشارة سرحان

مر بشارة سرحان بروما .. وهو فى طريقه من القدس الى الولايات المتحدة لزيارة ابنه .. وقرا تقارير الصحف عن المجرمين الذين اطلقوا النار على ابنه سعد الله فى طريق باسادينا . فاتخذ قرارا هو أن يعود الى القدس ويجرب حظه مع الصهيونيين الظالمين بدلا من أن يجعل نفسه تحت رحمة رعاة البقر فى باسادينا ..

ومن ثم استقل اول طائـرة الى تل ابيب وكتـب الى سرحان خطابا لم يستخدم فيه اية عبارة مباشرة ، وكل ما قاله : « اننى اشعـر بأسف عميق من الحادث الذى وقع » ..

وانهى خطابه بمزيج من القلق والغضب :

« هل هم يعذبونك .. هل هم يضربونك .. هل يحتقرونك ام يعاملونك معاملة حسنة ؟.. اخبرنى لماذا تظهر على التليفزيون وانت مشدود الى مقعد ؟».

وفى اليوم نفسه .. يوم عيد الاستقلال ـ ٤ يوليو ـ ارسل شخص من فلوريدا بتوقيع امريكى عاقل ، واحدا من الخطابات المثيرة الى سرحان :

« لقد قدمت خدمة عظيمة الى الشعـب الامريكى لقضـائك على ذلك الايرلندى ذى النظرة الخبيثة لقد منعت تلك السيدة القبيحة زوجـة روبرت كنيدى ، من ان تدخل حجرات البيت الابيض .. لقد ضربت فى لحظة غضب احد الجرحى .. انها « .... » لا تصلح اطلاقا لبيتنا الابيض العظيم .. ان هذين الحيوانين ينجبان اطفالا كل عام تقريبا لارضاء بابا روما والكنيسـة الكاثوليكية المتعفنة ..

« لن يصير اى كاثوليكى رئيسا للولايات المتحدة »

⊙ ● ⊙

زار الدكتور ايريك ماركوس سرحان للمرة الثانية ، ووجد انه لم يستكمل الاجابة على الاختبارات التى كان قد تركها له .. هز ماركوس كتفيه لان ذلك لن يغير من الامر شيئا فقد قرر الاستعانة بطبيب نفسانى اكلينيكى ليختبـر سرحان بطريقة كاملة ..

سأل ماركوس سرحان عن مذكراته فسمح له بالاطلاع عليهـا ، وقـد بدت بعض صفحاتها غريبة .. كان ماركوس قد قرأ عن الاغتيال فى مجلات طبيةمختلفة، للدكتور « ديفيد روشتيينى » الذى فحص سجـلات تسعة من المسجونين فى سبرنجفيلد بميسورى ، ممن كانوا يقضون فترة العقوبة لانهمهددوا حياةالرئيس الامريكى .. وكانت كتاباتهم قريبة الشبه بما كتبه سرحان فى مذكراته ، وقـد ادرجوا جميعا تحت قسم « مرضى انفصام الشخصية » ..

قرأ ماركوس فى صفحة ١٢٣ من مذكرات سرحان :

• اننى اريد تنحية الرئيس الحالى للولايات المتحدة •• ليســـت عندى خطط محددة ولكننى ساعد بعض الخطط قريبا •• دعاية هذا البلد تقول انهـا افضل بلاد العالم •• اننى اعتقد ان الولايات المتحدة صارت علىوشكالانهيار•• لقد بدأ هذا فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٣ •• انها يجب ان تنهار بخطوات أسرع » ••

سال ماركوس : « ما رايك فى مذكراتك ؟ »

قال سرحان انه لا يتذكر شيئا مما كتبه فيها ••

وفى عدد من الصفحات ، كتب سرحان اسم « بيجى اوستر كامب » اكثر من مرة ، وكتب : «انى احبك يا بيجى » وفى مكان اخر كتب : بيجى اوستر كامب ، بيجى سرحان ••

سال ماركوس : من تكون بيجى اوستر كامب ؟ ••

اجاب : « فتاة قابلتها مرات قليلة فى نادى الرماية فى كورونا ••

ـ هل هذا هو كل شىء ؟

ـ هذا كل شىء ••

ـ ألم تقابلها فى موعد ؟ ••

هز سرحان رأسه •• وعاد ماركوس للحديث عن ليلة اطلاق الرصـــاص ، وسال سرحان عن ذلك •• وفى هذه المرة •• كان سرحان متعاونا اكثر من ذى قبل •• لقد روى لماركوس الرواية كامـــلة كما سبق ان رواها المحامى العام وراسل بارسونز ••

حفلة مثيره

ـ عندما اغلق نادى الرماية ابوابه فى الساعة الخامسة مساء ••لميكنسرحان قد استنفد كل ذخيرته •• ذهـــب الى محل بوب وتناول « ساندوتش » من اللحم مع صديق •• وهو طالب اجنبى لا يتذكر اسمه وقد تحدثا عن الخيـول واراه سرحان بعض رصاصات كانت فى جيبه •• وقرأ خبرا فى الصحيفة عن اجتماع صهيونى فى شارع ديشير •• وأحس بالغضب الشديد لهذا ، وقـرر ان يذهب الى الاجتماع ، ولكنه لم يجد له اثرا ، وبدلا منهذا ، راح يتجول فى المقر الانتخابى للسناتور كوتشيل •• وهناك تحسنت حالته النفسية وسمع أنه ستكون هناك حفلة مثيرة فى فندق الامباسادور •• ولما وصل الى هناك اذهلته اضواء التليفزيون •• ذهـــب الى بار ، ولـــكنهم امتنعوا عن تقـديم

الشراب له لانه لم يكن يحمل بطاقة تحقيق الشخصية التى تثبت انه تجاوز الحادية والعشرين من عمره .. دخل بارا آخر وطلب كاسين مرة واحدة ، شرب الكاس الاولى وبدأ يرتشف الاخرى .. وربما طلب كاسا اخرى او اثنتين .. احس بالدوار وقال لنفسه انه يستحسن ان يعود الى البيت .. كان مترددا فى قيادة سيارته ، بسبب الحالة التى كان عليها .. والشىء الثانى الذى تذكره هو انه اختنق من زحام حجرة غسيل الاوانى فى فندق امباسادور..

لم يتأثر ماركوس بظاهرة فقدان الذاكرة ، فقد قابل كثيرين من المتهمين ممن زعموا انهم اصيبوا بفقدان الذاكرة بسبب الشراب .. وتعلم ماركوس ان فقدان الذاكرة وسيلة ملائمة لاخفاء شىء ، لا يريد المتهم ان يتذكره ..

ومع هذا فقد رغب ماركوس فى أن يجرى اختبارا للدم بحثا عن الكحول

تعاون سرحان الى حد ما ، ولكن بعد انانصرف ماركوس فى الساعة الحادية عشرة والربع صباحا .. لاحظ الجندى النوبتجى انه فى الساعة الواحدة والدقيقة الحادية عشرة بعد الظهر بدأ سرحان يدق جدار زنزانته ..

⦿●⦿

جاء الدكتور « جورج ايب » الطبيب النفسى ومدير مستشفى مترو بوليتان ستيت فى كاليفورنيا ، ليجتمع بسرحان فى ١٢ و ١٣ يوليو كان هو ثانى الاطباء النفسيين ممن عينتهم المحكمة مستشارين لمحامى الدفاع وقد عمل - شانه شأن الدكتور ماركوس - عضوا فى لجنة الاطباء النفسيين .. لدى المحكمة العليا .

وجد الدكتور « ايب » سرحان مهذبا متعاونا بقدر كاف ، لدرجة انه اعتقد أن سرحان يتمتع بفكرة الاهتمام به ، وانه ارتاح لاستدعاء طبيب نفسانى آخر لفحصه ، قال سرحان : « ان المسألة تبدو كاللعبة .. انها اشبه بتجربة علمية ».

وفى المقابلة الاولى التى استغرقت وقتا طويلا روى سرحان لايب حوادث ليلة الاغتيال . وكانت نفس الرواية التى سبق أن رواها للمحامى العام وراسل بارسونز .

وتذكر اشياء اكثر عن فندق الامباسادور . تذكر انه كان يحمل كاسين من الشراب فى يديه فى وقت واحد . تذكر انه كان يتحدث الى شاب مكسيكى ويرجوه - بالرغم من رثاثة ثيابه - أن يجىء الى الحفلة ، لأنّ كنيدى سيكون فى الجانب المهزوم من المعركة .

حكى عن فلسفته السياسية التى تعد فى نظر ايب مناهضة للصهيونية بصورة عنيفة . قال سرحان : ان الصهيونيين فى هذه البلاد يملكون المال والسلطة . وان اى مرشح سياسى يريد الفوز . لابد وأن يستمع اليهم . اكد سرحان أن كنيدى

استمع اليهم . ومع ذلك . فانه كان يعتزم اعطاء صوته له .. « لان كنيدى كان فى الجانب المهزوم » .

دهش ايب لهذا ، وقال ان أفكار سرحان تستهويها الرغبــــة فى التعذيب ولاسيما فى المجال السياسى . ولـكن ليس هناك دليل على اصابته بالهلوسة أو الجرى وراء المعتقدات الخيالية .

وفى اليوم التالى طلب أيب من سرحان ان يحدثه عن فجر حياته . وساعده على ان يتذكر التفاصيل الهامة . وذلك بواسطة مجموعة محددة من الاسئلة ، مثل : هل كان سرحان يبلل فراشه ، وهل كان يقضم أظافره طوال حيـاته . وهل كان يتعرض لكابوس متكرر من السير فى ظلام دامس . وهل يخشى الحجرات المظلمة . وهل كان يميل الى قتل براغيث الفراش أو كان يكره أنواعا معينة من الطعام . أو أنه لم يغرم بالسباحة لانه كان يحس بالخجل والحساسية اذا خلع ملابسه . هل كان والداه يميلان الى التاديب أو أن والده كان شديدا جدا وبصورة غير معقولة احيانا . متى ترك والده الاسرة فى عام ١٩٥٧ ؟

أكد سرحان انه لم يستشعر أى احساس بالضياع ، لانه كان مشغولا جـدا بشق طريقه فى أمريكا .

وبالرغم من أن سرحان بدا مستريحا أثناء الاسئلة ، الا انه يبدو انها أقلقته . فقد جلس أكثر ساعات الليل فى حجرة ملحقة بزنزانته وهو يتطلع الى الحـائط ويتساءل عما اذا كان الدكتور ايب يظنه مجنونا . ولاحظ الجندى المكلف بالحراسة أن سرحان يتحدث الى الحائط وانه كان يدق عليه بيديه .

هل اعتقد ايب أنه مختل العقل ؟

لم يعتقد الطبيب هذا . لقد أظهر فى تقريره الى داسل بارسونز أن سرحان سليم القوى العقلية وانه قادر على ادراك طبيعة وهـــدف الاجراءات التى تتخذ ضده . وقال ايب انه ليست لديه فكرة ثابتة عن حالة سرحان العقلية لحظة ارتكاب الجريمة .. وهذا ما لا يخدم بارسونز كثيرا

* * *

بعد ان تفحص مايكل ماك كوين احد المحققين التابعين لراسـل بارسونز مجموعة الكتب الخاصة بسرحان والتى سلمها له شقيقه عادل . كان رد الفعل الاول عنده غير ودى اذ قال « ان هذا الشخص شيوعى وغد » .

وهذا الحكم يستند الى دليل واه اذ كان سرحان يقتنى كتابا من تاليف فيدل كاسترو بعنوان « التاريخ سيعلن براءتى » يظهر ختم البريد الموجود على غلافه ان

سرحان حصل عليه من جمعية تسمى « لجنة الدفاع عن كوبا » وكان لى هارفى أوزوالد أحد أعضائها يوما ما ـ كما كان يملك كتابا آخر بعنوان « فكر الجامعة الجديد » وهو مكون من عدة فصول مختلفة الموضوعات وقد وضع سرحان خطوطا تحت الكثير من عباراته حول سياسة الولايات المتحدة تجاه كوبا .. أما بقية الكتب فكانت أبعد ما تكون عن الشيوعية اذ كان معظمها يتناول العلوم الخاصة بالعقل والتصوف . والغيبيات مثل كتاب « ملكة التفكير الايجابى لنورمان فنسنت بيل » .. و « عقيدة كبار العلماء » .. ومحاضرات ايدنبرج حول علم العقل لتوماس ترو ارد .. » وتأملات حول الحياة الغيبية » بقلم ج. هدسون و « سطح النجوم » بقلم س. وليدبتر و « سر القوة المسيطرة على الطبيعة » بقلم فرانك رودلف يونج .

ولم تشتمل هذه الكتب على أية اشارات للصفحات التى يفضلها سرحان . غير أن تقرير ماك كوين ذكر أن كتاب « كشف القناع عن ايزس » تاليف هيلينا بلافانسكى كانت تسود عباراته التخطيطات حتى صفحة ٤٧٧ بينما ظلت الـ ٢٢٤ صفحة الباقية بدون تخطيطات .

ولاحظ ماك كوين أن كتاب « تكامل الشخصية » بقلم انتونى ستور كانت به بعض الكتابات المتسرعة بخط سرحان .. وكان من الواضح أن سرحان قد استوقفه العديد من الفقرات الهامة فى كتاب ستور واحس بنوع من التحدى .

فقد وضع ثلاث علامات استفهام بجانب جملة فى صفحة ٣٤ تقول :

« كلما ازدادت عزلة الانسان كلما أصبح أقل استقلالا »

وفى صفحة ٤٣ كتب سرحان كلمة « عميــق » فى الهامش الايمن للجملة التى تقول :

ان تتماثل مع شخص آخر هو ان تفقد نفسك ، انتفرق ذاتيتك الخاصة فى ذات الآخر . أن تصبح منسحقا . وبالتالى أن تعتبر نفسك بشكل نهائى كما لوكنت أقل من شخص كامل » .

معبد العبقرى

وفى كتاب « قانون العقلانية » بقلم فيكتور سينو وضع سرحان خطــا تحت جملة فى صفحة ١٦ تقول :

« ما هو حقيقى بالنســبة لشخص ما هو شىء غيــر حقيقى بالنســبة لشخص آخر » .

كما وضع خطا تحت جملة فى صفحة ٧١ تقول :

« فى كثير من الاحوال يتحطم العبقرى عند أول نجاح يحققه »

وفى كتاب « قراءات لكتاب جامعيين » الذى اشترته جامعة باسادينا فى ٣ يناير ١٩٦٤ قدم سرحان بعض الاشارات التى تبين انه ربما كان حتى فى هـــذا الوقت اى قبل قيامه باغتيال السناتور كنيدى بأربع سنوات ونصف سنة . كانت لديه بعض الافكار .

فقد كتب سرحان فقرة تقول « ان العدو ليس بالضرورة شخصا سيئا . وربما يكون على خلق .. وعلى قدر من الارادة الطيبة » .

وفى صفحة ٢٣١ قدم سرحان اجابة جريئة على سؤال شائك يقول :

« اذا لم يكن هناك مفر من الخيار الذى يواجهنا .. فهل سنرفض الحرب ام سنعمل على اهلاك الجنس البشرى » .. وكانت اجابة سرحان « اننا نختـار الحل الاخير » ..

وهذه الفكرة تتطابق مع الفكرة التى اوردها سرحان فى صفحة ٢١ من مذكراته الخاصة التى قد تكون كتبت فى يوم ٢ يونيو ٦٧ . اذ ان هذا هو التاريخ المكتوب فى أعلى الصفحة

« ان اعلان الحرب ضد المجتمع الامريكى فى الوقت الذى اصبح لزاما على أن اسعى للانتقام من كل المعاملة غير الانسانية التى ارتكبت ضدى من قبل الشعب الامريكى .. ان هذا الاعلان سوف ينفذ من قبل صاحبه بمجرد مقدرته على جمع ٢،٠٠٠ دولار وحصـــوله على بعض الاسلحة النـــارية . وهو الامر الذى لم يتم انجازه بعد .

« ان ضحايا هذا الاعلان سوف يكونون أو هم الآن رئيس الجمهورية ونائبه ثم من هم بعد ذلك .

« واسلوب الهجوم غير مادى ـ وعلى كل فان السلاح المستخدم قد يؤثر على الاسلوب بشكل ما »

« ويعتقد صاحب الاعلان اعتقادا حقيقيا أن عددا كبيرا من الناس يتفقون معه فى افكاره ومشاعره .

« ان صاحب الاعلان لن ياخذ فىاعتباره حالة العنف والصراع التىستسود العالم بعد تنفيذ هذا الاعلان . وفضلا عن ذلك فانه يأمل فى أن يكون هذا العنف والصراع هو الخطوات العسكرية الاولى لحرب عالمية ثالثة .. كما يعبر بمنتهى

البرود عن رغبته فى ان يسجل التــاريخ انه كان الرجل الذى أشعل نيـران الحرب .

سوف يأتى المزيد

كما كان هناك دليل آخر فكتب سرحان يبين انه كان يفكر فى استخدام العنف ضد النظام السياسى عندما كان فى المدرسة الثانوية ففى كتاب تاريخ الشـــعب الامريكى تاليف دافيد سافيل موزى وضع سرحان خطوطا تحت الفقرة الخاصـــة باغتيال الرئيس ماكنلى التى تقول :

« بعد آخر خطاب عام ألقاه ماكنلى أقام حفلا فى اليوم التالى حيث اطلق عليه النار الفوضوى البولندى زولجور الذى اشتعل عقله بالغضب نتيجة لقراءته ألوان الهجوم الذى كانت تشنه الصحف الصفراء ضد « القيصر ماكنلى » وبعد أسبوع من المعاناة مات الرئيس الذى يعتبر ثالث رئيس يقتل بالرصاص منـــذ الحرب الاهلية ..

وكتب سرحان تحت هذه الفقرة « وسوف يأتى المزيد منهم » .. وفى كتـاب آخر ـ ماخوذ من مكتبة مدرسة جون موير الثانوية ـ هو « تحول أوربا الحديثة » تأليف لويس جوتشوك ودولاندلاس قام شخص ما من المحتمـــــل أن يكون سرحان بالتخطيط تحت فقرة خاصة باغتيال الارشيدوق فرديناند :

« اذا لم يكن قائد سيارة الارشيدوق قد رجع بسيارته ليصحح الخطأ الذى وقع فيه عندما اتجه الى طريق خاطىء عند عودته من الحفل الرسمى الذى اقيم فى قاعة المدينة فان حادث الاغتيال ربما لم يتم غير انه من ناحية أخرى فان قاتلا آخر كان سيقوم بالمهمة وذلك لان مؤامرة اغتيال الارشيدوق كانت قد أعدت تحت اشراف الكولونيل المسئول عن ادارة المخابرات التابعة لهيئة اركان الحرب .. وكان هناك أكثر من قاتل فى انتظار هذا اليوم ..

وتثبت هذه الصفحات بوضوح أن فكرة الاغتيال كانت موجودة فى رأس سرحان منذ قيامه بالتخطيط تحت سطورها وكتابة الملاحظات بجانبها .. والسؤال الوحيد الذى يواجهنا هو : هل كان سرحان حقا هو الذى قام بالتخطيط تحت السطور ؟.. واذا كان هو الذى قام بذلك .. فمتى قام به ؟. وهو السؤال الذى لم يهتم راسل بارسونز بمعرفة الاجابة عليه .. وامر ماك كوين بألا يذكر شيئا عنه فى تقريره وباخفاء الكتب فى رف سفلى من مكتبه .. وكانت هذه الصفحات تقدم الدليل فى نظر بارسونز على شىء واحد فقط هو التعمد مع سبق الاصرار .. وكان هذا الدليل من الادلة التى تركت دون الكشف عنها ..

وكان هذا خطأ أساسيا من بارسونز نشأ عن جهله بالدفع الوحيد الذى كان يمكن ان يؤدى الى انقاذ سرحان .. غير انه لن يكون الخطأ الاخير .

وفى نفس اليوم التقطت صورة لسرحان . فى الدور الثالث عشر فى قاعة محكمة لوس انجلوس بدا فيها مرفوع الرأس وهو يبتسم ابتسامة مضيئة .. وكان بارسونز قد طلب من سرحان فى زنزانته أن يتعاون مع المصورين الصحفيين ومصورى التليفزيون .. غير أن رد الفعل الاول كان سلبيا وقال سرحان : هؤلاء الاوغاد .. ولكن يبدو أنه غير رأيه بعد ذلك ..

فى قاعة المحكمة :

تجمع فى القاعة الجديدة للمحكمة مائة صحفى من بينهم مجموعة من الفنانين الذين يرسمون اسكتشات لعرضها فى نشرات الاخبار المسائية للتليفزيون وكانت الحجرة المحصنة نوافذها من الخارج بصفائح مدرعة محاطة بسياج من رجال البوليس .. كما كان هناك المزيد منهم عند كل مدخل أو مخرج للمبنى ، وكذلك كانت هناك طائرة هيلوكوبتر محملة برجال البوليس تطير فوق فناء المحكمة . فقد كان اليوم هو الذى قد يقدم فيه سرحان دفعه القضائى .

وسأل القاضى شوير محامى سرحان عن الدفع الذى سيتقدم به ، ورد بارسونز انه لم يتلق بعد تقارير الاطباء النفسيين ، وطلب من المحكمة ان تسمح بانضمام الدكتور رودريك ريتشاردسون عالم النفس الاكلينيكى والدكتور ادوارد ديفيس طبيب الامراض العصبية الى الدكتور ماركوس لمعاونته فى مهمته .

ووافق شوير على طلب الدفاع وحدد يوم ٢ أغسطس كموعد نهائى لتقديم الدفع وبدء المحاكمة ، وعلى الرغم من أن تأجيل المحاكمة ليس مسألة غريبة فى المحاكمة الجنائية فان الجمهور الذى يجهل عادة مثل هذه الامور بدأ يبدى امتعاضه عن طريق التعليقات المتذمرة ..

وقد استمرت الجلسة ١٨ دقيقة أعيد بعدها سرحان الى زنزانته وتوجهت هيئة الادعاء والدفاع الى حجرة واسعة فى الدور الاول حيث عقدوا مؤتمرا صحفيا استمر وقتا أطول من الوقت الذى استغرقته الجلسة .. ولم يكن عند ممثلى الادعاء أو عند بارسونز الكثير ليقدموه غير أن بارسونز حاول على الرغم من ذلك كسب عطف الجمهور ، وقد شاهده أقاربه فى لندن وتاسمانيا على شاشات التليفزيون ، ولكن العرض الذى قدمه لم يكن مقبولا .

سأل أحد الصحفيين بارسونز عن والدة سرحان .. فقال انها تذهب لمشاهدة سرحان كل يوم تقريبا .. بالرغم من انها لم تكن قد شاهدت سرحان الا مرة واحدة فقط ، وساله صحفى آخر عن الدفع الذى سيتقدم به سرحان وهل سيقوم على أساس ضعف القوى العقلية .. فروى بارسونز حكاية المتهم

بالاغتصاب الذى أنقذه من حجرة الغاز وذلك بتقديمه للمحاكمة أمام المحلفين فى اقليم مادين الذى يقع على بعد ٤٠٠ ميل من مكان الجريمة التى وقعت فى لوس انجلوس حيث حكم عليه بانه مجنون وقال : انكم تذكرون قضية داريل توماس كيمب الذى كان متهما باغتصاب ممرضة صغيرة جميلة وقتلها فى شقتها .

وسارعت الصحافة الى اعلان ان بارسونز سوف يدفع بأن سرحان غير مذنب بسبب الجنون .

غير مذنب

فى ٢ اغسطس ظهر بارسونز مع سرحان فى القاعة المؤقتة للمحكمة بالدور الثالث عشر ليدفع بان سرحان غير مذنب ـ ولم يكن هذا الدفع مفاجئا لمكتب الادعاء .

وفى نفس اليوم كان ايفيل يونجر ممثل الادعاء يجادل فى قاعة المحكمة ضد الامر الخاص بمنع مكتب الادعاء من الحديث الى الصحافة حول قضية سرحان .

وطالب يونجر بحرية الادعاء فى اطلاع الجمهور على انه لم تكن هناك مؤامرة وراء اغتيال كنيدى .. وقال انه اذا أشارت المصادر غير المسئولة عن طريق وسائل الاعلام الى وجود مؤامرة محلية او دولية وراء الاغتيال فيجب السماح للسلطات القانونية المسئولة بتكذيب ما يتضمنه هذا الادعاء .

غير أن احدا لم يتقدم باية دعاوى جادة حول وجود مؤامرة .. فما كان يريده يونجر ـ وهو الامر الذى كان معروفا فى أروقة المحكمة ـ هو التعليق على قضية سرحان قبل المحاكمة ، وبالتالى كسب نوع من الشهرة المحلية التى قد تساعده فى مستقبله السياسى .. فيونجر عضو فى الحزب الجمهورى وكانت لديه مطامع سياسية بعيدة .. وفى وقت من الاوقات كان يسعى الى أن يصبح حاكما لكاليفورنيا .. ولكنه غير مطامعه الى اتجاه آخر نظرا لوجود رونالد ريجان فى منصب الحاكم يتبعه فى الدور لهذا المنصب روبرت مفتش النائب الحالى لريجان ، هذا بالاضافة الى وجود جيل جديد من الجمهوريين مثل هيوستون فلورنوى الذى يقبع فى مكتب المحاسبة التابع للولاية فى انتظار دوره .. وقد رأس يونجر لجنة النظام والقانون الخاصة بتاييد المرشح الجمهورى ريتشارد نيكسون أثناء انتخابات الرئاسة الاخيرة .. ويقول بعض اصدقائه ان له آمالا بعيدة فى أن يصبح المدعى العام للولايات المتحدة الامريكية .

صديق المحكمة

وعارض كل من « بارسونز » و « آل ويرين » الذى كان يبدو كصديق للمحكمة طلب يونجر الاستناد الى نص قرار المحكمة العليا الذى اصدرته فى قضية

سام شيبارد .. ووافق القاضي شوير في الحال على طلب بارسونز وويرين ورفض طلب يونجر .

وكان شوير يتمسك بمبدأ واضح ، وهو أن المتهم ، حتى ولو كان متهمـــا بالقتل بريء حتى تثبت ادانته في المحكمة ، وليس في محكمة الرأى العام ، وكانت السابقة التي يعتمد عليها شوير هي قضية الدكتور تاكسويل شيبارد الذى أدين عام ١٩٥٤ بتهمة قتل زوجته وحكم عليه بالسجن المؤبد في سجن ولاية أوهيو .. وفى عام ١٩٦٦ نقضت المحكمة العليا هذا الحكم وامرت بالافراج عنه على أساس انه حرم من الاجراءات القانونية المناسبة ـ بمعنى انه ادين من قبل هيئة محلفين كانت خاضعة لتاثير خارجي .. ووافقت المحكمة الفيدرالية العليا على رأى محكمة أوهيو العليا في انه ـ تضافرت في هذه القضية عوامل القتـل والاصرار ، والمجتمع والجنس والاثارة بطريقة كهدف الى كسب عواطف الجمهور بدرجـة قد لا تكون لها مثيل في التاريخ الحديث .. وانه خلال التحقيقات التي سبقت رفع الدعوى والمناقشات القانونية التي جرت في المحاكمة التي استمرت تسعة أسابيع غذى المحررون الصحفيون الذين يسعون الى زيادة التوزيع ، رغبـات الجمهور المتقلب ، وفى هذا الجو الذى كان بمثابة « عيد رومانى » لوســائل الاعلام وقف سام شيبارد يدافع عن حياته .

دور الصـــحافة

ولم توجه المحكمة العليا اللوم للصحافة .. بل وجهته الى القـاضى الذى سمح بمثل هذا الموقف .. فقد كان القاضي يستطيع تحديد عدد الصحفيين الذين يحضرون المحاكمة كما كان يستطيع عزل الشهود لمنع شهادتهم من الظهـور على صفحات الجرائد قبل الادلاء بها امام المحكمة .. وفوق كل هذا كان يستطيع منع رجال البوليس والشهود ومحامى الطرفين من الادلاء بأية معلومات .

وكان معنى السماح لممثل الادعاء ايفيل يونجر بالكلام بحرية عن قضية تمثل هذه الاهمية هو أن يصبح من المستحيل الحصول على هيئة محلفين غير متحيزة بالاضافة الى ان هذا سيؤدى بالتاكيد الى نقض الحكم امام المحكمة العليا واعادة محاكمة سرحان من جديد .

غير أن يونجر كان مصرا على موقفه ، وظل خلال الصيف والخريف يتقـدم بطلبات أمام دائرة الاستئناف الثانية وأمام المحكمة العليا في كاليفورنيا وأمـام المحكمة الفيدرالية العليا .. وقد رفضت جميع هذه الطلبات لان جميع حججه انهارت امام حجج يوزيف بال الذى عينته المحكمة العليا لاصـدار رأيها ضـد

استئناف يونجر والذى يعتبر واحداً من أكثر رجال الادعاء فى كاليفورنيا احتراما كما كان عضوا فى لجنة وارين .. وذكر بال انه اذا توافـــرت لوكيل النيابة معلومات يحس بانها ليست متحيزة ويحتاج الى نشرها فى الصــــحافة ، فانه يستطيع ان يطلب من المحكمة السماح له بذلك .. والاجراء الوحيد الممكن القيام به هو عدم الكشف عن هذه المعلومات قبل تقديمها للمحكمة واعطاء المتهم الفرصة للاعتراض على نشرها فى الصحافة .

بقعـــة حبر

شعر الدكتور رودريك رتشاردسون بالرجفة وهو يدخل زنزانة سرحان .. وعلى الرغم من ان الدكتور « اليهودى » ماركوس كان قد اخطـــر الدكتـــور رتشاردسون ان سرحان يميل الى الصــــمت والكآبة ، فان سرحـــان صحب رتشاردسون داخل زنزانته بترحيب واعتذر لانه لا يستطيع توفير مزيد من الراحة له .. كما بدا متحمسا للتعاون مع رتشاردسون اثناء قيامه باختباراته .. وجلس سرحان على طرف سريره الصغير بينما جلس رتشاردسون على كرسى خشبى .

واندهش رتشاردسون من معاملة سرحان ، وبينما كان يحاول تجميع شتات ذاته ، قرر اجراء التجربة المعروفة باسم « بقعة حبر ووشاح » على سرحـــان ، وهى تعتبر افضل تجارب بقع الحبر جميعها ، لانها تقدم لعالم النفس نظرة داخلية اعمق لنفسية المريض من كل التجارب الاخرى .. وليس على من تجـــرى عليه التجربة الا ان يذكر ما يراههو فى بقعـــة الحبر .. واذا كان متعـــاونا مع الطبيب النفسى الذى يجرى التجربة فانه يروى الانطباعات والافكار والاحكام والمخـــاوف والامال التى تعتمل فى نفسه .. وفى بعض الاحيـــان يفصح المريض الخاضـــع للتجربة من مشاعر عميقة فى نفسه ..

وكان الدكتور رتشاردسون يشعر بالخوف من ان يقول له سرحان بأن بقـــع الحبر تبدو له مجرد بقع حبر .. ولكن سرحان استجاب للتجربة بسيل من ردود الفعل .

ففى بقعة الحبر الاولى شاهد سرحان تسعة اشياء مختلفة : دجـــاجة ، فراشة طائرة ، ضفدعة ، حمامتان ، شاطىء ، جبـــــال ، سحب ، منحـــدرات جبلية ، طاسة .

وفى الكارت الثانى شاهد سرحان فى بقعة الحبر : تاج ، ماسة ، قمر صناعى جلطة دم تحت الميكروسكوب ، صليب ، دم ، وجه انسان ، فيل أو دب .

وفى الكارت الثالث شاهد : راقصون ، رئة ، قرنبيط ، عظم القص ، ديك .

وفى الكارت الرابع شاهد : أعشاب مائية ، نبات حى ، عشب البحر ، قلعة مهجورة من قلاع العصور الوسطى ، صورة أشعة للصدر ، عضلات البطن ، أفاعى لها لون شديد السواد ، حيوان يقف على رجليه الخلفيتين ، حافر حيوان .

وفى الكارت الخامس شاهد : نسر ضخم ، دجل فرخة محمرة ، فرخة ، قرون تشبه أذنى حيوان الكونجر ، راقصة باليه ، عجل البحر .

وفى الكارت السادس شاهد : قطة ، فرخة اخرى ، مصباح ، صخرة ، بومة ، ارتفاع شاهق ، تمثال نصفى لسيدة ، مخالب نسر او طائر مقدس ، سائر فى غابة كثيفة ، مجموعة من اوراق الشجر ، فقرات من العمود الفقرى .

وفى الكارت السابع شاهد : قرد له ذيل ، دمية محنطة ، ألغاز ، سد ، قناة ، خريطة لمصر ، دلتا نهر ، قلاع .

وفى الكارت الثامن شاهد : دب كاليفورنيا ، أعلام ، عمود فقرى ، نبات صحراوى ، مدافع مورتار ، قوارب .

فى هذا الوقت اصبح سرحان مضطربا بعض الشىء وكان يضع رأسه بين يديه وهو يتحدث عما شاهده فى الكارتين الاخيرين .

وفى الكارت الثامن شاهد سرحان : نبات حى تحت الميكروسكوب ، تفاح ، نار .. ثم قال وهو يهز رأسه .. انها مزعجة .. ولها أعماق .. انها شديدة العمق .. وكانت الكروت ٨و٩و١٠ ملونة ، وهذا هو ما أثار سرحان .. ففى الكارت العاشر قال : كل هذه الالوان انها تزعجنى .. الوحوش .. وصمت دقيقة كاملة ثم تساءل : هل كل شىء موجود فى هذا الكارت ؟.. لو كان يطلب ان يترك وشانه

وقال ريتشاردسون : يبدو انك مضطرب

اجاب سرحان : انها مخيفة ، وتبدو جميعا متشابهة .. يا للعنة انها معقدة جدا .. الدم .. وقطب سرحان وجهه ، وأزاح الكارت بسرعة .

فى جولة ثانية سأل رتشاردسون سرحان ان يقدم بعض الايضاحات ، وسأله : أين رأى الفرخة ؟

وقال سرحان : انه شاهدها فى البقعة كلها ، واشار الى مركز البقعة وقال انه لا يحب هذا الجزء من الفرخة لانه مملوء بالعظم .. وكانت بقية تفسيراته على الكارت رقم واحد طبيعية غير انه فى الكارت رقم ٢ توقف عن وصف بقعة الحبر وبدأ فى وصف الاجزاء البيضاء من الكارت ، قال : تاج ، ماسة ، قمر صناعى .. ثم عاد الى البقعة مرة اخرى وسأله رتشاردسون عن الفيل والدب فاشار اليهما .

وسأله أيضا عن الراقصين الذين شاهدهم فى الكارت رقم ٣ فقال : انهم ظهروا فى البداية كمجموعة مرحة من قارعى الطبول السود . .ثم شاهد شيئا

يراقبهم .. وبدوا أمامه كما لو كانوا ثعالب أو ذئاب ممسوخة .. شيء أقرب الى الحيوان منه الى الانسان .

فى الكارت رقم ٤ الذى يعتبره علماء النفس الكارت الاب لم يشاهد سرحان صورا غير عادية .. وبينما كان يشاهد الاخرون فى هذا الكارت مشاهد جنسية رأى سرحان وهو متجهم صورة اشعة الصدر .. وحيث يشاهدون آخرون رموزا جنسية ، راى سرحان افاعى مستعدة للهجوم .

وفى الكارت السادس الذى يوضح عادة ردود الفعل الجنسية لم يشاهد سرحان شيئا من هذا القبيل لدرجة أن رتشاردسون ساله فى نهاية الاختبار عما اذا كان يرى اى شيء له طبيعة جنسية فى هذه البقعة .

وكان الكارت السابع كارتا عاديا .. أما فى الكارت الثامن فقد أعاد لسرحان الاحساس بالاثارة عند رؤيته للالوان وقال ان الالوان تصدمه وتستثيره .. وان المقال الذى قرأه فى المجلة عن الذكرى العشرين لدولة اسرائيل كان ملونا بنفس لون الكارت وانه كان حافلا بالوان الاشادة باسرائيل وانه شعر بانهم يعلنون فى المقال « لقد هزمنا العرب » وقال سرحان انه يكره اليهود .

وظل سرحان متهيجا فى الكارت التاسع بسبب الالوان التى تزداد كثافتها فى هذا الكارت .

ووصف سرحان الكارت العاشر بانه مجموعة متنافرة من الالوان واشار وهو يتفادى الجانب الاحمر من الكارت الى الجزء البنى « انه يبدو كما لو كان فارا . لا ليس فارا .. انه يطير .. خفاش .. ان المنظر يبدو أكبر ابتذالا وسوف أتجنبه .. وصمت سرحان برهة وهو يتنفس بصعوبة ..

« الجميع يريدون ملاحقتك بكل هذه الارجل .. وفى اللحظة التى تصبح فيها فى متناول أيديهم فانك ستسقط بين مخالبهم » .

وسال رتشاردسون عن الدم :

وقال سرحان : يبدو اننى كنت أربط الامر كله بالدم ..

وساله عن الجانب الاحمر : فقال سرحان : انه يبدو كالكبد .. أو نوع من اللحوم .. ثم تجهم .. اننى أفضل ألا أناقش هذا الامر .. كل هذه الارجل .

ووجد رتشاردسون ومعه فريق كامل من علماء النفس ان الصدمة التى يعانى منها سرحان بسبب الالوان لها دلالة فى غاية الاهمية فيما عدا عالما واحدا وصف رتشاردسون أثناء شهادته فى القضية بانه « كذاب » لانه قال للمحكمة ان سرحان قال له : أن الالوان تصدمنى .

بعد ان اثنى ريتشاردسون على موقف سرحان اثناء تجربة « بقع الحبر » قدم لسرحان بعض الرسومات لاجراء تجربة « تات » التى تهدف الى اختبار قدرات سرحان على الربط بين المدركات الحسية وطلب رتشاردسون من سرحان ان يقص عليه حكاية عن كل صورة وان يطلق اسما على كل منها .

وكانت الصورة الاولى تمثل صبيا وهو يعزف على الكمان .. وقد اطلق عليها سرحان اسم « استاذ فى العزف » ثم فكر فى اسم افضل هو استاذ فى الموسيقى .

والصورة الثانية لمنظر ريفى يبدو فيه احد الرجال وهو يحرث الارض وسيدة تحمل طفلا ، وفتاة صغيرة تحمل كتبا فوق ذراعيها .. وقال سرحان « اننى لا احب هذه الصورة » .. ان الفتاة هى التى تحمل الكتب وليس الرجل ، وذلك على الرغم من انه من المعروف ان الرجل هو الذى يقوم بالاعمال الشاقة فى المزرعة . وكان سرحان يعبر برأيه هذا عن ميل معين الى عدم المساواة بين المراة والرجل .

وكانت المزرعة تبدو فى نظر اغلبية الذين عرضت عليهم على درجة من الرفاهية غير ان سرحان راى فيها حالة من الفقر المدقع .. وقال انهم يبذلون جهدهم فى المزرعة لكنهم ما زالوا بعيدين عن تحقيق امالهم .. وأطلق على الصورة اسم « الغنى والفقير » .

ورأى سرحان فى الصورة الثالثة شيئا يمثل الانتحار .. كان يظهر بشكل غامض جدا شخص ما وهو جالس على الارض وراسه مائل بين كتفيه المتهدلتين .. وقال سرحان « لابد انها قتلت نفسها أو تسممت بالمخدرات .. او انها جبانة لدرجة انها لا تستطيع مواجهة الموقف . وسأل ريتشاردسون وهل هى فتاة ؟ » .

قال سرحان : ربما كان صديقا قد تخلى عنها .. انها تحس بالاكتئاب والسوداوية ، وهى مجهدة كما تعلم ..

وفى الرسم الرابع بدا احد الرجال وهو راقد فوق سريره ويده ممدودة .. كما بدا رجل آخر وهو يرمق الرجل الاول .. وقال سرحان : ان هذا حقا لشىء غريب .. انها تمثل قصة ادجار كايس التى يظهر فيها الرجل وهو مسيطر على لا وعيه . غير انى لا اعرف ان كان هذا الرجل طيبا او شريرا .. وقد يكون الرسم لقسيس يلقى موعظته .. الا ان الرجل يبدو لى شرقيا .. واذا كان راكعا فانه يحاول شفاء احد المرضى .. وانى اتمنى لو كان يصلى من أجلى كما اتمنى للمريض الشفاء .. وفى نفس الرسم كانت تبدو احدى الفتيات وهى راقدة فوق سرير ونصفها مغطى بملاءة .. ويقف أمامها رجل بكامل ملابسه مديرا ظهره

لها .. وتساءل سرحان فى البداية عما اذا كان الرجل قد خنق الفتاة أو اغتصبها وضحك وهو يتذكر فيلما شاهده لبعض رجال البوليس الذين حاولوا ضبط رجل مع سيدة والتقطوا له صورة وهو يغادر فراشها ·

وفى الرسم الخامس بدت سيدة عجوز تعطى ظهرها لاحد الشبان ·· وقال سرحان انه ربما كان يسالها ان تعطيه نقودا ·· وانها رفضت طلبه ·· او انها والدته ترفض طلب زواجه من احدى الفتيات .. وقال ان السيدة ربما كانت جدة الشاب لانها تبدو متقدمة فى العمر .

وفى الرسم السادس كان يبدو فى مقدمته أحد الصبية حاملا فى يده مسدسا وفى آخر الصورة رجل راقد على الارض ومعه طبيب .. وصمت سرحان فترة طويلة وقال اخيرا ان ما يبدو فى آخر الصورة هو ما يتخيله الصبى .. اننى لا أحب الصورة .

وواصل ريتشاردسون اجراء التجارب على سرحان وخرج باستنتاج من واحدة منها أن سرحان يتراوح فى ذكائه بين الذكاء العادى وشدة الذكاء .

وكان السؤال الرئيسى الذى يريد ريتشاردسون التوصل الى اجابة عليه هو : « هل سرحان مريض عقليا ؟» وعند خروجه من الزنزانة كان يعتقد أنه جمع ادلة كافية لاثبات ذلك.

***

ولقد كان للحراسة المشددة التى يفرضها كاربنتر ورجاله على سرحان ما يبررها فلقد تلقى سرحان فيضا من الرسائل منها العديد الذى يتضمن تهديدا بالقتل . تلقى سرحان مثلا خطابا يقول : اننى ذاهب لاداء الخدمة العسكرية فى فيتنام ، ولكن قبل أن اذهب لدى رصاصة لاطلقها عليك واخرى لاقتل بها بارسونز .

وكانت هنالك خطابات اخرى تنضح بالحقد ، ولكنه كان حقدا موجها الى روبرت كنيدى وليس الى سرحان .. مثال ذلك ان أحد الاشخاص ابرق مهنئا « لقد صوبت رصاصتك بدقة » وبعث اخر ببرقية تقول « لقد قدمت للشعب الامريكى خدمة جليلة عندما قضيت على هذا الخسيس روبرت كنيدى » .

غير أن معظم الخطابات التى تلقاها يعربون عن مقتهم للجريمة وتعاطفهم مع الذى ارتكب الجريمة ، الا وهو سرحان نفسه . وكانت هذه الرسائل تتضمن دعوات لسرحان فى زنزانته .

زيارتى الأولى لسرحان :

قادنى كاربنتر أنا وبارسونز عبر ابواب سرية حتى وصلنا الى حجـرته وهناك طلب الينا ان نتخلص من كل شىء نحتفظ به فى جيوبنا او ملابسنا •• طلب الينا ان نخلع جاكتينا وحزامينا وساعتينا ، وان نخرج كل شىء من جيوب البنطلون •• اى شىء •• اقلام ، مفكرات ، اوراق •• ثم قال وهو يجرد نفسه هو الاخر من مثل هذه الاشياء : سنزودكما بالورق والاقلام فى الداخل •

واصطحبنا كاربنتر الى ممر آخر وهناك كان أحد الحراس يقف امـام بوابة حديدية ضخمة طلب اليه أن يفتحها • وعندما دخلنا عبر دهليـز جديد التقينا بحارس آخر طلب منا ان نرفع ايدينا الى اعلى ثم اخذ يفتش ملابسنا وأجسامنا بوصة بوصة بحثا عن اى سلاح او اى شىء •• حتى انه فتش كاربنتر نفسه ثم قال فى النهاية « اوكى •• امضوا فى طريقكم » •

وان هى الا لحظات حتى التقينا بحارس آخر كان يقبع خلف باب زجاجى، وطلب هذا الحارس منا بطاقتنا ثم أخرج من مكتبه جهازا الكترونيا للكشـف عن المعدن ومر به على اجسامنا جزءا جزءا ••

وكان يلوح بعد كل هذه العمليات التفتيشية ان غرفة سرحان المصنوعة من الصلب ملأى بالحراس ، وفى الحقيقة فلقد وجدت ان هناك ثلاثة منهم بالداخل فعلا •

ولقد صدمت عندما وقع بصرى على سرحان لاول مرة فقد وجدته اصغر حجما مما كنت أتصور خصوصا وانه لم يكن يرتدى اى قميص على صدره فبدا نحيفا للغاية •

كان سرحان يضع سيجارا كبيرا بين شفتيه .. وكلما كان يأخذ نفسـا كان يبتسم ، وكأنما كانت هذه اللعبة تسلية وتسرى عنه قليلا •

صافحنى سرحان فى ثبات قائلا : اننى اثق بك وارجو ان تثق بى •

وطلب بارسونز من سرحان ان ينحى سيجاره جانبـــا وان يقص على حكايته من بدايتها الى نهايتها .. واعتذر سرحان والقى بالسيجار بعيدا ثم اخذ يسترجع ذكرياته عن أحداث الليلة الدامية .. ليلة الرابع من يونيو

جلس احد الحراس بعيدا وهو يراقبنى وسرحان وبارسـونز داخـل الزنزانة ولم يكن فى مقدوره ان يسمع الحديث الذى يدور لان كاربنتـــر حرص على وضع سماعة فى الحجرة ينطلق منها صوت الموســيقى غير ان هـذا الصوت كان أيضا يشوش على حديث سرحان مع زواره ..

وكان يبدو أن سرحان يحكى قصة قالها مرارا من قبل . وهذه حقيقة بالفعل فقد حكى قصته لجارفيكل ثم ليتلفيلد ثم ماركوس ثم بارسونز واخيرا ماكوان .. وفى تلك اللحظة كانت احدى المطربات تردد أغنية فابدى سرحان ضـــيقه وقال كنت أحس ليلتها بوقع الاقدام فى حلقى ، كان الناس يمسكون به ويضربوننى ، وكانوا يلوون ساقى اليسرى ويضربون راسى فى المنضدة ، كانوا يسيرون فوقى وقد أصابوا عينى اليسرى التى ما زالت تؤلمنى .

ولاحظت وجود جـرح فى عين سرحان ومد يده يتحسس الجـرح غير ان الحارس تنبه على الفور وبدت عنه حركة فهمت منها ان الذى سـيفعله خطـأ فتراجع على الفور .

ومضى سرحان يروى ذكرياته فتدخل بارسونز ليلفت نظره الى شىء ما . وكان هذا الشىء هو موقف سرحان من السامية . وفهم سرحان وقال : فى كل مرة أرى فيها شيئا يهوديا أو أقابل شخصا يهوديا أحاول تجنبه على الفور .

وطلب بارسونز ان يُروى سرحان ذكريات طفولته فى القدس ..

قال سرحان انه كان مع والدته ذات مرة عندما انفجرت بجوارهما قنبلة

ـ هل كان بينك وبين روبرت كنيدى أى خلاف ؟

ـ أجاب سرحان فى تردد : لم أكن أحب كنيدى وايضا لم أكن أحب همفرى ولقد عرفت ان كنيدى سيزود اسرائيل بالاسلحة .

وعندما انتهى اللقاء خرجت مع بارسونز بعد ان صافحنا سرحان الذى كان يريد منا البقاء وقتا طويلا ..

قال لى بارسونز وهو يصافحه :

« ما رايك انه لقاء يساوى مئات الالوف من الدولارات »

ولم أزد شيئا فقد كنت اشعر حينذاك بان اللقاء لا يساوى شيئا ذلك لان بارسونز هو الذى وجه معظم الاسئلة .

وقبل ان نفترق قلت : « لن اعود الى نيويورك قبل ان ارى سرحان مـرة اخرى فلدى عديد من الامور اريد ان استوضحها منه » .

خلل فى المخ

فى ١٦ اغسطس اتصل بى بارسونز تليفونيا ، وكان سعيدا .. لوصـول اول تقرير سيكولوجى كامل من الدكتور ريتشاردسون .. وراح يقـرا فقرات من

التقرير « جنون الاضطهاد المقترن بانفصام الشخصية » .. « احتمال وجود خلل بالمخ » .. « الرغبة الكامنة فى الانتحار » .. وبدأ بارسونز يقهقه وهو يقول : « ولنستمع الى مايقوله الطبيب من جنون الاضطهاد المقترن بانفصام الشخصية : ان هذا المرض يتسبب فى اضطراب وافساد الوظائف الاخلاقية والمعنوية »

وكان تقرير ريتشاردسون مثيرا .. فهو لم يرفض فكرة احتمال وجود خلل بالمخ ، لكنه وجد دلائل عديدة علىالاحساس بالاضطهاد المقترنبانفصامالشخصية.

وقال ريتشاردسون ان هذه الحالة يمكن - تحت ظـــروف الاثارة العاطفية القصوى - ان تؤدى الى نوع من الاضطراب العقلى ، يكون من مظاهـره التشكك الشديد ، وسوء تفسير الواقع الاجتماعى ، والخوف والغضب الحادان اللذان يمكن السيطرة عليهما .

وبالطبع فان النتيجة التى انتهى اليها ريتشاردسون توحى بامكانية اعتماد الدفاع على فكرة الاختلال العقلى الى حد ما .. ولكن بارســـونز لم يكن ابدا محظوظا ، بحيث يستطيع الحصول على لجنة من المحلفين تقبل دعوته بالاختـلال العقلى .. ويقول بارسونز :

« ان هناك مشكلة تتعلق باعتماد الدفاع على فكرة الاختـــلال العقلى ، اذ ان المسألة تصبح معركة بين الاطباء فيقول طبيب ان المتهم لا يعرف الصـواب من الخطأ .. ويقول آخر : انه يعرف .. وهذا لا يؤدي الا الى اختـــلاط الامر على المحلفين » .

عملية تفتيش أخرى

فى ٢٠ اغسطس تمت زيارة اخرى لزنزانة سرحان.. ومرة اخرى جرتعملية التفتيش .. الجو حار فى الخارج ، وحار أيضا داخل الزنزانة .. وها هو سرحان مرة أخرى لا يرتدى قميصا وقد طال شعر ذقنه .. ويدخن سيجارا .. لقد كان يدخن عشرا منها يوميا .

وبدأ بارسونز يقرأ على سرحان بعض الفقرات المخففة من تقرير رتشاردسون .. وكان سرحان يرهف السمع بانتباه شديد .. ثم تساءل :

- الى اى مدى سيؤثر هذا التقرير على المحكمة والمحلفين ؟

اجاب بارسونز :

- انه سيساعد فى قضيتك

وسأل سرحان عن التقرير الخاص برسم المخ .. فقال بارسونز بانه يجرى الترتيبات اللازمة للحصول عليه سريعا .. و « سريعا » هذه تعنى بالنسبة لبارسونز شهرين .

واثناء كل ذلك كنت اتامل فى الزنزانة ، ولاحظت وجود « وراقة » تحتوى على كمية من الورق فى حجم أصغر من الفولسكاب موضوع على الرف المواجه لسرير سرحان كما لاحظت على الارض نسخة من انجيل مفتوحة على كتاب « الامثال » .

ونظر سرحان الى .. لقد سنحت لى الفرصة للتعبير عما يراودنى من افكار .. لقد كنت أود أن أعرف من هو سرحان وما هى وظيفته .. وماذا يشغله .. وكنت أود أن افتح مجالات للمناقشة عن ماضيه واسرته وسنوات عمره الاولى ، وحياته فى أمريكا ، ومن هم أصدقاؤه ومن هم أعداؤه .. وقلت له :

ـ انك انسان .. وأود أن أعرفك كشخص وليس كرمز او فكرة مجردة .. انه لمن السهل جدا أن يكره المرء الفكرة المجردة وان العالم ليكرهها بالفعل كرها عظيما .

استمع سرحان الى هذه الكلمات باهتمام فاتر .. فلم يكن قد انتهى مع بارسونز بعد .. ثم أخرج بعض المذكرات التى كتبها لنفسه بالقلم الرصاص وكان يخفيها تحت مرتبة سريره .

ونظر سرحان الى مذكراته ، ثم الى بارسونز واعرب عن خيبة امله « لكل الادلة التى وجهها المدعى العام الاقليمى ضدى » .. وقال سرحان الذى كان يحصل على صحيفة لوس انجلوس تايمز يوميا أنه بدا له ان المدعى يونجر اراد أن يستغل القضية « لاهدافه السياسية الخاصة »

وقال بارسونز : « سنعترض على ذلك .. سنعترض عليه »

وهز سرحان رأسه متشككا .. واستغرق فى التفكير لحظة ثم مد يده تحت المرتبةللحصول على صحيفة لوس انجلوس تايمز التىتضم عرضا لكتاب « حرب الجريمة » أو « الحرب المصطنعة » من تاليف روبرت سايبس ..

قامت بعرض الكتاب « مارجورى دريسكول » وقد أعجبت عن دهشتها للهجة الكتاب التى كانت تشكو بمرارة منتسلط فكرة الامن علىالمجتمع الامريكىوالسبل التى يرمى من ورائها المدعون السياسيون الطموحون الى تدعيم مناصبهم ومكانتهم عن طريق اثارة فكرة ما يسمونه « بحرب الجريمة » .. وراح سرحان يقرأ بصوت عال فقرة من هذا الكتاب تقول :

« ان المحكمة اصبحت بمثابة دائرة انتخابية يمارس فيها المدعى العام مهارته في المناورة وفى تطبيق الاسلوب الذى سيوصله الى منصب أعلى .. وكل خطبة أمام المحكمة تشبه الى حد كبير الخطب الانتخابية التى تستدر العواطف والمشاعر.

وكان مؤلف الكتاب روبرت سايبس ، وهو مدع فيدرالى ســـابق ومستشـــار باللجنة الرئاسية لبحث الجريمة فى مقاطعة كولومبيا ـ قد دافع عن سرحان . وقال انه من الواضح ان سرحان كان ضحية حملة منظمة يريد هؤلاء المتعطشون الى دمه استغلالها ..

وصف سرحان نفسه بأنه « رجل بلا وطن » وكانت أمه تقول له مثـلا قديما « على قد لحافك مد رجليك » وقال سرحان أن هذا كان مثلا معقولا ، لكنه يضيف :-

« ولكن ما العمل اذا لم يكن لى غطاء على الاطلاق ؟ » .

ثم يقول بعد لحظة :

ـ انه قتل كنيدى من اجل شعبه .. وقد قالت له احدى الفتيات فى خطاب وصله فى سجنه بأنه أسوأ من « لى هارفى أوزوالد .. وتســـاءل سرحان :

« كيف يمكنها ان تقول ذلك ؟ لقد كان اوزوالد خائنا .. لقـــد هاجم وطنه وتخلى عن جنســـــــيته .. أما أنا فان ما فعلته فقد فعلته من اجل شعبى ..

ولاحظت ان القلق بدأ ينتاب بارسونز لكنه كان حـــريصا على الا يترك سرحان فى هذه اللحظة المقبضة .. وساله عما يقرأ .

واضطجع سرحان الى الخلف واشار الى كتاب ذى غلاف أزرق داكن بعنوان « اضمحلال اليهودية فى عصرنا الحديث » تأليف موشى مينوحن .. ولم يعلق بشىء .. ثم التقط كتابا مستهلكا بعض الشىء وهو كتاب « البؤساء » لفيكتور هوجو . وقال انه يشعر بصلة قرابة بينه وبين جان فالجان ، بطل الرواية المضطهد ، وفى اللحظة التى بدأ بارسونز يتململ فيها ويتنحنح قائلا : « من الافضل ان تذهب » .. كان سرحان يقرأ بصوت عال من الرواية :

« علم الجهلاء بقدر ما تستطيع »

قلت لبارسونز بعد ان غادرنا الزنزانة :

ـ معذرة اننا اضطررنا الى البقاء لفترة طويلة ..

ورد بارسونز قائلا :

– انني في الواقع لا أريد الحضور الى هنا •• فانا لا احب السجون ان هذا المكان ليس مكانا طيبا بالتاكيد •

سرحان طيب :

ثم ترتب أول لقاء بيني وبين ماري وعادل سرحان خـــارج « قاعة العدالة » •• وكانت ملابسهما تدل على انهما في حالة نفسية حسنة ، فقد كانت ماري ترتدي فستانا ذا لون اخضر فاتح •• وكان عادل يرتـدي جاكتة « سبور » ذات لون أخضر •• ولكن على الرغم من مظهرهما فقد كان واضحا أنهما يحملان عبئا ثقيلا ••

وكانت ماري سرحان متحمسة لتبرئة ابنها ، وقالت على الفور : « ان سرحان لم يحصل ابدا على اية أموال •• ان سرحان لم يكن أبدا شيوعيا •• لقدكان سرحان ولدا طيبا •• الجميع يقولون انه كان طيبا • أفلم يعد سرحان كذلك اذن ؟ »

كانت ماري سرحان تعقد شعرها الاسود الاشيب على شـكل كعكة خلف رأسها • وكانت على عينها اليسرى سحابة •• وشفتها السـفلى بارزة الى الامام بشكل غير طبيعي •• لقد عانت كثيرا ••

قلـت :

« ان افضلنا خلقا يرتكبون احيانا افعالا خاطئة » • •

وتنهدت ماري قائلة :

« ان السحابة التي تحلق فوق رءوسنا اما ان تسقط واما أن تتحرك وأحيانا يكون من الافضل أن تسقط اذ ان شيئا جديدا سوف ينمو بدلا منها •

وقال لي عادل بعد ان انتحيت به جانبا وراح يتحـدث بلغة بـدت عربية :

– يخيل الى أحيانا أنها تغيرت كثيرا ••

كان عادل ممتلىء الجسم بالمقارنة مع سرحان ، وكانت له ابتسـامة جميلة كشفت عن حبه لاشياء أكثر أهمية من التصوف والسحر وهي الموسيقى الجيدة والطعام الجيد ••

حينما جئت مع بارسونز للقاء سرحان في ٢١ أغسطس كان سرحان يقرأ العدد الاخير من مجلة « أسكواير » وقال سرحان وعلى وجهه ابتسامة راضية : « انهم ينشرون هنا مقالا عن ادوارد كنيدي » ••

وتساءلت بدهشة : « حقا ؟ وما رأيك فى المقال ؟ »

ورقد سرحان على المجلة بظهر يده وضحك .. « أن تيد كنيدى لم يعمل يوما واحدا فى حياته ! »

قال سرحان ذلك بفخر ، كما لو كان هو يعلم ذلك منذ زمن بعيد لكنــه كان يريد أن يراه مطبوعا .. فقد ورد فى مقال المجلة ان عاملا على بوابة احد المصانع التى كان كنيدى يقوم امامها بحملة انتخابية للترشيح لمجلس الشيوخ عن ولاية ماساشوسيتس ، سأل هذا العامل عما اذا كان تيد كنيدى قد عمــل بيديه مرة واحدة فى حياته .. واعترف كنيدى بانه لم يفعل ..

اللعنة على همفرى

وقدم سرحان المزيد من التفاصيل عن حياته ردا على الاسئلة التى وجهت اليه وتطرق الحديث الى الولايات المتحدة والى المؤتمر السنوى للحــــزب الديمقراطى الذى سيعقد فى شيــكاغو فى الاسبوع القادم لتقــرير ترشيح هيوبرت همفرى .. رئيسا للجمهورية ..

وصاح سرحان : « هيوبرت همفرى » هذا الشخص « ... » ، ذو الوجه الاحمر ؟ .

لماذا اثار ذكر همفرى اعصاب سرحان ؟

يقول سرحان : لانه حتى بعد اغتيال روبرت كنيدى قال همفــرى .. انه سيرسل قاذفات القنابل لاسرائيل ..

قلت : ان هناك احاديث تتردد فى مؤتمر شيكاغو عن ترشــيح ادوارد كنيدى . وضحك سرحان ساخرا وهو يتساءل « تيد كنيدى » .. انه يبدأ من القمة ..

وتدخل بارسونز فى الحديث وقال :

ـ انك لا تؤمن بالعنف لاسباب ذاتية وانما لتعديل اوضـــاع معينة .. أليس كذلك ؟

وكان هذا تفسيرا اقل دقة مما ذكره سرحان ولكنه اعطى سرحان الفرصة للتخلص من الموقف قبل ان اجره الى الحديث ، فقال سرحان : « نعم » .

ونظرت الى بارسونز نظرة جامدة ، واستطرد سرحان :

ـ لقد جاء مارتن لوثر كنج فى وقت مبكر من التاريخ ، ولقد حاول ان ينشر دعوته على اوسع نطاق ..

ولم اشأ حتى ان اتابع هذا الموضوع ..

٥ يونيـــو

وسأل بارسونز سرحان عن اسرة كنيدى ، واصبح واضحا ان بارسونز لم يكن يحب آل كنيدى .. ولم تكن اجابات سرحان مباشرة الا فيما ذكره من أن آل كنيدى كانوا بالنسبة اليه الرمز المجسد للاغنياء الذين يملكون ويســـتغلون الفقراء الذين لا يملكون وقال :

ـ اننا نطالب بان نعيش فى ديمقراطية .. وبــان يكون الغنى والفقير والاسود والابيض جميعا متساوين امام القانون .. اننى لم اشعر ابدا بوجود هذه المساواة .. بل على العكس من ذلك فلقد شعرت بالظلم الذى ارتكبه هذا الشعب ضدى ..

وسألت سرحان :

ـ ولكن لماذا كنيدى ؟ لماذا قتلت كنيدى ؟

فقال سرحان :

ـ لقد كان ذلك تحذيرا للولايات المتحدة ..

وبدأت الكآبة تخيم عليه واردف يقول :

ـ من الافضل ان تسمعوا الى : كونوا اكثر حذرا ، وكونوا اكثر عدلا .. تذكروا كيندى .. تذكروا كيندى ..

وسألت سرحان عن مذكراته .. فقال سرحان :

ـ حسنا ، تلك قصة اخرى .. ليس لها صلة اطلاقا بقتل كنيدى ..

قلـــت :

ـ لقد كتبت فى احدى هذه الصفحات ان روبرت فيتز جيرالد كنيدى يجب ان يموت .. ويجب أن يغتال قبل ٥ يونيو ١٩٦٨ ..

قال سرحان :

ـ ان ٥ يونيو يا سيدى بالنسبة لى أهم من يوم ميلادى .. لقد شــعرت بأن روبرت كنيدى اختار يوم دعوته لجمع الاصوات مع ذكرى حـــرب الايام الســـتة ..

⊙ ● ⊙

ابلغت « آل ويرين » ان سرحان يمـــكنه الحصول على ١٠ آلاف دولار لقاء حديث متواضع مع أحدى المجلات الامريكية مثل « لوك » أو « لايف » ..

ولكن بارسونز وماك كون كانا يفكران فيما هو اكثر من ذلك .. ان ١٠ الاف دولار فى نظرهما شىء تافه .. وقال بارسونز ان احدهم قد اتصل به وطلب أن يكتب كتابا عن حياته .

قال ماك كون : « ولا تنس التليفزيون ايضا » .

وكان بارسونز وماك كون يسيران بخطوات واسعة فى هذا الطريق ، وقد حـاول مـاك كون يبيع احاديث خاصة مع سرحان فى نيويورك ولكنه لم ينجح ..

وفكرت فى اعداد خطة كاملة لاستغلال قضية سرحان تجاريا ، بالاتفـاق مع بارسونز وماك كون على هذا .. ووافقت على الا تنتهك قـرارات المحكمة بخصوص عدم النشر قبل المحاكمة ، واتفق على ان يكون الكتاب أشبه بنـوع من التاريخ المعاصر وليس مذكرات سرحان .

وعرضت مسودة الاتفاق على كوبر ، الذى رفض ان ياخذ نقودا ، فلمـا اصررت قال كوبر انه يتبرع بنصيبه لكلية الحقوق فى كاليفورنيا ولكنه طالب باستبعاد ماك كون على اساس ان بارسونز سيعطيه ثمن مساعدته له .. أمـا بارسونز فقد وافق على كل شىء ..

كان لعائلة سرحان راى آخر ، فقد وعدهم ماك كون بـ ١٠٠ ألف دولار .. وكان مبلغا كبيرا تذكره عادل سرحان عندما زاره ماك كون فى المنزل للحصول على موافقة الاسرة ..

قام ماك كون بقراءة العقد فقرة فقرة بصوت مرتفع لمارى سرحان ومنير وعادل . وكان يحاول ان يشرح لهم معنى كل فقرة فى الاتفاق . كانت الحجرة حارة . والنوافذ مغلقة . وماك كون يبذل جهدا كبيرا جعل العرق يتصـبب منه .. وعندما فرغ من قراءة العقد قال له عادل سرحان فى هدوء .. «لا تبدو لى هذه الصفقة طيبة » .

كان عادل على حق اذا قورنت هذه الصفقة بما كان ماك كون قد وعد به عائلة سرحان ، فقد كان الاتفاق الجديد يقضى بتقسيم المبلغ بين سرحان وبينى بنسبة ٦٠ الى ٤٠٪ على أن تقسم نسبة سرحان على ثلاثة هم كوبر وبارسونز وعائلة سرحان .. وهكذا فبدلا من أن تحصل عائلة سرحان على ١٠٠ الف دولار ستحصل على ٢٠ الف فقط .

وتحدث ضيوف مارى ، الذين حضروا المناقشة باللغة العربية ولكن عادل طلب منهم الصمت . كان من الواضح ان عادل هو الذى يتولى المفاوضة باسم

عائلة سرحان ، وقد هز رأسه قائلا : « الامر لا يبدو له طيبا » •

وفي صباح اليوم التالى التقيت مع عادل في مـكتب راسل بارسونز ، وسألته :

« هل سويت الامور مع المحامين ؟ » •

ورد عادل : « المشكلة ليست مع المحامين يا مستر كايزر انها هنا » •• وأشار باصبعه الى صدرى •• فأسرعت قائلا : « أين ؟ •• معى ؟ »

قال عادل : « نعم ، الـ ٤٠٪ نصيبك ، مبلغ كبير » •

قلت غاضبا : ان التقسيم الطبيعى كان يجب ان يكون مناصفة وان احصل انا على ٥٠٪ وليس ٤٠٪ •

قال عادل : « ونحن نعتقد انه يجب عليك ان ترضى بـ ٢٥٪ •

فانفجرت قائلا : « حسنا •• أنس هذا الموضوع •• أنس الامر كله » ••

دخل بارسونز مكتبه وسأل بحماس :

ـ هل سوى كل شىء يا اولاد ؟

ـ لا ••

وقال بارسونز :

ـ حسنا •• هيا بنا الى مكتب شريكى لنسوى الامر

وجرى نقاش كان يمكن ان يتحول الى نوع من المشادة •• وقال عـادل موجها كلامه لى :

« اننى لا أجد سببا يمنع من ان تاخذ الثلث ، وتترك لنا الباقى نقتسمه مع المحامين » ••

وسادت فترة صمت فكرت خلالها انى ساستطيع ان اجد عمـلا يتعلق بقضية سرحان طوال العام ، وان كل ما أريده هو الحصول على القصة ، وان اكتبها بالطريقة التى اراها •• ولهذا قلت :

« أنا موافق •• سآخذ الثلث »

وبعد ذلك التفت عادل الى المحامى بارسونز وقال : « نحن نقتسم نصيبنا النصف بالنصف » ••

ووافق بارسونز •• ثم وافق كوبر بعد أن طالب بتقسيم نفقات المحـاكمة مناصفة أيضا بين المحامين وعائلة سرحان •

واخذ بارسونز ومالك كون العقد ليعرضاه على سرحان ، وقرأه عليه بارسونز اثناءتناوله الغداء فوقعه دون تردد قائلا : « انني اوافق على أي نسبة .. كل ما أريد هو ان يحصل المحامون على مافيه الكفاية » .

العالم الملعون

وفي الوقت الذى كانوا يهمون فيه بالرحيل اشاد سرحان الى روح الصداقة بينه وبين المدعين ، وحذره مالك كون قائلا : « ان لهم هدفا واحدا وهو ان يضموك فى غرفة الغاز » .

وبدت فى عينى سرحان نظرة غريبة وقال مزمجرا : لو ذهبت الى غرفة الغاز فأنى سآخذ هذا العالم الملعون بأسره معى .

اصطحبنى مالك كون وعادل سرحان الى باسادينا للحصول على توقيع مارى ومنير سرحان ..

كان منير موجودا ولم تكن مارى بالمنزل . كنت قلقا لغياب مارى اذ كان لا بد ان اركب طائرة الساعة الخامسة الى نيويورك.. واخيرا وصلت مارى فى الساعة الثالثة والنصف . ودار بينها وبين عادل حديث باللغة العربية ..

كان عادل حريصا على ان يحصل على توقيعها بسرعة حتى اتمكن من الانطلاق فى سبيلى لكنها كانت لحظة هامة لمارى التى القت القلم ثم تركته قائلة : « هذا يعنى اننى لا استطيع التحدث الى أى كاتب آخر غير مستر كايزر ؟ »

اجابها عادل : « نعم ياماما »

فالتقطت القلم مرة اخرى وهى تتمتم : « لا أستطيع ان اتحدث مع أى كاتب آخر .. هل هذا هو كل ما فى الامر ؟.»

قلت : « لا .. انه يعنى انك يجب أن تتحدثى معى » .

وضحكت الام ، ووقعت العقد ، وضحك الجميع ..

⊙ ● ⊙

اخذ مالك كون يفكر فى قصة سرحان من وجهة نظره كرجل بوليس سابق .. واستهوته فكرة « حالة السكر » ، وكان قد استطاع الحصول على بعض المعلومات من زملائه رجال البوليس تقول بان احد الاخصائيين فى سجن « نيوكاونتى » اخذ من ذراع سرحان ١٠ سنتيمترات من الدم فى صباح الخامس من يونيو .. وكان يعرف ان هذا اختبار لنسبة الكحول فى دمه ..

وتساءل « ماك كون » الم يحاول رجال البوليس اجراء اختبارات على سرحان قبل ذلك لمعرفة ما اذا كان واقعـا تحت تأثير المخدرات او المواد الكحولية » .

وطلب بارسونز مقابلة الضباط الذين القوا القبض على سرحان ، وقـد شهدوا بانهم اختبروا سرحان بتوجيه الضوء الى عينيه فلم يقطب جبينه ، ومعنى هذا أنه لم يكن هناك شيء غير عادى ..

كان ماك كون سعيدا بهذه النتيجة لان المشروبات القليلـــة التى تناولها سرحان لم تكن كافية لتخفيف الحكم عليه ، ولكن اذا قال امام المحكمة ان البوليس يحاول الغاء شيء ما ، فربما بعث هذا الشك فى عقول المحلفين .

رجل مشـــــهور

ان السير فى شارع سبرنج مع راســـل بارسونز يعنى التجول مع نجم مشهور ، فقد كان الجميع يشيرون اليه .. وقد استوقفه احد المحـــامين وساله ما اذا كان سيقبل القاضى الذى عينوه للمهمة الكبرى ، وهو هوبرت ووكر الذى نشرت صحيفة « لوس انجلوس تايمز » صورته على صـــفحتها الثانية وقالت انه عميد قضاة المحكمة الجنائية فى الولاية .

واشارت التايمز الى أنه القاضى الذى حكم على « كارل تشيســـمان » بالاعدام وقالت انه « حازم ولكنه عادل » .

سأل بارسونز المحامين : « ما رأيكم ؟ »

وطبقا للقانون فان بارسونز يستطيع ان يطلب تعيين قاض آخر .. وفى الطريق الى الغداء اجرى عملية اقتراع بين المحامين وكانت النتيجة ثمـانية اصوات لصالح ووكر واثنين ضده .

كان بارسونز يعلم أن هناك قضاة يمكن ان يكفلوا للدفاع راحة اكثر ، ولكنه لم يكن متاكدا من ان الذى سيخلف ووكر سيكون افضل منه وربما كان أسوأ ..

⊙●⊙

« فى كافيتيريا « مانحجز » يجلس بارسونز على مائدة مستطيلة ويطلب غداءه .. بينما يتصادف مرور محام شاب ، ناداه بارسونز

اجلس .. لقد تراكمت فى قضايا امام ووكر .. ما رايك فيه ؟ .

ويحكى المحامى قصة مطولة •• كان ووكر من وجهة نظره عجوز شاذ تختمر فى راسه الفكرة بسرعة ، ويرهب بالصياح المحامى الذى يترافع أمامه ••

وقال بارسونز : « حسنا بهذا تصبح الاصوات ٨ صد ٣ »

وفى نهاية الاسبوع سأل القاضى ووكر المحامى بارسونز ما اذا كان سيطلب تعيين قاض آخر ••

قال بارسونز : « لا •• اذا اردنا ابعادك فاننا لن نسلك ذلك السبيل ولكننا نطلب منك ان تتنحى بارادتك ولن نفعل ذلك ايضا »

وبدا الارتياح على ووكر فان هذه القضية ستكون اكبر قضية حكم فيها حتى الان ••

وسال ووكر بارسونز ما اذا كان يحبذ فكرة بناء قفص من الزجاج الواقى حول سرحان فى قاعة المحكمة ••

أجاب بارسونز انه كان يعتزم مناقشة هذا الموضوع ، وقال : « دعنا نخفف من اجراءات الامن حتى لا تترك أثرا سيئا على المحلفين » •

خطة الدفاع

وضع راسل بارسونز خطة للدفاع عن سرحان ، بعد أن تقرر نظر القضية يوم أول نوفمبر ••

وكان بارسونز مستعدا للذهاب الى المحاكمة •• على أى أساس ؟

● كان سرحان عربيا محبا لوطنه ولديه كل الاسباب لكره كنيدى •

وقال بارسونز : ولكن لا يوجد حقد هنا • فقد كان سرحان لطيفا ذكيا ويبدو طيبا ••

لم يكن ماك كون موافقا على هذا الرأى ، وكان يرى أن فكرة الاغتيالات طافت بخيال سرحان من قبل •

قال بارسونز : « كان سرحان متأثرا بفكرة تسيطر عليه وهى انه يجب أن تكون للناس بيوت دافئة ووجبات غذاء طيبة وان تكون هناك عدالة •

من فوق حصان

وتساءلت عن الاثار التى يمكن ان يتركها حادث سقوط من فوق ظهر حصان •

وقد استطاع بارسونز ان يحصل على أرشيف كامل عن حالة سرحان من لجنة الحوادث الصناعية في الولاية · واتضح ان سرحان سقط من فـــوق ظهر حصان في صباح ٢٥ سبتمبر ١٩٦٦ عندما كان يجرى به باقصى سرعة ونقل الى المستشفى في حالة نصف وعى ، وهناك أجرى الاطباء ثلاث غرز في وجهه ، وأمضى الليلة في المستشفى وعاد الى العمل في اول اكتوبر ومكث حتى ١٣ نوفمبر ثم هجر العمل وعاد مرة اخرى اليه في ٢ ديسمبر لمدة اسبوع ثم تركه نهائيا ·· وقد شكا سرحان لطبيب العيون من ان عينه اليسرى لا تتحرك بصورة طبيعية الا أن الطبيب لم يلاحظ أى شيء غير عادى ·

وفي ٢٧ مارس ١٩٦٨ حكمت محـــكمة الولاية بـــ ٢٠٠٠ دولار تعويضا لسرحان عن حادث الحصان يخصم منها ٩٥ دولارا اجر الاطباء و ٢٠٠ دولار اتعاب المحامين ، ونص الحكم على ان سرحان لا يعانى من أية اصابة حقيقية ·

ولكن اذا كانت التقارير الطبية لاتثبت ان سرحان يعانى من اضطرابات عقلية ، فان الدكتور ادوارد ديفيز طبيب الامراض العصبية سيزور سرحان وربما يرى رأيا آخر ·

وبدأ الدكتور ديفيز يستعد لاجراء فحوص عصبية على سرحان في زنزانته بعد ان استعرض تاريخ حياته الطبى كاملا وقد أبلغه سرحان بانه سقط من فوق ظهر حصان اكثر من مرة قبل حادث سبتمبر ١٩٦٦ ، ولا يذكر ان تغيرات معينة قد طرأت عليه ·· لم تكن ذاكرته حادة وكان ضيق الصدر قليلا وخـــلال عام ٦٧ كان يحس بالضيق وفي عـــامى ٦٧ و ٦٨ كان يشعـــر بالرغبة في الوحدة ·

وفي ٣ اكتوبر عاد الدكتور ديفيز لفحص سرحان ، ولم تكن الصـــورة الطبية العامة تشير الى اى دليل على وجود اضطراب عقلى ·

وفي صباح السبت ١٢ اكتوبر ربط ديفيز ومساعدته هيلجا كاى ١٨ ابرة في فروة رأس سرحان ، متصلة بجهاز قياس الكترونى ·· وكانت نتيجة هذا الاختبار الذى استغرق ساعة ان سرحان شخص طبيعى ·

واجرى الدكتور ديفيز اختبارا آخر لمعرفة مدى تحمل سرحان للخمر ··، وبعد ٧٨ دقيقة من احتسائه بعضا من الكحول لم يثبت الاختبار شـــيئا ذا بال ··

ولكن يبدو ان سرحان كان قد تأثر بالكحول ، فقد ظل يرتجف بعنف لمدة ١٠ دقائق ، وكان قلقا ومستفزا ·

وكان الدكتور ايريك ماركوس يراقب كل ما يجرى .. وقال واحد من الحاضرين : « ان الدكتور ماركوس هنا »

فصاح سرحان « اخرجوا هذا » ال «..» من هنا ..

وأمر ماركوس مساعديه ان ياخذوا سرحان الى زنزانته ، وكان يبدو مضطربا .. وظل سرحان يردد متسائلا : « ماذا يجرى هنا ؟ »

وامسك سرحان عنقه وبدا وكأنه يختنق ، ونظر الى ماركوس مرة اخرى فى تساؤل ، فقال احد مساعدى الطبيب : « انه الدكتور ماركوس »

وقال سرحان : « اننى اكرهه ، ساتعامل حتى مع هؤلاء اليهود »

ويبدو ان سرحان تصور انه فى « بار » اذ طلب من مساعدة الطبيب الشابة ان تحضر له مشروبا ، فهزت رأسها وابتسمت . وطلب منها الكأس للمرة الثانية قائلا : « انك جرسونة بارعة » .

واشار ماركوس الى ان سرحان فى حالة هذيان وقد دفع ذلك سرحان الى ان يقول :

« عشرون عاما مدة طويلة بالنسبة لهؤلاء اليهود .. يجب انزال العقاب بهم .. لم يكن من الواجب مساعدتهم بارسال الطائرات اليهم ..

وحاول ماركوس ان يتحدث الى سرحان ولكنه ناداه باسم عادل وطلب منه ان ياخذه الى المنزل وصاح فيه :

ـ تحدث باللغة العربية

ـ انا لست عادل .. أنا الدكتور ماركوس .

قال سرحان : « اخرج من هنا ! انك واحد منهم » . واشار دكتور ماركوس الى المساعدين خارج الزنزانة وقال :

ـ ومن يكون هؤلاء القوم ؟ .

ـ انهم يهود .

وسأل ماركوس : « هل ترغب فى قتل كنيدى ؟ »

قال سرحان : « انه لا يستحق الرصاص »

وقد حاول ماركوس اثارة سرحان بالحديث عن قوة اليهود .. فكان رد سرحان :

ـ سيكون عليهم ان يشربوا كل قطرة من دمى .

كان سرحان ما زال مخدرا تماما عندما تركه ماركوس .. وطلب ماركوس من الملازم « كاربنتر » تسجيل كل ما ينطق به سرحان لمدة ساعة على الاقل بعد تركهم له ولم يكن ماركوس يعرف أن كل مهمتهم فى السجن هى السهر على امن سرحان ..

وفى يوم الاثنين ١٤ نوفمبر شهدت دار العدالة نفس المناظر التى شهـدتها من قبل .. تدابير الامن المشددة .. تفتيش كل الموجودين بدقة بما فى ذلك راسل بارسونز .. حراس قاعة المحكمة يقفـون فى اماكنهم .. طائـرة الهيلوكوبتر تحلق فى سماء المنطقة للحراسة . ثم ياتى الكابتن فيلدز ليقـول محذرا « كل يجلس فى مكانه .. من يقف سنخرجه فورا » .

غير ان القاضى لم يكن هو نفس القاضى السابق .. كان القاضى هـذه المرة هو هربرت ووكر الذى دخل قاعة المحكمة متاخرا عن موعده خمس دقائق .. كان يبدو صارما تماما وكان حاجباه الكثيفان يبدوان كقـرنين معلقين على وجهه .. وبدأ القاضى عمله على الفور مؤكدا لبارسونز انه سيطلب من المدعى العام للمنطقة ان يزوده بنسخة من جميع تقارير وشهادات الشهود فى قضية سرحان . ومضى القاضى قائلا ان مهمته هى ان يهيىء للمتهم محاكمة عادلة — ولا بد ان تقدم السلطات كل الادلة الهامة والحيوية التى من شأنها المساهمة فى القاء الاضواء على حقائق القضية امام الدفاع واضاف القاضى غير اننى ساكلف المدعى العام لهذه المنطقة بهذه المهمة ، وانا الان اصدر اليه الامـر بأن يضع تحت تصرفك جميع الوثائق التى فى حوزته ؟

ونهض دافيد بيتس المدعى العام للمنطقة على التو وفى يديه حزمة ضخمة من التقارير شملت اقوال ٦٧ شاهدا اقروا برؤية سرحان فى فندق الامباسادور ليلة ٤ يونيو ثم وضع هذه الحزمة امام بارسونز « هل تريد ان تحصى عدد هذه الاوراق ؟ »

فاجاب بارسونز وقد ارتسمت على وجهه علامات الدهشة لرؤية هذه الكمية من المستندات : « ليس الان »

وبدأ بيتس فى قراءة اسماء الشهود واستغرقت منه هذه المهمة وحدها عشر دقائق ثم ذكر اسماء خمسة عشر شاهدا اخرين اقروا برؤية سرحان فى نادى البنادق بوادى سان جابرييل يوم ٤ يونيو ..

وفى ذلك الوقت كان ووكر والمدعون الاخرون يتصفحون ٣٧ ملفا امامهم ، وطلب بارسونز ان يطلع على هذه الملفات ايضا . واعترض بيتس على بعض مطالب بارسونز قائلا : « لا استطيع ان اعطى ماليس فى حوزتى بالفعل » .. غير أن ووكر لم يقتنع بوجهة نظره فقال له : ساعطى الامر بالموافقة أولا .. فاذا لم يكن فى حوزتك بعض الملفات فاوضح ذلك ولكننى ساجيب الدفاع الى طلبـه » ..

ولم ترق هذه الفكرة لبيتس ، غير ان القاضى اصر على موقفه •

ظل سرحان طوال هذا الوقت يتطلع الى ممثلى الادعاء ويتفحصهم بدقة : دافيد بيتس الرجل اليقظ دائما يبدو متين البنية •• كومبتون قريب الشبه من سبنسر تراسى •• هوارد يبدو كدب اليف صديق •

شركاء سرحان :

بدت علامات الضيق على وجه سرحان عندما قرأ بيتس اسماء اربعة قال انهم شوهدوا مع سرحان صباح يوم ٤ يونيو وهم معروف بدران وعبده مالكى وجيمورد مستوى وانور صايغ •• وكان السؤال الذى طرح نفســــه على الحاضرين : هل يمكن ان يكون هؤلاء الاربعة شركاء لسرحان ؟•• قال الادعاء انه لا يعتقد ذلك وقال كومبتون ان كل المعلومات التى حصل عليها الادعاء حول احتمال وجود شركاء اثبتت عدم صحتها واعلن بارسونز فى مؤتمر صـــحفى عقده فيما بعد انه لم يجد دليلا على وجود مؤامرة مما دفع صحيفــة « لوس انجلوس تايمز » الى ان تعلن فى اليوم التالى موضوعها الرئيسى « كلا الطرفين يؤكد ان سرحان كان وحده » • وكان هناك بعض الذين لا يؤمنون بذلك وكانت وجهة نظرهم تقول « يكفى ان المتآمرين وفروا لسرحان السلاح •• هـــذا يكفى كدليل » •• وقال شخص آخر « البوليس يريد اخفاء المؤامرة وتصـــوير الذين يرددونها على انهم يكذبون » ••

⊙ ● ⊙

لم يكن القاضى ووكر هو الذى يعارض مطالب الصحافة ففى الحقيقة طلب اكثر من ١٥٠ صحفيا من مختلف انحاء العالم حضور محاكمة سرحان •• ولم تكن قاعة المحكمة تتسع لاكثر من ١٥٠ صـــــحفيا ولذلك فكر ووكر فى تخصيص قاعة مجاورة يجلس فيها الصحفيون ليتابعوا المحاكمة عن طريق نظام الارسال التليفزيونى الداخلى • ورفض فى نفس الوقت ان تذاع المحاكمةعلى شاشة التليفزيون على الهواء مباشرة ليشاهدها الجمهور فى مختلف انحـــاء الولايات المتحدة ••

⊙ ● ⊙

ظل بارسونز يقول انه تبنى هذه القضية كخدمة عامة وأنه لن يقبل اتعابا عليها • غير انه الح الى انه يحتاج الى بعض المال للانفاق على القضية فكان يقول للصحفيين كلما قابلهم انه يتوقع ان يتبرع العرب ببعض المال •• وبالطبع سمع المدعون الامريكيون الذين ينحدرون من اصول عربية نـــداء بارسونز ••

وفى الاسبوع الاول من نوفمبر ذهب بارسونز الى شيكاغو لمقابلة « عابدين جبارة » المحامى فى ديترويت •• وهو من اصل عربى •• واحيط اجتماعهما بالسرية الكاملة • وعلى أية حال فان « جبارة » الذى كان يعمل رئيسا لجمعية الصداقة العربية الامريكية فى المنطقة ذكر ان الجمعية ترغب فى ان تعرض وجهة النظر العربية خلال المحاكمة وانها تستطيع تدبير بعض المال لاستحضار اثنين من خبراء تاريخ الشرق الاوسط لكى يتحدثا عن ذلك • فوافق بارسونز ووعده جبارة بالعمل على جمع بعض التبرعات لهذا الغرض فورا •

سأل سرحان بارسونز فى قلق :

ـ هل سيسمح لى بالادلاء بشهادتى

فرد بارسونز ـ سنرى ، وربما استدعيت والدتك للشهادة

فاعترض سرحان قائلا ـ أمى ، لا ، أنها عاطفية أكثر من اللازم كما انها لا تتحدث الانجليزية بطلاقة ••

قال بارسونز ـ ربما كانت هناك امهات فى هيئة المحلفين ••

وفهم سرحان وابتسم ••

وسأل سرحان عن التقرير الذى وضعه الدكتور ماركوس ، وعندما علم أن هذا الطبيب لم يجد عند الكشف عليه أى دليل يثبت انه غير طبيعى قال ـ لقد أردت أن أساعد العرب حتى ولو كلفنى ذلك حياتى ..

وفى الحقيقة لم يكن سرحان يريد من الصحافة أن تصوره على أنه رجل غير عادى ، فذكر فى سياق الحديث أنه لم يحقد على عائلة كنيدى وانما كان هناك دافع سياسى وراء العمل الذى قام به « كل ما أريده هو أن تقال الحقيقة •• الحقيقة كما أعرفها » ••

وقال بارسونز ـ انك اذا تحدثت عن القومية العربية وجعلتها محور دفاعك الاساسى فانهم لن يقتنعوا

غير ان بارسونز لم يقل من هم الذين لن يقتنعوا بذلك •

قال سرحان ـ ولكننى غير مختل عقليا • لقد ذكر المقال الذى نشرته مجلة « وست » اننى مختل عقليا واننى احقد على عائلة كنيدى بينما انا غير ذلك ••

فقلت ردا عليه : ربما لا تكون كذلك .. ولكن عليك أن تتعاون مع الاطباء ••

وسألت سرحان عن المذكـــرات التى كتبهــــا فأجاب سرحـان ـ دعنى اشرح لك الموضوع .. لقد كنت استمع الى روبرت كنيدى وهو يتحـدث فى التليفزيون ، وكنت اقول لنفسى لو ان معى مليون دولار لسـاعدته بها لكى يصل الى البيت الابيض .. لقد كنت أؤيده وكنت اريد له الفوز حقا .. غير انه عندما بدأ يتحدث عن اسرائيل تغير موقفى منه .. وعندما علمت أنه القى خطابا فى احد الاندية اليهودية حسمت موقفى وعقدت العزم على منع هـذا الرجل من الوصول الى البيت الابيض .. جلست ذات يوم امام مرآة ونظرت من خلالها ، كنت ارى صورة كنيدى بدلا من صورتى ، فتذكرت حرب ١٩٤٨ فى فلسطين واحسست بضرورة التخلص من هذا الرجل .. وذهبت الى مفكرتى لاكتب انطباعاتى . فلقد تعلمت من احد الفلاسفة انه لكى تحقق هدفا يجـول بخاطرك فلا بد ان تكتب انطباعاتك عن هذا الهدف حتى يرسخ فى ذهنك ..

قلت : ولكنك كتبت فى مذكراتك ـ روبرت كنيـدى يجب أن يموت .

قال سرحان ـ لقد نسيت ذلك تماما .. ان فكرة قتل كنيدى لم تخطر لى على بال .. فقط اردت ان امنعه من ارسال الطائرات الى اسرائيل .

وسألته : هل ذهبت الى فندق امباسادور يوم ٢ يونيو .

فرد سرحان بالنفى ..

قال سرحان لبارسونز ـ فيما بعد انه كان حقيقة فى فندق امباسادور يوم ٢ يونيو غير انه لم يكن يريد اخبـــارى بذلك ، فلما سألته عن السبب اجاب ـ انت مهتم فقط بتأليف كتابك بينما اهتم انا بالمحاكمة .

نيكسون أسوأ من كنيدى

عندما اذيع ان بوليس نيويورك اعتقل اثنين من العرب « يمنيين » بتهمة تدبير خطة لاغتيال الرئيس المنتخب ريتشـــارد نيكسون ذهبت الى سرحان لاسأله عن رأيه فى هذا الموضوع وعن رأيه فى نتـــائج الانتخابات التى أسفرت عن فوز نيكسون ..

قال سرحان ـ نيكسون .. انه اسوأ من كنيدى .. لقد قال انه سيساعد اسرائيل لكى يحصل على اصوات اليهود . ولكن ماذا افاد من ذلك . لقـد حصل فقط على ٤ فى المائة من اصوات اليهود .. اما همفرى فانه حصـل على معظم اصواتهم .. ليذهب نيكسون الى الجحيم .. وليذهب همفرى ايضا الى الجحيم .. لقد اعطيت صـوتى لنيـكسون .. يا للجحيم ! .. لقد اعطيته صـوتى ..

وعندما التقى بارسونز وماك كون بسرحان بعد ذلك تحدث اليهما عن الانتخابات وقال انه اعطى صوته لنيكسون وعليه فانه لا بد ان يوفر له نيكسون حريته ويعطيه جواز سفر للذهاب الى الاردن ..

وصول الدكتور شور :

توقع القاضي ووكر حضور كوبر في منتصف شهر نوفمبر مما يمكنــه من العمل على أن تبدأ محاكمة سرحان يوم ٩ ديسمبر على الاقل وذلك طبقــا للخطة ، ولكن بارسونز ابلغه بان ذلك قد يبدو مستحيلا لان كوبر ســيكون مشغولا حتى الاسبوع الاول من ديسمبر ولن يعطيه الوقت المتبقى فرصــة كافية لدراسة القضية ..

قلت : هناك امر آخر لنا ان نقلق بشأنه وهو وصول الدكتور شور .

والدكتور شور هو الاخصائي النفسي في سان دييجو والذى كان بمثابة الورقة التي ظل بارسونز يلعب بها لعدة شهور .. فقدتلقى بارسونز عددا من الرسائل من قاضيين في سان دييجو يوصيانه باصطحاب شور الى قاعــة المحكمة ، ويصفانه بأنه شخص موهوب وقادر على توضيح اكثرالامور النفسية تعقيدا لاى قاض في مستوى عادي .

واعلن بارسونز بعد قليل من التردد انه سيتصل تليفونيا بالدكتور شور ويستدعيه الى لوس انجلوس ..

كان الدكتور مارتن شور رجلا ضئيل الحجم تبدو عليه العصبيةوالانفعال حتى وهو في أحسن حالاته .. وها هو قد وصل الى زنزانة سرحان وهويشعر بالرهبة الشديدة لاجراءات الامن الصارمة ، ولوجود فريق من النواب الذين وقفوا يرقبون ما يحدث بالزنزانة وكذلك لوجود راسل بارسونز وماك كوان .

وكان بارسونز قد اتاح الفرصة لشور عدة شهور كى يفكر ويتخذ قرارا فيما اذا كان سيشترك في هذه القضية ام لا . اما وقد وجد شور نفســه الان في الزنزانة ومع القضية وجها لوجه فانه لم يشأ أن يعترض على الظروف التي وجدها مفروضة عليه ـ لقد أصبح مؤخرا مولعا بالجريمة .. وعالج عددا من قضاياها مع المدعى العام في سان دييجــو .. واراد ان يؤلف كتابا عن « الجريمة مسألة عائلية » .

وبدأ شور يطالع نتائج الفحوص السابقة وقد وقف كل من بارسونز وماك كوان وهما يحاولان اتخاذ موقف محايد .. ولم يكن بوسع ماك كوان ان يخفى

كراهيته لشور ، بل ان بارسونز نفسه انفجر فى الضحك على أثر الاستماع الى سؤال وجهه شور الى سرحان ، وقال بارسونز :

ـ لست ادرى أيكما أكثر جنونا من الاخر ، أنت أم سرحان •

ورغم ذلك ، ورغم سوء جهاز التسجيل الذى كان يستعمله شور فانه كخبير يدرى تماما ما يقوم به قد فعل كل ما بوسعه للاستفادة من الموقف

رصاصة فى رأس موشى ديان

وراح شور يختبر سرحان بناء على البطاقات التى سبق اختباره بها ، وكان من اكثر اجابات سرحان اثارة هو ما اجاب به ردا على سؤال شور حول البطاقة رقم ١٢ •• لقد كانت البطاقة بيضاء تماما •• وساله شور ماذا يرى فى البطاقة فاجابه بقوله :

ـ اننى أرى ذلك النذل المتغطرس الذى ترتسم على وجهه ابتسامة النصر •• انها صورة ذلك الوزير الاسرائيلى موشى ديان الذى ينظر من عل الى شعبه •• لكن هناك رصاصة تنطلق مخترقة رأسه وهو فى أوج مجده •

وتساءل شور :

ـ اين يمكن ان يكون مكانك فى هذه الصورة لو أنك جزء منها ؟

وقال سرحان :

ـ جزء منها ؟ اننى انا الصورة ذاتها •• اننى انا الشخص الذى يقتلـه ••

وكان على شور ، على اية حال ، ان يعود فى اليوم التالى لاجراء المزيد من الاختبارات ، فلربما استطاع ان يقدم لبارسونز خيوطا هادية ••

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ نوفمبر عاد الى الزنزانة مع بارسونز وماك كوان وأمضى خمس ساعات اخرى مع تقارير الفحص السابقة •• وفى آخر اللقاء سأل شور سرحان السؤال التالى :

ـ اذا كانت لديك ثلاث رغبات فماذا تكون ؟

وكانت الاجابة مثيرة :

١ ـ عفوا من الرئيس نيكسون

٢ ـ مليونى دولار •

٣ ـ حرية انفاقها

وحينما خرجوا من السجن قال بارسونز لشور كم أنه محظوظ بالاشتراك في هذه القضية لما سيحققه لنفسه من دعاية من خلالها ..

وقد كان شور مثيرا للمتاعب لكل من ماك كوان وبارسونز وكذلك لسرحان .. وفي اليوم التالى طلب سرحان من سجانه ان يرسل فورا فى طلب بارسونز كى يحضر اليه .. وحينما حضر بارسونز قال له سرحان :

– اننى اريد ان أعلن اننى مذنب .. ولا أريد محاكمة .. لا أريد ان يثبت الاطباء اننى مختل عقليا ..

وحاول كل من ماك كوان وباسونزان يهدئا من روعة لكنهما فشلا فى ذلك .. وقال سرحان ان المحاكمة لن تكون عادلة بسبب السلطان الذى يتمتع به آل كنيدى وبسبب تحيز القاضى ..

كوبر ينضم للدفاع :

وصل كوبر فى ٢ ديسمبر ، وأعلن على الملا انه ســـــيتقدم للدفاع عن سرحان ، واحاط به الصحفيون امام مبنى المحكمة الفيدرالية وحصلوا على تأكيد منه بذلك .. وقال كوبر :

– أن هناك واجبا على المحامين ينبغى عليهم القيام به ازاء القضـــايا التى لا يحبها الناس .. لقد كنت انادى بذلك منذ سنوات وها قد اتى على الدور لاشارك بنفسى فيها ناديت به ..

وقال كوبر ان اول ما يضعه فى اعتباره هو انقاذ حياة سرحان ، وكان يرى من البداية ان الجريمة هى جريمة قتل عمد ..

وقال ماك كوان :

– ليس بالضرورة

فاجاب كوبر :

– الم يكن منتظرا .. الم يشهد احدهم بأنه رأى سرحان متربصا لكنيدى فى المطبخ ؟

فقال ماك كوان :

ربما شاهدوا شخصا شبيها بسرحان .. وهو فتى يدعى مايكل وين

وتساءل كوبر

– هل يمكن ان نوصف بالاهمال اذا ما اعلنا ان سرحان مذنب مقابل حـكم بالسجن مدى الحياة بدلا من الاعدام فى غرفة الغاز ؟

واشار بارسونز الى ان هناك فرصة طيبة لجعل الجريمة جـــريمة من الدرجة الثانية استنادا الى قانون كاليفورنيا الخاص بالقدرة القاصرة ..

واقترح ماك كوان اجراء فحص على الكروموسامات الخاصة بسرحان على اساس ان هناك بعض الدلائل على ان تكوين هذه الكروموسومات عند سرحان غير طبيعى مما كون لديه دافعا للعنف ..

وطلب بارسونز منحه فرصة من الوقت للتفكير فى هذا الاقتراح .. الا ان كوبر وافق عليه على الفور قائلا « انه لن يضر على اية حال »

وابلغ بارسونز كوبر برغبة سرحان فى عقد صفقة مع وزارة الخارجيــة الامريكية .. وبدأ كوبر يتململ حينما راح بارسونز يتنقل من موضــــوع الى آخر ، واخيرا هز كوبر راسه قائلا :

ـ كلا .. كلا ليس فى هذه المرحلة .. قد يمكن اجراء ذلك بعد المحاكمة

وراح كوبر يدلى بتعليماته الى ماك كوان ، وطلب منه أن يراقب بدقـة تحركات مايكل وين .. وحاول بارسونز ان يقاطع كوبر اربع مرات لكن كوبـر قـــال لــه ..

ـ انتظر .. دعنى اكمل حديثى بخصوص هذا الموضوع

ولمعت عينا ماك كوان اعجابا .. فلقد بدا فى اتخاذ قرار حاسم من كوبر فى يوم واحد ، وهذا هو ما لم يحدث مع بارسونز خلال شهر كامل

لقد كان كوبر وبارسونز حقا رجلين من طراز مختلف ، ولم يكن كثير من اصدقاء كوبر الذين يكنون له الاعجاب لاشتراكه فى هذه القضية.. لم يكونوا من التفاؤل بحيث يتمنون له حظا طيبا ..

وفى يوم الثلاثاء ٣ ديسمبر صعد كوبر وبارسونز الى زنزانة سرحان .. وقال كوبر لسرحان :

ـ ان كل ما اريده اليوم هو التعرف عليك ومعرفة ما اذا كنت تريد منى أن امثلك مع بارسونز

وقال كوبر لسرحان انه اتفق مع اميل زولا بيرمان للاشتراك فى الدفاع عن سرحان .. وقال كوبر أن بيرمان يهودى لكنه محام قدير ..

واضاف قائـــلا :

ـ اننا لن نتخذ اية قرارات الا بعد معرفة الحقائق كاملة : لكن بارسونز

ابلغنى انك تريد ان تعلن انك مذنب وان كل ما نريد هو انقاذ حياتك ٠

وقال كوبر انه قد يطلب من المحكمة انقاذ حياة سرحان حتى يمكن نقله فى المستقبل الى أحد سجون امريكا الهامة ٠

وقال سرحان :

ـ أن حياتى بين ايديكم

لكنه طلب من محاميه فتح الطرق الديبلوماسية فورا وقال له كوبر ان الوقت لم يحن بعد وبدا سرحان يعترض ، اما بارسونز فراح يحكى قصة الصحفى الزائر القادم من بيروت وهى قصة لا علاقة لها اطلاقا بطلب سرحان ٠٠ وانتهى الى القول بان الصحفى العربى القادم من بيروت وعد بأن العرب سيجمعون الاموال لدفع نفقات الدفاع عن سرحان ٠

ولكن كوبر اعترض على هذه النقطة قائلا :

ـ اود ان اوضح شيئا واحدا وهو انه سيكون لك دفاع سواء حصلنا على الاموال اللازمة لذلك او لم نحصل ٠٠

وحينما سال القاضى ووكر سرحان فى اليوم التالى عما اذا كان يريد جرانت كوبر كمحام له أجاب سرحان بوضوح وبصوت عال :

ـ نعم يا سيدى اننى اريد ذلك حقا ٠٠

وقال كوبر للقاضى انه يريد مزيدا من الوقت حتى يتمكن من اعداد القضية وطلب تاجيل النظر فى القضية حتى يوم ٧ يناير ٠٠ ووجد ووكر ان طلب التاجيل له ما يبرره اذ أن شهرا واحدا لم يكن كافيا بالفعل لاعداد القضية على ما يرام ، لكنه اشار الى انه لن يؤجلها اكثر من ذلك ٠

وسال القاضى سرحان عما اذا كان يوافق على نقل اجراءات المحاكمة تليفزيونيا الى قاعة محكمة اضافية ٠٠ كان سرحان يرتدى بنطلونا رمادى اللون وقميصا ازرق ، وكان منشغلا بالحديث مع بارسونز ولم يستمع الى سؤال ووكر الذى قال له ٠٠

ـ اننى اريد منك أن تستمع الى يا مستر سرحان ٠٠

ووافق سرحان على نقل الاجراءات تليفزيونيا على أن يكون ذلك فى نطاق محدود ٠٠

ولم يفتش حرس السجن كوبر لدى دخوله زنزانة سرحان للمرة الثانية ٠٠٠ وكانت هذه نقطة من نقط البروتوكول الشخصى التى تغافل عنها بارسونز ،

لكن كوبر اصر على ان يكون للمحامى الحق فى رؤية مدعيه دون ان يتعـرض لعملية تفتيش ..

وقد حدث فى هذه الزيارة اول لقاء كامل بين كوبر وسرحان وساله عن كل الاسئلة التى يدور السؤال عنها ، صعبها وسهلها ..

وقال كوبـــر :

ـ ان من اهم الامور فى العالم بالنسبة للمحامى واهمها بالنسبة لك ايضا ان اعرف الحقيقة كاملة ..

ان على المحامى ان يحصل على الحقيقة كاملة ولا شىء غيرها .. اننى أريد ان اعرف الحقيقة ، ولا يهمنى اى شىء آخر ، ربما تكون قد ذكرت لاى انسان آخر من قبل . هل تفهمنى ؟ وأى شىء ستقول لى انه الحقيقة فاننى ساعمل بمقتضاه .. ولاذكر لك الان ماذا سيحـــــدث لو انك ذكرت لى غير الحقيقة ..

وقاطعه سرحان قائلا :

ـ سيكون هذا مضرا بالطبع ..

فقال كوبـر :

ـ سيكون هذا مضرا لك اننى ساعتمد على ما ستقوله لى وسابنى دفاعى عليه . واذا وجهتنى وجهة خاطئة فسيكون ذلك خطاك وليس خطئى ولا خـطا بارسونز .. ولا يهمنى ماذا ذكرت انت لبارسونز فى الماضى او للاخصائيين النفسيين .. اننى اود لصالحك انت ـ وليس لصالحى ـ ان تخبرنى الحقيقة بكل حذافيرها .. والان فاننى ارى من واجبى ان اصمت كى اتيح لك الفرصة لان تحكى روايتك .. ولا اقصد بذلك ان تخبرنى بهذه الرواية منذ طفولتك اذ ان ذلك لا يهمنى الان ، ولكن ما يهمنى هو متى عزمت فى البـــداية على قتـــل كنيدى .. فلتذكر لى ذلك وتنس كل ما ذكرته من قبل عن هذا الموضوع .

وقـــال سرحان :

ـ حسنا .. اننى فى الواقع لن احيد كثيرا عما ذكرته لمستر بارسونز ..

وهذا ما حدث بالفعل ، بل انه ذكر لكوبر نفس ما ذكره لغيره من قبل .. واعترف سرحان بانه كتب فى مذكراته انه سيقتل كنيدى .. واضاف قائلا :

ـ ولكنى اصدقك القول يا سيدى بانه لم تكن لدى النية لتنفيذ ذلك ..

ـ ومع ذلك فقد سجلت الرغبة فى مذكراتك ..
ـ نعم لقد سجلتها ..
ـ كم يوما مضت قبل قيامك بتنفيذ هذه الرغبة وقتل كنيدى ؟
ـ اربعة ايام او خمسة ايام او اسبوع ..
ـ وماذا فعلت خلال هذه الايام ؟ ..
ـ كنت اذهب الى السباق فى ذلك الوقت ..
ـ اى سباق ؟
ـ سباق الخيل فى هوليود بارك .
ـ للمشاهدة ؟
ـ نعم ، وللرهان ايضا .. لقد كنت اذهب الى هناك يوميا ..
ـ اين بالتحديد ، قررت تنفيذ فعلتك ؟

ـ اننى بالفعل لم اقرر تنفيذها يا سيدى .. واقول لك عن يقين باننى لم اكن واعيا بما كنت افعله فى تلك الليلة .. وسوف اظل اقسم بذلك دائما اما كيف وصلت الى تلك المنطقة .. منطقة الامباسادور فى ميدان ويلشير ، فقد كان ذلك مساء ٤ يونيو حينما قرأت اعلانا عن الاسرائيليين فى الصحيفة وكان الاعلان عن عرض اسرائيلى للاحتفال بنصر العام الماضى .

ـ ولكن هل اخذت معك المسدس ؟
ـ نعم ، لقد اخذت المسدس معى ..
ـ لماذا كنت تتدرب على الرماية ؟

ـ لقد كنت متعبا .. وكنت اذهب الى السباق .. وكنت اخسر دائما .. وفى ذلك اليوم لم اشا ان اذهب الى سباق الخيل ، لماذا ؟ . ذلك شىء لم اعرفه حتى الان .. فقد قررت الذهاب للتمرس على الرماية بدلا من الذهاب الى السباق .. اعتقد ان هذا هو مادعانى الى عدم الذهاب الى السباق ..

ـ لا بد انك ذهبت الى هناك بهدف .. وبمعنى اخر فاننى كمحام ، اقول لك ذهبت الى هناك ..

وقاطعه سرحان قائلا :

ـ نعم ، اننى افهم ما تقصد ..

وقال كوبر :

ـ اننى اقف الى جانبك .. ولكن من وجهة نظرى ..

كنيدى يجب أن يموت

اقول انك استمعت الى كنيدى يدلى بتصريحاته التى قال فيها انه يريد ارسال طائرات الى اسرائيل ، وقد اشعل هذا حماستك فكتبت فى مذكراتك : « كنيدى يجب ان يموت .. كنيدى يجب ان يموت » او كلاما اخر بهذاالمعنى. ثم حصلت على المسدس، وكنت ثائرا .. وبامكانى ان افهـــم انك قررت من جهة اخرى ان تنفذ ذلك ، لكنك من جهةاخرىلم تكن تعتقد حقا انكستنفذذلك.

- كلا .. اننى لم اعتقد مطلقا انه سيمكننى تنفيذ ذلك ..

وقال سرحان انه ذهـــب الى منطقــة الامباسادور كى يشاهد كنيدى يوم الاحد ٢ يونيو ..

سأله كوبر :

- اين ؟

- فى « الامباسادور »

- متى ؟ ..

- مساء الاحد ..

- هل كان معك مسدس ؟

- كلا يا سيدى ، لم يكن معى ..لقد ذهبت الى هناك كضيف .. لقــد كانت الدعوة موجهة للجميع فى الاعلان ..

- هل رأيته ؟

- نعم ، لقد رأيته ..

- وماذا فعلت ؟ وكم من الوقت بقيت هناك ؟

- لقد بقيـــــت هناك للاستماع الى خطابه ، لقد كانت الساعة العاشرة والنصف او نحو ذلك ..

- هل سمعته يتحدث ؟

- نعم .. لقد سمعته

- ماذا قال ؟ هل ذكر شيئا فى ذلك المساء عن الاسرائيليين ؟

- كلا .. لم يذكر شيئا ، لقد كان يشجع الناس على الخروج والاشتراك فى الحملة الانتخابية من اجله ..

وطلب كوبر من سرحان ان يخبره بكل ما فعله يوم الثلاثاء ..فقال سرحان انه تدرب على الرماية ، ثم ذهب الى المطعم ، وقرأ الاعلان عن العرض الاسرائيلى، ثم ذهب الى منطقة الامباسادور .. وقال سرحان انه لم يكن يعرف الا فيما بعد ان كنيدى كان هناك وقال انه يذكر انه بدأ يشرب .. وقال « لقد كان الجميع يشربون » لقد بدوا كما لو كانوا فى حفل .. لماذا يذهب الناس الى الحفلات اذن ؟ للاحتفال بالطبع والتسلية ، ولذلك فقد بدات اشرب .

وساله كوبر :

- متى تركت سيارتك ؟ وماذا فعلت بمسدسك ؟

- لقد تركته فى السيارة ..

- هل تركته فى السيارة بالفعل ؟

- نعم يا سيدى ..

حدث ما حدث

ومضى سرحان يقول :

- ذهبت الى السيارة .. ولكن ياللجحيم لم اتمكن من قيادتها .. كنت ثملا للغاية .. ولم ترقنى فكرة القيادة وانا على هذه الحال فقلت لنفسى انه لا بد ان أعود الى فندق الامباسادور لتناول قدح من القهوة فربما أعانني ذلك على ان افيق ، وعدت ادراجى الى الفندق ، ولا اذكر اننى اخذت المسدس معى ..

- من الواضح انك اخذته معك ..

- بالطبع .. لكننى لا اذكر بالتحديد هذه الواقعة .

- هل حقا لا تتذكر ؟

- اقول لك بكل صدق كامل ، لا اتذكر .. هل كل ما حدث ..

- استمر .. ماذا حدث بعد ذلك ؟

- حدث ما حدث .

- الا تتذكر شيئا اخر ؟

- لا اتذكر شيئا ..

- ولكن لماذا قتلته ؟

- لا بد أن هناك هدفا .. ولكنى اصدقك القول لا اعرف هذا الهدف ..

قال كوبر فى ضيق :

ـ لكنك كتبت هذا فى نوتة المذكرات .. لماذا قلت ان روبرت كنيـــدى يجب ان يموت ؟ ؟

ـ لم اكن احبه على الاطلاق ..

ـ معنى هذا انك كنت تشعر ان من واجبك ان توقفه عند حده ..

ـ هذا صحيح ..

ـ واضح ؟ ..

ـ تماما ..

ـ معنى هذا ان الفكرة كانت موجودة فى اللاوعى ؟ ؟

ـ صحيح ..

ـ كان اللاوعى يطالبك بان تفعلها ولكنك تقول بعد ذلك انها فكرة حمقاء..

ـ كانت حمقاء .. كانت حمقاء ..

ـ دعنى اوجه اليك سؤالا آخر .. الم يوح اليك شخص اخر بان تقتل كنيدى ؟ ؟ ..

ـ كلا .. كلا يا سيدى ..

ـ هل تحدث اليك شخص واوحى لك بالفكرة ؟ ..

ـ كلا على الاطلاق ..

وعندما قرات هذا الحديث الذى أجراه كوبر مع سرحـــان قلت ان سرحـــان قال الحقيقة ولكنها ليست كل الحقيقة ..

يهوديان للدفاع

ناقش كوبر كلا من هوارد وفيس فى ان سرحان يجب ان يخضع لاختبـــار كشف الكذب ، فالمطلوب فى هذه القضية التاريخية ان تعرف الحقيقة كاملة ورفض القاضى ووكر فيما بعد استخـــدام جهاز كشف الكذب مع سرحـــان .. ولكن كوبر كان يدبر سلسلة مثيرة من اللقاءات والاحاديث بين سرحان والدكتور « برنارد دايموند » احد مشاهير العلماء فى الولايات المتحدة ..

واتصل كوبر بدياموند تليفونيا فى جامعة كاليفورنيا .. وسأله اذا كان يريد الانضمام الى قضية سرحان .. قال دياموند بصراحة : « ومن الذى يرفض هذا ؟ ؟ »

واحس كوبر براحة شديدة لانه يستطيع بالتعاون مع دياموند ان يخوض معركته ، وهو نفس الامر مع اميل بيرمان المحامى الذى يعرف كيف يناقش الاطباء فى المحكمة ..

وكان دياموند وبيرمان يهوديين ، وفكر كوبر ان اقناعهما بالاشتراك فى الدفاع عن الشاب العربى سيخفف من روح العدواة الشاملة التى احس بها شخصيا عندما تجرا وقبل قضية سرحان..

فى ١٧ ديسمبر وصل بيرمان من نيويورك الى لوس انجيلوس .. وفور وصوله قدم له كوبر وبارسونز وماك كوان موجزا عن القضية كلها ، ودبروا له لقاء مع رجال ادارة بوليس لوس انجيلوس ومكتب المدعى المحلى ، ثم صحبوه الى حجرة فسيل الاوانى فى فندق الامباسادور وطلبوا اليه ان يساعدهم فى اتخاذ بعض الاجراءات القانونية .

وانتهت اجتماعات المحامين بمعركة بين بارسونز وبيرمان ، اذ كان الاول يريد احضار خبيرين ليرويا امام المحكمة قصة استيلاء الصهيونية على فلسطين ، طبقا للاتفاق الذى عقده بارسونز مع عابدين جبرا المحامى من اصل عربى ، فى سبيل امداد بارسونز ببعض النقود « للصرف على القضية » .. ولكن بيرمان اعترض فى هدوء قائلا : « لو اتينا ببعض العرب اعضاء كوسيلة من وسائل الهجوم ، فسيكون هذا الامر بالغ الخطورة » ..

وتدخل كوبر ليقول : « اننى لن استغل المشكلة العربية الاسرائيلية الا بما يخدم سرحان » .. واقتنع بيرمان بذلك .. ثم اضاف كوبر : « وعلى كل حال فاننى فكرت فى احضار مراقب عربى لحضور المحاكمة » .. واحس بارسونز بالانتصار الى حد ما ..

وهكذا كان كوبر يقوم بدور حمامة السلام وسط فريق الدفاع عن سرحان.

درس المحامون مزايا وعيوب اعتراف سرحان بانه مذنب .. وراح بيرمان يذرع غرفة مكتب كوبر ووجهه النحيل الذى يشبه الصقر مكفهر ، مستغرق فى التفكير ، فقد كان يخشى ان تهدد اعتراف سرحان حقوقه فى محاكمة عادلة.

تأثر كوبر بعض الشىء بتردد بيرمان فتقدم بالبديل وهو قانون جديد فى كاليفورنيا ، مازال يجهله الكثيرون من المحامين ، وبالطبع لم يسمع به احد

فى نيويورك .. قال كوبر أن القانون الجديد يبيح دفاعا على اسس نفسية ويسمح للاطباء النفسيين بان يتكلموا بلغتهم الخاصة فى المحكمة ، لا بلغة قانونية لا يفهمونها .

هز بيرمان رأسه موافقا ، وطلب الاطلاع على هذا القانون ، وقال : اذا كنا نتحدث عن دفاع نفسى ، فان معنى هذا الرجوع الى الفترة التى كان عمره فيها ٤ سنوات ..

وسأل بيرمان عن حالة سرحان العقلية فى الوقت الحاضر ..

اجاب بارسونز الذى كان قد زار سرحان فى ساعة مبكرة من الصباح برفقة احد الممرضين لاخذ عينة دم ، قال :

« لقد بدا لى قلقا جدا بسبب المحاكمة » توقف عن قراءة الصحف .. وتساءل عما اذا كنت قد اتصلت بنيكسون .. وتطلع الى كما لو كان طفلا .. ولكنه كان عرضة لتغييرات مفاجئة .. وربما يتحول الى شخص عنيف انه خطير جدا .. ومن المحتمل ان يقتلنا اذا اتيحت له الفرصة » ..

ثم اضاف : « واكننى اظن انه يحبنا » .

الاجتماع الأول :

فى الايام الاولى لم يجزم بيرمان بشيء .. كان يكتفى بالاسئلة عن قانون كاليفورنيا ، وعن نشأة سرحان .. وعن حالته العقلية ، وعن نشاطه ليلة ٤ يونيو .. وقصد الى فندق الامباسادور ١٤ مرة يسأل : هل كان يقف هنا ؟ .. كيف تعرف ؟ .. انت لا تعرف الطريق الذى سلكه ، هل تعرفه ؟ .. كيف عرف ان كنيدى سيسلك هذا الطريق.. ؟ .. المصورون .. هل كانوا يقفون هنا كذلك ؟ » ..

وتحدث بيرمان قليلا اثناء الاجتماع الاول بين المحامين والمدعين فى مكتب المدعى المحلى ، بل انه فى الواقع لم يقل شيئا .

قال ديفيد فيتس مساعد المدعى أن أطباء السجن اخذوا عينة من دم سرحان بعد ٨ ساعات من القبض عليه ، ولكنهم لم يبحثوا عن المخدرات او الكحول ، وانما كان تحليلا عاما للدم ، وحاول كوبر ان يجس النبض فقال انه يسعده اختصار زمن المحاكمة ، وذلك بالاعتراف بحقائق معينة عن اطلاق النار ، ثم الانطلاق من هذه النقطة .

ورد فيتس بانه من المحتمل انيرغب رئيسه فى وضع بعضالشروط .. وقال كوبر : « هذا ما اخشاه » ..

علم كوبر ان الادعاء سيثير امام المحلفين تفاصيل المشهد الجنونى فى فندق الامباسادور باكثر الوسائل اثارة .. وتساءل كوبر عن قائمة شهود الادعاء التى ضمت ٨٧ اسما ، وقال : ما الذى يفعله لارى سلون مثلا ؟ »

وكان الجواب انه سيشهد بان خط اليد فى المذكرات هو فعلا خط سرحان قال كوبر : « يسعدنا ان تضمن هذا » ..

ارتبك هوارد وقال : اننا نرغب فى هذا ، ولكننا نواجه مشكلة لان الناس ترغب هذه المرة فى محاكمة لها طابع استعراضى .. فلو امتحنا لبول شراو انه ربما نستغنى عن شهادته ، فقال : « ماذا تعنون بذلك .. اننى احد الشبان الذين اطلق عليهم الرصاص ونحن وقوف وراء كنيدى .. بعد هذا لا اشهد ؟ ؟ .. » انها فرصة للظهور ولدخول التاريخ .

واراد كوبر ان يعرف ما اذا كان فيتس وهوارد يوافقان على مطالبة البوليس ومكتب التحقيقات الفيدرالى بوضع تقاريرهم تحت تصرف الدفاع .. قال فيتس : « ان لكم الحق فى هذا ، وعندما ابلغت ادارة البوليس اننا سنعطيكم التقارير ، ارتبك البعض ولكننى قلت لهم اننى لا اقبل ان تقولوا بعد ذلك ان هناك معلومات لم نقدمها لكم » ..

ولكن بيرمان اكتشف شيئا يناقض هذا القول ، وتحدى فيتس .. قال وهو يتحدث من انفه متعمدا : « حسنا هل توافقون على السماح لنا بالاطلاع على التقارير كلها ؟ » ..

اجاب فيتس : « اننى ارغب ذلك » .. ولم يتم عبارته ..

وقدم هوارد الى كوبر نسخة من مذكرات سرحان ..

لقد تبين ان البوليس كان يرفض تقديم صورة كاملة .. ربما لان بعض تقاريرهم كانت كفيلة بان تثير مزيدا من الاسئلة حول وجود مؤامرة ..

وقصدت مع كوبر وبيرمان وماك كون لزيارة « روبرت هوتون » رئيس ادارة البوليس ليطلبوا منه مشاهدة بعض الافلام التى التقطت فى فندق الامباسادور .. وقد لاحظوا انه يريد ان يتكلم واكتفى بقوله : « ان لدينا عملا نؤديه هنا ، ولن نستطيع ان نعطيكم شيئا دون امر المحكمة »

قال كوبر ان عنده امرا من المحكمة الى مكتب المدعى المحلى ليسأله عن هذا الامر ، رغم انه كان على علم به .. ولكنه لم يجده فى مكتبه ، وظل ينتظر لفترة مكالمة تليفونية منه ..

واخيرا ترك هوتون كوبر ومرافقوه فى الحجرة بالدور الثامن من « باركر سنتر » التى تخضع لحراسة مشددة .. وكانت حجرة واسعة ، لا ينفذ منها

الصوت ، مليئة بالمكاتب وفى احد اركانها نماذج لدهاليز وحجـــرات فندق الامباسادور حيث اطلق الرصاص على كنيدى ..

وقال احد الضباط ساخرا - ان هذه النماذج تبدو وكانها حقيقية - لقد كانت مجرد دعاية ، ولكن الفيلم الذى انتجه البوليس عن الحادث لم يكن كذلك. وقد انفقت ادارة بوليس لوس انجلوس مبلغ ٣٠ الف دولار على فيلم بالالوان يستغرق ٢٠ دقيقة ، ويروى وقائع الاغتيال .. وقد ثبت ان الفيلم لا يساوى شيئا لانه لم يقدم لقطة واحدة عن حادث اطلاق النار وانما قدم شبانا يصرخـون فى صالة « امباسى » اصواتهم تعلو على اصوات فرقة الموسيقى .. والبيـــل كنيدى متالقة ، وبجوارها روبرت كنيدى منشرح الصدر يحس بالنصر ، ثم ارتباك شامل وهستيريا تصاحبها الصرخات ونقالة تخرج من الفندق وسجين يدفعه رجـال البوليس عبر السلالم .. واصوات تصرخ .. ثم انقطاع الوهج الوردى للاضواء الحمراء المنبعثة من سيارة الاسعاف .. وانتهى الفيلم بلقطات لشبان يحملون لافتات تقول : « صلوا من اجل بوبى » ..

وقد شاهد كوبر وزملاؤه الفيلم الذى كان مؤثرا ، ولكنه لا يقدم جديدا .

مذكرات سرحان

وبعد زيارة للمدعى المحامى ، عاد كوبر وبيرمان الى مكتب كوبر ، ومعهما نسخة من مذكرات سرحان ، اخذا يفحصانها ، ورأساهما متقاربان وكان كوبر يقرأ بعض الفقرات بصوت عال ، فقرأ :

« ان كنيدى يجب ان يسقط .. اننا نعتقد ان روبرت ف. كنيدى يجـب التضحية به ، من اجل قضية الفقراء الذين يجرى استغلالهم » ..

اننا نعتقد ان الولايات المتحدة « العظيمة » ستنهار فى النهاية بطلقـة رصاصة ..

« اننى اعتزم العودة الى بيتى فى سيارة جديدة .. اليوم يجـــب ان اضع خطة لاعود الى البيت فى سيارة موستناج جديدة .. جديدة .. جديدة ».

« اننى ادعو للتخلص من الرئيس الحالى للولايات المتحدة الامـريكية .. ليست لدى خطط معينة بعد ولكننى ساعد بعضها حالا » ..

« اننى اعتقد ان الولايات المتحدة على وشك الانهيار .. ولقد بدأ هذا فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٤ » ..

قال كوبر : ماذا حدث فى ٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٣ ؟

- كان يوم كنيدى ، لا .. فى ٢٣ نوفمبر ٦٣ قتل لى هارفى اوزوالد ..

وقرأ كوبر ايضا :

« كيف اتصل بك بعد وصولي الى المطار •• ساجيء فى وقت ما مساء الثلاثاء •• هل تفضلت بان تدفع الى امر سرحان بعد الظهر مبلغ خمسة عشر الف دولار ، فى وقت ما بعد الظهر •• مس بيجي او مستر كامب ••هل انت حقيقة ؟ •• دعونا نفعلها •• دعونا نفعلها »

قال بيرمان ــ ان شخصا ما هيأ هذا الشاب للحادث •

***

التقى الدكتور دياموند بسرحان فى زنزانته يوم ٢٣ ديسمبر ، ولم يتكلم دياموند كثيرا ولكن حديثه كانت تتخلله عبارات دارجة تعلمها من اولاده الستة ومن تلاميذه فى جامعة بيركلى •• وكان هذا مما شجع سرحان على ان يمضى فى سرد قصة مطولة تتناول كلاما يستطيع ان يتذكره عن ليلة الاغتيال ••

وعندما كان يبلغ سرحان اللحظة التى تتضاءل فيها ذاكرته يلح عليه دياموند فى ان يحاول تذكر اية تفاصيل ، حتى ولو بدت فى نظره غير مترابطة ••

تذكر ان سرحان رأى شخصا فى غرفة الكرار يرتدى بدلة رسمية ربما كان رجل بوليس او مطافىء ••

ساله دياموند ــ وبعد ذلك نقلوك الى مركز البوليس ؟ ••

قال سرحان انه لا يذكر هذا جيدا ••

فعاد ياموند يقول ــ هل تذكر انك طوحت فنجانا من الكاكاو الساخن من يد احد الضباط ؟ ••

وتذكر سرحان انه فعل ذلك وانه سب الضابط ، ولكنه اعتذر بعد ذلك •

ساله دياموند ــ لماذا لم يتحدث الى البوليس عن الاغتيال ؟

فتلجلج بشدة قبل ان يقول ــ لقد ظلوا يذكروننى بحقوقى الدستورية•

ــ ولكنك لم تعطهم شيئا حتى ولا اسمك ؟

ــ ولماذا اقول لهم ذلك ؟

وتحدث سرحان عن انعدام اى صوت عربى فى امريكا ، وسأل :

« هل سمعت يوما بوجهة نظر العرب ؟ » ••

قال دياموند ان عددا كبيرا من طلبته عرب وانه لذلك سمع وجهة نظرهم •

قال سرحان ــ اننى اعنى التليفزيون والراديو ووسائل الاعلام واسعة الانتشار •• هذا هو ما يشغلنى •• وساسمعهم هذا الصوت فى قاعة المحكمة•

ــ ولكنك تعلم ان عليك فى هذه الحالة ان تقول كل شيء • فى استطاعتك ان تتحدث عن الموقف العربى الاسرائيلى ، ولكن عليك ان ترد كذلك على الاسئلة

الخاصة باطلاق النار • ألا تظن انك ستكون خائفا ؟

قال سرحان ـ لا ياسيدى ، فليس عندى ما اخفيه ••

سال دياموند ـ هل تعتقد فى قرارة نفسك ، انك قتلته ؟

صمت سرحان قليلا ثم قال ـ كنت اكرهه ، وكنـــت احبه من قبل ، كان قادرا على انجاز ما بداه الرئيس جون كنيدى وان يساعد اللاجئين العرب•• ولكن عندما شاهدته على شاشة التليفزيون وهو يحاول حشد اصــوات اليهود لتاييده ، تغير شعورى تجاهه فجاة وبصورة عنيفة ••

ـ هل راودتك فكرة قتله فى ذلك الوقت ؟

قال سرحان باصرار ـ اطلاقا •• اطلاقا ••

ـ وماذا عما كتبته فى مذكراتك ؟

ـ ان الشىء الذى اقلقنى حقا هو تلك الطائرات النفـــاثة التى اراد ارسالها الى اسرائيل •• اما عن المذكـــــرات فاننى لا استطيع ان اذكر متى كتبت ، وكيف ؟ ؟ •••

ـ هل اعتقدت أن روبرت كنيدى خائن ؟

ـ نعم ••

ـ ما الذى استقر فى ذهنك عنه ؟ ••

ـ وعده القاطع بانه سيعطى لاسرائيل .٥ قاذفة نفاثة •

نجاح نيكسون :

وفى اليوم التالى سال دياموند سرحان عن احلام الليلة الماضية ، ولكنـــه لم يتذكر •• وساله عن راى العرب فيه حاليا ••

قال سرحان ـ ان بارسونز حاول ان يقنعه بانه سيكون بطلا اذا عاد الى القدس •• ولكنه لا يظن نفسه بطلا ••

قال دياموند ـ ما الذى تظنه عـــــــدلا يا سرحـــــان ؟ •• ماذا تريد من المحلفين ان يقولوا ؟ ؟ •

اجاب ـ دعنى يا سيدى اقول لك •• بالنسبة لقتل نفس بشرية اعتقـــد انه يجب ان اموت •• ولكن فيما يتعلق بموقف كنيدى، هذا السياسى الفاسد، كان ينبغى أن يقف عند حده •• من كان يستطيع ان يقتله لو انتخب رئيسا •• لقد كان سيرسل تلك النفاثات لاسرائيل ••

ساله دياموند :

ـ ماذا عما فعلته من اجل الشعب العربى ؟•• وما عن الاثر على الولايات

المتحدة ؟ .. انت تعلم ان لهذا علاقة بانتخاب الرئيس .. اليس كذلك ؟ .
ـ اعتقد ان ما فعلته اعطى الرئاسة لنيكسون .. والا كان كنيدى هو رئيس الولايات المتحدة اليوم ؟.. كنت اود أن يصبح رئيسا ، ولكن ليس بعد تصريحاته عن اسرائيل .. ليس بعد خيانته للشعب العربى .

توقف سرحان ثم قال لدياموند انه ليس واثقا من ادراكه لمعنى العبارات التى وضع سرحان خطا تحتها فى الكتاب .. وكان الكتاب ما زال بين يدى دياموند فقرأ منه :

« بالرغم من ان قلبه قد يكون مليئا بالحب والعطف ـ الا ان حالته العقلية تتغير ، ووجهة نظره تتبدل .. انه يجد نفسه وقد زايله الخوف .. واولئك الذين يحيطون به يميلون الى اعتباره شخصا عديم الاكتراث او عديم التفكير ...

وسأل دياموند ـ هل هذا صحيح بالنسبة لك ؟ ..
ـ اجاب ـ نعم .. ربما ..
واستمر دياموند يقرأ من الكتاب :
« ان مثل هذا الشخص ينبغى أن يظل صامتا ، والا فانه يعد مريضا »
ـ ثم سأل ـ متى وضعت خطوطا تحت هذه الكلمات يا سرحان ؟ .. هل كان ذلك وانت موجود هنا ، ام من قبل ؟ .. هل هو كتاب من كتبك القديمة ام ... ؟
قال سرحان ـ لا ياسيدى .. لقد احضروه لى ..
ـ هل انت الذى وضعت هذه الخطوط ؟ .. هل تعتقد بانك مجنون يا سرحان ؟ ؟ ..
وقاطعه سرحان قائلا :
ـ اظن اننى شخص عادى اننى متعصب فقط امام النزاع العربى الاسرائيلى
وسأل دياموند سرحان عن رأيه فى تقارير الاطباء النفسيين .. اجاب سرحان انها تثير الضحك .. وتساءل دياموند عن مدى رغبة سرحان فى استخدام مصل الحقيقة او تقبل اجراءات جهاز كشف الكذب .. قال سرحان انه ليس لديه مانع .. فهز دياموند رأسه وقال ـ حسنا سأعود بعد عيد الميلاد لاحاول ان اعاونك على ان تتذكر كل شىء ..

لقاء على انفراد

اخذ المحامون والمدعون اجازة قصيرة بمناسبة عيد الميلاد .. وكان ذلك قبل المحاكمة التى توقع الجميع ان تستغرق وقتا طويلا ..

اما انا فقد انتهزت الفرصة لاجراء أول حديث على انفراد مع سرحان ..

كانت الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الجمعة ، بالرغم من انى كنت حاصلا على اذن من القاضي ووكر ، فقد قضى اليوم كله في انتظار الموافقة الرسمية من العمدة ، ولم يجرؤ احد على الموافقة على شيء قبل الرجوع الى العمدة بتشيس، الذى كان مشغولا ..

تغير الجو منذ زيارتى الاخيرة وتسللت الموجة الباردة الى زنزانة سرحان .. كان يرتدى قميصا ازرق مفتوحا عند الراقبة ، وكان يدخن السجائر دون انقطاع ، ويبدو عليه القلق اكثر من اى وقت مضى .. واعترف سرحان بان لديه نفس الاحساس الذى كان يحس به قبل ٥ يونيو ، قال - كنت يومها على وشك الانهيار .. انني مضطرب ..

كان سرحان شديد الرغبة فى ان يعرف سير التحقيق ، ونتائج تحليل عينات الدم التى اخذوها منه ، وخاصة تلك التى تتعلق بالكروموسومات،ولكن النتائج لم تظهر بعد . فاجبته بان هناك ٣ فقط من كل الف شخص تكون الكروموسومات فى دمهم غير عادية ، ولكن بين المسجونين ترتفع النسبة الى ٢٥ فى الالف

وادرك سرحان ان هذا يمكن ان يخفف من العقوبة .. ولكنه قال : انه يتوقع مع وجود المذكرات التى كتبها ، حكما من الدرجة الاولى ..

قال سرحان ان هذا هو كل ما يريدونه ، ولكنى نفيت له ذلك فسأل سرحان - لماذا تنفى ؟ ؟ ..

حاولت أن أتفادى استخدام عبارة « مريض عقليا » لانى أعلم انها تضايق سرحان ، قلت لانهم اذا استطاعوا أن يثبتوا انك كنت تحت تأثير نوع من الاكراه ، والمسالة تتوقف على ما اذا كنت كتبت المذكرات دفعة واحدة « ان هذا يثبت سبق الاصرار » ..

قال سرحان - هل رايت التواريخ التى كتبت فيها المذكرات ؟

- ولكنك فى يوم واحد « ١٨ مايو » كتبت نفس العبارات أكثر من مرة ..

بدت الدهشة على سرحان وطلب ان يلقى نظرة على هذه المذكرات ..

- انها وثيقة هامة جدا يمكن ان تنقذ حياتك او تدينك .. انني لست طبيبا نفسيا ولكنك تبدو لى انسانا عاديا ..

- انني كذلك .. ولكن عندما يتعلق الامر بالاسرائيليين فانني افقد اعصابي

لماذا تزوجت جاكلين :

سألت سرحان عن شعوره عندما قتل جـون كنيـــدى ، فقال : « لقـــد آلمنى الحادث ولكنه لم يستحوذ على » •• وبدا سرحان وكأنه لا يريد الاستمرار فى هذا الموضـــوع ، فتعمـــدت ان يطيل الحـــديث ، روى لى انه كان فى اوربا عام ١٩٦٣ عندما قتل جون كنيدى •• لقد انتهوا من كل شىء فى نصف ساعة قتل الرئيس ، وقتل اوزوالد ، وجنازة كنيدى ، وصوت حوافر الخيل فى الشارع•

وكان سرحان يحـــاول ان يقاطعنى وهو يروى قصـــــته ، قال « اننى لم اذرف الدموع على جون كنيدى •• واعتقد ان اوزوالد اخطأ ، فلم يكن هنـــاك مبررا او حافزا ••

سألت : هل تعتقد انه دبر كل شىء بمفرده ؟

اجاب سرحان – لا أعرف •• لست فى مركز يسمح لى بالحكم على ذلك••

– ألا تظن انه كان من الممكن ان يكون روبرت كنيدى رئيسا للبلاد اليوم ؟•

– اعتقد انه كان يود ان يكون •• اما انه كان يستطيع ، فهذا ما لا اعـــرفه •• لقد كان عنده المال، وهذا كل مايتطلبه الامر •• كانت جاكلين كنيدى تملك المال كذلك .. انها لم تتزوج ذلك اليونانى الشيخ من اجل شبابه ..

– ماذا تظن اذن سبب زواجها منـــه •• وقد كان لديهـــا قدر كبير من المال ؟ ؟ ••

– أنا أعرف ذلك .. ولكن الاستيلاء على السلطة هو الذى يريدونه .. انهم كلما ازدادوا سلطة ، اشتدت رغبتهم اليها .. لست ادرى ، ربما كان سبب الزواج هو حاجتها الى قدر اكبر من الطمانينة .. لست اصدر احكاما عليهم «آل كنيدى» فاننى لا أعرف فى الطب النفسى ولكننى اتساءل عن حقيقة الدوافع الكامنة وراء كل هذا الجشع وحب السلطة .. ربما كانوا فى حاجة الى علاج نفسى ومساعدة اكثر مما احتاج .. لقد كان كنيدى يملك مليارا من الدولارات .. كان فى استطاعته ان يحكم العالم بها .

سألت سرحان : ماذا تقرأ أخيرا ؟

– كتاب « الشهود » .. انه يعجبنى

– لقد كتبه كبير محررى مجلة تايم بطريقة رائعة .. وانني أود أن أكتب كتابى بهذا الاسلوب

وتحدثنا عن كتاب آخر يعجب به كثيرا ، وهو كتاب « البؤساء » لفيكتور هوجو .. قلت :

ـ لقد سبق ان قرأت هذا الكتاب فلماذا طلبته مرة اخرى هنا ؟ .
ـ انني انتمي الى اولئك البؤساء .. يبدو ان ذلك يمنحني شيئا . يمنحني العزاء .

أكره بول نيومان

وعدت في صباح اليوم التالي لاتحدث الى سرحان عن قراءاته .. كان يقرأ مجلات تايم ونيوزويك ونيوز آند ورلد ريبورت الامريكية ، ومجلات لندن نيوز والايكونومست ونيوريببليك البريطانية .. وكانت المجلة الاخيرة تعجبه كثيرا .

وعبر سرحان اثناء الحوار عن الصحف والمجلات عن واحدة من افكاره الدفينة ..

قال ـ الساسة .. انهم يفعلون كل شيء من اجل الاصوات ، ومن اجل الفوز بشعبية اكبر ونفوذ اكثر ، ومن اجل كسب غير مشروع بوسائل فاسدة
واخذ يستعيد فقرة من مقال قرأه في احدى المجلات جاء فيه :
« ان الله والامومة وفطيرة التفاح وسياسة امريكا الخارجية والحرب في فيتنام .. كل هذه الاشياء مجتمعة جزء من كفاح الخير ضد الشر »

وادركت انى استطيع الحصول على معلومات اكثر من سرحان اذا لم اوجه اليه اسئلة مباشرة..كان سرحان شخصا متشككا بطبعه ، والاسئلة المباشرة جعلته اكثر ارتيابا .. ولهذا فقد تحدثنا عن الافلام السينمائية .. لقد شاهد سرحان عددا منها ولكنه لا يذكر النجوم الذين احبهم ، وهو يكره بول نيومان الذى تزعم اليهود في فيلم « الخروج »

سألته : ماذا عن لورنس العرب ؟

لقد رفض سرحان ان يذهب لمشاهدة الفيلم على الرغم من ان احد اصدقائه دعاه لمشاهدته وحجز له تذكرة ، فقد كان الفيلم مناهضا للعرب وكان منتجه يهوديا .. وتوقف سرحان يفكر وهو ينطق اسم المنتج « سام سبيجل »

تحدثت الى سرحان عن والده ، حاولت اثارته برواية عن الشهور الستة التى قضاها في الولايات المتحدة والمتاعب التى لقيها اثناء تلك الشهور ، ثم جمعه كل ماكسبته العائلة وعودته الى القدس وحده تاركا كل شيء وراءه ،

رد سرحان بان والده عاد الى القدس لان جدته كانت مريضــــة .. واستمر سرحان يقول :

« ان والدى عربى ١٠٠٪ ، اما انا فقد استغرقت طريقة الحياة الامريكية واسلوب التفكير الامريكى عقلى .. لقد نشات على الاسلوب الامريكى .. وربما يكون أبى اليوم غريبا عنى باسلوب تفكيره ، واساس تكوينه وتراثه ..

وسالت سرحان ، لماذا يكرر انه قتل كنيدى ليمنعه من ارســـال القاذفات الى اسرائيل ؟.. هل هناك سبب اخر ، اقل وضوحا ، دفعه الى قتل كنيدى ؟

وكنت اعتقد ان وطنية سرحان كانت على مســـتوى « العقـــل الواعى » فماذا عن « عقله الباطن » ؟

قال سرحان :

ــ لست من مرضى العقول ولا اعتقد اننى كذلك الا فيما يتعلق باليهود

التنويم المغناطيسى

قلت :

ــ قل لى يا سرحان ٠٠ هل تعرف ما هو التنويم المغناطيسى ؟

ــ اليس هو اخضاع ارادة ضعيفة لارادة اقوى منها ؟

قال دياموند : « كلا ٠٠ انه ليس هكذا بالمرة وانما هو ببساطة وسـيلة لاظهار القدرة على التركيز ٠ والمنوم لا يسيطر بارادته على الطـــرف الاخر .. فان أحدا لا يمكن ان ينام رغم ارادته وما يفعله المنوم المغناطيسى هو انه يقدم الى الشخص الاخر ما يشجعه ويساعده على أن يستخدم ارادته الخاصـــة من أجل تقوية قدراته هو ٠ غير ان هناك كثيرا من التشـويش حـــول التنويم المغناطيسى ٠

فقال سرحان انه فى الحقيقة لم يتســـع له أن يطلع على الكثير فى هذا الموضوع ٠ ٠

وعاد دياموند يسأل : هل لديك اى اعتراض عن القيام معى بتجربة تنويم مغناطيسى فربما ساعدك هذا على أن تتذكر ٠

والتقط دياموند قطعة نقود معدنية من فئة ربع دولار وطلب من سرحان ان يتمدد على ظهره ويركز ناظريه على قطعة النقود ، قائلا : « استرخ ٠٠ ببطء ٠٠ بعمـــق » ٠٠

وفجاة ، ولدهشة دياموند نفسه راح سرحان فى غيبوبة كاملة ٠

وسأل دياموند : « هل تدرك الان انك مسترخ تماما ٠٠ فيما عدا يضـــع

عضلات قليلة فى حلقك .. هل انت مسترخ تماما ؟ اعتقد يا سرحان انك كنت دائما قليل الثقة بنفسك ..

واشار دياموند الى أن من المحتمل ان سرحان كان يحلم وهو طفل احلام يقظة ، ويتخيل نفسه وهو يقود شعبه ثم سأل :

ـ هل تمنيت يوما ان تستطيع ذلك هل تدرك انك كنت تستطيع مساعدة شـــعبك ؟

ولكن سرحان بدلا من ان يجيب اخذ يبكى .. ولم يفهم دياموند ما الذى آثار دموعه ، ولكن ربما كان هذا مفتاحا حقيقيا للسر الغامض وراء قتل سرحان لكنيدى . فمضى يستحث سرحان ان يجعل مشاعره المحبوسة تنطلق .

ـ لا تخف من البكاء يا سرحان . لان هذه هى احاسيسك الحقيقية .. لاتخف يا سرحان . لا تخف من ترك احاسيسك تنطلق ..

وفجأة صرخ سرحان بصوت عال :

ـ انا لا اعرف اى شعب ؟

كانت هذه اول كلمة تفوه بها وهو تحت التنويم المغناطيسى .

عاد دياموند يلح : استمر .. قل لى الحكاية يا سرحان .. ماذا عن شعبك واشتد نحيب سرحان .

كان وجه سرحان قد اخذ يتقلص بمزيج من الحزن والغضب معا .

وانتهت اللحظة الحاسمة .. وهدأ سرحان ولم يعد يستجيب لنداءات او يخبره بما يشعر به ، أو يقول من هم الذين تحدث عنهم .

وحاول دياموند ان يوقظه .

ـ والان .. استيقظ يا سرحان .. استيقظ .. ولطمه على خده لطمة خفيفـــة .

وسأل دياموند : « هل تعرف ماذا حدث لك الان يا سرحان ؟ »

فهز سرحان رأسه قائلا : « لا أعرف .. أين قطعة النقود ؟ »

كانت قطعة النقود اخر ما يذكر .

سأله دياموند : « هل ادهشك ان افعل بك ذلك » ..

ـ لا اعرف ..

ـ هل انت خائف ؟

قال سرحان مؤكدا : « انا لا اخاف أبدا .. ولكن الدنيا برد يادكتور »

واخذ سرحان يرتعد .

برد ؟ يا للغرابة ؟ لقد قال الدكتور كراهان ان سرحان كان يرتعد من البرد عندما رآه لاول مرة فى صباح الحادث ٠

قال دياموند :

ـ هدىء روعك يا سرحان ٠٠ سيكون كل شىء على ما يرام فى لحظة واحدة

مرة أخرى

ومرة اخرى نوم دياموند سرحان ٠٠ وساله مباشرة لماذا ضغط على زناد المسدس ٠

وارتفع شخير سرحان ٠٠ كان قد نام اعمق مما يجب ٠

ثم أيقظه مرة أخرى ٠٠ وقال سرحان : ((هل هى لعبة يا دكتور))

حضر جرانت كوبر فوجد سرحان مع دياموند يمارس معه تجربة التنويم المغناطيسى ٠ وطلب كوبر سرحان ليلتقط له الصور بينما عكف دياموند فى حجرته يراجع النتائج التى توصل اليها ٠

وبعد التقاط الصور نوم دياموند سرحان مرة أخرى ولكن سرحان راح فى سبات عميق لم يستطع معه ان يجيب على أسئلة دياموند ٠

بدأ المحاكمة

وسيق سرحان والقيود فى يديه فى حراسة اثنين الى مصعد نزل به الى دهليز بالطابق التاسع ، غطيت نوافذه بالواح من الصلب عرضها ربع بوصة واقية من الرصاص ،وساروا وسط صف من الحراس نزلوا سلما خاصا الى حجرة حجز بلا نوافذ تقع مباشرة خلف منصة القاضى وهناك نزع الحارسان قيوده ، وجلس الثلاثة فى انتظار بدء المحاكمة ٠٠

وصاح الحاجب ـ فلينهض الجميع وقوفا فى مواجهة علمنا ، مدركين للمبادىء التى يمثلها ٠٠ بدأت الجلسة برئاسة القاضى هربرت ووكر ٠

واستقر ووكر فى مقعده ، واستعرض المنظر الذى يراه الان ٠٠

المتهم ، الذى كان يبدو فى احسن صورة ، ويلبس بدلة رمادية انيقة ورباط رقبة خفيف الزرقة ، والمحامون والمدعون على الجانبين ، وكاتبا الجلسة فى مكانهما تحت المنصة وقد استعدت أيديهما للاختزال ، وعامل فنى الصوت يضبط العدادات التى تتحكم فى الميكروفونات الاربعة ٠ وهناك عند الجدار الشرقى المفتشان بيل كونروى ورالف ويلتش يقفان فى حالة تأهب كاملة ، ومعهما الملازم كريج كاربنتر عيناه على سرحان لا تطرفان ، وحارسا سرحان يقفان مباشرة

بينه وبين الحاجز ، بينما حارس المحكمة فى داخل الحاجز ، ورجال البوليس السرى من قوة بوليس لوس انجلوس منتشرون من داخل الحاجز حتى الحائط الغـــربى ...

خيبة أمل

وهناك فى مؤخرة القاعة كانت مارى سرحان والى جوارها احد ابنائها وعلى عينيه نظارة قاتمة .. وكان ووكر يعلم جيدا ان كل من هنا ، بما فى ذلك ضباط البوليس المنتشرون بين الجمهور قد تم فحصهم بدقة بالغة اثناء دخولهم من بابين محكمى الاغلاق ، كما تم تفتيشهم بواسطة فريق من رجال البوليس فى البهو ، واختبروا بواسطة جهاز الكشف الالكترونى ثم ادخلوا من خـــلال باب ثالث محكم الاغلاق عبر صف طويل من تليفونات الصحافة ، ثم الى الابـــواب المزدوجة المؤدية الى قاعة المحكمة ذاتها وكل واحد يضع على صدره علامةملونة مرقمة ، وهو يبدو ممسكا بأنفاسه ..

وتمتم ووكر وهو يملى الكاتبين :

ـ دعوى الشعب ضد سرحان .. اذكر ان المهم وهيئةالدفاع موجودون ولا يوجد احد فى مكان المحلفين ..

فى هذه اللحظة المثيرة طلب كوبر من المحكمة ان تنتقل الى قاعة المداولة ، فشهق الجميع ، وتلوه الصحفيون مستنكرين ، وبدأ البعض الاخر يتحركون مغادرين القاعة الى التليفونات ، فحذرهم ووكر قائلا انهم ليســـــوا احرارا لينصرفوا هكذا بالجملة ..

ومضت ساعة كاملة بعد انتقال هيئة المحكمة الى قاعة المداولة ، والمحامون المدعون يتجادلون داخل غرفة المداولة واتيح لسرحان ان يستمع مذهولا لاول مرة الى الجدل القانونى .. فقد طلب كوبر التاجيل لمدة ثلاثين يوما بسبب الاخبار الضارة التى نشرت قبل المحاكمة .. وتلا فقرة من التوصــــيات التى تتناول التضارب بين الحقوق الدستورية للصحافة ، والمحاكم .

وتكلم بيرمان مؤيدا جرانت كوبر قائلا ان احدا لا يستطيع ان يقنع محلفا ما دام حياده قد اصبح محل جدل . وتحدث بيرمان عن المحلفين المنتظرين فقال انهم ليســوا قوما فوق مستوى البشر ، ومن المؤكد انهـم سينظرون الى كوبر بعين الشك .

ويبدو ان القاضى ووكر اسقط فى يده نوعا ما . فقد كان كوبر قد ناقش الامر فى اليوم السابق مع موكله فى حضور القاضى ، ولكن سرحان تمســـك

ببقاء كوبر فى القضية رغم الضرر الذى يمكن ان يلحق به وها هو ذا كوبـر يستخدم الان نفس قصة الصحف ليطلب التأجيل ٠

وقال ووكر فى النهاية انه سيفكر فى الامر ٠ ثم دعا كوبر الى العـودة للجلسة المفتوحة ليتقدم بدفوعه الاخـرى ٠

كانت مجرد مسألة وقت ٠ وما لبث القاضى ووكر ان رفض دفوع كوبـر باكملها ٠ وقرر ان يبدأ فى اختيار المحلفين ٠ اما فيما يتصل بالتأجيل فقـد قال كوبر ان القضية تأجلت من قبل بما فيه الكفاية ٠ ومن المؤكد ان الوقت كان كافيا امام المحامين لاعداد دفوعهم ٠

عودة للتنويم :

وفى يوم السبت ١١ يناير توجه الدكتور دياموند لزيارة سرحان فى زنزانته للمرة الثانية ، واسلمه للغيبوبة من فوره تقريبا ، ولكى يختبر مدى صـحة حالة التنويم ، اخرج من جيبه دبوسا وعقمه بالكحول ثم غرسه بالجلد فـوق يد سرحان اليسرى قائلا لسرحان انه لن يشعر باى الم وبالفعل بدأ واضـحا انه لم يشعر باى الم ، وذهب الحارس الواقف فى الخارج ليدعو اللازم كاربنتر ليرى ما يجرى وقال كاربنتر ان كل شىء على ما يرام ٠٠ فقد اخبره ديامونـد من قبل بما ينوى فعله ٠٠

وسأل دياموند :

ـ والان ٠٠ استمع لى يا سرحان ٠٠ وهز راسه موافقا اذا كنت تسـتطيع ان تسمع صوتى ٠٠ هل انت مستريح يا سرحان ؟

ـ اجـل ٠٠

كان صوته خافتا جدا ٠٠ لا يكاد يسمع ٠

ـ سرحان ٠٠ هل دفع لك احد نقودا لكى تقتل كنيدى ؟ ٠٠ أجب بلا او نعـم ٠٠

ـ لا ٠ ٠ ٠

ـ هل طلب اليك احد من اصدقائك العرب ان تقتل كنيدى ؟

ـ لا ٠ ٠ ٠

ـ هل دبرت الامر كله بنفسك ؟

وهنا تمهل سرحان ٥ ثوان قبل ان يجيب :

ـ اجـل ٠٠

ـ هل دبرت هذا كله بنفسك ٠٠

ـ اجل ٠٠

ـ هل استشرت احدا .. اى احد ؟
ـ لا . . .
ـ هل أنت الشخص الوحيد الذى له علاقة بقتل كنيدى ؟
ومرة اخرى يتمهل سرحان ٣ ثوان قبل أن يجيب
ـ أجـــل ..
ـ الا يوجد أحد آخر اطلاقا .. لماذا قتلت كنيدى ؟
ـ . . . .
ـ لماذا قتلت كنيدى يا سرحان ؟
ـ غمغم سرحان قائلا ـ قاذفات القنابل ..
ـ متى قررت أن تقتل كنيدى ؟
ـ لا أعلم ..
ـ هل أنت واثق انه لا يوجد شخص آخر فى هذا الامر يا سرحان ؟ قل لى الحقيقة ..
ـ لا . . .
ـ هل كانت هناك أية مؤامرة مع أحد يا سرحان ؟
ـ لا . . .
ـ ألم تستشر احدا ؟ ألم تطلب رأى احد فى عزمك على قتل كنيدى ؟
ـ لا . . .
ـ هل تقول الحقيقة يا سرحان ؟
ـ اجـــل ..

ولم ير دياموند أهمية فى توقف سرحان قبل الاجابة على اثنين من أهم أسئلته . وأخذ اجاباته على انها اجابات حاسمة على اسئلة لم يكن الدفاع قد تأكد تماما منها بعد .. ومع ذلك فان دياموند فشل تقريبا فى جذب سرحان الى الحديث عن الاحداث التى جرت فى فندق الامباسادور ليلة ٢٤ يونيو

القنابل فوق القدس

ومرة اخرى .. ينومه الدكتور دياموند ، ولكنه ابقاه جالســـــا حتى لا يستغرق فى النوم اكثر مما يجب

طلب دياموند من سرحان أن يفكر فى قاذفات القنابل وهى تلقى قنابلهـا فوق القدس .

وبدأ سرحان ينتحب ، وبعد دقيقة كان بكاؤه قد ارتفـع الى نشـــيج مرتفع وهو يصيح لا يمكن .. لا يمكن ..

ـ ماذا دهاك • يا سرحان ؟ • لا تهرب من احاسيسك • فكر فى قاذفات القنابل يا سرحان .. هل ارسل كنيدى قاذفات القنابل ؟

وتوقف سرحان عن النشيج قائلا :

ـ كان سيفعل ذلك .

ـ وهل كان فى نيتك ان تمنعه ؟

ـ لا أعـرف

واصبح واضحا أن أى حديث عن قاذفات القنابل يثير هـذه النوبة لدى سرحان ، ولكن ذكر كنيدى لا ينطوى على نفس النتيجة ••

فالقنابل وقاذفات القنابل هى أصل الجرح ، وليس كنيدى •• ولكن ماهى العلاقة ؟ لعل احدا لا يستطيع أبدا الاجابة على هذا السؤال اجابة واثقة ، ولكن هذه الجلسة كانت مفيدة بما فيه الكفاية بالنسبة للدكتور دياموند ، فقد اكتشف لدى سرحان رصيدا هائلا من الاحساس •• وعرف الطريق الى الوصول اليه •• لقد اصبح واضـــحا ان جذور العلة كلها تكمن هنا •• فى القنابل الساقطة فوق القدس •• ولعل اللقاء المنتظر ظهر اليوم مع مارى سرحان يمكن ان يضيف مزيدا

لقاء مارى سرحان

دخل دياموند فى الموضوع مباشرة عندما التقى بمارى سرحان قائلا ـ هـل تحدثت الى سرحان عن قصف القدس بالقنابل ؟

اجابت مارى سرحان ببساطة ووضوح ـ اجل •• فهذا هو الســـبب فى مجيئنا الى هذا البلد •• فقد كانت اصـــداء العنف تتردد فى الشـوارع •• وتتوالى انفجارات مدافع المورتر والديناميت وطلقات البنادق وصرخـات الضحايا •• والاطفال يصرخون ويبكون ويرتعدون من اعلى الرأس الى أخمص القدم ••

ـ هل كان سرحان يرتعد هكذا ؟

ـ كثيرا جـــدا

ـ أكثر من غيره من الاطفال ؟

فنظرت مارى سرحان الى ابنها منير الذى كان يجلس مستمعا وهـــزت رأسها قائلة ـ نعم ••

ـ هل تستطيعين وصف الحالة التى كان يبدو عليها ؟

ووصفت ماري ماحدث عقب حادث انفجـــار وقع بالقرب من دارهم وكيف ان جنديا تمزق اربا ، وشاهد سرحان قدم الجنـــدي وقد طارت لتتعلق ببرج كنيسة قريبة ..

ـ وكيف أثر هذا على سرحان ؟

ـ شحب وجهه فترة وجمد دون ان يستطيع أن يتحرك من مكانه ، ثم سقط مغشيا عليه .

ثم اضافت ـ وبعد ان انفجرت عربة مملوءة بالديناميت بالقرب من دارنا ظل سرحان لعدة أيام ملازما البيت لا يبارحه .

ـ هل كان يحلم احلاما مزعجة ؟

ـ كان احيانا يتكلم وهو نائم

ـ ألم يكن تنتابه نوبات تشنجية ؟

فتذكرت ماري سرحان واقعة اخرى .. ذات يوم انفجرت قنبلة ـ لعلهـا كانت قذيفة «مورتار» فنسفت صاحب دكان يقع مباشرة عبر الشارع في مواجهة منزلهم بالقدس القديمة .. ورأى سرحان الحادث ، وظن بعض المارة انه قـد أصيب هو الاخر .. فهرعت لتحمله وتعود به للمنزل .. وعندما دخلنا المنـزل .. كان .. كان قد ذهب تماما ..

ـ كيف ذلك ؟

ـ كان وجهه اصفر .. أصفر .. جدا ..

ـ هل كان مغمى عليه ؟

قالت ـ ظل سرحان لفترة لا يعرف أين هو ، ولا من هم الذين حوله ، وقد حدث لسرحان اكثر من مرة ان اصيـب بالاغماء وهو في الشارع .. فذات يوم دق احدهم التليفون للمخبز المواجه لدارهم ليقـــول انه وجد سرحان في حالة اغماء تام .. لماذا ؟.. لا تدري ماري سرحان ، ولكن كل ما تذكره انهم ذهبوا وعادوا به للمنزل . ومرة اخرى عندما كان سرحان في السابعة ، شاهد طفلة عمرهـا ٩ سنوات تصاب بشظية قنبلة في ركبتها والدم يتفجـــر منهـا كالنافورة فصرخ :

ـ ماذا فعلت ؟.. ماذا فعلت ؟ .. ثم سقط مغشيا عليه

ـ وماذا ايضا ؟

كان من الواضح ان دياموند يريد شيئا من ماري سرحان ، ولكنها لا تخبره بما يود أن يسمعه .. فعاد يسألها :

ـ قولى لى يا مسز سرحان ·· هل تعتقدين ان سرحان مريض عقليا ؟
فاجابت بحسم ـ اوه ·· كلا ··
هكذا ·· كلا .. دون أن تضيف كلمة واحدة .. مجرد كلا ··

تصور الحادث

وانطلقت مع دياموند من منزل سرحان الى مكتب كوبر مباشرة ، حيث كان ينتظرنا هناك ومعه بيرمان ..

وقال دياموند ـ ان سرحان مريض ·· وهذه جريمة مرضية ·· انى أدرك الان أن سرحان قتل كنيدى وهو فى حالة انفصام شخصية .. انى اعتقد بحق انه لم يكن يدرى ما يفعله

ثم أدلى دياموند بتصوره السريع لما حدث

قال أن سرحان تناول ثلاث كئوس أو اربعا فى فندق الامباسادور ولما عاد الى سيارته ليعود الى منزله وجد انه شرب أكثر مما يجب بحيث لم يعد يستطيع ان يقودسيارته ·· التقط المسدس من فوق المقعد الخلفى خشية أن يسرقه أحد .. ثم عاد الى الامباسادور ليتناول قدحا من القهوة ثم فى لحظة معينة ، وهو محاط بالمرايا والاضواء الكثيرة جدا .. بدأ يتشوش .. ومن المحتمل انه دخل فى حالة انفصام ، او لعلها كانت نوعا من الغيبوبة وبعد اطلاق النار ·· فجأة وجد نفسه يخنق ويضرب بواسطة عدد كبير من قوم لا يعرفهم فى حجرة الكرار ·

وتحدث دياموند الى المحامين عن زيارته فى الصباح لسرحان والنوبات التى انفجرت من البركان الذى يغلى فى أعماقه ، ثم حدثهم عن زيارته لاسرة سرحان فى منزلهم وما أكدته مارى رغم انها لم تدرك أهمية ما تؤكده من ان سرحان كان يصاب بنفس النوبات فى أيام أهوال الحرب بالقدس ·

وسأل بيرمان ـ انها ليست نوبات صرع .. أليس كذلك ؟

قال دياموند ـ كلا ·· كان وجهه يتقلص ، وتملأ عينيه الدموع ، ويئن ويتأوه كثيرا فى مزيج كامل من الرعب والغضب فى وقت واحد ·· شىء مختلف تماما عن سرحان الهادىء البارد الذى نعرفه ·· وأنا أعتقد انناستطيع ان نجعل المحلفين يرون هذا بأنفسهم

وقلت مقترحا ان سرحان ربما كان تحت حالة مشابهة من التنويم المغناطيسى عندما كتب ما كتبه فى مذكراته ، ولكن كوبر هزأ من الفكرة ودياموند قال ـ حسنا ·· هذا جائز ولكنه مجرد افتراض ··

قال كوبر ـ نعم • ولكنه قتل كنيدى فعلا •

فقال دياموند ـ عندما فعل ذلك كان تحت مجموعة من الظروف الخاصة فحقق تخيلاته وهو فى حالة انفصام •

ووافق كوبر دياموند على انه من المؤكد ان سرحان كان فى حالة ذهنية غير ارادية وغير مكتملة فى اللحظة التى اطلق فيها النـــار على كنيدى وأضـــاف :

ـ أعتقد أن هذه هى الحقيقة ، ولكن •• لن تستطيع أن تقـــول ذلك للمحلفين ••

وتساءل بيرمان عما اذا كانت هذه ليست حالة من الجنون المؤقت •• فقال دياموند أنك تستطيع أن تقيم دفاعك مستندا الى هذه الحجج لو كانت المحاكمة ستقوم على اساس التحقق من جنون المتهم •

وأضاف ـ انا لا أعتقد أن سرحان كان قادرا على ســـبق الاصرار ، والتمتع بوعى كامل عندما فعل ما فعل •• كما لا أعتقد أيضا أنه كان قادرا على التعمد ••

واعرب كوبر عن اعتقاده ان تقديم التماس يوافق على ان تكون التهمة « من الدرجة الثانية » ولا يحكم فيها بالاعدام •• يمكن أن تكون مســاومة طيبــة ••

الا أن دياموند عارض فى المساومة •• وقال أنه يدرك تماما أن المحلفين قد لا يأخذون بنظرية نقص القدرة العقلية

فقال كوبر ـ ولكن حتى لو كان القرار من الدرجة الثانية فان هذا قد يعنى سجنه مدى الحياة

كما استبعد دياموند هذا الاحتمال قائلا ـ أن هناك كثيرين وراء سرحان •• وقد يؤدى اعدامه الى حمام من الدم ••

غير أن كوبر عاد يسأل ـ لو كان هذا ولدك •• هل كنت تفعل ذلك ؟

قال دياموند أن قرار الدرجة الاولى معناه الغاء اى احتمال لخـروج سرحان • اما الدرجة الثانية فانها تبقى الباب مواربا نوعا ما ، ومع ذلك فانه يعترف بانه فى حالة سرحان •• من الناحيةالعلمية ، وبالنسبة للظروف القائمة ، فقد لا يكون ثمة فارق كبير بين اتهاممن الدرجة الاولى أو الثانية ، وأخيرا انتهى كوبر ودياموند من مناقشتهما الفكرية • فكلاهما كان لا يؤمن بعقوبة الاعدام تحت اية ظروف وكلاهما كان يريد انقاذ حياة سرحان •

واخيرا تم الوصول الى قرار .. بأن يتوجه دياموند لمقابلة بولاك ثم يصحبه الى زنزانة سرحان ، وينومه مغناطيسيا فى حضرته ، ويتركه يتحدث مع سرحان ، ثم يرى ما يحدث بنفسه

المحلفون

فى يوم ١٣ يناير ادخل حجاب المحكمة الى قاعة القاضى ووكر ٢٤ شخصا من المرشحين ليكونوا محلفين! . ووضع بعضهم فى مقصورة المحلفين ، بينما اجلس الباقين فى الصفين الاماميين بالقاعة دون ان يفتشوا احدا منهم .

وكانت مهمة القاضى والمحامين والمدعين الان هى بحث مدى صلاحية هؤلاء لهذا العمل . وقد فعلوا ذلك عن طريق مطالبة المرشحين بالاجابة الصادقة على عدد من الاسئلة حول اشخاصهم ومعتقداتهم ، وهو اجراء يعرف باسم « فوادير » .. وعبارة « فوادير » اصطلاح باللغة الفرنسية يعنى « القول الحق » .

ومن عملية « الفوادير » سيتم اختيار اثنى عشر محلفا وستة احتياطيين ليتولوا مهمة الاستماع الى الشهادات ومناقشة الادلة ، وتقرير ما اذا كان سرحان مذنبا ام غير مذنب ، وما هى التهمة المتهم بها ، وما هى العقوبة التى يجب ان يعاقب بها .

وكان معظم المرشحين يعطون الاجابة التى ينتظرها السائل ، سواء كان من الدفاع او الادعاء .. ففى محاكمة مقدر لها ان تكون محاكمة هذا العصر ، لم يكن العثور على محلفين مسالة صعبة جدا كما يخشى المحامون عادة . ومن واقع اقوالهم ، كانت المجموعة بريئة فى معظمها من اية احكام مسبقة حول اى شىء . ومع ان الاستفتاءات فى ولاية كاليفورنيا كانت تؤكد ان نصف السكان تقريبا يعارضون فى احكام الاعدام ، فان اثنين فقط من المرشحين قالوا انهم يوافقون على هذا الراى . اما اجابتهم عن موقفهم من الصدام العربى الاسرائيلى فكانت كانهم يجيبون على سؤال عن امكانية الحياة فوق المريخ .. اى انهم لم يكونوا رايا فى هذا الموضوع

جلست ستة محلفين فى المقصورة بعد اجتيازهم نوعا من الاختبار ، وجاء دور صاحب محل صغير لبيع الملابس الجاهزة فى لوس انجلوس ، وهو يهودى يدعى « بنيامين جليك » .

● هل كون سرحان عربيا يجعل من الصعب على جليك ان يجلس فى مقعد التحكيم ..

ـ لا ٠٠٠٠

● هل تعتقد انك قادر على أن تصدر بشأن سرحان حكما منصفا عادلا بصرف النظر عن أصله ؟

ـ اعتقد ذلك ٠٠

واثار هذا السؤال كثيرا من القلق لدى سرحان ٠٠ ليس فيما يتصل بجليك ، ولكن فيما يتصل باميل زولا بيرمان أحد محامى سرحان ، فقد اخبرها عابدين جبرة المحامى الامريكى العربى الذى جاء من ديترويت ليحضر المحاكمة بان بيرمان صهيونى فاخذت السيدة تهرول رائحة غادية بينى وبين ماك كوان تتساءل عن صحة هذه الواقعة .. وقيل لمارك ان « يهودية » بيرمان هى آخر شىء يهتم به فى حياته ٠ وانه ليس صهيونيا ٠ ولكن « جبرة » لم يقتنع ، فيكفى ان يكون بيرما يهوديا لكى تضار القضية التى يجب آن يعطيها عواطفه كلها ٠

كان سرحان يبدو مهتما بالكتاب الذى أعده ، عن اهتمامه بأشياء أخرى .. ودار حوار بينه وبينى عن مضمون الكتاب قال سرحان : « ينبغى أن تكون الكلمة الاخيرة لى » .

فاجبته ـ هذا اذا كنت تريد ان تكتب الكتاب بنفسك .

وتدخل بيرمان بملاحظة لم تسر سرحان اذ قال وهو يشير الى مذكرات سرحان ـ قياسا الى بعض كتاباتك ، اعتقد ان كتابك سيكون غير مفهوم ٠٠

وضحك كوبر لانه حاول مرارا ان يجعل سرحان يخبره كيف ومتى كتب بعض العبارات فى مذكراته او ماذا يعنى بها ؟ ٠٠ وأخذ كوبر يقرأ من المذكرات ٠

« ناصر أعظم رجل فى العالم ٠٠ ناصر أعظم رجل فى العالم ٠٠ عاش ٠٠ عاش »

كان سرحان يرفض ان يوافق على انه مريض عقليا او نفسيا او شيئا مثل ذلك ٠

قال كوبر ـ فلنفرض انهم قالوا ذلك ؟

قال بيرمان ـ كلا .. لن يقولوها ٠

فسأل سرحان ـ هل سأقول انا ذلك ؟

قال كوبر ـ انظر ٠٠ أنت لن تقول شيئا ٠٠ اسمع ٠. هل تعتقد انك مجنون ؟ هل تعتقد ذلك ؟ ..

أجاب سرحان وهو يضحك ـ كلا ..

ـ حسنا .. استمع الى .. انا لا استطيع ان ادخل هذا فى رأسك .. نحن لا نريد منك ان تفعل أى شىء سوى ان تقول الحق ولا شىء غير الحـق ، ولا تحاول ان تخفى شيئا ،

فأوما سرحان برأسه مؤكدا انه لن يخفى شيئا ..

وفى خارج منطقة الحراسة المشددة حول سرحان ، وقفت انا وكوبر وممنا بيرمان فى انتظار المصعد وتنهد كوبر بشدة قائلا :

ـ انا لا أستطيع ان أفهم .. لا استطيع ان افهم هذا الولد ..

هل انت يهودى

الدكتور سيـــــمور بولاك .. رجل لا يدل مظهره عليه .. فهو اجش الصوت ، متورد الوجه ، ملتهب العينين الى حد ما ، ويبدو كانه لاعب فى فريق كرة اكثر منه كواحد من ابرز علماء النفس فى كاليفورنيا الجنوبية ، ومدير معهد علم النفس والقانون بجامعة كاليفورنيا الجنوبية ويحمل عـــددا من الشهادات تملأ صفحات بأكملها ، ويكن له زملاؤه فى تخصصـــه الطبى احتراما وتقديرا بالغين ..

غير انه فى هذه القضية بالذات لم يكن واثقا من نفسه .. وكان مستعدا دائما للتسليم بانه مخطىء تماما .. ويقول أميل زولا بيرمان آن بولاك « ينظر بعين منصفة تماما الى جانبى كل مشكلة على قدم المساواة » .. ولكن تردده هذا كان كفيلا بان يؤدى الى صدور الحكم باعدام سرحان فى النهاية ..

وفى ١٩ يناير ، ظهر بولاك فى زنزانة سرحان كرجل مرح ودود ، تتخلل ملاحظاته التمهيدية ضحكات كثيرة لعلها تنبى عن الحيرة أكثر مما تنبى عن السـرور ..

وقـال :

ـ انا أريد بصدق ان اساعدك

ثم اضاف بسرعة ـ سوف يقدم نتيجة عمله الى المدعى الاقليمى ويود آن يستوثق من آن سرحان يفهم موقفه .. فقال سرحان انه يدرك هذا ..

فسأل بولاك ـ اذن لماذا تركك محاموك تتحدث معى ؟

اجاب سرحان ـ لانهم لا يريدون آن يتقدموا بالدفاع على اساس نقص القدرة العقلية ..

وكانت هذه اجابة امينة صريحة ، استطرد منها قائلا ـ انهم يقولون لى دائما الا أخفى شيئا عن أطبائى ، وهذا ما افعله ، ليس لدى شىء اخفيه

فقال بولاك ـ حسنا .. ماذا تريد ان تقول لي ؟

وكانت هذه طريقة مضحكة للبدء في الحديث الحاد .. وبدت الدهشة على وجه سرحان وهو يسأل بدوره ـ ماذا تريد أنت أن تعرف ؟

قال بولاك ـ حسنا .. ما هو تفسيرك لكل هذا ..

ومرة أخرى يقص سرحان روايته التي قصها حتى الان أكثر من ست مرات .. وعندما اقترب من الخاتمة تجاوز يوم الاحد ٢ يونيو والاثنين ٤ يونيو .. وحاول بولاك أن يعود به مرة أخرى الى يوم الاحد ولكن سرحان قفز الى يوم الثلاثاء . وقال ما تأكد منه بولاك ان سرحان تدرب على اطلاق النار يوم السبت . وحاول ان يطلق النار يوم الاحد . ثم اطلق النار يوم الثلاثاء . وكان في هذا تغيير للقصة التي التزم براويتها سرحان من قبل

وعاد بولاك يسأل ـ وماذا عن الامباسادور ؟ .. هل تذكر شيئا بالمرة ؟..

أجاب سرحان ـ هذا ما يحاول الدكتور دياموند ان يساعدني فيه

ـ الا تذكر شيئا بالمرة عن رغبتك في قتل كنيدي ..

ـ أبدا .. ابدا ..

وحاول بولاك ان يلتقط القصة فيما بعد اطلاق النار . وتذكر سرحان بالفعل تحذيره حول حقه في أن يظل صامتا . وتذكر أيضا اطاحته بمدح الشيكولاتة من يد أحد الضباط .. ولكن ذاكرته حتى في هذه الواقعة لم تكن واضحة تماما ..

وسأل بولاك ـ متى أدركت أنك قد أطلقت النار على السناتور كنيدي ؟

فأجاب سرحان ـ ربما عندما جاء مستر ويرين ليراني ..

فتنهد بولاك وتوقف لحظة قبل أن يقول والان .. وقد انتهى كل شيء .. ما هو شعورك نحوه ..

قال سرحان ـ لا أعلم بحق السماء .. ماذا ستكون النهاية ..

وأخذ بولاك يتفحص سرحان للحظة ثم قال ـ هل تعلم ؟ .. ان الصورة التي اعطتنيها والدتك عنك تختلف تماما عن الصورة التي تعطيها لي الان ..

ولما لم يحر سرحان جوابا استطرد بولاك يقول ـ أن والدتك .. سيدة مخلصة جدا ..

وهنا طلب سرحان من بولاك ان يوقف جهاز التسجيل ، ففعل .. وعندما عاد الجهاز الى العمل ، كان صوت سرحان يسأل بولاك ما اذا كان يهوديا أم لا ..

واعترف بولاك انه يهودى قائلا انه لا يرى فارقا كبيرا بين ان يكون المرء قربيا أم يهوديا ، ثم اضاف

- وكثيرا ما احسست بان العرب قد ظلموا كثيرا . ولكن ان أكون يهوديا ليس بامر ذى بال .

قال سرحان - بل أنه كذلك

فقال بولاك أن والدة سرحان اخبرته ان لديه بعض الاصدقاء من اليهود

- اجل .. ولكن قبل ان اكتشف أنهم يهود ..

١٢ محلفا

وقبيـــل ظهر يوم ٢٤ ينايـــر ، وبينما المطر يهطل بغزارة فوق قصر العدالة ، انتهى كل من الادعاء والدفاع الى اختيار هيئة المحلفين من ثمانيـــة رجال واربع سيدات . منهم سبعة جمهوريين وخمسة ديمقراطيين .. وكان لا يزال الدفاع الحق فى الاعتراض ولكن كوبر وبارسونز وبيرمان فضـــلوا المغامرة بقبول هؤلاء المحلفين لانهم يمثلون قطاعا واسعا من الشعب ، ثقافيـا واقتصـــاديا ..

١ - رونالد ايفانز - عامل تركيبات فى شركة تليفون وتلغرافالباسفيكى .. وكان يلوح عليه بالفعل انه ضيق الصدر بجميع الاجراءات .

٢ - مسز سوزان بروم ، عاملة تليفون فى منتصف الخمسينيات وقــد اشتركت مرة سابقة فى هيئة محلفين اصدرت قرارها بتبرئة المتهـم من جناية قتـــل ..

٣ - البرت فريدريكو .. سباك من مدينة لوس انجلوس ، وهو المحلف الوحيد الذى كان يؤيد روبرت كنيدى ، وقال أنه لا يقـــرأ الصـــحف أو المجلات اطلاقا . وكان يعقد حاجبيه بشدة كلما سمع احدا من المحامين ينطق بكلمة معقدة ..

٤ - مسز ماريلون بوزبى - مدرسة رياضة - وهى حسناء قوية الملامح أعطت صوتها لصالح نيكسون وقارئة منتظمة لشيئين اثنين فقط هما العــدد الاسبوعى الاقتصادى من جريدة بارون ، والصفحات الاقتصـــادية لجريدة نيويورك تايمز ..

٥ - اورنس مورجان - وهو مهندس عقول الكترونية - وصف نفســه بأنه « متدين جدا » ولا يقرأ سوى المجلات الدينية ..

٦ ــ مسز ايرما ماتينيز ، وهى مــوظفة حسناء ، ومتزوجة من ســـائق سيارة نقل ، وقد اعطت صوتها لهيوبرت همفرى ..

٧ ــ الفونسو جالبندر ــ وهو ميكانيكى مدنى يعمل فى الاســـــطول الامريكى بلونج بيتش . وهو جمهورى وكاثوليكى ويحمل وجها غير معبر بالمرة

٨ ــ بروس اليوت ــ خبير بشركة طيران وفضاء كان لها فيما بعد دور كبير فى وصول الانسان الى القمر .. وهو رجل أعزب ، فى نهاية العشرينـــات يحمل شهادة الدكتوراه فى العلوم الرياضية ، وقد انتخب فيما بعد رئيسا لهيئة المحلفين ..

٩ ــ مسز نيل بورتيلز ، وتعمل مندوبة اعمال لشركة تليفون وتلغراف الباسيفيكى ، وهى من انصار روكفلر وشعرها مشدود الى الخلف بقــوة مما يجذب حاجبيها الى اعلى فتبدو دائما وكانها فى حالة اندهاش ..

١٠ ــ بنيامين جليك ــ صاحب محل للملابس الجاهزة ، وكان رجـــلا يحمل نظرة مفكرة ، ووجها طيبا وشعرا فضيا ونظارة طبية .

١١ ــ جليبرات جريس ، موظف فى ادارة الماء والكهرباء وهو من أصل مكسيكى ولكنه غير اسمه بحيث يبدو انجليزيا ، وبالرغم من انه ديمقراطى فقد اعطى صوته لنيكسون ..

١٢ ــ جورج بروميس وهو ايضا موظف بادارة الماء والكهرباء ومن أصل مكسيكى ايضا ، ولكنه جمهورى ، وكان رجلا فى أواخر الاربعين نحيلا ، ويقظـــا ..

وقد قال سرحان الذى كان بدون جاكته او كرافتة لاول مرة فى قاعـــة المحكمة ــ قال لماك كوان أنه راض عن هيئة المحلفين ..

وفى الردهة المزدحمة فى الخارج قالت مسز سرحان للصحفيين المتزاحمين حـــــولها :

ــ انهم قوم طيبون ، وكل شىء يتوقف الان على ضمائرهم .. أنا مقتنعة بهم .. كل شىء الان بيد الله »

يجب ان يتذكر

كان تصور كوبر للمسالة منذ البداية ان سرحان ، لسبب غير معـــروف حتى الان ، ولكن يحتمل ان يكون سببا مرضيا ، قد فكر فى ان يقتل كنيدى، وأنه خطط لهذا ، ونفذه

غير ان التخطيط ـ مقدما ـ فى رأى كوبر لا يعنى « سبق الاصرار » بالمعنى القانونى لهذه الكلمة . فواضح ان سرحان مريض . وتتفق حالتـه تماما مع مواد قانون كاليفورنيا الخاص بنقص القدرة العقلية . ولكن عـدم تمكن سرحان من تذكر كتاباته فى المفكرة ، او حتى تذكر قتل كنيدى ، لن يكون مناسبا مع المحلفين لانهم سيعتقدون بالتاكيد ان سرحان يكذب ..

ولما كان الدفاع كله سيقوم على اساس استبعاد ركن « العمد » فان كوبر كان يريد لسرحان ان يتذكر تماما او يساعده ديامـوند على التذكـر او عليه ان يكتشف لماذا لا يستطيع ان يتذكر

وذهـب دياموند لزيارة سرحان فى زنزانته يوم السبت ٢٥ يونيو وقـرا له فقرة فى مذكراته تقول :

« كنيدى يجب ان يسقط .. يجب ان يسقط » .. وساله « ما رايك فى هـذا ؟ » ..

وكانت اجابه سرحان السريعة « لقد سقط »

ـ اجل لقد سقط .. ولكن كيف تفسر ما كتبته عن هذا قبل ان يحدث بأسابيع ؟ .. هل تذكر كتابتك لهذه الكلمات ؟

ـ لا .. لا يذكر .

ـ سيكون من الصعب جدا يا سرحان ان تقنع المحكمة بانك فعلا نسيت شيئا ، لن يجدوا هذا معقولا ..

ـ حسنا يا سيدى ..

ـ سيظنون انك تكذب عليهم ولا شىء غير ذلك

ـ انظر يا سيدى .. انهم يستطيعون ان يلقوا بى فى غرفة الغاز فى اية لحظة يشاءون . ولن اعترض .

عودة للتنويم

جرب دياموند التنويم المغناطيسى مع سرحان مرة أخرى ، ثم سـاله ما الذى يقلقه ؟ .. هل يريد حقا ان يموت فى غرفة الغاز ؟ .. هل هو خائف ؟.. كلا ... هل يثق بدياموند ؟ .. أجل ..

وساله دياموند ـ هل اخبرت احدا بانك سوف تقتل روبرت كنيدى ؟..

اجاب سرحان بصوت خافت ـ كلا ..

ـ متى حصلت على المسدس ؟

ـ عندما كنت اعمل

ـ ولماذا اشتريته ؟

توقف سرحان خمس ثوان قبل أن يقول ـ أننى أحب المسدسات

ويبدو ان دياموند لم يكن راضيا عن عدم وضوح صوت سرحان فجعله يجلس ويفتح عينيه ، وبدأ يسأله سلسلة من الاسئلة حـــول المذكرات التى كتبهـــا ..

ـ هل هذا خطك ـ اجاب سرحان انه كذلك .. هل تذكر الكتابة عن ان كنيدى يجب أن يسقط ؟ .. لا جواب .. وتوقف ديامونـد عند الصــــفحة المؤرخة ١٨ مايو وقرأ ـ أن تصميمى على قتل و.ف.ك قد أصبح أكثر فأكثر فكرة ثابتة لا تهتز .

وهنا بدأ سرحان يتأوه متوجعا

ـ هذا خطك يا سرحان .. تذكر يا سرحان .. تذكر .. ماذا كنت تفكر فيه حينذاك .. من طلب منك ان تكتب ذلك ؟

ولكن سرحان لم يجب ..

فعاد ديامونـد يقرأ من المذكرات :

ـ ر.ف.ك يجب ان يموت .. ر.ف.ك يجب أن يسقط .ر.ف.ك يجب ان يقتل .. هل كتبت هذه يا سرحان ؟

ـ لا أعلم ؟

وحاول ديامونـد ان يجعل سرحان يستعيد اللحظة التى كتب فيها هذا فى مفكرته ..

ـ سرحان .. انت الان فى حجرتك .. انت تفــكر فى قتل السناتور .. انت تكتب فى مفكرتك .. هل تشاهد التليفزيون ؟ هه ؟ تذكر النفاثات التى سترسل الى اسرائيل .. هل تذكر الطائرات النفاثة يا سرحان ؟

وبدأ سرحان يتاوه مرة اخرى ..

ـ هل تذكر القنابل واليهود يا سرحان ؟

فتحولت تأوهات سرحان الى بكاء وتحول وجهه الى مزيج من الرعب والحزن ، وانعقد ما بين حاجبيه .. وتصلب فكاه وتقلصت عيناه واصـــبح وجهه فى لون الدم .. وترك ديامونـد رد الفعل ياخذ مجراه الطبيعى وبدون كلمة اخرى اخذ سرحان يبكى وينشج بصوت مرتفع ..

اية قنابل

ايقظ ديامونـد سرحان وطلب منه ان يحدثه عن القنابل ، وهو فى حالة يقظة ..

أجاب سرحان ـ أية قنابل

كان ذكر القنابل لسرحان وهو تحت التنويم المغناطيسى يثير فيه حالة حقيقية من الهستيريا اما الان فهو يسال ببساطة ‎..‎ اية قنابل ؟

وكان معنى هذا ان ايحاء دياموند له اثناء نومه لم يؤثر كثيرا ، فطلب من سرحان ان يشرح له مشاعره عن القنابل التى شاهدها تنفجر عندما كان فى القدس ولكن سرحان اخذ يتحدث باستفاضة عن « الظلم الفادح الذى لحق بالعـــــرب » ‎..‎

فقال دياموند لسرحان ان عليه ان يميز احاسيسه . ما الذى يخشاه ، وما الذى يكرهه . فقال سرحان انه يعرف . انهم اليهود ‎..‎

ـ اذن لماذا قتلت كنيدى ‎..‎ انه ليس يهوديا .

تمتم سرحان ـ أنا ‎..‎ أنا لا اعرف . . انها قاذفات القنابل يا سيدى ‎..‎ لقد قلبتنى رأسا على عقب ‎..‎

ونوم دياموند سرحان ثم ايقظه مرة أخرى بعد ان اوحى اليه ان يتـذكر كل شىء عن مذكراته ، وان يستطيع قراءتها واخباره كيف كتبها ومتى ، وقرأ سرحان « كنيدى يجب ان يسقط ‎..‎ كنيدى يجب أن يسقط ‎..‎ ادفعوا لامر سرحان سرحان ‎..‎ نحن نؤمن ان روبرت كنيدى يجب أن يقدم قربانا فى سبيل الفقراء المستغلين »

ولكنه لم يستطع تذكر الكتابة ، ولا ما الذى كان يفكر فيه عندما كتبها :

ـ هل كان ذلك فى منزلك ؟

ـ لا بد وأن يكون فى منزلى

ـ فكر جيدا ‎..‎ يجب أن تتصور

فقال سرحان انه كان يقرأ لدى مكتبه الصغير فى منزله عندما ســمع نبأ عن خطاب كنيدى القاه فى احد المعابد او الاندية اليهودية ‎..‎ ولعله كتب هذه السطور بعد أن سمع النبأ فى الاذاعة ‎..‎

وفحصوا عدة مذكرات اخرى بالمفكرة وتعرف سرحان على بعضها وقال انها واجبات مدرسية . ولكنه لم يستطع التعرف على معظمها . وتســاءل عما اذا كان المدعى الاقليمى هو الذى وضع التواريخ عليها ، فنفى دياموند له ذلك مؤكدا ان الكتابة كلها بخطه . ثم ساله :

وقلب دياموند فى صفحات المفكرة حتى وصل الى صفحة سال سرحان ان يقرأ ما بها بصوت عال ، فاخذ يقرأ ‎..‎

- اعلان الحرب ضد الانسانية الامريكية . أما وقد اصبح من المحتم على
- أمام تطور الاحداث الانسانية - ان أكون عادلا ، وان التمس الثـار لكل الجرائم غير الانسانية التى ،رتكبها ضدى الامريكيون

وتلاشى صوت سرحان ثم اطلق من فمه صفيرا عاليا وقال

- هذا كلام .. كبير .. ولكن لا .. انه ليس خطى .. هذه ليست طريقتى فى الكتابة ..

قال كايزر :

- انها تبدو مسطحة قليلا ، كما لو كنت غير مسيطر على نفسك .. تماما عندما كتبتها .. انها كتابتك ، غير انها بخط سىء ، كانك كتبتها وانت مرهق

وكانت هذه الصفحة التى قرأها سرحان بتاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ ، وتساءل سرحان ما اذا كان قد اخطأ فى السنة فكتب ١٩٦٧ بدلا من ١٩٦٨ . ولكنه كان مخطئا فى حدسه .. غير أن هذا قاد الى حديث عن تحركات سرحان يوم الاحد ٢ يونيو عام ١٩٦٨ .

- سرحان .. هل هناك أى شىء هام لم تخبرنا به .. ما زلت تخفيه عنـا ؟..

- ان قولك هذا يؤلمنى يا دكتور .. انت تظن انى اخفى شيئا .. ولكنى بحق الله لا اخفى شيئا ..

- هل تظن نفسك قاتلا سفاحا ؛

- كلا .. انا لا استطيع حتى ان أطأ بقدمى فوق صرصار ..

- وماذا عن هذه الكتابات ؟ .. ان ما بها نوع من التفكير فى القتل .. هذا مثلا .. انه اعلان حرب ..

قال سرحان بصوت خافت :

- أنا لا احب هذا

- هل كنت ترى فى كنيدى جنديا من جنود العدو ؟

- سيدى .. لقد رايت فى هذا الوغد قاتلا بالجملة ... لقد كـان بالنسبة للعرب تماما مثلما كان هتلر بالنسبة لليهود

- ولكن لماذا كنيدى ؟ لماذا لم يكن جونسون ؟

- هذا ما أعجز انا نفسى عن فهمه .. ولكنى يا سـيدى كنت احب كنيدى ، لقد كنت احبه فعلا . غير انه غدر بى ..

آخر حيلة

لجأ الدكتور دياموند الى آخر حيلة يتصور انها تعيد لسرحان ذاكرته ، وهى تهديده بما يخشاه اكثر من اى شىء آخر ·· قال له : « سيظنون انك مضطرب عقليا ··

اجاب سرحان ــ انا لست مجنونا يا سيدى ··

ــ ربما كنت لا تحب أن تظهر كذلك ، ولكنهم سيعتقدون فعلا انك مخبول ··

ــ هذه هى المشكلة اذا قلت انى مصاب بعقلى كما يريد الدفاع ، فسوف يقولون اننى اتوسل بذلك للنجاة بحياتى·· واذا لم تكن لديكم عدالة فى أمريكا فانى ابصق عليكم ·· واذا كانت امريكا اعظم بلد فى العالم فاننى لا احصل منها على شىء ··

قال دياموند بنعومة ــ هذا كلام كبير ياسرحان :

فطوى سرحان ذراعية قائلا ــ كما قلت يا دكتور ، انها كلمات يمكنك ان تحاسبنى عليها ·

ــ انا أريد ان اساعدك يا سرحان ·· انت مريضى وانا طبيبك ·· وأريد مساعدتك .. ان دورى هو ان اذهب الى المحكمة واحدث الجميع عن افكارك واحاسيسك · واريد ان اقول لهم قصة صادقة أريد ان يراك العالم كله رؤيا حقيقية · يراك كما انت ، ولا اظن انك تريد منهم ان يروك فى صورة اخرى ·

مرآة مفتتة

كان دياموند مستاء للغاية لفشله فى العثور على الخيط الذى يستطيع أن يصل منه الى اعماق سرحان ·· وكان يعلم ان عالمى النفس سكور وريتشاردسون قد اكتشفا وجود علامات على اصابة سرحان بامراض نفسية ، وحالة دائمة من الشيزوفرانيا او ما يشبهها ، ولكنه لم يستطع الوصول اليها · واذا كان سرحان مصابا بشىء فلعله شىء آخر يدخل فى باب الهستيريا التى تاتى على شكل نوبات متقطعة · ولكن ربما كان سرحان مصابا بنوع من الشيزوفرانيا التى فتت شخصيته الافا من القطع كانها مرآة ضربت بشاكوش وما زالت قطعها المفتتة متماسكة بشكل او آخر ·· ولعل هذا يفسر شيئا من استعصاء سرحان على الاستجابة له ·

ولقد تأكدت شكوك دياموند فى اليوم التالى مباشرة عندما ظهر فى زنزانة سرحان ، وكنت بصحبته انا والدكتور بولاك ، ولكن سرحان طلب منا ان نخرج ، لان لديه شيئا يريد ان يقوله لدياموند على حدة ، وهو أنه فكر فى الامر طويلا ، ووصل الى انه سيعترف بانه مذنب ، ولانه يفضل الذهاب الى غرفة الغاز على ان يدع الغير يعبثون بعقله . وختم تصريحاته

ـ وانا افضل ان اموت قائلا انى قتلت كنيدى هذا من اجل بلدى ..

ولم يجادل دياموند سرحان طويلا ، وان كان قد استاء بلا شك ، فقد كان يعتقد ان بولاك اذا رأى سرحان وهو تحت التنويم المغناطيسى فسوف يلمس الدليل على مرضه العقلى ، وهكذا دعا بولاك الى الدخول وبعد ان استأذن من سرحان ، أخبرهم كيف يشعر سرحان ازاء « كل هؤلاء الاطباء الذين يزعجونه ويعاملونه كأنه مريض بعقله »

فأكد له بولاك انه من ناحيته لا يظن بالمرة انه مجنون ، وسر سرحان بهذا القول كثيرا

وقال دياموند انه يريد أن يرى بولاك سرحان وهو تحت تأثير التنويم المغناطيسى

ووافق سرحان .. وعندما راح فى غيبوبته قال دياموند :

هل تذكر القنابل ياسرحان ؟.. هل تذكر القنابل ؟..

وبدأ سرحان يتأوه .. وتحولت تأوهاته الى نشيج عال مثلما حدث من قبل . وتصلب فكاه ، وأخذت شفتاه ترتعدان بينما يداه تتقلصان وتتشبثان بركبتيه فى حركة عصبية .. وأيقظه دياموند وهو فى أوج النوبة واستيقظ سرحان ليجد نفسه يبكى ، فتملكه الخوف وأخذ يرتجف .

ـ ماذا حدث ياسرحان ؟ ماذا حدث ؟

أجاب سرحان بصوت خافت لاهث ـ لقد .. لقد قتلوه

واستمر سرحان يبكى ،ودياموند يشجعه .. ولكن الدكتور بولاك تدخل فى الموقف ، وأخذ ـ لسبب غير مفهوم ـ ينهال بسيل من الاسئلة السريعة المتتابعة جعلته يبدو فى صورة المدعى الاقليمى أكثر منه فى صورة الطبيب .

متى ذهب سرحان الى ساحة التدريب على اطلاق النار ؟ هل ذهب وحده ؟ وأين ذهب عندما انصرف من الساحة ؟ من كان فى المنزل عندما وصل ؟ ماذا فعل هناك ؟ ماذا قرأه فى صحف الاحد ؟ أين ترك مسدسه ؟ لماذا وضعه تحت الوسادة ؟ متى ذهب الى الامباسادور ؟ هل كانت هذه أول مرة ؟

ـ طبعا شاهدت كنيدى يوم الاحد ؟ كم مكثت هناك ؟ ماذا فعلت ؟ متى كان

وكانت نبرات بولاك حادة ، وصوته مزعجا ، وهو يردد :

ذلك ؟ هل كان فى المساء ؟. كم من الوقت مكثت هناك ؟ متى عدت لمنزلك ؟

وتبين بولاك أن ذاكرة سرحان كانت قوية فى كافة التفاصيل حتى الساعات الاخيرة من مساء الثلاثاء .. وبعدها لا يذكر شيئا

وايقظ ديامند سرحان وبدأ يحاول هو وبولاك أن يجعلاه يتذكر ما كان يقوله منذ دقيقة مضت وهو تحت التنويم

قال سرحان ـ أنا لا اذكر

فتنهد دياموند وعاد يطلب من سرحان أن يتذكر عودته الى فندق الامباسادور فقال سرحان ـ كان هناك رجل بوليس

أقر سرحان فى حديثه مع بولاك بانه واحد من الاقليه ، وانه كان يصدق الدروس التى سمعها فى المدرسة عن المساواة فى أمريكا ، ولا يستطيع ان يفهم كيف لا ينطبق هذا عليه ، بالرغم من انه عربى

قال بولاك ـ انك تبدو وكأنك يهودى

ـ لو كنت كذلك لماكنت هنا ، فى السجن ، الان ..

ـ لماذا ؟

ـ لانكم معشر اليهود تحكمون البلاد بأسرها ..

فقال بولاك ـ هل تظن هذا حقا ؟ انه غير صحيح .. فانه اذا كان لليهود وزن سياسى ملحوظ ، فانهم فى النهاية ليسوا سوى اقلية لا يزيد تعدادها على خمسة ملايين ونصف مليون يهودى . ووافق سرحان بدوره على أن هذه الاقلية قد تشكل نسبة كبيرة ، ولكن اليهود يسيطرون بشكل أكبر بكثير من هذه النسبة على اجهزة الاعلام . وقال انه يعلم ان اريتس تشاندلر صاحب لوس انجلوس تايمز ، وكذلك هارى اوس صاحب مجلة « تايم » يهوديان ، ويدل على ذلك موقفهما من النزاع العربى الاسرائيلى .

وتنهد بولاك بعمق قائلا :

ـ الشىء الذى لا أفهمه حتى الان هو كيف أقدمت على عمل كهذا

فأكد سرحان انه لم يكن يدرى ما يفعله عندما أطلق النار على كنيدى .

فقال بولاك : .

ـ انى اعتقد انك كنت تريد ان تقتل كنيدى . وأعتقد ايضا انك دبرت ذلك ولكن غير المؤكد هو انك دبرت قتله فى تلك الليلة بالذات

وعاد سرحان يحاول أن يصف شعوره بانه كان يحس بأن هنـــاك شيئـا لا يستطيع مقاومته .

قال بولاك ـ ان ما يحيرني هو محاولتك التقليل من قيمـــة المذكرات التي كتبتها .. فواضح انك كنت تريد من أمريكا ان تتخذ موقفا مختلفا . وكنت ترى من الضروري اثارة انتباه سرحان الى جوار الكتلة الضخمة من العالم .

والواقع أن بولاك كان يردد بهذا كل الحجج التى كان عابدين جبره يحاول أن يدفع سرحان الى تبنيها .. ولكن سرحان كان يستطيع ان يقبل هذا من جبره ، ولا يقبله من بولاك .

أجاب سرحان ـ لا ياسيدك كنت أستطيع ان أصفعه على وجهه ، أو أن أحطم انفه ، أو أن اقذف فى وجهه بقدح القهوة ـ لان هذا لم يكن ليوقف ارسال قاذفات القنابل . هذا هو السبب لان قاذفات القنابل كانت شـــيئا غير عادلا ليس بالنسبة لك فقط ، وانما بالنسبة للشعب العربي كله .

ثم سال بولاك سرحان عن السبب الذى من أجله كان يحيط مذكراته بالسرية البالغة فقال سرحان انها لم تكن سرا .. ولم تكن مذكرات

قال بولاك :

ـ بعض ما كتبت مضى عليه نحو عام .. فلماذا كنت ساخطا على كنيـدى عام ١٩٦٧ ؟

فاجاب سرحان ـ انه لم يكن ساخطا على كنيدى عام ١٩٦٧ ، وان ســخطه على كنيدى لم يبـــدأ الا فى مايو ١٩٦٨ ، واخذ يقلب صفحات المذكرات حتى عثر على الفقرة التى يتحدث عنها بولاك وكانت مؤرخة ٢ يونيو ١٩٦٧ الساعة ١٢٫٣٠ بعد الظهر ، وناولها لبولاك كى يقرأها ، وكانت كما يلى :

« اعلان الحرب ضد أمريكا .. وطلب الثار لكافة اشـــكال المعـــاملة غير الانسانية التى ارتكبها الامريكيون فى حقى .. وسوف يبدأ تنفيذ هذا الاعـــلان بمجرد الحصول على مبلغ من المال « ٢٠٠٠ دولار » وتوفر بعض الاسلحة النارية التى لم يتحدد انواعها بعد . اما ضحايا هذا الاعلان فسوف يكونون ، أو هم الان الرئيس ونائب الرئيس الى آخر السلم نزولا . »

وقال سرحان ـ ليس فى هذا أى شىء عن كنيدى

قال بولاك ـ بمعنى اصح ٠٠ ما اشرت اليه هنا ليس فقط كنيـدى ، بل الوضع كله .. فانت تشعر ان النظام باسره معاد للعرب .. ولعل هذا صحيح الى حد ما .

واضاف بولاك ـ انا لا اعتقد انك فكرت فى الامر كما يجب..فالذى لا شك فيه انك لم تدبر خطة محكمة لقتل كنيدى .

اجاب سرحان ـ هذا ما لا استطيع انا ان افهمه . اذا كنت اريد أن اقتل رجلا ما .. فلماذا اقتله فى مكان كهذا .. حيث يستطيع كل الناس ان يمزقونى اربا ..

ـ لعلك كنت تريد أن يقبض عليك .. لكى يعرف العالم كله أن عربيا هو الذى فعل ذلك .

فلوى سرحان شفتيه ، واستطرد

ـ انا لست قاتلا .. لست قاتلا ؛ واذا كنت اريد أن اقتله ، فلماذا ياسيدى يبلغ بى الغباء ان اترك فى غرفتى تلك المذكرات ، تنتظر رجال البوليس ؟

ـ المسألة ببساطة انك لست قاتلا محترفا ، فالقاتل غير المحترف لا يفكر فى كل هذه المسائل .. وانا شخصيا لو قتلت شخصا ما فمن المؤكد انى سافعل اشياء اكثر غباء من كل هذا ، رغم انى لست غبيا ، ومن وجهة نظرك انت ، فان قتل كنيدى لم يكن عملا غبيا .. وانما كان عملا سياسيا ..

وامام هذا التفسير ابدى سرحان سرورا عظيما .. وقال انه يرحب الان بان يعدم فورا .. وانه يحس بانه بخير ، ولا يريد أن يدافع عن نفسه .

فقال بولاك :

ـ انك بهذا تكون اقرب الى أن تكون شهيدا .. اليس هذا ما تريده حقا ؟ ان يرى العالم من خلال موتك كيف أن الولايات المتحدة متحيزة لاسرائيل ..

ـ كلنا سنموت يوما ما ..

وانتهت المناقشة بين الاثنين بقول بولاك ـ انى لا اراك مريضا بعقلك حتى انقذك .. ربما كان دبايموند يعتقد ذلك ، اما انا فلا .. الا تعتقد ان هذا ربما أساء اليك ؟

ضحك سرحان قائلا ـ لعلنى اذن مريض نفسيا

ـ انا لا ادرى ذلك

وردد سرحان ـ ولا انا ايضا

لماذا لم يكن همفرى :

كان بولاك قد تحدث طويلا الى مارى سرحان يوم ٢٩ يناير ، فى دارهـا بباسادينا . وقد ادركت الام بغريزتها انه لن يكون فى صف ولدها . وفى اليوم التالى التقت بكوبر فى ردهة المحكمة ، وقالت له على مسمع من جمـع كبير من

رجال الصحافة أن بولاك عاقد العزم على هلاك ولدها .. وأخذت تبكي بحرقة وحاول كوبر ان يسرى عنها ولكن غريزة الام لم تكن كاذبة .

والان .. ها هو بولاك فى الزنزانة يسال المزيد من الاسئلة التى تركزت حول ان مفاهيم سرحان عن كنيدى اقوى كثيراً من حقيقته وانه حتى لو فاز بالرئاسة لما كان من القوة كما يظن سرحان

فاجاب سرحان انه كان مقتنعا بقوة كنيدى لانه ظل يؤيد اسرائيل طوال عشرين عاما .. واضاف :

ـ لقد كان كنيدى فى جيبهم

ـ ولكن لماذا اخترت كنيدى بالذات ؟ لماذا لم تختر بدلا منه هيوبرت ، همفرى مثلا ؟

ففكر سرحان لحظة قبل أن يجيب على السؤال الذى كان بالفعل مفتاح المسالة كلها .. والذى جاءت اجابته دليلا ما بعده دليل على مرض سرحان

ـ لقد كنت أحبه ياسيدى .. ولكنه تنكر لى .. خاننى ياسيدى ..

قال بولاك ـ اعتقد ان الذى تنكر لك ، هو توقعاتك التى لم تكن على اساس واقعى .. تخيلاتك انت بالذات .. ويبدو انك كنت تظن ان الولايات المتحدة هى امل هذا العالم ثم اكتشفت انها ليست كذلك .. وهكذا هوت امالك وأحلامك

وكان هذا صحيحا .. ولكن ليس عميقا بما فيه الكفاية .. لقد تجاهل بولاك الربط المنطقى فى ذهن سرحان بين كنيدى والولايات المتحدة بأسرها ، فتحطم الامال .. كان شيئا عاديا جدا .

وواصل سرحان قوله انه سيقف امام المحلفين ، ويعترف بانه قتل كنيدى

ساقول للمحلفين ذلك .. ساقول لهم اقتلونى .. انى أود أن أموت من اجل ما فعلته .. ولكن .. بحق الله يا سيدى فلتتعلموا من هذا درسا . فليكن موت كنيدى وموتى كائنين من بنى البشر فرصة تجعلكم تفكرون فى الدوافع الحقيقية التى دفعتنى الى قتل كنيدى .

ـ أية دوافع ؟..

ـ الظلم الذى كان ينوى كنيدى أن يفعله لو عاش .. ظلم الشعب العربى .

ـ وكيف أثر هذا عليك

ـ انهم قومى ياسيدى .. انهم شعبى

كانت الساعة السادسة والنصف عندما قال بولاك لسرحان قبل ان ينصرف

ـ باعتبارى طبيبا نفسيا أمثل المجتمع ، ينبغى على أن اضع مشاعرى جانبا انى أرى أن الادلة .. كلها تقول انك حملت مسدسك لكى تقتله .. أن الناس لا يحملون المسدسات المحشوة الا اذا كان فى نيتهم استخدامها .

ـ حسنا .. ان اى رجل عادى يستطيع بسهولة ان يصل الى نفس النتيجة
ـ هذا صحيح
ـ الحق انك لم تقل شيئا جديدا او مفاجئا
ـ هذا صحيح
وردد سرحان ساخرا

ـ هذا صحيح .. هذا صحيح .. اذن لماذا كل هـذا .. مادامت الادانة واضحة .. لقد رأونى وأنا اقتله .. اذن .. فلتقتلونى ..

قال بولاك ـ كلا .. ليس هذا هو القانون .. ولو كان الامر كذلك لكنت الان منذ زمن طويل

ثم استطرد بولاك قائلا ان مشاعر سرحان ازاء اليهود تشبه كثيرا مشـاعر هتلر ، فقال سرحان مصححا :

ـ ان شعورى نحو اليهود تماما مثل شعورهم هم نحو هتلر .. لقد كان هتلر ينكل بهم .. وهم الان يتبعون نفس الطريقة .
قال بولاك :
ـ لا أظن ان اليهود ينكلون بك ؟..
ـ بل ان لهم نفوذا قويا فى أجهزة الاعلام ، ولهذا فان هذه الاجهزة لا تعطى للجانب العربى ذرة من انصاف
وارتفع صوت سرحان وهو يستطرد :
ـ ولاننا نحن العرب فى هذه البلاد ليس لنا سلطة ، ولا نفوذ ، ولا مال ولا شىء فى الواقع فاننا نعامل هكذا كأننا نمل .. ولولاى ياسيدى لكان منير الان فى أحد معسكرات اللاجئين هناك .. كانوا يريدون ابعاده
ـ كيف ! ما الذى تعنيه ؟
ـ لولا حكايتى مع كنيدى لابعدوه .. لقد أحسوا بان العالم كله يعرف اسم سرحان .. فلو ابعدوا شقيقه الاصغر الى الخارج لكان هذا دليلا أمام العالم كله على انعدام العدل فى أمريكا .

ثم اضاف بمرارة :
ولكن حتى بدونى .. هل كان الامر سيختلف ؟ ان منير فى النهاية مجـرد عربى .. لا وجود له هنا ..

فسكت بولاك لحظة قبل ان يتنهد قائلا :

ــ اوه .. يا لها من قضية معقدة

الكتابة الاوتوماتيكية

أراد دياموند ان يوضح كيف كتب سرحان مذكراته وهو فى حالة وعى غير متكامل ، فطلب أن ينومه مرة اخرى ، وناوله كراسة صغيرة صفراء وقلما ،ثم طلب منه أن يكتب اسمه ، وبدون تردد اخذ سرحان يكتب « سرحان ب . سرحان » مرة بعد مرة بدون توقف وببطء بمعدل ٣٠ ثانية فى السطر الواحد • وتركه دياموند يسترسل فى الكتابة وفى عينيه بريق الانتصار

وكان هذا اكتشافا حاسما ، يفسر غموض السطور المكتوبة فى مذكــرات سرحان :

كان معنى هذا ان سرحان قد تعرف على مايسمى « بالكتابة الاوتوماتيكية » . وذات مرة وجد سرحان نفسه على يمين الصفحة وقد انتهى من السطر دون ان يكمل اسمه فواصل الكتابة من اليمين لليسار باللغة العربية وكتب بالفعــل سطرا ونصف سطر ، ثم عاد مرة اخرى يكتب اسمه بالانجليزية من اليســار لليمين حتى اذا ما وصل الى اخر الصفحة توقف منتظرا اوامر اخرى•• فطلب منه دياموند ان يكتب شيئا عن كنيدى فاخذ سرحان يكتب : « ر..ك ــ ر.ف.ك »

وطلب دياموند أن يكتب شيئا اكثر من مجرد اسم كنيدى فكتب على سطر جديد « ر.ف.د. يجب أن يموت » وكررها تسع مرات حتى اوقفه دياموند

وكان هذا نسخة مطابقة تقريبا لما كتبه فى مذكراته

ــ من علمك أن تكتب بهذه الطريقة ؟

ــ أنا .. وكررها ١١ مرة

ــ هل تعلمت هذا بنفسك ؟ هل قراته فى كتاب

ــ أجل اجل أجل

ــ هل علمك هذا بعض اصدقائك

ــ كلا كلا كلا

ــ اسمعنى جيدا .. هل انت نائم ؟

ــ نائم نعم نائم .. ثم حاول ان يشطب الكلمة الغلط

ــ هل كنت منوما ، وأنت تكتب مذكراتك ؟

ــ اجل اجل اجل

ــ من الذى نومك وانت تكتب ؟.. اكتب اسمه هنا

فكتب سرحان ــ المرآة المرآة مرآتى

واخذت الحقيقة تتضح شيئا فشيئا امام عيني ديامـــوند .. فالواضح ان سرحان كان يستجيب للتنويم المغناطيسى بسرعة مما يدل على انه مر من قبل بهذه التجربة . ولكنه كان يتكلم بصعوبة كبيرة وهو منوم ، اما الان فهو لا يجد نفس الصعوبة فى الاجابة على الاسئلة كتابة ، وهذا معناه ان تجربته السابقة فى التنويم المغناطيسى كانت تجربة فردية .. اى انه كان ينوم نفسه بنفســــه .. وكانت طريقته فى التعبير هى الكتابة وليس الكلام ..

وانتهز دياموند الفرصة ليســـال سرحان عن الاســـئلة الاخرى التى كانت تحيره .

— من علمك هذا ؟

— ن.س.ق.ر.ك

— ما معنى هذا ؟

فتردد سرحان لحظة ولكن دياموند امره الا يهرب قائلا — ضـــع قلمك على الورقة واكتب اسم الشخص ، فكتب سرحان « من قتل كنيدى ؟ »

— قف .. اكتب الاجابة لا السؤال ..

كتب سرحان « لا اعرف .. لا اعرف »

فعاد دياموند يسال — هل مات كنيدى ؟.. كف عن كتابة لا اعرف

ولكن سرحان استمر يكتب « لا اعرف »

— هل كنيدى حى ؟

كتب سرحان « اجل ، اجل »

وفسر دياموند هذا بان كنيدى بالنسبة لسرحان ما زال حيا ، ثم سال — هل طلب منك احد ان تقتل كنيدى ؟

« لا..لا.. ا.. »

— هل أعطاك أحد نقودا لكى تقتل كنيدى ؟

« لا لا لا »

— هل كان معك أحد عندما أطلقت النار على كنيدى ؟

« لا لا لا »

— من كان معك عندما اطلقت النار ؟

« فتاة .. الفتاة .. الفتاة »

— هل تعرف اسم الفتاة ؟ا

وهنا بدأ سرحان يتأوه

— اكتب اسم الفتاة

لا جواب .. وانما مزيد من التأوهات . فقال دياموند :

ـ ابدا سطرا جديدا
هل هذه هى الطريقة التى كنت تكتب بها فى المنزل ؟
فاعاد سرحان كتابة السؤال :
ـ لا تكتب السؤال .. اكتب الاجابة فقط .. هل هذه هى الطريقة التى كنت تكتب بها فى المنزل ؟
« نعم نعم نعم »
فنظر دياموند الى انا وبولاك نظرة انتصار .. ثم سال سرحان :
ـ هل هذه كتابة مجنونة ؟
ـ اجل .. اجل ..
ـ هل انت مجنون ؟
ـ كلا كلا كلا
ـ ما دمت لست مجنونا ، لماذا تكتب كتابات مجنونة ؟
ـ تدريب تدريب
ـ تدريب على ماذا ؟
ـ تحكم العقل تحكم العقل تحكم
ـ تحكم العقل لماذا ؟
ـ الارتقاء بالذات .. الارتقاء بالذات .. الارتقاء
واخذ قلم سرحان يتباطأ وبدا عليه انه متعب جدا . كما بدأ جفناه ثقلان .
ـ من الذى علمك الكتابة بواسطة المرآة حتى نقرأه ؟
فعاد سرحان يكتب ن.س.ق.ر.ك .
واخيرا فهم دياموند ، فقد كانت هذه الحروف تعنى « النظام السرى القديم للروزى كروشيانز » ، فسأله :
ـ هل علموك كيف تفعل ذلك ؟
ـ لا ..
ـ هل قراته فى كتاب ؟
ـ اجل
ـ من اعطاك الكتب ؟
ـ انا اشتريتها
وانتقل دياموند بسرحان الى فندق الامباسادور ثم ساله :
ـ اكتب هنا كم كاسا شربت ؟.. لا تنم .. أكتب .. اكتب الرقم
فكتب سرحان :
« ١ و ٢ و ٣ و ٤ »

وعاد دياموند يطلب من سرحان أن يكتب له اجابة اسئلة حول ليلة ٥ يونيو في فندق الامباسادور . فأكد سرحان قصته السابقة ـ انه ذهب الى سيارته عازما على العودة لمنزله ولكنه عاد ليتناول قدحا من القهوة

ـ أين ؟..

في الحفلة

ـ آية حفلة ؟

« كاثلين كاثلين كاثلين كاثلين »

كانت كاثلين هذه فيما يبدو ابنة المرشح الجمهورى لمجلس الشيوخ ماكس رافيرتى ، وقد آقامت حفلتها في نفس المساء بقاعة فينيسيا بالفندق .

ـ هل قابلت كاثلين ؟

ـ كلا كلا كلا

ـ هل عرفت اسم الفتاة ؟

« كاثلين »

ـ ليس كاثلين رافرتى ، وانما الفتاة الاخرى التى شربت معها القهوة .

ـ لم تخبرنى باسمها

ـ هل رأت الفتاة المسدس في حزامك ؟

ـ كانت تريد .. هى كانت تريد قهوة

وطلب بولاك من دياموند ان يسأله عما كان يفكر في اللحظة التى اطلق فيها النار على كنيدى ، ولكن دياموند سأل قائلا :

ـ هل كنت تفكر حينذاك في قتل كنيدى ؟

ـ كلا كلا كلا

وهنا كان السطر انتهى ، ولكن سرحان استمر يكتب فيالهواء .. كلا كلا كلا

ـ استمع الى جيدا يا سرحان .. هل اطلقت النار على كنيدى حينذاك ؟

فكتب سرحان .. كلا كلا

وأخذ يتأوه .. وكف عن الكتابة حيث انتهت الصفحة

وأيقظه ديامونه .. فعاد الى وعيه ببطء ولم يتعرف على كتابته عندما أطلع عليها ، وعندما طلب منه ديامونه ان يقرأ اجزاء منها قرأ وقم ـ واحد واثنين وثلاثة واربعة ـ هكذا ـ اربعة الاف وثلاثمائة ووحد وعشرون

وبهذا الاكتشاف لقدرة سرحان على الكتابة الاوتوماتيـــكية ، اعترف بولاك ان هذا قد يكون مفتاح « لغز المذكرات » لانه اذاكان سرحان قدكتب ما كتب وهو في غيبوبة أوشبه غيبوبة ، فكيف يمكن أن يتذكر ؟ وعلاوة على ذلك فان بولاك قد

درس الكثير عن التنويم المغناطيسى وهو يعرفه جيدا ان قدرة سرحان الان على التذكر دليل على أن نسيانه السابق لم يكن متعمدا أو تضليلا وانما هو نسيان مرضى .

***

وفى اليوم الثانى ٢ فبراير تلقى بولاك مزيدا من المعلومات تؤكد حالة سرحان من العالمين النفسيين الدكتور رودريك ريتشاردسون والدكتور مارتن سكور ، اللذين التقيا بكل من دياموند وماركوس وبولاك فى مكتب جرانت كوبر المحامى .

الاحد ١٠ فبراير ، المحامون والادعاء قد اتفقوا اخيرا على اسماء هيئة المحلفين والستة الاحتياطى ، والمدعى الاقليمى يونجر يصل الى قاعة المحكمة فى الساعة التاسعة والربع ويتوجه فورا مع مساعديه الى غرفة القاضى ووكر حيث ان هناك محامى الدفاع .

وقال يونجر ـ اعتقد ان المتهم مستعد للاعتراف بانه مذنب ، ويقبل الحكم بالسجن مدى الحياة ، فهل هذا صحيح يا مستر كوبر ؟

قال كوبر ـ أجل ..

واضاف أن زملاءه متفقون معه فى هذا ..

فالتفت يونجر الى القاضى ووكر

ـ نحن نفضل ذلك ياسيدى القاضى ، ولكن القاضى يشترط موافقتكم، فالان ، وقد تلقينا تقرير طبيبنا النفسى ، وهو رجل نثق فيه غاية الثقة ، نجد انفسنا فى موقف لا نستطيع معه ان نطلب بضمير مستريح توقيع عقوبة الاعدام

فطبيبنا النفسى يقول أن المتهم مريض نفسيا ، وسياتى تقريره مؤيدا للدفاع بخصوص نقص القدرة العقلية ، ومعنى هذا انه لن يكون هناك حكم بالاعدام ، فما هو البديل .. هل من حقنا ان نمضى قدما فى اجراءات المحاكمة ، بكل ما تكلفه من نفقات وتثيره من اعاصير ، فى نفس الوقت الذى نعترف فيه باننا لا نستطيع ـ بحكم ضميرنا ـ ان نطالب بتوقيع عقوبة الاعدام ؟.. لا اظن اننا نستطيع ..

واضاف كوبر على سبيل التصحيح ان الدكتور بولاك لم يؤيد الدفاع فى نظرية « نقص القدرة العقلية » وانما هو فقط يرى أن سرحان مريض نفسيا وقد ابلغ المدعى الاقليمى انه سوف يشهد لصالح المتهم فى اية محاكمة .

وسال ووكر كوبر عما اذا كان لديه اية ملاحظات ، فسرد كوبر على القاضى تلخيصا سريعا لشخصيات الاطباء النفسيين وعلماء النفس الذين طلب الدفاع

مشورتهم . واضاف يونجر انه وهيئة الدفاع والبوليس ســـوف يعملون معا في تسجيل كافة المواد المطلوبة واقوال الشهود وتقارير الاطباء النفسيين، وباختصار كل ما يمكن أن يلزم لمحاكمة تستمر ٣ شهور ، حتى لا يتصور الجمهور أن المسالة مطبوخة .

وهنا قال ووكر انه فكر في الموضوع كثيرا .. واضاف :

ـ أنا اقدر تماما كم ستتكلف المحاكمة ، ومدى ما يمكن أن تسببه من اثارة ، ولكنى واثق من ان هذا سوف يعرضنا لعاصفة من النقد .

وقدم ووكر اقتراحا آخر ، وهو أن يعترف المتهم بانه مذنب ، ثم تجـــرى المحاكمة لتحديد العقوبة .. قائلا : «اعتقد ان لديكم هنا جمهورا شديد الاهتمام» ثم اضاف بسرعة « أنا طبعا لا أسمح للجمهور بأن يؤثر على ، ولكن في نفس الوقت هناك اعتبارات كثيرة لا ينبغى ان يتجاهلها - انهـم دائما يشيرون الى حكاية أوزوالد وسوف يتساءلون وتنتابهم الشكوك اذا لم يقدم المتهم لمحاكمة حقيقية .

فاقترح كوبر انه بدلا من أن يكتب المحامون المذكرات ، فان كلا من الطرفين يستطيع أن يقدم مرافعة متفقا عليها ، ويقدم شهودا معينين للادلاء بالشهادة .

ولكن ووكر رأى ان هذا معناه أن تقام محاكمة صورية ، وهـــذا أكثر مما يستطيع أن يتحمل . واخيرا قال بشكل قاطع :

ـ سيقولون حينئذ ان الحكاية مقررة سلفا ومطبوخة .. ولهـــذا فسوف نمضى في المحاكمة . ولا اظن انها سوف تستمر ٣ اشهر ، واذا كنتم تريدون العودة الى الاقتراح الاصلى ، أى الاعتراف بالقتل ، ثم تدور القضية حـول مقـــدار العقوبة ..

اعترض كوبر ـ لا نستطيع ذلك

وفيما بعد صحب كومبتون وكوبر وبارسونز وبيرمان الى مكتبه مقترحا صفقة اخرى ، تتلخص في أن يعترف سرحان بأنه مذنب بجريمة قتل من الدرجة الاولى ، ويترك للمحلفين أن يقرروا العقوبة ، وسوف يطلب المدعى الاقليمى الحكم بالحبس مدى الحياة بدلا من عقوبة الاعدام ، فقال كوبر أنه ينبغى ان يفكر في الامر ويتحدث بشانه مع سرحان وعائلته ، ولكنه لم ينس أن يسجل العرض الجديد على جهـاز التسجيل لاعادته على مسمع من القاضى ووكر ومساعدى المدعى الاقليمى في الساعة الثانية ظهرا .

وكان القاضى ووكر اميل الى الاستجابة لهذا الاقتراح الجديد ، ولكنه كان شديد القلق بسبب نشاط رجال الصحافة ، وقال :

ــ أعتقد اننا يجب ان نتوخى الحذر للغاية ، خصوصا وأن وراءنا كل هذا الحشد من الاذكياء

فقال كوبر موافقا :

ــ انهم بداوا يسألون بالفعل .. وقد شرعوا ــ جميع حواسهم ــ لالتقاط الانباء وكان هذا صحيحا .

ومع ان العادة جرت ، عندما يسمع المحررون القضائيون بمحاكمات تجرى بين الدفاع والادعاء لتسوية قضيةما الا يسارعوا بالنشر حتى لا يفسدوا الصفقة الا انه ما ان بدأت تثور الشكوك حول المحادثات بين الجانبين فى أكبر قضية فى تاريخ البلاد ، حتى نسفت هذه القاعدة المرعية من أساسها . وقد تكتم الخبر قدامى الصحفيين ، ولكن بوب جرين كتب خبرا ذكيا فى جريدة « نيوز داى » يقول ان القاضى ووكر قد رفض النظر فى التماس قدم اليه وان المحامين والمدعين يدرسون الان كيفية التحايل على القاضى .

مذنب من الدرجة الاولى

وفى نفس الوقت كان كوبر يقول لسرحان ، فى حضور بيرمان وبارسونز وماك كوان ومارى ومنير سرحان انه يعتقد ان الاعتراف بانه مذنب من الدرجة الاولى فى مقابل وعد المدعى الاقليمى يعتبر توصية ايجابية للمحلفين بأن يحكموا بالسجن مدى الحياة .

وكان يونجر يتوقع أن كوبر سيدفق فى مهمته ، ولكن كانت هناك عوامل اخرى ، معقولة وغير معقولة لم يعمل يونجر لها حسابا ، فمارى سرحان لم تكن مرتاحة بالمرة لفكرة اعتراف سرحان بانه مذنب ، وكانت تصلى من أجل البراءة . أما منير الذى قضى فى السجن ٩ أشهر فقد كان يعتقد انه حتى عشر سنوات فى السجن مدة طويلة جدا ، وان الموت افضل، بينما طلب سرحان مهلةليفكرفىالامر

وتخلت صحيفة لوس انجلوس تايمز عن وقارها الذى اشتهرت به وقبل عزل المحلفين فى فندق بيلتمور بأربع وعشرين ساعة ، كتبت موضوعا طويلا بتوقيع ديف سميث وبعناوين ضخمة فى الصفحة الاولى يقول انه علم ان هناك اتفاقا يجرى ابرامه بين الدفاع والادعاء ، لكى يعترف سرحان أمام المحلفين بانه مذنب بتهمة من الدرجة الاولى ، فى مقابل الوعد بعدم الحكم عليه بالاعدام ، وان العقبة الوحيدة أمام هذا الاتفاق هى سرحان نفسه . ولكن ممثلى الدفاع اجتمعوا بوالدته وشقيقه لاقناعهما بوجهة نظرهم .

وما أن التقط كوبر نسخته من جريدة لوس انجلوس تايمز في الساعة السادسة صباحا حتى ايقن انها كفيلة بان تجعل المحلفين الذين سيقرأونها يصرون على توجيه التهمة من الدرجة الاولى ، وعلى هذا ، فلم يعد من سبيل لانقاذ حياة موكله سوى المضي قدما في الصفقة مع الادعاء .

ولكن بيرمان لم يوافقه على هذا الرأى ، وجاءه يقول انه ظل يفكر طول الليل ووصل الى نتيجة مؤداها ان اعتراف سرحان بانه مذنب سيحرمه من حقه في محاكمة عادلة وسيحرمه في المستقبل من استئناف الحكم .

ومع أن بيرمان استاء كثيرا عندما اطلع على ما نشرته لوس انجلوس تايمز الا انه قال لكوبر صراحة ، انه اذا واصل خطته في عقد الصفقة مع الادعاء ، فسيحزم هو حقائبه ويعود أدراجه الى نيويورك .

وانصرف بيرمان ، تاركا كوبر يفكر في العقبات التى قفزت فجأة بينما هو قاب قوسين او أدنى من انقاذ حياة سرحان ، واذا بجرس التليفون يدق ، ودياموند على الخط يلومه بعنف ، كيف يفكر في ان يقول سرحان انه مذنب بجريمة من الدرجة الاولى رغم كل الادلة والقرائن التى اتفقت عليها كلمة الاطباء ؟

وعندما قال كوبر أن شهادة الاطباء ليست سوى عامل مخفف ، ثار دياموند قائلا :

ـ شهادتى أنا ليست عاملا مخففا .. أن الشهادات المخففة يمكن استخدامها في مرحلة تقرير العقوبة . أما في المرحلة الاولى ، مرحلة تكييف التهمة ، فانها تكون العامل الحاسم ، وهذا كسب احرزناه منذ عشر سنوات ومع ذلك فها انت تحاول اعادة عقارب الساعة الى الوراء .

وختم دياموند حديثه مهددا

ـ اذا تقدمت بمرافعتك على أساس ان سرحان مذنب بجريمة من الدرجة الاولى ، فلا تتوقع أن تجدنى هناك .

قال كوبر وهو يضع السماعة ـ مشكلة جديدة .. اذا ابرمنا الاتفاق .. فلن نستطيع الاعتماد على دياموند .

وطلب كوبر بارسونز في التليفون ليجد انه هو الاخر يرى خوض المحاكمة حتى النهاية وسوف يقول ذلك لسرحان عندما يقابلاه في الساعة العاشرة من صباح نفس اليوم .

ـ حسنا .. فلنذهب لمقابلة سرحان .. وليقرر هو ما يراه ..

فى الزنزانة الخارجية لسرحان ، أعدت ادارة السجن مائدة اجتماعات جلس اليها كوبر وبيرمان وبارسونز وعابدين جبره وسرحان ، وأدرت جهاز التسجيل.

وبدأ كوبر فابلغ سرحان بوجهة نظر الدكتور دياموند وتلاه بيرمان قائلا : انه لا يمكن ان يوافق على رأى يدع غرفة الغاز مفتوحة لاستقبال سرحان ، ووافقه بارسونز

ثم شرح كوبر فكرته ، مؤكدا انه بعد ما نشرته لوس انجلوس تايمز أصبح من المؤكد أن المحلفين سيوجهون تهمة القتل من الدرجة الاولى ، وانه من الافضل فى هذه الحالة آن ينتقلوا الى المرحلة الثانية بتوصية من الادعاء بأن تكون العقوبة السجن مدى الحياة .

وقال جبره ان ما نشرته التايمز يصلح اساسا للدفع بعدم صحة المحاكمة فى المستقبل ، فوافقه كوبر وطلب بيرمان من سرحان أن يقول كلمته ، فقال على الفور :

ـ انا مستعد للاعتراف بانى مذنب بجريمة قتل من الدرجة الاولى بشرط ضمان حياتى ، واتاحة الفرصة لى ان أقف فى مكان الشهود للادلاء بما أريد أن أقوله ، وأخيرا وعد شرف بالافراج عنى بعد سبع سنوات .

وانفجر الجميع قائلين ان هذا مستحيل .. فقال جبره اذن يجب ان نخوض المحاكمة كاملة .

وكان واضحا أن جبره يؤمن بوجهة نظر الدكتور دياموند فى ان شهادته كفيلة بأن تجعل التهمة من الدرجة الثانية ، وفضلا عن ذلك فانه كعربى كان يجد فى المحاكمة فرصة لاطلاع العالم باسره على مدى الظلم الذى حاق بالعرب الفلسطينيين .

ولكن كوبر مضى يدافع عن وجهة نظره قائلا :

ـ انه حتى لو أمكن الظفر بقرار اتهام من الدرجة الثانية فانه سيكون انتصارا أجوف

وكرر كوبر رأيه أن الاتفاق الذى يقترحه يضمن انقاذ حياة سرحان ، ولا يضعه تحت رحمة المحلفين

وأخيرا تنهد سرحان موافقا .. وقال انه على أية حال مازالت الكلمة النهائية للقاضى ووكر ، وأضاف :

ـ ويبدو لى أن القاضى شديد التمسك بسلطاته فى هذا المجال .

فقال كوبر أن المدعى الاقليمى نفسه وكان قاضيا قديما لا يستطيع أن يحمل ووكر على تغيير رأى يراه .

فختتم سرحان المناقشة بقوله :

ـ فى هذه الحالة .. سأخوض المعركة حتى النهاية

وكان هذا الاجتماع حـــركة بارعة من كوبر الذى كان يؤمـــن بان سرحان « مريض عقليا » وانه من المستحسن أن يتأكد المدعى الاقليمى من هذه الحقيقة

وقدم ريتشاردسون تشخيصه لحالة سرحان فقال انه مصـــــاب بحـــالة شيزوفرانيا من طراز البارانويا الحادة المزمنة . وكان دليله على ذلك هو اجابات سرحان على ورقة الاسئلة التى اعطاها له ، وقدمها الى مجلس الاطباء الذين أقروا جميعا بان هذه « اجابات مريضة » واشار ريتشاردسون أيضـــا الى اختباراته الاخرى التى كشفت عن أن سرحان ينطوى على احساس دفين بالغربة، والاهمال ، والقنوط الانتحارى ، علاوة على قدر كبير من البارانويا ، فقال بولاك أن الامريكى ... بالظلم والاصطهاد ، وان كثيرا من السود يعانون من عقـــدة

ولاك ريتشاردسون عما اذا كان قد مر من قبل بتجربة مع احــد السود المتحمسين فقال ريتشاردسون مبتسما لسذاجة بولاك : « هناك متحمسون مرضى ومتحمسون غير مرضى » .

ولكن بولاك أخذ يتململ بعصبية فى مقعده وهو يصب سلسلة من الاسئلة التى تشير الى أن سرحان قد يكون مريضا فعلا ، ولكن ليس اكثر من عدد كبير من الناس ، وكان هذا فى الحق مفهوما غريبا من طبيـــب نفسى مهمته أن يشخص مرض سرحان نفسه ، وليس مرض « عدد كبير من الناس غيره » .

وسأل بولاك ساخرا :

ـ ما قولك فى الحالة النفسية لاعضاء منظمة فتح ؟

قال ريتشاردسون انه لا يعرف ، ولا يرى أهمية لذلك .. ولكن بولاك كان يرى غير هذا الرأى اذ قال :

كان من الممكن أن يصبح سرحان واحدا من الفدائيين لو ظل يعيش فى القدس ولذلك ..

فقاطعه ماركوس قائلا :

ـ كان سرحان شخصا انطوائيا .. ولم يلتحق بأى تنظيم هنا ..

واضاف دياموند انه من العبث التخمين بما كان سرحان سيصبح عليه لو ظل فى القدس ، فواقع الامر انه الان فى الولايات المتحدة ، وهـذا ـ من الناحيــة

النفسية ـ يجعل الامر مختلفا اشد لاختلاف . فاخـرج بولاك أصـواتا من فمـه تشير الى انه يوافق على ذلك ..

اما الدكتور سكور فقد قال ان سرحان معتل نفسيا منذ الايام الاولى لتكوينه وانه لا يستطيع أن يفرق بسهولة بين مشاعره الخاصة والواقع المحيط به . وقدم سكور تشخيصه ببعض عبارات خيالية مثل « المعتقدات الزائفة الموهـــومة » ، و « أفكار الاستشهاد » و « المشاعر السلبية »

وقال بولاك انه أيضا قد شاهد من هذا الشيء الكثير

وكانت خلاصة وجهة نظر بولاك انه لا يعتقد بأن سرحان قتل كنيدى نتيجة لدافع نفسى .

فسال ماركوس ـ ماذا كان دافعه اذن ؟..

ـ ان يقتل كنيدى لكى يمنعه من ارسال ٥٠ طائرة قاذفة قنابل تقتل الاف العرب .

ـ وهل ترى هذا تفكيرا سليما ..

قال بولاك :

ـ انه مثل تفكير اى عربى يشعر بأنه من الضرورى عمل شيء ما من أجـل الحيلولة دون ابادة العرب اللاجئين .

ولكن الاطباء الاخرين لم يوافقوا بولاك على ذلك ، وان كانوا تركوه ينتقـل الى ما سماه السؤال الرئيسى وهو هل كان سرحان ينوى قتل كنيدى ؟..

قال ماركوس ان بولاك يخلط بين ثلاثة اركان ضرورية للادانة بتهمة قتل من الدرجة الاولى ، وهى : نية القتل وسبق الاصرار ، والتعمد .. وهو شخصيا ـ اى ماركوس ـ مستعد للتسليم بأن سرحان كان لديه القدرة على نية القتـل والسؤال الذى يوجهانه الان الى بولاك هو : ما هو موقفه فيما يتصل بقـــدرة سرحان على « الادرك الواعى الناضج لخطورة العمل الذى ارتكبه »

ولكن بولاك جلس صامتا فى مكانه وكان هذا هو اهم سؤال قانونى فىالمسالة برمتها .

وسال الدكتور سكور ـ هل ترى أية علامة على نقص القدرة العقلية ؟

فاجاب بولاك ـ ان هناك بعض ادلة تشير الى ان سرحان كان مختلا نفسيا فى اللحظة التى تمت فيها الجريمة ، وربما كان تحت تأثير الكحول .

قال ديamond لبولاك الطبيب النفسى الذى يمثل الادعاء :

ـ لقد اكتفيت بالجلوس واستمعت الى كل واحد منا وهو يقدم رأيه .. وكلما طلب منك ان تعبر عن رأيك نراوغ ، وتتهرب وتقول انك تتساءل .. ولم تقل جملة واحدة مفيدة .. ومعنى هذا انه اما ان هذا الاجتماع قد عقد قبل اوانه ، أو انك الان تسىء استغلاله .

فقال بولاك :

ـ انا لم آكون أى رأى قاطع .. هل تظنني اكذب عليك ؟

وانصرف بولاك بعد هذه المناقشات ليطلب المدعى الاقليمي ويقول له بالتليفون ان سرحان مريض نفسيا .. وعندما سمع المدعى « ايفيل يونجر » هذا أصبح الطريق واضحا أمامه .. ان عليه الان أن يسعى لكى يعقد صفقة مع كوبر على تهمة القتل من الدرجة الاولى فى مقابل ضمان بعدم الاعدام ، وكان صفقة بعلم يونجر ان كوبر سيرضى بها .

وفى نفس اليوم ، وفى غرفة المداولة ، قال بول كومبتون للقاضى ووكر ان مكتب المدعى مستعد لقبول التماس سرحان على أساس انه مذنب بتهمة من الدرجة الاولى ، فى مقابل الوعد بالسجن مدى الحياة ، وكانت هذه صفقة معتادة معناها ان تستغرق المحاكمة يوما واحدا او يومين ، أو ربما لا تجرى محاكمة على الاطلاق .. كانت صفقة تتم كل يوم ويجرى على اساسها التخلص من عديد من قضايا الجنايات التى تزحم المحاكمة ، وبدون هذه الصفقات كان من المحتم أن تتعطل قضايا كثيرة وتعطل غيرها .. ولكن هذه لم تكن قضية ان المحاكمة الكاملة هى وحدها التى يمكن ان ترضى الجمهور الذى حرم من مثل هذه المحاكمة عندما قتل لى هارفى أوزوالد الرئيس السابق جون كنيدى وكان ووكر يرى ألا يحرم الجمهور من حقه فى شهود محاكمة كاملة مدوية .

اختبار المحلفين

فى دهاليز قصر العدالة ، كان مندوبو الصحف والاذاعة والتليفزيون ما زالوا يتساءلون هل ستبدأ المحاكمة غدا أم لن تبدأ ، وفى الساعة الثانية والربع اتصل كوبر بمكتب المدعى الاقليمي ليقول لدافيد فيتس : انا اسف جدا يا ديف .. ولكنا بعد ما نشرته جريدة لوس انجلوس تايمز مضطرون الى الدفع بعدم شرعية المحاكمة .

وأمام القاضى ووكر حاول ممثلو الادعاء أن يتفادوا الدفع بتجديد اقتراحهم ، وقال كومبتون انه يرى ان هذا الاتفاق « يحقق العدل للطرفين » وان الاتفاق على صيغة معينة للمحاكمة العلنية لا يتنافى مع العدل .

ولكن القاضي ووكر تشبث بموقفه قائلا :

ـ اعتقد انه ينبغي أن نترك الامر للمحلفين لكي يقرروا العقوبة الواجبة .

كذلك رفض ووكر الدفع بعدم شرعية المحاكمة بنـاء على ما نشرته جـريدة لوس انجلوس تايمز مقترحا سؤال المحلفين أنفسهم عما اذا كان هذا النشر سيؤثر على قرارهم • وعندما قال كوبر انه لا يتوقع ان يعترف أحـد من المحلفين بانه خالف توصية القاضي بعدم قراءة الصحف أو مشاهدة التليفزيون أو الاستمـاع للاذاعة قال ووكر : انا اؤمن ان المحلفين قوم شرفاء ، امناء ، وأعتقد أن اجاباتهم يجب ان تصدق .

قال كوبر : ولكنهم بشر ياصاحب السعادة

فاقترح ووكر ان يستدعى المحلفون واحدا بعد واحد الى غـرفة المداولة لسؤال كل منهم على حدة عما اذا كان قد سمع بما نشرته لوس انجلوس تايمز ، وذلك حتى لا تتاح لهم الفرصة لمناقشة الامر معا قبل استجوابهم .

وما ان قال ووكر ذلك حتى أدرك انه ناقض نفسه .. فوضع يده على فمـه كانما يريد ان يعيد الكلمات التى نطقها ، والتى تتناقض مع ما ذكره منذ لحظات عن ثقته بامانة وشرف المحلفين •• ولكنه اصر على موقفه واستدعى أول المحلفين ، رونالد ايفانز فاعترف انه سمع من الـراديو أن سرحـان سيعترف انه مـذنب ، وعندما ساله كوبر ما اذا كان هذا سيجعل من الصعب أن يوافق على قرار بتوجيه تهمة القتل من الدرجة الثانية قال : نعم .. وعاد كوبر يدفع على هذا الاسـاس بعدم شرعية المحكمة ولكن ووكر أصر على سماع بقية المحلفين .

واستدعيت مسز بوزبى فقالت انها سمعت احدى صديقاتها تردد هذا القول ولكنها لم تناقشه معها . وقال مستر مورجان انه رأى الجريدة ، وربما لمح فيها شيئا عن اعتزام سرحان الاعتراف بانه مذنب ، وقال نفس القـــول مستر اليوت ومسز بورتيلز ومستر بليك .

غير انهم جميعا ـ وكان عدد من سئلوا ثمانية ـ قالوا : انهــم رغم هذا يعتقدون انهم قادرون على الحكم بغير تحيز . وعلى هذا الاساس قـرر القـاضي ووكر رفض الدفع واستدعى سكرتيرته اليس نيشيكاوا ليملى عليها قرار الاتهام بان سرحان بشارة سرحان قتل عامدا متعمدا ومع سبق الاصرار السناتور روبرت كنيدى فى صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٨ بفندق الامباسادور .

وهكذا بدات المحاكمة دون أن يعرف الدفاع أو الادعاء على وجه الدقـه لماذا قتل سرحان كنيدى ؟

ويبدو ان ممثلى الادعاء لم يكن يعنيهم كيثرا ان يعرفوا ـ لماذا قتل سرحان كنيدى مكتفين بمعرفة انه قتله فعلا ، وتحت يدهم مذكرات تثبت ركن سبق الاصرار

ولكن ممثلى الدفاع كانوا فى حاجة لان يعلموا السبب غير أن سرحان لم يتمكن أو ربما لم يرغب فى ان يقدم سببا معقولا

وكان هذا ـ كما هو واضح ـ دليلا ما بعده دليل .. على مرضه .. فاذا كان لا يستطيع ان يقدم سببا فهو مريض ، واذا كان لا يريد ان يقدم سببا ، فاما انه يخفى سببا وهميا يخجل من البوح به « وهنا ايضا يكون مريضا » واما انه يريد أن يحمى شركاء له وهذا ما أكد البوليس ورجال المباحث الفيدرالية انه غير صحيح .

وهذا المنطق هو الذى جعل الدفاع يستخلص بأن سرحان مريض . ولكن السؤال هو كيف مرض ؟ ما الذى جعله مريضا ؟ ولماذا جسم له مرضه السياسة الامريكية كلها فى شخص السناتور روبرت كنيدى ؟

لقد استطاع الدفاع ، بفضل المعلومات التى اسعاها من سرحان نفسه ومن افراد اسرته ومن الذين عرفوه ، وبفضل مساعدة الاطباء واساسا الدكتور دياموند ان يستخلصوا كيف أن حربا مدمرة فى أرض بعيدة جدا تسببت فى جنون طفل من اطفال تلك الحرب ، لتعود فتنفجر من جديد بعد عشرين عاما ، وعلى بعد آلاف الاميال فى حجرة كرار بأحد الفنادق .

ولكن المشكلة هى هل يستطيع هذا ان يقنع المحلفين بانه لاينبغى أن يعاقبوا وليد العنف هذا ، لانه تجاسر فحمل معه حربه غير المعلنة الى كاليفورنيا ، وضغط باصبعه على الزناد ليودى بحياة ممثل منتخب لامريكا باسرها ؟

اسلاك شائكة

اخذت أجمع قصة سرحان من بدايتها ، منذ كان طفلا فى الرابعة من عمره ، يسكن مع أسرته فى شارع القديس بولس فى القدس ، فى بيت من ٤ حجرات به حديقة تظللها أشجار الكافور التى تكون الخط الفاصل بين العرب واليهود عربة بدون سائق ملاكى ملأى بالديناميت تتجه صوب منزل المندوب السامى البريطانى فى فلسطين ، على مسافة ليست ببعيدة عن بيت سرحان .. الانفجار يهز المنطقة المجاورة كلها ، ويمسك سرحان الصغير بحاجاته الخاصة ويرتعد عدة ساعات دون أن يستطيع السيطرة على نفسه .

فى ربيع عام ١٩٤٨ ، صار شارع القديس بولس كتلة من الاسلاك الشائكة ، وفى ظلام الليل كان الكوماندوز اليهود يتجهون الى محطة اذاعة بريطانية فوق بيت سرحان ، ويفجرون بالديناميت الطابق الاعلى ويجعلون من الحمام القائم فى

بيت سرحان عشا للمدافع الرشاشة يسيطرون به على الشـــارع ، بينما الاسرة تقبع فى الطابق الاسفل ، وتقول لهم مـــارى سرحان لتهدئهم : « حسنا .. ان القتال سوف يتوقف بعد يوم أو يومين »

ما زال اطلاق النار مستمرا فى الشوارع وأسرة سرحان ستعد لمغادرة المنطقة ومعها عشرات من العرب الاخرين ، الى مكان آمن فى دير الارثوذكس ، على مســافة ميل تقريبا ، وتقول مارى سرحان : « سنعود قريبا » ويلتفت سرحـــان بشارة سرحان ، وهو فى الرابعــة ، ويلقى آخر نظرة على دميته وهى تمثال لفهد محشو بالقش ، يكاد يكون بالحجم الطبيعى .

يعود بشارة سرحان الى الدير ، ويحرك رأسه بين الملايات المعلقة التى تفصل أسرته عن بقية اللاجئين ، ومسحة الهزيمة تبدو على وجهه ، ويقول : لقد وقعت فى قوائم هيئة الاغاثة التابعة لهيئة الامم المتحدة ، ونحن الان لاجئون ، وصار هذا واقعا رسميا الان .

وفى معبد قديم ، بالقدس القديمة ، تملك أسرة سرحان حجرة واحــدة لها نافذة تطل على الشارع . تحاول مارى سرحان أن تعد عشاء على موقد من صنع السويد ومن النوع المستخدم فى المعسكرات ، ويقول سرحان فى صوت منخفض : لا احب هذا ، لا احب هذا ، لماذا لا يكفون عن القتال لنعود الى بيتنا .. اننى اريد العودة الى البيت لالعب مع فهدى ..

وتقول مارى سرحان بلهجة جادة : يجب أن تكون الان رجلا ..

درس صلاح الدين

وفى حجرة الدراسة يتلقى سرحان العلم على يد مدرس فلسطينى عجـــوز اسمه « سهيل » يروى له قصة عن امبراطورية صلاح الدين فى أيام مجدها ، عندما قهر صلاح الدين الصليبيين الغزاة ، ويرسم سهيل صورة خيالية تجسد صـلاح الدين وهو يقول « اننا قادرون على طرد الاجانب .. ان لكم الدم ذاته الذى لنا .. لماذا لا تستطيعون أن تفعلوا ذلك ، أم أنكم تريدون منى أن أستدعى رجالى من قبورهم فينهضوا بعملكم ويطردوا اليهود ؟ »

ويجرى سرحان ، وهو يصرخ ، الى شقة اسرته ومعه دلو ماء امتلأ حتى نصفه فيخرج الجميع من حجراتهم ليجدوا سرحــان فى منتصف الطريق ، ينظر الى يد آدمية طافية فوق سطح الماء وهو يرتعد من شدة الخوف .

الرحيـــــل

وتجىء عشية رحيل الاسرة من القدس فى ديسمبر ١٩٥٧ ، لقد حصل بشارة سرحان على رعاية مواطن امريكى وتصريح من الحكومة الامريكية ، ويقول عـادل :

« هذا هو افضل شيء حدث لنا فى حياتنا » .. ولكن سرحان لا يرى هذا الرأى .. لقد هرب من البيت الى رام الله احدى ضواحى القدس ، حيث قضى اليوم كله ، يشترى ساندوتشات ومياه غازية . وعندما تنفد نقوده يعود الى شــــقة الاسرة مضطربا .. وينهال الاب بشارة بيده الثقيلة على سرحان ليعلمه درسا آخر ، غير أن عادل يحميه ويقول يا ابى « دعنا نسافر فى سلام » ولكن المدينــــة لم تكن فى سلام ، ففى تلك الليلة سمعوا اطلاق الرصاص على مسافة قريبة منهم .

يلقى سرحان النظرة الاولى على الشواطىء الامريكية فى ١٢ ينــــاير ١٩٥٧ فلا يرى فيها شيئا متميزا ، ويقول « لقد رايت الكثير من الموانىء فى ذلك الحين انها تبدو متماثلة » وهو لايتذكر انه راى تمثال الحرية . ولكن امريكا تتمثل له ، على مستوى العقل الباطن ، على الاقل ، كمهرب من الحياة القاسية .. لقد سال آمه « عندما نصبح مواطنين يا أماه هل نظفر بشعر اشقر وعيون زرقاء ؟ »

اما بشارة فلم يعجبه الحال ، ولم يستطع الاستقرار فى عمل فجمـــع ٥٠٠ دولار اشترى بها تذكرة للطائرة المتجهة الى القدس .. ولم تره الاسرة مرة أخرى ولكنهم يرددون القصة الرسمية : أن بشارة عاد الى وطنه ليعنى بامه المريضة .

وفى المدرسة الثانوية فى باسادينا يحـــاول سرحان أن يصطبغ بالصـــبغة الامريكية ، فهو يملك دراجته الخاصة ويتكلم اللهجة العادية التى يتكلمها اهـل باسادينا .. ولم يستطع احد أن يجعل منه شخصا مرحا ، ولكن عندما حان موعد التخرج يكشف للاخرين شيئا عن حياته الخاصة بتوقيع اسمه باللغة العربيـة فى كراساتهم .

وفى مدرسة « جون مور » تتفتح عينـــا سرحان على الفـــوارق بين الاغنياء والفقراء ان المدرسة ، مبنى نموذجى للمدرسة الثانوية الامريكية الضخمة يبلغ عدد طلبتها ٥ الاف يذهب بعضهم الى المدرسة الخاصة ، والبعض الاخر يمشى على قدميه وأحذيتهم بالية ويقول سرحان :

« هناك عرفت الفارق بينى وبينهم عرفت اننى مختلف عنهم . هم كانوا من الصفوة المختارة ، بالشعر الاشقر والعيون الزرقاء وثيابهم التى يبدلونها كل يوم وسياراتهم الخاصة » .

ووسط جماعة المثقفين فى المدرسة يلتقى سرحان بوولتر كراو وتوم جون كانت اغلبية الطلبة تعارض أى شيء وفى قسم التاريخ وقف شاب يقول « سابذل اخر نقطة من دمى للدفاع عن بلادى »

ويرد وولتر كراو ـ ان هذا لن يخدمك كثيرا ..

ويضج الفصل بالضحك وسرحان يحس بالسرور لان كراو صديقه

وبعد انتهاء الدراسة ، يسلم سرحان لكراو كتاب « صــفوة السلطة » من تاليف رايت ميلز ، الذى يقول عنه سرحان « انه كتاب رهيب ، يفتح ذهنــك ويكشف عن مدى الفارق بالنسبة للمظاهر البورجوازية المحيطة بنا » .. وأعطى كراو لسرحان كتابى « الغريب » و « الطاعون » لالبير كامى .

ودعا نادى العلاقات الخارجية بمدرسة « جون مور » سرحان لالقاء محاضرة عن الشرق الاوسط ، فارتدى قميصا نظيفا ابيض وافضل ملابسه وعند وصوله قال لنفسه :

« يا الهى انهم جميعا يهود »

وقد ادهشه ان كل فرد كان يجلس ويستمع فى هدوء ، وعندما انتهى ، وقفت فتاة جميلة ترتدى فستانا أنيقا جدا وتساءلت لماذا لا يقبل العرب الوضع الراهن بدلا من التحدث عن الحرب «وسألت بروح الجد : الا تستطيعون قبول السلام ؟»

ويرد سرحان فى مرارة : نحن كرماء فى الضيافة ، ولكن هل نتخلى عن ديارنا ؟ انتم تريدون منا ان نتخلى عن ديارنا .. كان سرحان رقيقا معها لانها كانت جميلة جدا وانيقة جدا . وقد تقول أنه انجذب اليها ، ولكنه يقول لنفسه ، انها ما زالت يهودية ..

اسود .... وعربى :

روى سرحان لى قصته فى كلية باسادينا .. كان متفـوقا فى العــلوم السياسية واللغات الاجنبية ، وكان يود أن يشتغل بالدبلوماسية ، ولكن يجب ان تكون غنيا لتصبح دبلوماسيا ، وعليك ان تقيم الحفلات ، وتصرف مرتب العام كله فى شهور قليلة .. وقال سرحان :

« رالف بانش ؟.. لقد نجح فى الدبلوماسية ، ولكنه تفوق مصطنع .. لقد تحدث الينا فى كلية باسادينا مرة ، وبعدها أدركت أن كونك عربيا أسوأ من ان تكون أسود » .

« فى أثناء احدى المناقشات ورد ذكر فلسطين ، وهنا جاءت فرصتى للكلام ، وتكلمت ساعة كاملة .. كان فى الفصل اثنان أو ثلاثة من السود اختفوا يصفقون لى .. وصفقت لهم عندما وقفوا يتحـدثون عن آلامهم .. ماذا كانت حجتى ؟.. قلت انه اذا كانت الولايات المتحدة صادقة حقا فى انها تفعل الخير ، كما تزعم ، فلماذا ترسل يهود هتلر الى فلسطين ؟ لماذا الى صحراء النقب ؟ »

ويقول سرحان ان كلماته كانت تلقى التاييد ، ولكن هذا كان مجرد استثناء لان اليهود كانوا فى كل مكان ، وكانوا يقفون ضده فى الكلية ويكفى أن يذكرلهم اسمه حتى يتجمدوا ويقولوا : « اوه .. سورحان »

سرحان وفتاة يهودية :

وفى ليلة دافئة من ليالى الربيع ـ بكلية باسادينا ـ سرحان يحتسى القهوة فى الكافيتريا مع عدة فتيات .. وقد اجتذبته احداهن وهى خمرية اللون ضئيلة الجسم .. هل يستطيع ان ياخذها فى سيارته الى بيتها الليلة ؟.. ركب الاثنان فى سيارته الكاديلاك القديمة وسالها اذا كان يضايقها ان يتوقف مرة عبر الطريق؟ وعندما يصل الى مزرعة كبيرة ذات اسوار بالية فى سان مارينو يقول لها : حسنا اننى اعمل هنا ، اننى اعمل بالزراعة هنا . ويوقف السيارة وراء بعض الاشجار ليبدا فى استكشاف الفتاة فى الظلام .. بينما يتحدث الاثنان عن المدرســـة .. ولكنها ليلة جميلة للغرام ..

ويقول سرحان وهو يلاطفها : اننى اود ان امتلك هذه المزرعة بدلا من صاحبتها اليهودية اللعينة ..

وترد الفتاة فى استرخاء وذراعاه ممدودان .. اننى يهودية

ويقول سرحان ((اوه)) كما لو كان شخص قد ضربه فى بطنــــه ، ويسرع بتوصيل الفتاة الى حيث تريد ويقول لها مثل اى جنتلمان حقيقى : انى اسف

عايدة تحتضر

عايدة سرحان تحتضر ، ويبدو انها كانت موفقة فى زواجها من صانع احذية فى بالم سبرنجر ، ولكنها عادت الى وطنها لتموت هناك ، وصار سرحان ممرضا متطوعا .. وعندما كانوا فى القدس حاولت هى أن تعنى به ، والان هو الذى يتولى العناية بها .. ان الامر ليس سهلا ، ان عايدة تحتضر من مرض سرطان الدم .. ويحل عيد ميلاد سرحان فى ١٩ مارس هو الان فى الحادية والعشرين ، أنه يحتاج الى ترفيه .. يركب سيارته الكاديلاك ويطوف حول شارع سن سيت .. هنـــاك اضواء النيون ولوحات كبيرة للملصقات ومتجر مشهور وكؤوس ويسكى والشبان يتجرعون ، عدد كبير منهم ، ان الظفر بفتاة فى تلك المنطقة هو أيسر شىء فى الدنيا ان كل ما هو مطلوب منك أن تشترى لها شيئا ، ثم يبدأ كل شىء

وفى اليوم التالى تموت عايدة .

لماذا لاتعود

ويذكر سرحان مناقشة سياسية ذات مساء عند زاوية احد الشـــوارع مع زميل قديم فى مدرسة مور . سرحان يستنكر سياسة الولايات المتحدة وزميـــله يساله فى النهاية : ((اذا كان هذا البلد لا يعجبك ، لماذا لا تعود الى المكان الذى جئت منه ؟..))

ويغضب سرحان ، حتى هذا الشاب الهزيل لا يريده فى أمريكا

ولكن .. كيف يعود ، وقد أصبحت دميته التى كان يلعب بها فى بقعة يحتلها الاسرائيليون .. ويطلق على نفسه اسما يثير الاسف « الرجل الذى لا وطن له ».

* * *

ولا ينسى سرحان يوم سقوطه من فوق ظهر حصان بنى اللون كان يجرى به بسرعة رهيبة ، فى يوم اشتد فيه الضباب ويقول أحد زملائه ممن شهدوا الحادث:

« لقد وجدته ، وظننت انه ميت ، ولكنه لم يكن كذلك .. انه لم يتحـرك ، وعندما دنوت منه لم أستطع أن أراه الا بعد أن اقتربت الى مسافة عشرة اقدام . كان الضباب شديدا ، وقد رأيته ملقى هناك كطائر جـــريح ، واقتربت منه وكان يتأوه ، ولما أدار رأسه استطعت أن أرى الدم فى أذنه وقلت :

ـ يا الهى انه ينزف من الداخل ، ولم تمض سوى ثوان قليلة حتى أدركت أن النزيف من جروح خارجية ، وقد تلطخ بقدر كبير من الوحـــل ، وكان الدم ينتشر على وجهه كله ، وظن انه صار أعمى ، كان خائفا ، وكان يصرخ : وجهى . عيناى . اننى .. صرخات مؤلمة أشبه بالصلاة وأخيرا وصلت سيارة الاسعاف ، ونقلت سرحان الى مستشفى « كورونا » .

وهكذا قضى على الامل الذى كان يراود سرحان فى أن يصبح « جوكى » .

الفهد الاسود

وفى شتاء عام ١٩٦٧ كان سرحان يهتم بسباق الخيل وقراءة الكتب .. وذات مساء من شهر مايو فى نفس العام كان يشاهد التليفزيون ، واستلفت نظره ٦ من السود من جماعة « الفهد الاسود » المسلحين بالمسدسات يتجهــون صـــوب « الكابيتول » .. انهم يقفون موقف المعارضة مثله ولكنهم يفعلون شيئا فى سبيل قضيتهم .. وفى يونيو شـاهد فى التليفزيون أيضا الحـــرائق التى وقعت فى « سنسناتى » على أثر وصول « راب براون » يقول أن حركة السود قد أعلنت الحرب .. وفى شهر يوليو تنشب الحرب فى نيويورك .. وفى مدينـة « كمبردج » بماريلاند يدعو راب براون اتباعه لتمزيق الرجل الابيض ويقول لهم « اكرهــوه حتى الموت .. أطلقوا عليه النار حتى الموت » .

وفى واشنطن يقول براون أن العنف طابع الحياة الامريكية ، ويتضح هـذا بوضوح فى ذهن سرحان ، من واقع الحياة ، فعلى شاشة التليفزيون صارت حوادث القتل وشائعات القتل شيئا مألوفا .

وفى فيتنام يتزايد عدد القتلى ، وتشمل حوادث العنف عدة مدن ، ويكتب سرحان فى مذكراته :

« انى انادى باسقاط الرئيس الحالى للولايات المتحدة الامريكية ، ليست لدى خطط محددة بعد ، ولكننى ساضع بعض الخطط قريبا . اننى فقير » .

ويشتد الاضطراب فى الشرق الاوسط .. هل هى حرب اخرى ؟ هنـــاك تحركات للقوات فى شبه جزيرة سيناء ، تحركات من الجانبين الاسرائيلى والعربى . واخبار كثيرة فى الصحف . وفى باسادينا يعيش سرحان لا حول له ولا قوة ، وكل ما يستطيع أن يفعله هو ان يقرا سيل الدعاية الصهيونية فى مجـلتى « تايم » و « نيوزويك » وكان يستمع الى الاذاعة المحلية والى ما يذيعه « جورج بوتنام » فى الساعة العاشرة ، وكان سرحان يقول لعادل ومنير ، بوتنام هذا اللعين الذى عاد الى الولاية بعد ان قضى تسعة شهور فى السجن بتهمة تدخين المارجوانا ، انه يقحم اليهود فى كل نشرة اخبارية .. آه لو اننى كنت مذيعا ..

ان شعور الكراهية يزداد فى نفس سرحان ولكنه عاجز عن ان يفعل شـيئا ومع هذا فهو يستطيع ان ينفس عن نفسه بما يكتبه بقلمه ، وفى ٢ يونيو ، وبعد أن استمع الى اذاعة بوتنام وتحيزه لليهود ، كتب سرحان فى كراسة من كراساته بيانا فريدا :

« ٢ يونيو سنة ١٩٦٧ ، الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا »

« اعلان الحرب على البشرية الامريكية ، انتقاما من جميع الوان المعـــاملات غير الانسانية التى ارتكبت ضدى من الشعب لامريكى »

وفى ٥ يونيو تهاجم النفاثات الاسرائيلية ســلاح الطيران المصرى ، ويزحف الجيش الاسرائيلى الى قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء وشواطىء بحيرة طبـرية ، مع تجاهل نداءات وقف اطلاق النار الصادرة من الجمعية العامة للامم المتحـدة ، وبعد ستة أيام خسر العرب حربا اخرى ، والاهم من هذا ، خسروا الســـيطرة الكاملة على جميع الاراضى التى كانت تسمى فلسطين .

ويحس سرحان ان اليهود يستخدمون كل وسائل الاعـــلام .. التليفزيون يعرض خرائط للشرق الاوسط قبل « الحرب » وبعدها ليكشف مدى ما استولى عليه الاسرائيليون ، والقناة ٩ تعرض افلاما قديمة تمجد فى التاريخ الاسرائيلى ، ومنها فيلم « الخروج » لبول نيومان .. ومحطات الاذاعة المحلية تحصـــل على أحاديث مع خمسين شخصية من شخصيات هوليود السينمائية وتذيع نداءاتهم لجمع الاموال لمساعدة اسرائيل فى كفاحها من اجل الحرية ..

ويعلن واريل أزتوك انه سينتج فيلما تبلغ تكاليفه مليـــون دولار باسم « أقصر يوم » .

واخفى سرحان شعوره بالحزن .. وحاول أن يشغل نفسه بالبحث عن عمل، ولكن عقبات كثيرة كانت تقف فى وجهه من بينها انه أجنبى .. غريب عن هـذا البلد ، يعامل من اهله معاملة خاصة .

وفى يوم الثلاثاء ٧ مارس يكشف السناتور روبرت كنيدى عن معارضته لحرب فيتنام ، أكثر من ذى قبل ، ويلقى كلمة فى مجلس الشيوخ يتساءل فيها عما اذا كان من حق الولايات المتحدة أن تقتل عشرات الالوف من الناس ..

لقد قرر كنيدى أن يرشح نفسه للرياسة ..

وفى عام ١٩٦٨ كتب ديفيد فايس مقالا فى صحيفة « ستردای ايفننج بوست » بعنوان « كيف يعتزم روبرت كسب المعركة » وقال فيه :

لقد تدافعت حوله الجماهير فى الحى التجـارى فى سكرامنتو وكان يخطب فيهم قائلا : « هنا ، وبينما تشرق الشمس ، يموت الرجال فى الناحية الاخرى من الارض وكان فى استطاعة احدهم ان يؤلف سيمفونية .. أو يعالج السرطان .. أى منهم كان يستطيع ان يبعث فينا الضحك من فوق خشـبة المسرح ! ان هؤلاء الشبان القاتلين فى مناطق الارز هم أهم مواردنا الطبيعية ، ويجب علينـــا ان نستعيدهم الى الحياة الامريكية ولهذا السبب فاننى أرشح نفسى رئيسا للولايات المتحدة » .

« كان اســتقبال روبرت كنيـدى فى لوس انجلوس شـــبيه بوصـــول الخنافس وقال انه لاشك ان « لبوبى » مزايا النجوم ، فقد كان الالاف يجـرون وراء سيارته . »

كنيدى فى فلسطين

ويعود سرحان الى بيته بعد جولة فى ملاهى المدينة ويجلس على الارض وهو يستند بمرفقيه ليشاهد ما أطلق عليه اسم « قصة روبرت كنيدى » على شاشة التليفزيون . ويتململ سرحان فى جلسته عندما أعلن المـذيع أن كنيدى كان فى فلسطين فى عام ١٩٤٨ مع اليهود .

يقول المذيع : فى عام ١٩٤٨ ذهب روبرت كنيدى الى اسرائيل كمراسل حربى وتقدم شاشة التليفزيون مشاهد الحرب تتوالى على الشاشة ، ثم لقطات من صور اللاجئين .. ويقول المذيع :

انه كان يعيش مع الجنود الاسرائيليين ، ويرى مناظر الحرب والموت عن قرب لاول مرة ، ويرى نهر الاردن وقد صار ماؤه أحمر اللون بسبب الدم الذى أريق .

وأمام المحكمة وقبل ان يقف ديفيد فيتس ليقدم البيان الافتتاحى لمرافعـة الادعاء ، صنع نموذجا لدهليز فندق الامباسادور ووضعه أمام المحلفين . وقال لهم

ان المسدس الذى قتل السناتور روبرت فرانسيس كنيدى قد تم شراؤه فى اغسطس سنة ١٩٦٥ ، ولاول مرة كشف فيتس عن واقعة مؤداها ان سرحان قد شوهد فى فندق الامباسادور فى ٢ يونيو قبل ليلة الانتخــاب بيومين وقال فيتس انه فى ٤ يونيو ، عندما ذهب معظم الناس الى صناديق الانتخاب ، ذهب سرحان الى ميدان للرماية يتدرب على اطلاق النار السريع ، وقال ان احد الشهود رأى سرحان وهو يتمشى فى دهليز قرب حجرة الاحتفالات ، فى ذلك المساء ، وراه شــاهد آخر فى حجرة غسيل الاوانى وهو يسأل عما اذا كان السناتور كنيدى سيمر من هــذا الطريق .

ومد فيتس المؤشر الذى كان فى يده وأشار الى الموضــــع الذى اطلق فيه الرصاص على كنيدى بالضبط .

وفى هذه النقطة ، قال فيتس ان سرحان خطا من حول مائدة الصوانى صوب السناتور كنيدى ، ومد ذراعه اليمنى واقترب بيده اليمنى من رأس روبرت كنيدى واطلق ثمانى طلقات .

وقال ان من المحتمل ان الرصاصة الاولى ادت الى وفاة السناتور كنيــدى بعد ذلك بخمس وعشرين ساعة .

وبعد الاستراحة وضع « فيتس » ميكروفون حــول عنقه بنــــاء على طلب الصحفيين ليتمكنوا من سماع مرافعته اثناء وجودهم فى حجرة مجاورة ، ثم واصل فيتس مرافعته واشار الى محــاولات ١٢ رجــــلا للامساك بسرحــان ، ثم الى القبض عليه .

وقال فيتس ان البوليس وجد بمنزل سرحان ، فى باسادينا ٦ مذكرات تخص المتهم ، وهنا قاطع كوبر الادعاء وطلب التقدم الى المنصة .. لم يكن القاضى قد اصدر حكما بشان ضم هذه المذكرات .. وطلب كوبر الا يتعرض فيتس للمذكرات ووافق القاضى وأنهى فيتس مرافعته قائلا :

« سيداتى سادتى ، ستبين بالادلة ان المتهم سرحان سرحان هو وحده المسئول عن الاحداث المفجعة التى وقعت فى فندق الامباسادور فى الساعات المبكرة من صباح ٥ يونيو ، وانه تصرف وحده وبدون تدبير مع آخرين »

كانت رواية فيتس متسمة بطابع الكآبة ولكنه لم يقل شيئا جــديدا ، وفى صباح اليوم التالى كان « اميل زولا بيرمان » هو الذى قدم الجــانب المثير فى القضية فى مرافعته .. قدم بيرمان دفاعا جذابا لا يكاد يصدق لتبرير ماحدث ، قال « عندما قتل سرحان السناتور كنيدى ، كان منفصلا عن الحقيقة والواقــع ، وربما كان فى شبه غيبوبة » ولكن لم يكد بيرمان يسترسل فى مرافعتــه لمدة ١٥

دقيقة حتى بدأ سرحان يتململ . لم يكترث بيرمان وراح يقول للمحلفين ان سرحان غير ناضج ومضطرب عاطفيا ومريض عقليا .

قال سرحان ـ لا .. لا ..

وبدأ يتحرك من مقعده ..

وهنا مال المفتش ويليام كونروى على « مـــاك كـوان » وقال له ـ تكلم مع سرحان يا ماك .

فقام ماك كوان وتبادل الاثنان عبارات غاضبة في صوت غير مســموع بينما راح بيرمان يتابع مرافعته وفى نفس الاتجاه ..

وقال للمحلفين ان التدهور العقلى الذى أصاب سرحان كان النتاج النهائى لعملية بدأت وهو فى سن الثالثة عندما نشبت الحرب فى فلسطين وتراكمت مرة واحدة اثناء حرب الايام الستة فى يونيو ١٩٦٧ وعند ذاك وجدت عقد الكراهيـــة والشك وعدم الثقة متنفسا لها فى عبارة أدخلها على مذكراته وهى اعلان الحـــرب « ضد الامريكيين » والوعد باغتيال الرئيس ونائب الرئيس ومن يأتى بعـدهما فى سلم المناصب .

وقال بيرمان ـ ان القتل لم تكن قد وضعت خطته ، ولم يكن متعمدا ، ولم يكن عن سبق اصرار بل كان نتيجة لعقلية وشخصية معقدة مريضة .

وعندما انتهى بيرمان من مرافعته رفع القاضى ووكر الجلســـة للاستراحة وأسرع الصحفيون الى التليفونات ، ونقل سرحان الى المكان الذى يحتجز فيه .

وفى اليوم التالى نشرت صحيفة النيويورك تايمـــز النص الكامل لمرافعـــة بيرمان ، الى جانب صورة على عمودين للمحامى اليهودى الذى يدافع عن لاجىء عربى فلسطينى فى لوس انجلوس .

ولكن صحيفة « واشنطون بوست » نظرت الى مرافعة بيرمان نظرة تهكمية ، وقالت ، ان المحاكمة ستكون مثيرة ، ويبدو ان الشىء الوحيد الذى ينقصها هو الحشيش ؟..

لم يكن هنـــاك شىء غير عادى فى الشـــهود الذين قدمهم الادعاء ، كان هنـــاك بضعة عشر شاهدا رأوا سرحان وهو يطلق النار . وأربعـــة أو خمسة اصـــيبوا بالطلقات ، وبضعة عشر شاهدا اخر رأوه وهو يتدرب على اطلاق النـــار فى نادى سان جابرييل فالى للرماية ، واثنان باعوا له المسدس واثنان آخـــران رأوه فى فندق الامباسادور فى ليلة ٢ يونيو ، ثم خبراء المفرقعات والاطباء والطبيب الشرعى الذى قرر سبب الوفاة ، ورجال البوليس الذين شاركوا فى اعتقال سرحان عقب

الحادث ، واخيرا رجلاالبوليس اللذين عثرا علىمفكرة سرحان فى مخدعهبمنزله، وخبير فى الخطوط شهد بان الكتابة كلها بخط سرحان .

واهتم الدفاع فىاسئلة الشهود بان يؤكد حقيقة هامة ، هى ان احدا لم يكن يعلم ان كنيدى سيتخذ طريقه عبر حجرة الكراد الا فى آخر لحظة ، وان سرحان كان يبدو قويا قوة غير عادية وهو يصارع العشرات الذين انقضوا عليه ، من بينهم العملاقان الرياضيان ، روزفلت جرير ورافر جونسون .

ولم يسمح بدخول كاميرات التليفزيون الى قاعة المحكمة ، ولذلك قبع مراسلو التليفزيون فى الردهة الشرقية بالطابق الثامن ، حاملين كاميراتهم واضواءهم ليسلطوها على كل شاهد يظهر بعد الادلاء بشهادته ، وليطلبوا منه أن يكرر امام العدسةما قالهأمامالمحكمة ، وقد عبرروزفلت جريرعن ضيقه وسخطهعلى المراسلين ـ الذين لا يهمهم سوى الاثارة ـ كما أعرب عن اله للضحكات العالية التى كانت تتردد فى قاعة المحكمة « وكانما نسى الناس بسرعة كل ما حدث »

وأمام المحكمة اكد بليمبتون اثناء استجوابه بمعرفة الدفاع أن عينى سرحان « كانتا على اكبر قدر من السلام والوداعة » .. واضاف : لقد اذهلنى .. فبينما كنا جميعا فى حالة لا حد لها من الهياج والانفعال .. وكانما هناك عاصفة هوجاء اخذت بتلابيبنا كان هو ـ مركز العاصفة وقلبها ـ يبدو مسالما .. وكان احساسى ..

فقاطعه كوبر :

ـ دعنا من احساسك .. نحن نريد أن تصف لنا ما رايته فعلا

ـ هذا ما اود ان أقول .. كان مسالما .. وكانما هو فى مكان آخر بعيد .

مجرد نكته

وكان هذا القول يؤيد مفهوم الدفاع أن سرحان فعل ما فعل وهو فى نوع من الغيبوبة ، ولكن الادعاء استطاع أن ينسف التأثير الذى تركه بليمبتون بواسطة شهادة رجل القمامة صديق سرحان واسمه الفين كلارك ، الذى شهد بان سرحان أبلغه قبل الحادث بنحو شهر انه يعتزم قتل كنيدى

واعتبر سرحان شهادة كلارك نكتة .. وكتم بيده ضحكة ساخرة وهو يشهد اضطراب كلارك عندما سأله المحامى بيرمان عن تصريح أدلى به من قبل لرجال مكتب المباحث الفيدرالى :

ـ هل تذكر عندما استدعيت للشهادة فى مكتب المباحث انك قلت لهم انك لا تريد أن تقسم اليمين لانك تمقت سرحان وتريد أن يحكم عليه ؟

واجاب كلارك بالايجاب ، واكتفى بيرمان بهذا قائلا ـ هذا كل شيء ..

ولكن سرحان عاد الى حديثه اثناء سماع شهادتى عاملى الفندق جيسوس بيريز ومارتن باتروسكى اللذين آكدا انه سالهما قبل الحادث بنصف ساعة عما اذا كان كنيدى سيمر من خلال حجرة الكرار ، ولم يحاول كوبر أن يناقش هذه الشهادة أو يواجه الشاهدين بصورة ميشيل واين الذى كان ايضا فى حجرة الكرار قبل اطلاق النار واخطاه الكثيرون على اساس انه سرحان ، ولكن سرحان مال على اذن مالك كوان هامسا له أن هذا غير صحيح . وانه لم يسال احدا بالمرة هذا السؤال . فقال مالك كوان انه لا يستطيع أن يؤكد ذلك مادام الثابت حتى الان انه فقد ذاكرته تماما ولا يذكر شيئا مما حدث قبيل اطلاق النار

والواقع ان كوبر كان قد بدا يشك فى صدق رواية سرحان عن فقده لذاكرته

شهد الضابطان اللذان القيا القبض على سرحان وصحباه لنقطة البوليس انه لم يكن مخمورا .. واعترف اصغرهما ، بلاسنشيا انه اختبر عينى سرحان ، فساله كوبر لماذا ؟ فاجاب :

ـ لارى عينيه .

فسال القاضى ووكر بصبر نافذ :

ـ هل اجريت على المتهم اختبارا للكشف عما اذا كان مخمورا أم لا ؟.

ـ كلا ياسيدى .

ـ اذن لماذا فحصت عينيه ؟.

قال بلاسنشيا انه شاهد بعض الضباط يفعلون ذلك فأراد أن يجرب بنفسه.

ـ هل تذكر الان ؟

وهكذا تذكر بلاسنشيا ان عينى سرحان ظلتا مفتوحتين ولم تهتز امام الضوء .

اما زميله فقد زعم فى البداية انه اختبر عينى سرحان وكانتا عاديتين . ولكنه بعد استجواب حاد من كوبر اعترفا انهما لم يكونا عاديتين تماما ، وعللا ذلك بانه كان خائفا ، وقال انه قرر ان يجرى اختبارا اخر لسرحان بعد أن يهدا روعه ..

ولكن التاثير الذى احدثه كوبر باستجوابه للشاهدين تبخر عندما القى الادعاء امام المحلفين بشيء ابلغ تاثير .. ذلك هو سترة زرقاء داكنة تخترقها خمسة ثقوب ، وصورتان ملونتان لرأس كنيدى وهو ممدد فوق مائدة العلميات بمستشفى جود ساماريتان .

ورغم معارضة كوبر .. اخذ المحلفون يتبادلون الصورتين .. بعضهم درسهما بامعان والبعض الاخر لم يطق النظر الى الصورة طويلا . ولكن كان واضحا ان الجميع قد انفعلوا بالصور .

وفى صباح ٢٠ فبراير ، نشرت جريدة لوس انجيلوس تايمز ، وفى الصفحة الاولى ، موضوعا اخباريا ثانيا حول التماس سرحان ، وقدم كوبر للمرة الثانية دفعا بعدم شرعية المحاكمة لنشر معلومات عن القضية ، فقال القاضى ووكر انه شخصيا مسئول عن جزء من هذه المعلومات التى نشرتها الجريدة .

واضاف ووكر انه فقط اراد ان يصحح ما جاء فى المقال الاول ، فصرح لمندوب التايمز انه لم يوافق على الالتماس . وانما اصر على ان يترك تقرير العقوبة المناسبة للمحلفين .

واصر كوبر على دفعه بعدم شرعية المحاكمة على نفس الاساس وهو « النشر الضار بمصلحة المتهم » .

ولكن ووكر قال انه استوثق من سكرتير المحكمة وبليارد بوليموس انالجريدة لم تصل الى أيدى المحلفين ولم يرها أحد منهم ، وايديوليموس قول القاضى . وعلى هذا الاساس رفض الدفع .

سرحان يعترض

وفى يوم ٢٤ فبراير استدعى الادعاء السيرجنت ويليام براندت للشهادة وكان براندت احد رجلى البوليس اللذين عثرا على مفكرة سرحان فى مخدعه ، وبينما كان دافيدفيتس يستجوبه أخذ سرحان يهمس منفعلا فى اذن بارسونز :

ـ هذه مذكرات خاصة .. وليس من حق البوليس ان ياخذها ما دام ليس معه اذن تفتيش .

وبناء على طلب كوبر رفعت الجلسة وقال كوبر للقاضى ان موكله يعترض على تقديم المذكرات .

وفى اليوم التالى حضر سرحان بدون رباط رقبة ، وبدون جاكتة ، وكانما يستعد للمعركة ، وطلب أن يجتمع بالقاضى فى غرفة المداولة .

وكان له ما أراد واقتيد سرحان تحت الحراسة الى غرفة المداولة ..وعندما دخل قال له كوبر بشىء من الحدة .

ـ اطفىء سيجارتك يا سرحان ، ان الجلسة فى حالة انعقاد .

وفعل سرحان :

وقال القاضى ووكر :

ـ هل تريد ان تقول شيئا يا مستر سرحان ؟

قال سرحان ـ يا صاحب السعادة .. اذا سمحتم بتقديم هـــذه المذكرات كادلة فانى ساغير موقفى . وساقول على الفور انى مـــذنب . لا لانى اريد ان ادخل غرفة الغاز . وانما لكى لا يتاح لك ياسيدى بعد الحكم على أن تقـــول للعالم مزهوا ، لقد سقت هذا الفتى الى غرفة الغاز ، ولكن بعد أن هيأت له قبل هذا محاكمة عادلة .

هذه المذكرات يا سيدى ملكية خاصة وقد سرقت من منزلى بواسطة رجال المدعى الاقليمى ، ولم يـكن معهم اذن تفتيش . ولم اسمح لهم أنا بذلك . ولم يكن لدى شقيقى عادل سرحان اذن منى بان يسمح لهم بدخول مخـدعى الخاص واخذ ما اخذوه منه ..

ورفع القاضى ووكر حاجبيه الى المحامى كوبر متسائلا .. فاقترح كوبر أن يسمح له بحديث مع سرحان على انفراد ولكن سرحان قال ـ كلا يا سيدى .. انى متمسك بموقفى فى هذه النقطة ..

واخيرا وافق سرحان على الاختـلاء بمحاميه ، ولكن كوبر عاد من اللقاء ليقول للقاضى ان سرحان متمسك بموقفه ، فقال القاضى :

ـ لقد قررت المحكمة الاخذ بهذه المذكرات ، واذا كان فى هـــذا خطأ فان المحكمة العليا تستطيع ان تصلحه .

واضاف ووكر ناصحا سرحان أن يدع كل شىء لمحاميه الثلاثة قائلا انه يعرفهم شخصيا منذ ٣٠ سنة ، ويعرف كم هم ممتازون اكفاء وعلى جانب كبير من الخبرة .

ـ انى ادرك هذا ياسيدى .

ـ وانا لا اقول انك ستذهب الى غرفة الغاز ، فالذى سيقرر العقـوبة هم المحلفون ، وحتى لو قرروا هذا فان من حقى أن اخفف العقوبة ، فاتبع نصـــائح محاميك واعلم انهم يؤدون عملا عظيما .

ـ حسنا .. لقد اردت أن اقول هذا هنا بدلا من أن انفجر فى قاعة المحكمة .

وعندما خرج الجميع من غرفة المداولة كان سرحان يبدو راضيا عن نفسه ، وابتسم ملوحا بيده لامه وشقيقه الجالسين فى الصف الثانى . ولـــكنه همس فى اذن ماك كوان قائلا :

ـ مايك .. سوف احرج هذا القاضى .

شهد الضابطان براندت وجيمس ايفانز بانهما وجدا المفكرتين والمظـــروف المكتوب عليه ر.ف.ك. يجب أن يذهب مثل أخيه .. فى مخدع سرحان .واعترف ايفانز عند استجوابه بواسطة كوبر انه لم يكن لديهم اذن تفتيش . وانه عثر على المفكرة الاولى على الارض .

ـ هل كنت تعلم شيئا عن محتوياتها ؟

ـ كلا ..
ـ هل كنت تدرك أين يوجد المتهم فى تلك اللحظة ؟
ـ اجل ..
ـ هل حاولت الحصول على اذن من المتهم بالحصول على المذكرات ؟
ـ كلا ..

اما الضابط توماس يونج ، الذى صحب سرحان فيما بعد الى منزله فانه شهد انه عثر على مظروف اخر كتب على ظهره « ر.ف.ك يجب أن تنتزع ملكيته ان روبرت فينز جراند كنيدى يجب أن يموت » .

وشهد خبير الخطوط لورانس سلون ان الكتابة بخط سرحان .

وعندما بدأ القاضى يناقش مع الخبير بعض صفحات المفكرين اللتين سبق ان اعترض عليهما سرحان ارسل المحلفين الى استراحتهم بالطابق التاسع ، واعترض كوبر على تقديم صفحات ١٢٢ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ ، حيث ترد فيها اكثر من مرة عبارة .. الولايات المتحدة « .. » قائلا : ان هذه عبارات غير لائقة ولا يجوز تلاوتها فى المحكمة ، وقال « وكما ترى ياصاحب السعادة ، فان المتهم قد استخدم وصفا شديد الاثارة للولايات المتحدة » .

وهنا نهض سرحان واقفا صارخا فى وجه القاضى :

ـ تمهل يا صاحب السعادة .

واخذ ماك كوان بشدة سرحان من ذراعه محاولا أن يرغمه على الجلوس ولكن سرحان واصل انفجاره :

ـ دعنى ..

ووافق القاضى ووكر على استبعاد صفحتى ١٢٣ و ١٢٤ وفى نفس الوقت طلب المدعى الاقليمى كوميتون ان يسمح باعطاء الصفحتين المستبعدتين للصحف قائلا :

ـ اعتقد أن من حق الجمهور أن يعرف الوصف الذى اطلقه هــذا المتهم على بلادنا .. وخصوصا ان ما ينشر لن يصل الى مسامع المحلفين .

ورغم اعتراض كوبر الشديد الا أن ووكر وافق على هذا قائلا :

ان المحلفين ممنوعون تماما من الاطلاع على الصحف أو مشاهدة التليفزيون أو سماع الاذاعة .. وقد أن الاوان لكى يعرف العالم كل شىء .

وعبثا حاول سرحان أن يتكلم ..

ـ يا صاحب اسعادة .. اسمح لى ..

ولكن ماك كوان والمحامين انقضوا عليه يمنعونه .. ومرة اخرى يعلن القاضى رفع الجلسة .. ودخل الجميع الى غرفة المداولة ، ولمدة نصف ســاعة حاول

المحامون اقناع سرحان ولما فشلوا استدعوا مارى سرحان وشقيقه منير للاشتراك في اقناعه . وقال مالك كوان للام ان سرحان يريد ان يطلب الاعدام .. فهل تستطيعين ان تقنعيه بالتراجع عن هذا العزم .. وخرجت الام بعد عشر دقائق مختنقة بالبكاء وهى تقول :

ـ انهم يحاولون القاء كل القاذورات عليه .

واخيرا خرج المحامون والمدعون وكذلك خرج سرحان وهو يمسح الدموع من عينيه ، وكان يبدو اكثر استسلاما « وبذل جهدا لكى يبادل مالك كوان ابتساماته » ..

وبناء على طلب بيرمان ، تقرر تاجيل الجلسة للصباح التالى ، وصرح كوبر للصحفيين ان سرحان طلب أعدامه ، ولكن القضية سوف تستمر . وفى نفس الوقت طلب منى بيرمان الاتصال بالدكتور دياموند لكى أساله نصيحته .

وكان راى دياموند ان ما حدث يؤيد وجهة نظر الدفاع ، وقال انه ينصح المحامين بان يتركوا سرحان ينفجر كلما أراد امام القاضى ، والا يعاملوه كطفل .

وقال بيرمان لسرحان :

ـ توقف عن رفع اصبعك فى وجه القاضى .. فانك تبدو كانك تصوب نحوه كما صوبت مسدسك فى راس كنيدى .

شهود الدفاع

وفى اليوم التالى ، انفجر سرحان مرة أخرى ، وكان بارسونز هو السبب اذ ناوله قائمة باسماء شهود الدفاع .. فهتف :

ـ كلا .. كلا .. كلا .

وتناول قلما وشطب بحدة على القائمة كلها فى حركة غاضبة واخذ ينظر الى فى غيظ لان القائمة كان مكتوبا على راسها انها من اقتراحه . وكانت تشمل استدعاء أمه مارى سرحان وشقيقه عادل للحديث عن ايام سرحان الاولى وانطباعات الحرب عليه ، وجون هورست من مجلس الكنائس العالمى وكان يعرف سرحان ايام حياته مع اللاجئين ، وزياد الهاشمى صديق طفولته فى القدس ويعيش الان فى شيكاغو وعددا من مدرسى مدرسة باسادينا وكلية باسادينا وميلاردشيتس صاحب خيول السباق الذى شهد سقطة سرحان من فوق ظهر الجواد ، وبيجى أوستر كامب الشقراء الفاتنة لتشهد بانها لم تكن تعير سرحان أى التفات ، فى الوقت الذى تشيد مذكراته بانه كان يحلم بها دائما . و٤ شهود اخرين من أصدقاء سرحان ليشهدوا كيف تغير بعد سقطته من فوق الجواد ، ومنير سرحان

ليشهد كيف كان سلوك سرحان غير العادى فى الفترة الاخيرة ، وتوم رانك الذى اغرى سرحان بدراسة السحر ، واحد قادة جمعية الروزيكروشيانز .. وخمسة عاملين بفندق الامباسادور رأوا سرحان وهو يشرب قبل الحادث وفتاة أخرى مجهولة « ما زلت أبحث عنها » وريتشارد لوبيك الذى كان يقف الى جوار كنيدى تماما ، وسمع شخصا يهمس : « كنيدى .. يابن .. » وبعدها دوت الطلقات .. ثم شهادة سرحان نفسه ليقول كيف كان وقع خطاب كنيدى عليه فى ١٨ مايو ، ثم الشريط التليفزيونى للخطاب الذى اذيع يوم ٢٠ مايو ، واخيرا الاطباء ايب وماركوس وريتشاردسون وسكور ودياموند للادلاء بوجهة نظرهم .

وكان عدد الشهود الذين اقترحهم فى قائمته ٢٩ شاهدا وشاهدة بخلاف الفتاة الغامضة التى ورد ذكرها فى كتاب كتبه صديق سابق لسرحان اسمه عزيز شهاب ، ويعمل فى جريدة سان انطونيو اكسبريس ، تحت عنوان « سرحان » وذكر فيه أن سرحان كان يعانى من صدمة عاطفية بسبب تخلى فتاته عنه ، وان هذه الفتاة التقت بسرحان مصادفة فى ليلة الحادث ولكنها رفضت الاصغاء اليه وان هذا هو الذى قلب سرحان راسا على عقب .

وحاول كوبر ان يقنع سرحان بضرورة استدعاء هؤلاء الشهود أو بعضهم للتدليل على أن سرحان لم يكن فى حالة وعى كامل لحظة اطلاقه النار ولكن سرحان اصر على قول ..

ـ اسبابى سياسية .. ان اسبابى سياسية .

قال كوبر انه يدرك هذا .. ولكنه يريد ان يوضح كيف أن ماساة الطفولة هى التى انفجرت بعد ٢٠ عاما لتقتل كنيدى .

وهدد كوبر سرحان قائلا انه ما لم يخضع لرأى محاميه فلن يسعه الا أن ينسحب ويتخلى عن مهمته .

ـ فقال سرحان .. ليكن ، ما دمت ترى الامور على هذا النحو ..؟

وقف المحاكمة

وفى قاعة المحكمة ، اخذ الطبيب الشرعى الدكتور نوجوتش يطيل ويعيد فى وصف الاصابات التى قتلت كنيدى ، حتى اعترض كوبر طالبا منه أن يقتصر على تلاوة تقريره كطبيب شرعى .

وطلب كوبر تاجيل الجلسة حتى يتمكن من استدعاء شهوده .. وقرر القاضى منح الدفاع يوما واحدا فقط على أن تعود المحكمة للانعقاد يوم الجمعة ٢٨ فبراير ،

وطلب سرحان الاجتماع بى « لانى أعددت قائمة الشهود » ، وبمحاميه العربى عابدين جبره . وعندما جلس الجميع حول المنضدة فى الزنزانة قال لى سرحان « خبرنى بحق الجحيم .. ماذا قلت عنى فى كتابك ؟ » .

قلت : اننى لم اكتب سطرا واحدا بعد ، ثم سألته : ما الذى يقلقك ؟

قال سرحان انه مصمم على موقفه . وانه سيطلب بنفسه الحكم باعدامه ، ووقف المحاكمة ، ليس فقط لانه يعتبر ان حقوقه الدستورية قد اهدرت ، وانما ايضا لانه يرفض ان يقال عنه انه مجنون .

ـ اليس من الجنون أن تطلب الموت بنفسك ، وتقول ارسلونى الى غـــرفة الغاز ؟

ـ لا يهمنى ما تعتقده . ولكنى اريد أن اثبت للعالم كله انه لا توجد عدالة فى أمريكا .. ان هذا سيكون وصمة فى جبين الولايات المتحدة .

ـ هل هذا حقا ما تريد ؟

قال جبره ـ اذا كان هذا هو ما تريد ، فانا لا شأن لى بذلك .

قلت لسرحان : لن تتوقف المحــاكمة .. سيقول لك القــاضى اجلس ودع محاميك يتكلمون ..

فتراجع سرحان قائلا : انا لا ادرى حقا كيف أفكر .

ـ اذن دع من منحتهم ثقتك يفكرون لك ..

ـ لا بد من وقف هذه المحاكمة .

ـ الطريقة الوحيدة هى أن يكون لديك معلومات جديدة .

ـ حسنا .. ان مكتب المباحث الفيدرالية لا يعرف كل شىء .. ما رأيك لو قلت هذا فى المحكمة ؟

توقفت لحظة وسألت نفسى : « ترى هـــل حان الوقت لمعرفة الحقيقــة كاملة ؟ » ـ اذا كان حقا لديك معلومات اخرى فانك تستطيع أن توقف سـير المحكمة الآن ، هذه هى الطريقة الوحيدة .. فاذا كان هناك آخرون .

ـ كلا .. لا يوجد اخرون .

ـ اذن فلن يكون لديك شىء مهم .

وجاء ماك كوان ليحاول بدوره اقناع سرحان بقائمة الشهود ، ولكن سرحان رفض فقال ماك كوان انه اذا أصر على موقفه فعليه أن يجد محامين اخرين .

فقال سرحان ـ حسنا .. سوف أدافع أنا عن نفسى ..

قلت له ـ ان الجراح لا يستطيع أن يجرى عملية الزائدة الدودية لنفسه ..

تهديد سرحان

وعادت المحكمة الى الانعقاد يوم ٢٨ فبراير ، وبدأ الدفاع يقدم شهوده .
وشهد زياد الهاشمى ان والد سرحان كان يضربه كثيرا ، ليس بسبب شقاوته ،
وانما لان الاب كان شديد الانفعال .

وعندما استدعى جون هاريس مسجل مدرسة باسادينا حيث كان يدرس
سرحان وأخذ يدلى بالدرجات المنخفضة التى كان يحصل عليها فى « القدرات
الذهنية » طلب سرحان من بارسونز أن يلتمس من القاضى رفع الجلسة لانه يريد
أن يتحدث اليه فى غرفة المداولة ، ولكن القاضى رفض ، وبدلا من ذلك اخلى
القاعة من المحلفين ، وقال كوبر ان سرحان يعترض على هذا الشاهد وعلى ١٢
شاهدا اخرين ثم أضاف انه يفضل أن يتحدث سرحان عما يريد بنفسه فالتفت
القاضى الى سرحان وسأله :

- هل لديك ما تريد ان تقوله ؟
- هل استطيع ان اتحدث الى المحكمة فى غرفة المداولة ؟

وبذل سرحان جهدا كبيرا لكى يظل متمالكا نفسه .. وتقلصت يداه على
مسندى مقعده وهو يقول :

- اذن فانى يا سيدى اسحب قولى بانى غير مذنب .. واقرر انى مذنب
بالتهمة كما جاء فى قرار الاتهام ، كذلك ، فانى اطالب بسحب هيئة الدفاع
بالكامل ..
- هل افهم - قف اولا - هل افهم انك تقرر بانك مذنب من الدرجة الاولى.
- اجل يا سيدى ..
- حسنا .. وماذا ستفعل بشأن العقوبة ؟
- لن اتقدم بأى دفاع يا سيدى .

وفى لحظة .. كان مراسلو وكالات الانباء خارج الغرفة ليطيروا النبأ
للعالم اجمع ..

وعاد القاضى يقول :

- انا لا اعرف شيئا فى القانون يسمح للمتهم ان يتقدم بقوله انه مذنب
من الدرجة الاولى ، ويطالب باعدامه .
- حسنا .. انى افعل ذلك الان يا سيدى .
- ولكن لماذا تريد ان تفعل ذلك ؟
- اعتقد يا سيدى ان هذا شانى . اليس كذلك ؟
- كلا انه ليس كذلك . فلابد ان تقدم سببا .

ـ انا قتلت روبرت كنيدى عمدا ومع سبق اصرار استمر ٢٠ سنة .. هذا هو السبب .

ـ حسنا .. يجب أن تقدم الادلة على ذلك .

ـ بلا ادلة يا سيدى ..

ـ لا يوجد فى القانون اجراء كهذا .

ـ الى الجحيم بكل شيء .

ـ حسنا .. ان المحكمة لا تقبل كلامك ، وستستمر فى المحاكمة ، واحب ان تفهم الان ان المحكمة لن تسمح لك بمقاطعتها مرة اخرى .. وسوف تمنعك من المقاطعة . اعنى انك لو قاطعت مرة أخرى سنكمم فمك ، ونربطك الى مقعدك .

ـ على أية حال يا سيدى فانى مصمم على الدفاع عن نفسى بنفسى ولااريد أن يمثلنى هؤلاء المحامون .

ـ لقد وكلتهم من قبل ، وسيستمرون فى المحاكمة .

ـ انى اقول لن أدع احدا يرغمنى على ابتلاع هذه المحاكمة . ولن تستطيع انت يا سيدى أن ترغمنى على ذلك ..

ـ تقول انك تريد ان تدافع عن نفسك بنفسك ؟

ـ اجل ..

ـ دعنى أسألك .. ماهو دفاعك ؟ ما هى أركان جريمة القتل ..

ـ سيدى .. انا لا اعرف ولا افهم شيئا فى هذه القوانين ، ولكن دعنى.

ـ انى المسئول عن سير الاجراءات هنا . ما هى أركان الدفاع عن الجريمة من الدرجة الاولى ؟

ـ لا اعرف ..

ـ انى ارى انك غير قادر على الدفاع عن نفسك . فاجلس والزم الصمت. والا فسوف اجعلك تصمت رغم انفك ..

ولكن سرحان تشبث بموقفه .

ـ سيدى .. انى متمسك بالنقطة الاساسية . انى اقر بانى مـــذنب ، وأطلب الحكم على بالاعدام .

ـ متأسف .. اقرارك غير مقبول .

ورغم اعتراضات سرحان ، أصر ووكر على السير فى القضية ، واستدعى المحلفين ، ولكنه رفع الجلسة للاستراحة .

وفى داخل قفص الاتهام ، قال كوبر لسرحان انه شخصيا يود الانسحاب

من القضية ولكنه لا يظن ان القاضى سيسمح بذلك . واحضر أحد الضباط بعض الاربطة وكمامة فقلت لسرحان :

ـ هذا من اجلك ..

* * *

عادت الجلسة الى الانعقاد : ونهض كوبر وقال للقاضى ووكر أن سرحان ابلغ المحامين الثلاثة انه يسحب توكيله لهم ، وانهم ايضا لا يريدون الاستمرار فى الدفاع عن متهم لا يريدهم .. واضاف كوبر :

ـ انى اريد ان اسجل هذا للتاريخ . لقـد طلب منا ان ندافع عن سرحان .. وقبلنا ذلك دون مقابل . وقد أعددنا كل الادلة التى تثبت بما لايقبل الشك دفاعنا القائم على أساس نقص القدرة العقلية .. ولكننا مختلفون مع موكلنا فى وجهات النظر ولقد اشتغلت بالمحاماة سنوات طويلة ولن اسمح لنفسى ابدا أن أدع المتهم هو الذى يقرر كيف يكون الدفاع القانونى .

وأكد كوبر انه شخصيا وزملاءه يرغبون حقا فى الانسحاب ، ولكنهم لا يريدون أن يتصـور سرحان انهم يتخلون عنه ، ولذلك فهم يتركون القول الفصـل للمحكمة .

فقال ووكر :

ـ ان القانون لا يسمح للمحامى بالانسحاب اثناء نظر القضية الا لسبب مقبول . وقد درست الامر فوجدت أن الاسـباب التى تقدمونها ليست مقبولة . فهل انتم مستعدون للاستمرار فى الدفاع .

ـ كما تشاء يا صاحب السعادة ..

وهكذا .. استأنفت القضية سيرها . واستدعيت مارى سرحان .. وكانت متمالكة نفسها فى البداية .. ولكنها كادت تنفجر باكية وهى تجيب على سؤال لكوبر يقول :

ـ كم سنة عشتم فى القدس قبل مولد سرحان ؟

ـ حسنا .. لقد عشنا فى القدس آلاف السنين . ان عائلتى عاقبت اجيالها جيلا بعد جيل لآلاف السنين فى القدس .. مدينة السلام .

وتدفقت دموع الام العربية وهى تكرر .. مدينة السلام .. العالم كله يعرفها باسم مدينة السلام .

وقرر ووكر أن يرفع الجلسة حتى صباح يوم الاثنين .

خلاف الاطباء

وفى صباح اليوم التالى ، السبت أول مارس ، وصل دياموند بالطائرة من سان فرانسيسكو ليتبادل الرأى مع بيرمان .

وتحدث دياموند لمدة ٣ ساعات ، أشار خلالها الى القضايا الثماني التى اخذت فيها المحكمة بنظرية « نقص القـــدرة العقلية » على مدى العشرين عاما الماضية ، وقال فى النهاية انه مقتنع تماما بان هذا ينطبق على حالة سرحان ولكن لا بد من مراعاة وجهة نظر بولاك الذى لا يفهم القانون على نفس الصورة التى يدركها دياموند والذى لا يفرق بين «نية القتل » و « سبق الاصرار » .

وعكف بيرمان مرة أخرى على دراسة تقرير بولاك .. وخرج منه بنتيجة أن بولاك لم يتخذ رأيا قاطعا . فمع أنه قرر أن سرحان « مريض نفسيا » ومصاب بحالة من الشيزفرانيا ذات ملامح هستيرية الا أنه قرر أيضا ان هذا لا علاقة له بقتل كنيدى .

وفى نفس الوقت كان دافيدفيتس وجون هوارد يدرسان نفس التقرير فى مكتب الادعاء وكان فيتس يردد :

ـ انه يناقض نفسه .. أفضل الا تدعوه للشهادة .

ولكن المشكلة هى ان كوبر قد يطلبه ، اذا لم يطلبه الإدعاء .

اغنية لام كلثوم

وفى يوم الاحد ٢ مارس اجتمع الاطباء وعلماء النفس فى مكتب كوبر وتقرر فى هذا الاجتماع أن يدلى الدكتور سكور بشهادته أولا ، ثم يتلوه الاخرون ، بحيث يختتم دياموند فى النهاية .

ووصل الى مكتب كوبر البارون سركيس نحاس ، وبصحبته السفير عيسى نخلة ، رئيس الوفد الفلسطينى بالامم المتحدة ، واصطحب كوبر نخلة الى السجن لزيارة سرحان ، طالبا منه أن يقنعه بالتعاون مع محاميه . وبعد مناقشة طويلة ، قبل سرحان أن يتعاون مع المحامين .

وبعد قليل وصل الى الزنزانة الدكتور دياموند ، وماك كـوان وكنت معهـم بناء على طلب كوبر ، وذلك لكى يرى السفير عيسى نخلة بنفسه سرحان تحت التنويم المغناطيسى .

وسرعان ما نوم سرحان ، وأخذ يبكى عندما ذكره بمأســاة الحـــرب فى القدس .. ولكن ذكرى المأساة هزت عيسى نخلة الى حد اخذ معه يرجـو دياموند أن يعيد سرحان الى وعيه ففعل ، بعد أن أوحى اليه أن يغنى عندما يفيق أغنية عربية بمجرد ان يخرج دياموند منديله من جيبه .. وبالفعل . أفاق سرحان وأخرج دياموند منديله من جيبه فاذا بسرحان منطلق مرددا احدى أغانى أم كلثـوم .

ولكن كوبر لم يلق أى اهتمام الى كل هذا ، فلقد كان مقتنعا أن سرحان مصاب « بارانوياسياسية » وهذا يكفى ولم يكن مهتما على الاطلاق بالتأكد من

نظرية دياموند التى تقول أن سرحان قتل كنيدى وهو فى حالة تنويم مغناطيسى وربما كان هذا هو التفسير الصحيح .. الا ان كوبر ـ كما يبدو ـ كان فى قرر استبعاده لانه مغرق فى الخيال .

وجاء يوم الاثنين . وواصلت مارى سرحان شهادتها ، وأخذت تجيب على أسئلة بارسونز .. وطلب كوبر السماح لعيسى نخلة ، باعتباره عضوا فى نقـابة المحامين البريطانيين ان ينضم الى مجلس الدفاع . ووافق ووكر على الطلب مرحبا . واخذ نخلة مكانه بين ماك كوان وبيرمان الذى استشاط غضبا ، فلم يكن يخطر على باله أنه سيأتى يوم يعمل فيه مع رئيس الوفد الفلسطينى العربى بالامم المتحدة .

واستدعى عادل سرحان فأوضح كيف ان حالة سرحان وتصرفاته تغيرت منذ سقط من فوق ظهر جواده ، وانه كا نيقضى معظم وقته وحيدا فى غرفته وكيف كان انفعاله يتضاعف يوما بعد يوم ازاء الانباء الواردة من الشرق الاوسط .

ورفعت الجلسة للاستراحة .. وقبل أن تعود للانعقاد توجه كوبر الى سرحان ليذكره بوعده أن يتمسك بالهدوء .

شهادة سرحان

وفى الساعة الثالثة و ٥ دقائق وقف سرحان فى مكان الشهود ليجيب على أسئلة محاميه جرانت كوبر ، بعد أن أقسم اليمين ، رافعا قبضة يده اليمنى على طريقة ثوار العالم الثالث .

ـ هل أطلقت النار على روبرت ف. كنيدى ؟

ـ اجل يا سيدى .

ـ هل كنت تحمل أية نوايا سيئة ضد السناتور كنيدى ؟

ـ كلا .

ـ هل تشك فى انك قتلته ؟

ـ كلا يا سيّدى .

وأشار كوبر الى احدى صفحات المفكرة الاولى وقال ـ هل هذا هو خطك ؟؟

وتلا كوبر بضعة سطور تقول « ر.ف.ك يجب أن يموت ـ ر.ف.ك يجب أن يقتل روبرت ف . كنيدى يجب أن يغتال قبل ٥ يونيو ٦٨ »

وسأل كوبر سرحان عن حياته فى معسكرات اللاجئين .. وتحدث سرحان باسهاب ، عن الحياة وبطاقات الغذاء ، وطوابير الواقفين فى انتظار الوجبات ثم قال : « اللعنة .. كان الجو قارس البرودة » .

فقال كوبر بحدة ـ حافظ على كلماتك يا سرحان .

واخذ سرحان يسرد بعض ذكرياته عن تلك الفترة ، ذات يوم شد دلوا من البئر ، فوجد مع الماء يدا آدمية ، وذات مرة سمح له احد الجنود العرب بالنظر من خلال منظار مكبر عبر الاسلاك الشائكة قال - انظر .. انها أرضنا هناك .

واستطرد سرحان .

- لم افهم ما يعنيه حينذاك .. ولكنى افهم الان .

وهنا قرر القاضي ووكر تأجيل الجلسة للغد .

وفى اليوم التالى عاد سرحان الى مكان الشهود ، وقد بدا اكثر هدوءا وتمالكا لنفسه . ولدهشتي الشديدة اخذ يتحدث باستفاضة عن الشيء الذى طالما أصر من قبل الا يسجل فى جهاز التسجيل .. روى تجاربه السحرية ، والكتب التى اشتراها أو استعارها فى هذا الشان .. وقدرته على نقل الافكار .

وذكر حادثة الحصان الذى جعله - وهو جالس فى مكانه يخرج على خط السباق ويقفز فوق السور فى ميدان هوليود بارك .

وبدا سرحان فى صورة أخرى تماما عندما ساله كوبر عما يعرفه عن النزاع العربى الاسرائيلى . فاخذ يتحدث بلغة سليمة ، وصوت واضح النبارت ولهجة متزنة ، عن تطور الحركة الصهيونية من هيرتزل الى حايم وايزمان . والصفقات التى عقدتها الصهيونية مع كل من بريطانيا وفرنسا .. وضمن حديثه سلسلة من الارقام والاحصاءات حول تهجير اليهود الى فلسطين ، وكانت بالفعل محاضرة جيدة مدروسة اذهلت مندوبى الصحف الذين لم يروا فى سرحان حتى هذه اللحظة الا مجرد الرقم « ٨٩١ ك » الذى يحمل كسجين .

وقال سرحان :

- تسألنى يا سيدى عن اثر هذا على نفسى ؟ ها أنت ترانى .. انسانا بلا وطن .. بلا مكان استطيع القول بانى انتسب اليه .. انسان اجنبى .. غريب .. وحيد .. أننى أريد مكانا لى .. يتحدث فيه الناس بلغتى ويتناولون طعامى ويشاطروننى رأيى السياسى .. أريد هويتى كعربى كفلسطينى عربى .

وتوهج وجه سرحان .. وأخذت قبضته تدق على الحاجز امامه وهو يردد بانفعال :

- أريد بلدى .. وطنى .. مدينتى .. ارضى .

واستمر سرحان يتحدث أكثر من ٢٠ دقيقة ، وذكر كيف انه كان يحترق كمدا وهو يرى الصور الفوتوغرافية لجنود اسرائيل على شاطىء قناة السويس

وود لو استطاع ان يفتك بهم جميعا ، ثم وهو يقرأ ان يهود الولايات المتحدة جمعوا ٢٧٠ مليون دولار لمساعدة اسرائيل .

ـ كل هذا تعطيه الولايات المتحدة لاسرائيل « فماذا اعطتني انا » ؟

وفي مقصورة المحلفين كان المحلف اليهودي بنيامين جلبك يهز راسه مكذبا كل ما يسمعه .. وعندما رفع القاضي الجلسة قال بيرمان لكوبر انه سينسحب من هيئة الدفاع بسبب وجود عيسى نخله فرجاه كوبر ان ينتظر حتى الساعة الرابعة .

وعندما عادت الجلسة الى الانعقاد استانف كوبر استجواب سرحان .. فساله عما اذا كان يذكر ما كتبه في مذكراته يوم ١٨ مايو فقال سرحان انه يذكر انه في ذلك اليوم كان يجلس أمام التليفزيون يشاهد فيلما تسجيليا عن روبرت كنيدى ، وانجازاته عندما كان نائبا عاما ، واعماله كرجل سياسى ، وصلته الوثيقة بالرئيس الراحل جون كنيدى ، وميله الى مساعدة الفقراء والضعفاء .

ـ ثم ظهرت صورة كنيدى وهو يعمل صحفيا في اسرائيل عام ١٩٤٨ وصوت المذيع يقول انه كان هناك يساعد الاسرائيليين على تحقيق استقلالهم . واتضحت أمام عيني الحقيقة الرهيبة .

وارتفع صوت سرحان وهو يقول بانفعال :

ـ لقد كان يفعل أشياء كثيرة لا اعلم عنها شيئا .. كان يفعلها من وراء ظهرى .. ولقد حز هذا في نفسي .. ولو كان امامي في هذه اللحظة ـ هكذا كنت احس ـ لكان من المؤكد ان يموت .. لقد كان كل ما في يحترق بالنار يا سيدى .. كنت احترق .. كنت احترق يا سيدى .

اذن فقد كان هذا ما جعله يكتب ما كتب حينذاك .. وبعد أسبوع او عشرة أيام سمع المزيد من تأيد كنيدى لاسرائيل ، ووعده في النادى الصهيوني ببيفرلى هيلز بارسال الـ ٥٠ قاذفة قنابل لاسرائيل عندما يتولى السلطة .

يهودية المحامى

وفي اثناء الاستراحة ، لم يكن قد بقي في بيرمان المحامى سوى الجانب اليهودى منه . فاخذ ينفخ دخان سيجارته غاضبا وهو يردد :

ـ هذا محرج لى جدا ، فلم اكن اعتقد ان المسالة ستاخذ شكلا سياسيا .. ان القضية اصبحت قضية اغتيال سياسى .

واضاف بيرمان انه يعتقد ان نخلة ونحاس هما اللذان اقنعا كوبر باتاحة الفرصة لسرحان كي يستخدم المحكمة كمنبر لنشر ارائه ضد اسرائيل .

وعادت الجلسة الى الانعقاد .. ومرة اخرى يقف سرحان في مكان الشهود

* وسأله كوبر عما ورد فى مذكراته بشأن ضرورة قتل الرئيس السابق جونسون وارثر جولدبرج .

ـ هل اعتزمت فعلا قتل الرئيس جونسون ؟

ـ كلا ولكن كرهت هذا الرجل لسبب واحد . هو انه كان يقرر كاذبا دائما انه يؤيد السياسة الاقليمية لكافة البلدان .. ولكنه احال حياة جميع الشعوب الى جحيم .

وعندما رفعت الجلسة قال بيرمان للصحفيين انه يفكر فعلا فى الانسحاب والتفت الصحفيون الى كوبر وسأله احدهم لماذا جعل سرحان يشهد بما شهد به دون موافقة بيرمان . فقال كوبر أن بيرمان اعترض فعلا ١١ مرة على استدعاء خبراء فى النزاع العربى الاسرائيلى للشهادة ، ولكنه وافق على أن يكتفى بسرحان . غير أن الذى فاجأ بيرمان انه تبين ان مايعرفه سرحان ، وما يستطيع قوله عن النزاع العربى الاسرائيلى أقوى عدة مرات مما كان يتصور .

وفى المصعد النازل الى الطابق الاول ، قال بيرمان لاحد الصحفيين دون أن يتنبه الى وجود مارى سرحان :

ـ واضح أن سرحان شخص مجنون .. هذه الكتابة فى المذكرات لا تدل الا على انه مجنون جنونا مطبقا ..

فبادرته مارى سرحان وعيناها تقدحان شررا :

ـ ما هذا الذى تقول ؟ أنا لا أحب هذا ، ولا ينبغى لك أن تقول أن ولدى مجنون انه فعل مافعل من أجل بلاده ..

وتراجع بيرمان قائلا :

ـ انا لا اقول انه مجنون .. فقط هو شخص غير عادى .

وفى نفس اليوم ، اقنع كوبر بيرمان بعدم الانسحاب ، ولكن كان واضحا أنه بقى رغم انفه ، ومنذ ذلك اليوم لم يعد نفس المحامى المتحمس لموكله مثلما كان من قبل .

وفى نفس اليوم تلقى كوبر أنباء مشجعة من الدكتور دياموند ، تقول أن الدكتور ديفوس ، أحد كبار علماء النفس وصل الى نتيجة تؤيد أن سرحان مصاب بالشيزوفرانيا دون أدنى شك ، بعد أن عرضت عليه تقارير الاطباء المختلفة لتقييمها .

* * *

ولليوم الثالث يقف سرحان فى مكان الشهود ، ويقتبس كوبر عدة فقرات اخرى من المذكرات تقول : « روبرت كنيدى يجب أن يموت .. الولايات المتحدة يجب أن تتحول الى مجتمع عادل » .. عشرات المرات ثم يسأل سرحان :

ـ اليس هذا خطك ؟
ـ بـلى ...
ـ متى كتبت هذه السطور ؟
ـ لا اذكر ..
ـ ماذا كان شعورك وانت تكتبها ؟
ـ ماتقوله الـكلمات على وجه الدقة .
ـ وماهو شعورك الان ؟
ـ انها تبدو غريبة ياسيدى .. انا لا اذكر انى كتبتها ابدا ، ومع ذلك فهى بخطى ، ولكن لا أذكر بالمرة انى كتبت شيئا كهذا .
ـ هل تعتقد أن الولايات المتحدة لم تكن كريمة معك ؟
ـ انها لم تكن كريمة مع شعبى كله .

وأخيرا انتهى كوبر من المذكرات ، وقدم للمحكمة نسخة من مجلة «روزيكرو شيانز دايجست » تحتوى عنوانا بتوقيع ارثر ج فيتنج بعنوان « سجلهـــا كتابة » ، وجدت فى مخدع سرحان :

وسأل : هل قرأت هذا ؟
ـ أجـل ..

وتلا كوبر المقال ، بعد أن استأذن المحكمة فى تسجيله على شريط التسجيل

وكان المقال يقول : « قرر أن تفعل شيئا جريئا ، شيئا مثيرا ، ولـكن سجل ماتريد صنعه كتابة .. ضع خطتك وهدفك ، وفكرتك كتابة .. وسترى كيف ستتحقق .

« ان كتابة ماتريد ستجعل الفكرة أكثر وضوحا ، وعندما تتملك الفـكرة من ذهنك تكون فى أعماق عقلك الباطن ، ولكن كتابتها ستعيدها الى بؤرة التفكير ... وستجعلها أكثر وضوحا ، وتجعلك تصوب بأكثر دقة نحو الهدف .

« حاول الان ، اختـــر لنفسك هدفا وحدد يوما للتنفيذ ، والآن اقرأ هذا الهدف كل صباح عندما تستيقظ وكل مساء قبل أن تأوى الفراش ، فلتقرأوتؤمن به ولتبــدأ من فورك فى صنع ما ينبغى أن تصنعه ، انها تجربة مفيدة ، مفيدة للصغار والكبار وستجد انك لو اخذت بها لتغلبت على كثير من العقبات التى لم يكن بوسعك اجتيازها من قبل .. انى أطالبك بأن تبدأ الان .. سجل ماتريد كتــابة .. »

الاغتيال السياسى

وفى ظهر اليوم ، حدثت مشادة بين عيسى نخلة ، والمحامى اليهـــودى

بيرمان اثناء تناولهما الطعـام مع سائر هيئة الدفاع على مائدة كوبر .. بدات الشادة عندما عبر نخلة عن أسفه لما سمعه من ان بيرمان يفكر فى الانسحاب لان سرحان أتيحت له الفرصة لـكى يتحدث عن النزاع العربى الاسرائيلى ، وقال نخلة انه يعتقد انه لابد من الافاضة أكثر في هذه النقطة رغم اعتراض بيرمان ... واضـاف :

ـ الواضح لى ان اعتراضات صديقى بيرمان مبعثها أسباب سياسية وليس من رغبة حقيقية فى مساعدة موكله .

فزفر بيرمان : « الاغتيال السياسى شىء ، ونفس القدرة العقلبة شىء آخر »

قال بيرمان : « أنت تسوق سرحان الى غرفة الغاز »

فرد نخلة : « كلا .. ان هذا الفتى لاجىء » ..

وتدخل كوبر محاولا تهدئة الموقف ، قائلا : « نحن كمحامين يهمنا ان نكسب القضية .. والواقع أننا مقتنعون اننا لو اسرفنا فى الحديث عن النزاع العربى الاسرائيلى فان هذا لن يكون فى مصلحة سرحان ، خصوصا وأن من بين المحلفين يهوديا ، ونحن لانعرف الى أى جانب يميل الاخرون »

قال نخله : « نحن لا نطمع فى أكثر من ٢٠ الى ٣٠ دقيقة أخرى » .

فقال كوبر ان هذا قد يتيسر فيما بعد ..

وفى المصعد همس بيرمان فى اذن كوبر :

ـ لا تدع نخلة يتحدث الى سرحان فى قفص الاتهام ..

لا أضواء .. ولا مرايا

وفى صباح اليوم التالى استكمل سرحان شهادته عما حدث يوم ٤ يونيو ولكنه لم يذكر الشىء الكثير ، فقط انه تناول عدة كئوس ، ولم يذكر التقاط مسدسه من السيارة فساله كوبر : « هل أنت واثق ؟ »

ـ لقد أقسمت أن أقول الصدق يا سيدى .. والصدق ما اقوله الان .

وتذكر سرحان انه وجد منضدة قهوة كبيرة لامعة ، ولـكن لا يذكر أين على وجه التحديد ، وانما فى مكان ما بالامبسادور ..

فسأل كوبر : « هل كانت هناك أضواء كثيرة فى هذا المكان ؟ »

ـ كلا ياسيدى .. ولم تكن هناك مرايا ايضا ! !

كان سرحان يشير بذلك الى نظرية الدكتور دياموند عن أن الاضواء الكثيرة والمرايا سلمته الى نوع من الغيبوبة قتل خلالها كنيدى .

وكل ما يذكره بعد هذا انه كان يخنق ويضرب وهو ملقى على وجهه فوق منضدة

ـ هل عرفت انك فى اللحظة التى لاتتذكرها تقدمت من السناتور كنيدى وصوبت مسدسك نحو راسه وضغطت على الزناد .. وانه مات بعد ذلك .

فرفع سرحان راحتيه ، قائلا وهو يبتسم : « نعم ياسيدى .. لقد قيل لى ذلك » ..

ـ وبعد اعتقالك .. رفضت ان تدلى باسمك .. اليس كذلك ؟

ـ اجل ياسيدى ..

ـ متى عرفت لاول مرة انك اطلقت النار على كنيدى ؟

قال انه عرف أن اعتقاله يتعلق بكنيدى اثناء وقوفه امام القاضية جوان ديميس كلين فى صباح ٥ يونيه ، وانه لم يدرك حقيقة ماحدث الا عندما جاء « آل ويرين » لزيارته فى السجن ..

ـ والان دعنى اسالك ياسرحان ، لقد قررت الان امام المحلفين انك عندما جئت الى الامباسادور لم يكن فى نيتك ابدا اطلاق النار على كنيدى ... هل هذا صحيح ؟

ـ صحيح تماما يا سيدى ..

ـ الا تذكر انك اطلقت عليه النار ؟

ـ انا لا اذكر انى اطلقت عليه النار ..

ـ هل أنت الذى كتبت كل هذه الاشياء فى مذكراتك ؟

ـ اجل ياسيدى ..

ـ هل اشتريت المسدس فى يناير .. فبراير .. مارس ١٩٦٨ ؟

ـ اجل ياسيدى ..

ـ هل ذهبت الى امبسادور يوم ٢ يونيه ١٩٦٨ ؟

ـ اجل ياسيدى ..

ـ ورايت كنيدى ؟

ـ اجل ياسيدى ..

ـ وكنت ساخطا عليه فى الوقت الذى كنت تراه اشبه بالقديسين ؟

ـ كان شعورى نحوه مختلطا ياسيدى ..

ـ هل ذهبت للتدريب على اطلاق النار بعد ظهر يوم ٤ يونيه ؟

ـ اجل ياسيدى ..

ـ واخذت مسدسك معك عندما ذهبت الى الامبسادور ؟

ـ اجل ياسيدى ..

ـ وهل قتلته ؟

ـ أجل ياسيدى ..

ـ اذن كيف تفسر كل هذا ..

ـ لا ادرك ياسيدى ..

ـ أهذا كل ما عندك ..

ـ سيدى .. ان كل ماقلته هو الحق .. كل الحق ، ولاشىء غير الحق !

قال كوبر : « يستطيع الادعاء أن يستجوب الآن »

استجواب الادعاء

ونهض كومبتون ، ومسح بيده على شعره الاشقر القصير ، بينما سرحان يتطلع اليه دون أن تطرف عيناه ، وكان أول سؤال : « هل انت متوتر ! »

فابتسم سرحان قائلا : « قليلا »

وسأل كوبر من فوره عما اذا كان سرحان قد عانى من قبل من فقدان الذاكرة وهو فى القدس ، فقال سرحان انه لا يذكر .

ـ يعنى الحالة الوحيدة هى التى حدثت فى فندق الامبسادور ؟

ـ كلا ياسيدى .. هناك حالات أخرى .. كتابتى المذكرات وسقوطى من فوق الجواد ..

وساله كومبتون عن حبه لروبرت كنيدى ومتى بدأ يتحول الى كراهية .. هل كان ذلك بعد أن رشح نفسه للرئاسة ؟

ـ اجل يا سيدى ، وعلى وجه التحديد عندما أعلن انه سوف يسلم قاذفات القنابل لاسرائيل ..

ـ هل كان هذا سببا كافيا لقتله ؟

ـ لا أعلم شيئا عن هذا ياسيدى ..

ـ الم تقل منذ يومين هنا انك لو رايته امامك لقتلته ؟

ـ فى تلك اللحظة التى قال فيها أنه سيسلم قاذفات القنابل لاسرائيل .. لو كان امامى لفعلت ذلك ..

ـ اذن لو كان امامك لفعلت ذلك ؟

ـ اجل ياسيدى لانى شخص سريع الانفعال .. ولكنى فى الواقع لا أؤمن ابدا بالعنف ..

ـ ولكنك قلت منذ يومين ـ اذا كنت تذكر ـ انك رايت صورة جندى اسرائيلى على ضفاف قناة السويس وانك لو كنت هناك لفتكت به فتكا .

قال سرحان : ـ اجل ياسيدى ، واقول ايضا انك اذا حاولت ان تقتلنى

وكانت امامى الفرصة لقتلتك اولا ، عندما تكون المسالة الحفاظ على الحياة ياسيدى .. فلابد أن أبدأ اولا ..

ـ اذن فهذا هو مفهومك عن عدم العنف ؟ ..

ـ كان غاندى نفسه يقول ذلك ياسيدى ..

وانتقل كومبتون الى المذكرات واعترف سرحان مرة أخرى انها بخطه .

ـ هل كانت فكرتك ، انك ـ كما يقول كتاب الروزيكروشيانز ـ اذا كتبت هذا وكررته عدة مرات فانه سيساعد على تحقيق الهدف الذى تسعى اليه ؟

ـ هكذا يقول الكتاب ياسيدى ..

ـ ألم يخطر ببالك مرة ان تقرا ما كتبت ، فتكتشف انك سجلت هنـــا انك ستقتل كنيدى .. فتسأل نفسك رباه لماذا كتبت هذا ؟

ـ كلا يا سيدى .. لم اقرأها ابدا ..

ـ ولا حتى هذه الفقرة عن الاطاحة بالحكومةوقتل الرئيس السادس والثلاثين ؟

ـ كلا يا سيدى .

ـ هل تذكر اخر مرة رأيت فيها هذه المذكرات ؟

ـ كلا يا سيدى ..

ومرة أخـــرى يحاول كومبتون أن يجعل سرحان يتذكر شيئا عن مذكـــراته فقال له : « كان معك الكثير من الكراسات والكتب عندما كنت فى كليـــة باسادينا » ..

ـ فساله سرحان : « هل كنت معى حينذاك يا سيدى ؟ »

ـ انى انا الذى اسال ؟ ؟ ..

ـ اذن فاسال فقط يا سيدى .. ولا تضع الكلمات فى فمى ..

ـ انى اسالك .. هل كان لديك مذكرات اخرى ؟

ـ قلت لا اعرف .

فساله كومبتون عما اذا كان يذكر انه وقع اسمه فى دفتر الدخول بساحة اطلاق النار ، فقال سرحان :

ـ لا اذكر على وجه الدقة يا سيدى أن هـــذا مجرد اجراء عادى .. تماما مثلما يفتح المرء خزانة مسدسه ليضع فيها طلقة جـــديدة .. مجرد اجراء عادى .. وانت تسالنى هذا السؤال .. هذا غباء يا سيدى..

ـ اعترف انى احيانا اسال اسئلة غبية .

ـ اجل يا سيدى .. انت تفعل ذلك ..

ـ اشكرك ...

وتوقف كومبتون لحظة قبل أن يستطرد :

ـ والان ساسالك بضعة اسئلة مختصرة يا سرحان .. قلت من قبل انـك مستعد للقتل من اجل القضية العربية .. فهل هذا صحيح ؟..

ـ اجل يا سيدى .. قضية العرب الفلسطينيين ..

ـ وهل تعتقد ان قتل كنيدى يخدم قضية العرب ؟

ـ سيدى .. انا لا ادرك حتى اننى قتلت مستر كنيدى ..

ـ ولكنك تعرف انه مات ..

ـ نعم اعرف .. لقد قيل لى ذلك ..

ـ اذن فهل تعتقد ان قتل كنيدى .. بيد اى انسان كان يخدم القضيـة العربية ؟

اجاب سرحان .

ـ سيدى .. انا لست فى موقف استطيع معه ان احكم فى هذا الشان.. فانا لست مراقبا سياسيا ..

ـ هل تشك فى انك قتلت كنيدى ؟

ـ ان الادلة كلها تقول ذلك .. ادلتكم انتم ..

ـ هل انت سعيد بموت كنيدى ؟

ـ كلا يا سيدى لست سعيدا

ـ هل انت آسف ؟ ..

ـ لست آسفا يا سيدى ..

ـ الم تقل هنا منذ ايام بالنص : « لقد قتلت روبرت كنيدى عامدا متعمدا ومع سبق الاصرار ، وبنية مبيتة منذ عشرين عاما ؟ »

ـ بلى يا سيدى ..

وهنا اعترض كوبر قائلا .

ـ لا تؤاخذنى ياصاحب السعادة .. ولكنى اعتقد ان هذا السؤال ينبغى ان يوضع فى مكانه الصحيح ..

فدعا ووكر كوبر وكومبتون الى الاقتراب من المنصة ، حتى لا يسمع المحلفون وقال للمدعى :

ـ لعلك تذكر ان هذا التصريح قيل فى غير حضور المحلفين ..

ـ اجل ولكنه تصريحه .. وهناك تصريحـات كثيرة مشابهة تقال فى محاضر البوليس فى غير حضور المحلفين ..

قال كوبر انه يريد فقط ان يحتفظ بحقه فى اعادة استجواب المتهم حول هذه النقطة ..

وعندما عادت الجلسة الى علنيتها بالنسبة للمحلفين قال كومبتون :

ـ سؤال واحد اخير ـ قلت هذا الصباح انك مستعد لانتفعل كل ماتستطيع من اجل القضية العربية .. فهل انت مستعد للموت فى سبيل القضيةالعربية ؟

ـ انىْ مستعد للقتال والموت فى سبيل القضية العربية ..

ـ وسال كوبر .

ـ سرحان .. منذ لحظات اجبت بالايجاب على سؤال يختص بقولك « لقد قتلت روبرت كنيدى عمدا ومع سبق الاصرار وبنية مبيتة منذ عشرين عـــاما » فهل تذكر انك قلت ذلك فى هذه المحكمة يوم الجمعة الماضى :

ـ اجل يا سيدى ..

ـ وفى غير حضور المحلفين ؟

ـ اجل يا سيدى ..

ـ كم كان عمرك منذ عشرين عاما ؟ ..

ـ اربع سنوات يا سيدى ..

ـ هل كنت تحمل فى ذلك الحين اية احقاد ضد السناتور كندى ؟

ـ لم اكن سمعت باسمه فى حياتى يا سيدى .

ـ فىَ يوم الجمعة الماضى .. كما اذكر كنت غاضبا جدا مع محاميك أليس كذلك ؟ ..

ـ اجل يا سيدى كنت غاضبا جدا ..

ـ ضد من ؟

ـ ضدك انت وضد مستر بيرمان وماك وكلكم ..

ـ هل تستطيع ان تقول للمحلفين لماذا كنت غاضبا ؟ ؟

ـ كنت غاضبا مع المحلفين بسبب عدم موافقتى على دعوة فتاتين معينتين للشهادة ..

واســـتعاد كوبر مع سرحان المشــــهد كاملا الذى حدث فى غيــاب المحلفين وختمه بقوله :

ـ ان شخصا يطلب بنفسه الحكم باعدامه ، لا يمكن ان يكون شخصا عاديا .

صاحبة خيول السباق

وفى يوم الجمعة ٧ مارس واصل الدفاع تقديم شهوده فشهد صاحب خيول السباق روبرت برستورد ان سرحان كان يريد ان يصبح جوكى سباق ، وشهد جون ستراتمان انه لاحظ كثيرا من التغيير على سرحان بعد سقوطه من فوق ظهر الجواد ، فقد اصبح ميالا للعزلة وفقد اهتمامه بالاشياء التى كان يهتم بها

من قبل ، وشهدت زوجته مسز ستراتمان بنفس الشيء واضافت انها لاحظت اهتمام سرحان بالتجارب السحرية • وشهد ميلاردشيتس انه هو الذى وجد سرحان مكوما على الارض عقب سقطته من على الجواد كانه طائر جريح ..

واكد اربعة من الشهود انهم راوا سرحان ليلة الحادث وهو يتناول كئوس الخمر مكذبين بذلك تقرير البوليس الذى قال ان سرحان لم تكن به رائحة الخمر..

وكان اخر شهود اليوم هو ريتشارد لوبيك الذى قرر انه كان يقف الى جوار كنيدى فى غرفة الكرار وانه سمع صوتا هامسا يقول « كنيدى يا بن ...» ثم تلا ذلك اطلاق النار مباشرة ..

اقوال الاطباء

واخيرا ، فى صباح يوم الاثنين ، جاء دور شهادة الاطباء ، ووقف الدكتور سكور يدلى باقواله فقال للمحلفين ان سرحان مصاب بنوع من جنون البارانويا يجعله يشعر باستمرار انه هو وحده المصيب ، وكل من عداه مخطىء ، وبنوع من الشيزوفرانيا ناجمة عن ايمان داخلى باشياء لا تتفق مع الواقع فى العالم المحيط به ، واضاف ان الاختبارات المختلفة اكدت ان سرحان على قدر كبير من الذكاء وفى نفس الوقت دلت على احساس هائل بالاضطهاد والظلم ، كما تؤكد انه مريض نفسيا ..

واثبتت اختبارات الذكاء اللفظية ان سرحان اذكى من ٧٥٪ من غيره من الناس .. بينما اثبتت الاختبارات غير اللفظية مستوى بالغ الانخفاض .. واستنتج سكور من هذا ان هذه الثغرة الواسعة دليل على انه اما مريض نفسيا او ان هناك خللا ما فى مخه ..

وقال سكور ايضا ان سرحان احرز ١١ نقطة من ٢١ فى اختبارات قوة الملاحظة ، وهى درجة منخفضة جدا عن المعدل العادى وتدل على انطواء صاحبها على مشاعره الداخلية اكثر من اهتمامه بالعالم الخارجى •

واثبت اختبار اخر ان سرحان مصاب بحالة بارانويا اكثر من ٩٥٪ من سائر الناس ، وانه غير مستقل ، قلق يميل الى العدوان ..

واوضح اختبار رابع ان سرحان ليس شخصا كذوبا .. وفى هذا قال سكور : ان معظم الناس يكذبون فى هذا الاختبار بمعدل اكثر كثيرا مما فعل سرحان ...

ويبدو ان شهادة اسكور اقنعت سرحان • ففى اثناء الاستراحة صرح لمالكوان بقوله انه مستعد لقبول فكرة انه مريض نفسيا ..

وبعد الغداء ، قدم سكور للمحكمة تقريره عن اختبار بقع الحبر .. بعد ان وصفه بانه ادق وسيلة للتعرف على شخصية الانسان ، فقال ان سرحان قد استجاب لهذا الاختبار بمجموعة غير عادية تماما من التصورات ، مثل ان يرى ضفضدعة مفعوصة ، ان وحشا يهم بالانقضاض عليه ، أو دماء متناثرة ، او تفاحة حمراء معطوبة او مسلوخة او قصبة هوائية ، او عجول بحر مصابة بجراح ، أو كبد انسان ..

وقد فسر سكور هذا بأن سرحان يرى كثيرا من حركات الحيوان ومعنى هذا انه يميل للعنف ، وانه يعتبر من النوع المدمر لنفسه ، وانه شديدالانفعال ، وانه يمكن أن ينفجر في أية لحظة ، ولكنه لا يدرك هذا لانه مصاب بنوع من البارانويا يجعله دائما يعتقد انه على صواب والاخرين مخطئين ، وانه ضعيف السيطرة على نفسه ..

وكان سكور يستخدم في حديثه كثيرا من الرموز والاصطلاحات العلمية التى جعلت كلامه اشبه بالالغاز .. واكثر من مرة حذره بيرمان ان يلاحظ انه يتحدث امام محلفين من الناس العاديين .. ولكنه لم يلجأ للغة العادية الا فى يوم الثلاثاء عندما وصف سرحان بانه اشبه ما يكون بعروسة فى مسرح للعرائس تحركها خيوط فى ايد إخرى ..

وكان هذا شيئا يستطيع المحلفون ان يفهموه .. كذلك استخلص سكور من سلوك سرحان فى المحكمة انانفجاراته الغاضبةدليلعلى تفاقم حالةالبارانويا لديه وان طرده للمحامين دليل على مبالغته فىالاحساسبالعظمة ، وانابتسامته غير المناسبة فى وقت يطلب فيه الادعاء حياته دليل على انه منفصل عنالواقع .

واورد سكور علاوة على ذلك نتيجة اختبار سرحان ببطاقات « تات » وقد شاهد فىاحداها رجلا يقف تحت عمود النور « بلا امل ولااسرة ولا وطن ..رجل يفكر في قتل نفسه ..»

ووقف بيرمان ليسأل سؤاله الحاسم .. هل كان سرحان لديه القدرة الكاملة على التعمد وسبق الاصرار لارتكاب جريمة القتل فى ٥ يونيو ١٩٦٨ ؟.. وهل كان لديه القدرة العقلية على التحكم فى تصرفاته طبقا لما يفرضه القانون ، وبالتالى لديه القدرة على سبق الاصرار ؟

وكان جواب سكور على هذا بالنفى ..

وسأل هوارد عما اذا كان سكور يستطيع عن طريق اختباراته ان يتنبأ بمقتل كنيدى قبل أن يحدث ؟

فقال سكور :

ـ حسنا .. اذا اعطيتنى ١٠٠ شخص واختبرتهم جميعا ، فان ٣ او اربعة منهم سيظهر ان لديهم استعدادا لارتكاب هذا النوع من العنف .. ومن المؤكد ان سرحان سيكون واحدا من هؤلاء الثلاثة او الاربعة ..

فسأل هوارد :

ـ وما هو التصرف الذى يفعله انسان عادى تماما عندما يرتكب جـريمة اغتيال سياسى ضد شخص يمقته ويسعد للتخلص منه ؟ ؟

قال سكور :

ـ سيكون هذا التصرف من رجل عادى .. عندما لا يكتب هذا ابدا فى مفكرته ، ولا يعلن عنه باية حال من الاحوال قبل فعله ، ولايترك مفكرته وراءه لكى يجدها اول طارق ، ولا يسجل التاريخ مقدما، واخيرا لا يقتل احد فى مكان يمكن ان يعتقل فيه فى الحال ..

ـ ماذا تعنى ؟ ؟

ـ اعنى انه لا يذهب الى حجرة مزدحمة عن آخرها ، ثم يقتل .. ان هذا يختلف عن اختفاء شخص ما فى مبنى ما ، وفى يديه بندقية بعيدة المدى يطلق منها الرصاص ثم يحاول الهرب هذا تصرف الانسان الواعى الذى يدرك ما يفعل وما يحيط به ..

واضاف سكور انه واثق بما لا يقبل الشك ان سرحان كان فى حالة انفصام شخصية عندما قتل كنيدى ، وعندما صرخ انهم يخنقونه وعندما استجوبه رجـال البوليس ..

وتساءل هـوارد عن السبب الذى أدى الى حالة انفصـام الشخصية .. فقال سكور :

ـ لعله عندما لمح المسدس فى سيارته ، فالمسدس رمز يتصل بعقدة انفصام، انه يذكره بايامه الاولى .. وفى رأيى ان المسدس اعطاه الشخصيةالعدوانيةالتى لا يملكها حقيقة .. وهو الذى كان يفتقر الى ان يعامل كرجل .. ويحتاج الى ان يتصرف كرجل ، ويحتاج الى مصير ..

وكان يمكن ان يكتفى سكور بذلك .. ولكنه فى اليوم التالى اصر عـلى تلاوة جزء من تقريره الذى اعده فى ١٨ ديسمبر ، ويقول فيه « ان سرحـان بقتله كنيدى انما كان فى داخله يقتل اباه ويأخذ مكانه لدى والدته »

« لقد كانت الام كلما غضـب الاب وثار ، كلما سعت الى حماية ابنها .. وكان الابن يحقد على ابيه ويخافه فى نفس الوقت .. ولكن مع الايام تخلت الام عن ولدها .. ولم تعد قادرة على حمايته مثلما كانت من قبل .. واصبحـت

عقدة سرحان الاساسية هي الصراع بين رغبته الغريزية في موت ابيه وادراكه الواعي ان قتل ابيه شيء غير مقبول من المجتمع .. وكان الحل الوحيد هـو ايجاد بديل .. ولقد وجد البديل في شخص كنيدي ، فقتله ، وفي نفس الوقت يزيح العلاقة التي تقف بينه وبين اثمن شيء يملكه وهو حب امه له » .

وما ان انتهى سكور حتى سأل هوارد : « من كتب هذا ؟ »

فاجاب سكور : « انا الذي كتبت » ..

وكان من حق هوارد ان يبتسم ، وان يشك فعلا في ان سكور هو الذي كتب هذا الكلام الذي اصر على تلاوته للمحلفين ..

ودخلت ماري سرحان الى قاعة المحكمة حيث ارسلت كلمة سريعة الى سرحان الذي ما ان قراها حتى اغرورقت عيناه بالدموع والتفت اليها محاولا ان يرسل لها رسالة صامتة ..

واخذت السيدة البائسة تهز رأسها في حزن شديد ، وتوجهت الى بارسونز تلح في ضرورة السماح لها بلقاء سرحان على انفراد ..

سرحان يتغير

والواقع ان هذا التقرير الذي اصر سكور على تلاوته كان سببا في ضياع قيمة شهادته كلها .. فقد نشرت جريدة لوس انجيلوس تايمز في اليوم التالي مقالا يفيد بأن الدكتور سكور نقل اجزاء كاملة في تقريره من كتاب للدكتور جيمس بروسل بعنوان « دراسة حول علم نفس الجريمة » واوردت الجريدة في بروازين متقابلين النصوص المتشابهة في كل من تقرير سكور وكتاب بروسل..

وقد استغل المدعي فيتس هذه الواقعة عند استجوابه لسكور يوم الاثنين ، خصوصا وان سكور لم يشر في تقريره الى انه استفاد من كتاب بروسل كمرجع . الامر الذي اتاح لفيتس ان يجعل المحلفين يتشككون في امانة سكور العلميـة وقيمة تقاريره ..

اما سرحان ، فعنـدما ذهبت لمقـابلته في السجن يوم الجمعة ١٤ مارس وجدته في احسن حالاته .. كان راضـيا تماما عن نفسـه بعد مرافعته الرائعة امام المحكمة ..وامام الرأي العام العالمي عن القضيـة العربية ، كما انه لم يعترض على تشخيص الاطباء بانه مريض بالشيزوفرانيا ، وانما قال :

ـ لعلني اكثر من شخصية مزدوجة ان بداخلي في الواقع ثلاث شخصيـات

وليس اثنتين . ولكنى لا أعتبر هذا مرضا . وانما هى صفة كانت كفيلة بان اصبح دبلوماسيا .. وبالمناسبة ، لقد تعلمت هذا من اليهود ..

وقال سرحان ايضا انه درس المحلفين واحدا واحدا . وانه لم يشعر بميل نحو المحلفة رقم ٨ ، نيل بورتيلز ، لانها تبدو جامدة الوجه بلا تعبير ، على عكس مسز يوزبى المدرسة التى تجلس فى وسط الصف الامامى ..

وكان سرحان يبدو الان شخصا مختلفا تماما عن الشاب المنكسر ضحية الظروف الذى عرفه زواره فى السجن طوال الصيف .. كان يبدو واثقا من نفسه ، لماحا ، ومرحا فى نفس الوقت وكان فى الحق سعيدا بدوره كبطل عربى . وقد اطلعت على أكوام الخطابات التى وصلته من جميع انحاء العالم تحيى بطولته ، وكان من بينها خطاب من انجلترا يقول :

يقينى انك معجزة . وانا معجبة بك كثيرا . وفى القاهرة ٤ ملايين شخص يشاطروننى نفس الراى انى فتاة مصرية اعيش فى انجلترا . وهى بلد لا يقل سوءا عن أمريكا ، ومن العدل والصواب ان يخطف الفدائيون طائراتهم ويوجهونها الى مكان آخر .. انى أؤمن أنك أعظم واشجع واحب شخص فى العالم . وبالمناسبة ان عمرى ١٣ سنة ، وقد تركت مصر عندما كنت فى السابعة ولكنى اشتاق الى اليوم الذى اعود فيه الى القاهرة .. ومع كل حبى ..

ومرة اخرى يتطرق الحديث الى رجال مكتب المباحث الفيدرالية فيقول سرحان لى انهم اغبياء ..

ـ انهم يظنون انفسهم عرفوا كل شىء .. مع أنهم لا يعرفون أهم شىء فى المسالة كلها ..

ـ ولكنهم تحدثوا مع كل انسان ..

فيبتسم سرحان قائلا :

ـ فيما عداى انا .

ترى ماذا كان لدى سرحان من معلومات لم تصل اليها المباحث الفيدرالية ؟

الح هذا السؤال على ذهنى .. ولكنى عندما غادرت الزنزانة كان صوت سرحان يقول :

ـ ولكن ثق انه لا توجد مؤامرة .. لا يوجد شركاء .

طول الثلاثة ايام التالية استمع المحلفون الى شهادات رجال البوليس الذين تحدثوا مع سرحان فى صباح ٥ يونية . وكانت حركة ذكية من الادعاء

للقضاء على كل أثر يمكن ان تتركه شهادة الدكتور سكور بان سرحان كان فى حالة انفصام شخصية عندما اطلق النار • فقد اجمع الجميع على ان احاديث سرحان كانت تتميز بقدر كبير من المنطق والعقل والبـــــرود •• ومع انه كان يتحاشى الاجابة على اى سؤال يتصل باطلاق الرصاص على كنيدى الا انه لـم يسالهم مرة واحدة عن السبب فى اعتقاله ••

وفى يوم الثلاثاء استطاع المدعى هوارد عندما اعاد استجواب ســكور ان ينتزع منه اعترافا بان سرحان كان قادرا على سبق الاصرار ، رغم اصابته بالشيزوفرانيا •

ولعل المحامى بيرمان كان ينبغى أن يوضح الفارق فى عبارة « ســـــبق الاصرار » ، بين مفهومها القانونى ، ومفهومها المعتاد • ولكنه رأى ان افضل ما يصنع هو ان يبعد سكور عن مكان الشهود ، وان يطلب اليه ان يختفى فى الحال ، ولا يدلى باية تصريحات لمندوبى الصحافة ••

كذلك قام بيرمان باستجواب الشاهد التالى ، الدكتور ريتشاردسون ولكنه لم يكن موفقا الى الحد الذى يرضى كوبر ، ومع ذلك فقد كان ريتشاردسون حاسما فى تقريره ان كافة الاختبارات التى اجراها على سرحان تؤكد انه مصاب بحالة من « الشيزوفرانيا البارانوية الحادة المزمنة »

وعلاوة على ذلك فقد ايد ريتشاردسون تقريره بان عرض كل معلوماته على اثنين من قادة علم النفس بالولايات المتحدة هما الدكتور ستيفن هوارد والدكتور ويليام جرين •• وقد ايداه على طول الخط

وعند مناقشة اختبار البطاقات الملونة ، قال المدعى فيتس •

ـ اليس من المحتمل ان سرحان كان يخدعك ؟ ويدعى انه يرى اشـــياء لا يراها بالفعل ؟

فاجاب ريتشاردسون .

ـ هذا لا يغير من الامر شيئا • سواء كان يرى ما يقول حقـــا ، او يزعم انه يراه •• فالنتيجة واحـــدة ، لان السؤال هنا هو لماذا كانت هذه الاشياء التى يقولها بالذات هى التى خطرت على باله •

ملل المحلفين

قرر كوبر ان يناقش بنفسه الشاهدين التاليين ، الخبيرين د. ستيفن هوارد ، و د. ويليام جرين بعدما ساءه اسلوب بيرمان فى مناقشة الطبيبين

السابقين . وكان من رايه ان المحلفين قد بدأوا يحسون بالملل بسبب كل هذه المصطلحات العلمية العويصة التى يستخدمها الاطباء .. ولذلك فقد قرر ان تكون شهادتهما سريعة جدا .. واكتفى بتقرير هوارد أنه « بمراجعـــة المعلومات ونتائج الاختبارات التى آجراها الدكتور ريتشاردسون يقـــرد ان سرحان « مريض جدا ويعانى من انفصام الشخصية .. وانه عاش هكذا معظم حيـــاته » ..

وفى اليوم التالى ادلى الدكتور ماركوس بشهادته . وقرر بوضوح ، بعد ان سرد قائمة بشهادته ودرجاته العلمية ، أن سرحان « مريض عقليا » وانه ارتكب الحادث وهو فى حـــالة اختلال عقلي ، والدليل على ذلك المفكرات ، والاختبارات التى اجراها ماركوس عليا

وكان هذا القول كفيلا بان يجعل سرحان يتميز غيظا ويتململ فى مكانه . ولكن كوبر تجاهله ، وواصل اسئلته للعالم النفسى الكبير .

وبينما كان ماركوس يصف تفكير سرحان بانه تفكير مختل ، لا يمكن لصاحبه ان يكون قادرا على « العمد » بالمعنى القانونى للكلمة ، اخذ سرحان يتحدث بحدة بالغة الى بارسونز ، الذى اخذ بدوره يهمس طويلا فى اذنه محاولا ان يهدئه .

وأمام اسئلة فينس المتتابعة اخذ ماركوس بصبر شديد يحاول أن يوضح له بابسط اسلوب معنى ان يكون الشخص مريضا بالشيزوفرانيا

ـ .. فكان الفرد الواحد فى رأيه شخصان .. شخص عليل ، وآخر سليم « وقد يتغلب العليل حينا فتكون تصرفات الفرد مختلفة ، وقد يتغلب السليم حينا آخر فتكون تصرفاته سليمه . وقد يستمر السليم متغلبا اسنوات طويلة والعليل مكبوتا حتى يحدث شيء يخرجه من القمقم ويعطيه الغلبة .. وقـــد يتعايش الشخصان سويا دون ان يتغلب احدهما على الاخر . اويتناوبا السيطرة الواحد بعد الاخر شيء يتوقف على مدى التوتر والقلـــق الذى يعيش فيه الفـــرد ..

ـ ولكن .. اليس صحيحا يا دكتور اننا جميعا ، وبلا استثناء نعتبـــر أنفسنا عاديين مع أن كل منا مصاب بقدر او آخر من هذه الشيزوفرانيا

ـ هذا صحيح .. ولكن الاجابة تتطلب الدخول فى بحث طويل حـــول ما هى فى الحقيقة الشيزوفرانيا .

ـ انا وانت واى شخص آخر .. اى اب ، قد يكون طيبا جدا مع أولاده

.. ولكنه تحت ضغط العمل أو القلق قد ينفجر احيانا فيهم وربما يؤذيهم بشكل يندم عليه فيما بعد ..

ـ هذه يا سيدى ليست شيزوفرانيا .. وانما هى ظاهرة عصبية تتميز بها الطبقة المتوسطة فى العادة . ولكن الشيزوفرانيا تعنى ان المخ لا يعمل كما يجب .. مثلما تتشابك خطوط السويتش .

وعندما عاد فيتس بالدكتور ماركوس الى احداث ليلة ٤ يونيو ساله كيف يفسر قول سرحان انه ذهب ليقود سيارته فاكتشف انه ثمل فقرر العودة الى فندق الامباسادور ..

ـ الا يدل هذا على وجود قدر معقول من الاحساس بالمسـئولية الاجتماعية ..؟

بل انه لدليل اكبر على اصابته بالشيزوفرانيا . انى فى هذه الحالة مثل سفاح بوسطن الذى اعتذر لاحدى ضحاياه لانه دخل المنزل بغير استئذان .

ـ قال سرحان انه لا يذكر بالمرة انه أطلق النار فهل تصدقه ؟

تمهل ماركوس لحظة قبل ان يجيب :

ـ اجل .. اصدقه ..

ـ فلنفرض انه كان فى حالة عدم وعى ، ولا يعرف انه اطلق النار . ثم يفيق ليجد نفسه فى قسم البوليس . هل يكون معقولا الا يسال ابدا .. اين هو .. أو لماذا هو هنا ؟ هل هذا هو رد الفعل المنتظر اذا كان فى حالة فقدان الذاكرة ..

ـ كلا ..

ـ اليس الاقرب للعقل ان نقول انه ادعى فقدان الذاكرة ؟

ـ لا استطيع ان اجزم بهذا ، فمن الممكن ان يكون قد فقد الذاكرة حقا ، ومن الممكن ان يكون متظاهرا بذلك ..

هناك احتمال آخر لم يناقشه احد . هو ان يكون سرحان قد اوحى اليه ان ينسى ..

وهنا نهض كوبر ليسأل سؤالا واحدا :

ـ دكتور .. هل هذا يغير شيئا من تشخيصك لحالة سرحان ؟

ـ ابدا .. ان تشخيصى صحيح .

واخيرا جاء دور الدكتور دياموند وكان المفروض ان يبدأ بيرمان بسؤال دياموند عن مؤهلاته العلمية ، وهى قائمة طويلة تملأ صفحة بأكملها ، وجديرة بأن تكسب احترام المحلفين • ولكن بيرمان نسى هذا السؤال الهام وبدأ يسأل اسئلة تلقائية غير مدروسة ، الامر الذى جعل ديامويد يقرر ان يتكلم من تلقاء نفسه • وأخذ يسرد بالتفصيل تجربته مع سرحان والغموض الشديد الذى واجهه فى البداية ، وعدم تذكره المفكرات ، واحداث ٤ يونيو •• وانتهى من كل ذلك الى تشخيصه ان سرحان مصاب بحالة حادة من الشيزوفرانيا البارانوية ويعانى من مرض نفسى جعله فى حالة انفصام شخصية اثناء اطلاق النار ••

وقبل أن يستطرد دياموند •• اعلن القاضى تأجيل الجلسة الى ما بعد اجازة الاحد ••

وفى يوم الاثنين واصل دياموند تقريره ، فقال ان اختباراته مكنته من الحصول على صورة بالاشعة لعقل سرحان ••

وبالحديث من الاخرين استطاع دياموند ان يكتشف ان حالة انفصام الشخصية بدأت مع سرحان بصدمة الحرب فى القدس ، ونمت مع العائلة المحطمة ، ومراهقته الوحيدة ، ثم انهياره النفسى عقب سقوطه من فوق ظهر الجواد ، وهياجه اثناء حرب الايام الستة ، ثم محاولته الهرب الى الاعمال السحرية ••

ولكن ما الذى كان يجرى فى اعماقه ؟ كان التنويم المغناطيسى هو اسهل السبل الميسرة ، واقصرها ، للوصول الى الجواب •

وقرر دياموند ان سرحان استجاب للتنويم المغناطيسى بسهولة ترجح انه سبق ان مارسه من قبل ، ولكنه ظل محيرا لعدم استعداد سرحان للكلام وهو تحت التنويم .

ثم ذكر ما دار فى جلسات التنويم ، وكيف استعاد سرحان احداث ليلة ٤ يونيو واهم ما فيها ••

١ ـ انه التقط المسدس من السيارة ، لانه خشى ان يسرقه اليهود •
٢ ـ وصفه للفتاة التى جلس الى جوارها يشرب القهوة
٣ ـ الدوار الذى اصابه بسبب الاضواء والمرايا والجمهور
٤ ـ الناس وهم يهرعون نحوه
٥ ـ قوله « يا بن الـ .... »
٦ ـ اطلاق الرصاص على كنيدى

وفى هذه اللحظة الحاسمة كما يقول دياموند ـ كان سرحان قد وصــل الى درجة عالية غير عادية من الانفصام ·· ونتيجة لسلسلة من الظروف ، كان معه مسدس محشو فى اللحظة التى اقبل فيها كنيدى نحوه ، وليس معنى هذا انها كانت مجرد مصادفة مفزعة · وانما الواضح ان سرحان قد « اعد » نفســه ليفعل ذلك حتى اصبح يتحرك كانسان ميكانيكى ، كقاتل ميكانيكى ·· وهذا ما يفسر كتاباته فى المفكرتين التى كتبها ايضا وهو فى غيبوبة ·· كان سرحان يكتب خلالها كما يفعل الانسان الميكانيكى ··

وشرح لهم دياموند كيف استطاع ان يجعل سرحان يكرر نفس الشيء عندما نومه فى الزنزانة · واطلعهــم على اجابات سرحان المكتوبة بخطــه حتى الصفحة الرابعة التى ســـأله دياموند فى نهايتها ـ هل كنت تفكر حينئذ فى قتل كنيدى ؟ وكانت الاجابة ـ كلا كلا

وختم دياموند تصريحه بقوله انه لا يعتقد ان سرحان نفسه يصدق هذا . بل لا يعتقد ان سرحان صدق للحظـــة واحدة انه منتدب لفحصــه من جانب الدفاع ، رغم كل التاكيدات التى سمعها من محاميه ··

وعندما ساله بيرمان ان يدلى برايه النهائى قال دياموند انه يراه مخلوقا يستحق الشفقة ومريضا نفسيا لا يستطيع السيطرة على وعيه وتصرفاته وانــه تعرض لنوبات من الغيبوبة وهو فى حالة انفصام شخصية هيا نفسه خلالهـا لكى يكون اداة للقتل ، وانه أرتكب الجريمة وهو فى حالة لا وعى ودون ان يعرف ما فعل ··

وكان المفروض أن شهادة دياموند ستثير سرحان الى أبعد حد ولكنـــه كان فى حالة نفسية طيبة · وقد صرح لى فيما بعــد بقــوله ان جميــع الاطباء كانوا « يخرفون » بما لا يعرفون وان احدا لا يمكن ان يصدق هــذا الذى يقولونه ، واشار الى ان الشيء الهام فعلا هو سيل خطابات الاعجـــاب والتبرعات الصغيرة التى أخذت تأتيه من مختلف الناس ··

وكان من بينها خطاب طويل وصله من فتاة من بروكلين تـــدعى كاتلين بلاكبورن ، قالت عن نفسها انها طالبة بالسنة النهائية بالمدرسة العليا · وانها تحيى فيه شجاعته وبطولته التى أثبتت بها انه شيء آخر يختلف عن مجــرد قاتل قناص مثل لى هارفى أوزوالد او جيمس راى · وانها ترجو ان يتماســك حتى النهاية ولا ينهار تحت ضغط محاميه لكى يطلب العفو وانما يواصــــل دوره كبطل يدافع عن شعبه وبلاده ··

وقالت الفتاة انها تؤيد وجهة النظر العربية تماما ، وتريد ان يعرف العرب ان هناك فى الولايات المتحدة كثيرين يدينون الحكومة الامريكية لمساعدتها لدولة الصهيونية العنصرية ، ويدركون ان اليهود ومن يساعدهم هم المسئولون عن وجود مليونى لاجىء يعيشون اليوم فى الخيام وانهم يقسمون على مواصلة نصرتهم للديمقراطية الحقيقية ..

ولكن واضح ان الادعاء كان على النقيض تماما من فتاة بروكلين فيما يتصل بالموقف من سرحان .. فقد ناقش المدعى فيتس الدكتور دياموند طويلا محاولا ان يستخلص منه ان كل انسان ، عادة يهيىء نفسه لفعل الشىء الذى يريد ان يقوم به وبالتالى فلا يوجد شىء غير عادى بالنسبة لسرحان ولكن ديامونـد قال :

– لا يا سيدى .. هذا غير صحيح ان من المهم جدا توفر ركن القدرة على حرية الاختيار . واتخاذ القرار ، وهذا غير متوفر فى حالة سرحان .

وعاد فيتس يهاجم ديامونـد فى اضعف نقطة فى تشخيصه ، وهى استنتاجه ان سرحان كان فى حالة انفصام شخصيته عندما قتل كنيدى . فانتزع اولا اعترافا من ديامونـد بان « الشيزوفرانيا » لم تكن وحدها كافية لكى تجعل سرحان يقتل كنيدى ، ثم تطرق الى المعلومات التى حصل عليها ديامونـد عن اهوال الحرب اثناء طفولة سرحان وكيف انها فى رأيه هى السبب فى اصابته بانفصام الشخصية فسأل :

– الا تعتقد ان الام مارى سرحان بالغت فى وصف اثر الحرب على ولدها فى طفولته بدافع من رغبتها فى انقاذه ؟؟

– سيدى .. انا لا أعتقد ان أثر أهوال الحرب على طفل صغير شىء يمكن أن يحتاج الى مبالغة .

– حسنا .. هذا يتوقف على قدر ما فى الحرب من اهوال ..

– اعتقد أنى اعرف الحرب جيدا .. خمس سنوات ، ولى ولد وابنة وحفيدة يعيشون الان فى اسرائيل وادرك جيدا ما هى أهوال الحرب ..

واجاب ديامونـد على سؤال آخر ان تشخيصه لم يستمد فقط من اقوال الام ، وانما من الصورة الكاملة لفحص حالة سرحان ..

وسال فيتس :

- هل تعتقد ان اهوال الحرب اثرت على كافة اطفال القدس فى سن الرابعة ، مثلما اثرت على سرحان

- اجل .. الى حد ما ..

- ولكن هل اثرت على سرحان اكثر من الاخرين ؟

- انا لم افحص الاخرين

ولجا فيتس الى محاولة اخرى .. قال انه ربما خدع سرحان الاطباء طول الوقت .. وانه خطط سلفا للدفاع الذى وجده كفيلا بانقاذ رأسه ، ان كل المعلومات التى حصل عليها دياموند كانت بوعى كامل من سرحان ، بهدف ان يجعل دياموند يصل الى النتيجة التى وصل اليها ..

ولكن دياموند نفى هذا الاحتمال نفيا قاطعا ، وقال ان سرحان على العكس، كان كثيرا ما يدلى بمعلومات تضره ، ويخفى معلومات اخرى تفيده وان دياموند لم يجد وسيلة يستطيع بها ان يصل الى الصورة كاملة الا بأن ينوم سرحان مغناطيسيا رغم انفه ..

وتساءل فيتس : اليس غريبا ان يحمل سرحان مسدسا محشوا بعد انصرافه من ساحة اطلاق النار ... فقال دياموند ان الغريب هنا هو كيف يسمح المجتمع لشباب مثل سرحان بأن يحملوا الاسلحة النارية اطلاقا ..

وعندما رفعت الجلسة .. قال بوب جرين محرر جريدة نيوز داى لزميله ميل اوبوستى فى الطريق الى مقر الجريدة :

- لقد كسب دياموند المدعى . ولكنه خسر المحلفين

هـذا يكفى

وفى اليوم التالى ، استجوب فيتس دياموند مرة اخرى . واعاد على مسامعه جانبا من محضر اجتماع الاطباء فى ٢ فبراير بمكتب جرانت كوبر ، وفيه يقول دياموند انه شخصيا لا يعتقد ان التشخيص السليم هو ان سرحان مريض نفسيا ، وانما هو مصاب بحالة من الهستيريا الانفصامية وبشىء من البارانويا ، ولكن لا يمكن وصفه بأنه مريض نفسيا

وساله فيتس :

- اليس صحيحا انك لم تجد سرحان مريضا نفسيا ؟

- هو ذاك ياسيدى

قال فيتس وهو ينظر فى اتجاه المحلفين نظرة ذات مغزى :
ـ هذا يكفى

وعندما أعاد استجواب دياموند بواسطة بيرمان ، تلا دياموند أمام المحكمة تقريرا اعده فى اليوم السابق يقول فيه انه لم يكن يتصور عندما بدأ فحص سرحان انه يكتشف حقيقة ان سرحان كان ضحية لحالة من حالات التنـــويم المغناطيسى الذاتى تعلمها عن طريق قراءاته فى كتب الروزيكروشيانز ، وانه اعتاد ان ينـــوم نفسه عن طريق النظر فى المرآة..وفى اليوم الموعود ، تضاعفت مرايا الامباسادور ، مع كئوس الخمر ، مع الاضواء والضجة لكى يغوص مرة اخرى فى حالة التنويم ، ويطلق النار وهو فى هذه الحالة .

وختم دياموند تقريره بقوله ، انه يدرك أن من الصعب تصور هذه الحقيقة فالقصة كلها تبدو غير معقولة ولكنه يرى من واجبه ان يقدم صورة كاملة للطريقة التى لقى بها روبرت كنيدى مصرعه .

ومن الغريب ان بيرمان سأل دياموند سؤالا كان أولى به أن يأتى من المدعى، فقد قلب فى أوراقه طويلا ليوجه السؤال التالى لدياموند :

ما الذى تعنيه بقولك « ان القصة يصعب تصديقها باكملها وتبـــدو غير معقولة ؟ »

وبدت الدهشة على وجه دياموند وهو يقول :

ـ اعنى أن سلسلة الاحداث تبدو بعيدة عن التصور حتى فى خيال مخرجى السينما .. ومع ذلك ، فان هذه هى النتيجة التى استخلصها من اختبـــاراتى النفسية ..

وبعد هذا ، استدعى كوبر للشهادة كلا من الدكتورة سيوارد والدكتـــور ديفوس ، وهما اخصـــائيان طلبهمـــا بـــولاك لتقييم تشخيص الدكتورين ســـكور وريتشارد سون .

ولقد أيدت سيوارد وجهة نظرهما فى أن سرحان مصاب بحالة شيزوفرانيـــا بارانوية .. بينما كان تقرير الدكتور ديفوس أقل وضوحا .

وختم كوبر شهادات الاطباء بأن تلا على المحكمة تفاصيل ما حدث فى غـــرفة المداولة يوم ٢٥ فبراير عندما أعلن سرحان أمام القاضى انه يريد الذهاب لغـــرفة الغاز وكانت هذه أول مرة يسمع فيها المحلفون عن هذا المشهد العاصف .. وحاول الادعاء أن يتغلب على الانطباع الذى تركه كوبر فطلب أن يعرض الفيلم الملون الذى التقط فى فندق الامباسادور ليلة الحادث ، ولكن كوبر اعترض بحسم .. ووافق القاضى على الاعتراض .

وفى يوم الجمعة ٢٨ مارس ،بدأ الادعاء مرحلة اعادة الاستجواب ، وركز طويلا على المحقق تشارلز مورفى الذى قضى وقتا طويلا مع سرحان صباح يوم ٥ يونيه الذى قال : « كان سرحان عاديا تماما مثل اى شخص اخر حققت معه عقب ارتكابه جريمة قتل » .

وقال السيرجنت أدولف ميلينديس ان سرحان كان يبدو شديد الهدوء شديد الذكاء .

وشهد السيرجنت فرانك باتشيت انه سال سرحان : « الا تخجل مما فعلته » وان جواب سرحان كان : « كلا بحق الجحيم »

وفاة ايزنهاور :

وفى هذه اللحظة اعلن القاضى ان الرئيس السابق ايزنهاور قد مات هذا الصباح وطلب الصمت حدادا لمدة دقيقة للصلاة ، واغلق الجميع عيونهم ماعدا الحراس ، وسرحان نفسه الذى اخذ يتطلع الى عقارب ساعة المحكمة دون ان تطرف عيناه ، ويعبث فى اصابعه واظافره .

***

سالت سرحان عما اذا كانت صورته فى نظر نفسه كقاتل سياسى قد اهتزت بعد سماع شهادات كل هؤلاء الاطباء بأنه مريض نفسيا فقال بانه لايظن ذلك .. واضاف انه بلغه ان منظمة فتح قد اعلنت اسمه كبطل من ابطال المقاومة وانها وزعت الاف الصور له والى جوارها عبارة « لقد فعلت هذا من اجل بلادى ! » .

ـ ولكن الا يهمك بالمرة ان تعلم ان هذا قد يكلفك حياتك ..

ـ كلا بالمرة ..

وفى اليوم التالى قدم الادعاء شاهدا اخر هو خبير الخطوط لورنس سلون ، وقد شهد بانه وجد كتابات سرحان وهو تحت التنويم المغناطيسى فى زنزانته تختلف اختلافا ملحوظا عن خطه فى المفكرتين . وان تلك تبدو مضطربة مهزوزة ، بينما هذه تبدو ثابتة واضحة . وقال انه لا يعتقد ان سرحان كتب ماكتب فى مذكراته وهو تحت التنويم .

واخيرا جاء بولاك .. فقال ان سرحان كان على قدر كبير من المرض العقلى ولكن ليس بالدرجة التى تجعل قانون نقص القدرة العقلية ينطبق عليه .. وعلى

الرغم من ان شهادة بولاك كانت مليئة بالتناقضات ، الاانه تشبث بعناد بوجهة نظره ولم يهتز امام اسئلة كوبر . وانما اخذ يؤكد المرة بعد المرة ان احكام سرحان فيما يتصل بالرئيس السابق جونسون والسفير جولدبرج والمعلق التليفزيوني كليت روبرتس . والنظام السياسي في امريكا وايمانه انه يستطيع ان يغير السياسة الامريكية في الشرق الاوسط بقتل روبرت كنيدى « ليس من قبيل الافكار الوهمية او ليس دليلا على انه مريض نفسيا » .

وكان سرحان اسعد الجميع بسماعه هذا القول من بولاك ..

وختم بولاك شهادته بقوله انه يؤمن ان سرحان قد صمم على قتل كنيدى ليس فقط لانه وعد بارسال قاذفات القنابل لاسرائيل ، وانما ايضا ليشهد العالم كيف ان سياسة الولايات المتحدة متحيزة بقوة في صف اسرائيل وضد العرب .

لا يكذب

كان بولاك في داخل قاعة المحكمة يواصل الادلاء بشهادته قائلا : « .. ولا استطيع ان اصدق ادعاء سرحان انه لا يذكر شيئا عما كتبه في مذكراته »

وهنا انتفض سرحان واقفا وهو يهتف : « ياصاحب السعادة .. سيدى .. »

فقال القاضى ووكر : « اجلس والا سافعل ما قلته لك » ..

واجلس اربعة حراس سرحان بالقوة في مكانه واقترح كوبر رفع الجلسة للتشاور في غرفة المداولة ووافق القاضى .

وفي الطريق الى غرفة المداولة رشق سرحان الدكتور بولاك بنظرة نارية وعبارة حادة ..

ودخل بارسونز قفص الاتهام محاولا ان يهدىء سرحان ، بينما كانت الام مارى تقول بصوت مسموع :

ـ انه لا يكذب ابدا .. منذ ان كان طفلا صغيرا لم يكذب ابدا ..

وعندما استأنفت المحكمة انعقادها ، اعتذر بارسونز للقاضى عن انفعال سرحان قائلا انه لم يستطع ان يسيطر على اعصابه عندما وصفه الشاهد بالكذب

ومضى بولاك انه لا يعتقد ان سرحان كان في غيبوبة عندما قتل كنيدى، ولكنه عاد فاعترف دون ان يطالبه احد بانه من المحتمل انه كان في حالة انفصام شخصيته مصحوبة بفقدان الذاكرة فقدانا تاما ساعة ارتكاب الجريمة .. ورفض بولاك رفضا قاطعا نظرية دياموند عن انه قتل كنيدى وهو في حالة تنويم مغناطيسى ، او انه كان يكتب مذكراته وهو تحت التنويم

وختم بولاك شهادته بقوله انه مقتنع ان سرحان قتل كنيدى عمدا ، وانه كان قادرا على ذلك .

ولم يتعرض بولاك لعنصر « سبق الاصرار » كما لم يحاول الادعاء ان يساله فى هذه النقطة .

وجاء جرانت كوبر ففعل نفس الشيء عند استجوابه لبولاك .. ربما لانه لم يجد ضرورة لذلك ، وربما لانه كان يخشى ان تاتى الاجابة اكثر سوءا . ولكنه احرج بولاك كثيرا عندما قال انه كان يود لو اتيح له فحص سرحان مرة اخرى او عدة مرات .

- لماذا لم تطلب منى ذلك يادكتور ؟ لقد التقينا عدة مرات .. وأعتقد اننا صديقان قديمان ، فلماذا لم تطلب منى ذلك ؟

فاحمر وجه بولاك وأطرق براسه قائلا بصـــوت منخفض : « كان ينبغى أن افعل هذا فعلا » .

وقرا كوبر فقرة من تقرير بولاك المكتوب يقول فيها : « وعلى هذا فانى اعتقد ان سرحان شخص مـــريض نفسيا » .. ثم سال : هل سرحان شخص مـــريض نفسيا ؟..

- اجل ..

- هل سمعت من سرحان انه يتوقع أن نحكم عليه بعامين اثنين .

- اجل ..

- هل ترى انه شيء عادى من شخص درس عامين فى الجامعة ، وتردد كثيرا على المحاكم أن يتصور أنه سيقضى عامين اثنين فى السجن لقتله عضـــوا بمجلس الشيوخ ، كان مرشحاللرئاسة ؟

وحاول بولاك أن يتهرب .. وقال ان بعض السود يتصورون انهم لن يقضوا اكثر من هذه المدة فى السجن كعقوبة عن قتل احد العنصريين البيض .

ولكن كوبر بادره سائلا : « هل صادفت فى حياتك واحدا بهذه الصفة ؟

فاجاب بولاك بالنفى ..

ولكن مقارنته لسرحان بالسود « الذين يقتلون البيض » كانت كافية لتتيح للمدعى فيتس ان يعمل على خوف المحلفين من العنف الاسود ..

واشار كوبر الى قول بولاك أن سرحان كان يعتقد انه سيستطيع الهرب بعد

ارتكاب الجريمة ،فقال ان حجرة الكرار كان بها ٧٠ شخصا على الاقل ، فكيف كان يمكن أن يهرب ؟

ـ لعله كان يتصور انه يستطيع ان يتوه فى الزحام ، والا فلماذا لم يرفع ذراعيه كما يفعل الشهداء صارخا « أنا الذى قتلته ؟ »

فقال كوبر :

ـ لم يسمع أحد أبدا عن شيء كهذا ..

هل يمثل ؟

وفى صباح يوم الجمعة ، استأنف كوبر استجواب بولاك .

ـ قلت من قبل يا دكتور انك توصى بايداع المتهم فى مستشفى الامراض العقلية فى فاكافيل فهل تذكر ذلك ؟

ـ أجل ..

ـ واعتقد انك ذكرت ما قيل بالذات باعتبار ان هذا هو أقصى قدر من العقوبة ؟

ـ أجل ..

ـ وحيث يستطيع المتهم أن يحصل على العلاج النفسى اللازم ؟

ـ هذا صحيح .

وطلب كوبر من بولاك أن يدلى برأيه فى نوبات الهياج التى وقعت من سرحان اثناء المحاكمة ، فقال انها شيء عادى تماما من شخص مصاب بجنون البارانويا .

ـ هل تظن انها كانت نوبات مفتعلة ؟

ـ كلا .. انه لم يكن يمثل .

ـ هل كان سلوك سرحان فى أثناء المحاكمة هو السلوك المعتاد من شخص مهدد بفقد حياته ؟

ـ كلا .. فقد كان يبدو اكثر هياجا.. اى بكلمات اخرى ، انه لا يستطيع التحكم فى انفعالاته مثلما يفعل الاشخاص العاديون .

مرافعة الادعاء

وأخيرا ، انتهت مرحلة الشهود ، وجاءت اللحظة التى انتظرها الجميع بفارغ الصبر بعد كل هذا الكلام العلمى المعقد عن النفس وأمراض النفسودرجات الخلل العقلى .

ووقف فيتس ليلقى مرافعـة الادعاء بادئا بـكذبة زعم فيها انهم - اى المدعون - لم يعرفوا شيئا عن هذا الدفاع « النفسى » قبل أن تبدأ عملية اختيار المحلفين ، وانه شخصيا ليس خبيرا فى مسألة النفسيات هذه تمـاما مثل المحلفين .

وكان هذا ايضا غير صحيح ، فقد كانت مناقشات فيتس مع الاطباء تدل على انه مطلع اطلاعا جيدا فى هذا الميدان .

وببراعة شديدة ، اخذ فيتس يهاجم شهادة اطباء الدفاع .. بادئا بالدكتور سكور و « بطاقاته » وتحليله « مر المذاق » ولم ينس بالطبع أن يهاجم انتحال سكور لاراء الغير ونسبتها لنفسه .

ثم انتقل الىشهادة ريتشاردسون فطلب منالمحلفين ان « يزنوا بانفسهم » أقواله ، بعد أن وصفه بانه يصلح أن يكون « ميكانيكيا ماهرا » .

وقال فيتس ان ماركوس لم يقدم تشخيصا على الاطلاق ، وان ديامـوند لم يفعل شيئا أكثر من انه صدق رواية سرحان أولا ثم حاول ان يثبتها .. وأضاف: ولكن لدينا هنا الدكتور بولاك الذى وجد امامه سرحان آخر !

وفى قفص الاتهام كان سرحان يبدو سعيدا ، عاجزا عن كبت ابتساماته فقـد كان راضيا تماما عن تحليل بولاك الذى يوافقه ، وبأن فيتس يقدر بولاك كل هذا التقدير الذى لا يعطيه لماركوس أو ديامونـد .

وركز فيتس طويلا على اضعف نقطة فى تشخيص ديامونـد ، وهى التى تقول بأن سرحان كان فى حالة انفصام شخصيته لحظة اطلاق النار ، وأثناء كتـابة مذكراته .

- ولـكن متى بدأ سرحان - فى رأى ديامونـد - حـالة انفصام الشخصية هذه ؟ أثناء الطفولة ، أم بعد سقطته من فوق ظهر الجواد ؟ أم عند ممارسـته لتجارب الروزيكورشيانز ؟ ان الدكتور ديامونـد يستمد معلوماته هنا من مـصادر سرحان ومنير سرحان نفسه .. اى ان كل ما يقول يعتمد بالكامل على ما يقـوله سرحان أو عائلته . وانه لغريب حقا من رجل يزعم نفسه عالما ان يستنتج من هذا أن سرحان كان فى حالة سكر ، فرأى نفسه فى المـرآة ، فقتل كنيدى وهو فى غيبوبة او وهو فاقد الوعى .

« ولكن ماذا يقول ديامونـد نفسه عن استنتاجه ؟ انه هو نفسه يصفه بأنه غير معقول ، وشاذ ، ولا يمكن تصديقه .. حسنا .. هل اقول انا غير ذلك ..» ولتكن الكلمة الاخيرة هى كلمة الدكتور ديامونـد نفسه .

فهل معنى هذا ان فيتس يرفض رأى الاطباء كلية ؟ كلا . انه مستعد للتسليم بان سرحان مريض .

ـ بصراحة انا سعيد بالقول ان سرحان مريض ، فان احــدا لا يستطيع ان يتصور مخلوقا يدخل فندق الامباسادور المزدحم ويطلق ثمان طلقـــات فى جسم السناتور كنيدى دون ان يكون مريضا .. ولكن هنـــاك مرضى كثيرون من نفس النوع تغص بهم السجون لارتكابهم جرائم السرقة والاغتصاب والقتل .. ولابد ان نجد طريقة لوضع حد لهذا العنف فى امريكا .

واخذ فيتس يعدد القرائن .. شراء سرحان للمسدس .. تهديداته فى مذكراته بخط يده .. شراؤه للطلقات .. تعقبه لكنيدى قبل الحادث بيومين .. تدريبه على اطلاق النار السريع فى نفس يوم الحادث .. استفساره فى فندق الامباسادور عن الحراسة حول كنيدى قبل اطلاق النار .. واخيرا وصوله الى حجرة الكرار حاملا مسدسه المحشو .. وانتظاره لمرور كنيدى آجلا أو عاجلا ليفرغ فى راســه رصاصاته .

وهنا ذكر فيتس المحلفين بامتناع سرحان عن الــكلام عقب القبض عليه . وتعمده ترك رخصة سيارته فى السيارة وكيف انه كذب عندما قال انه اعتاد ترك الرخصة بالسيارة مع أن احد مستخدميه السابقين أكد انه شاهده اكثر من مرة يخرج رخصته من جيبه .

وهنا اخذ سرحان يقول :

ـ انه يكذب .. هذا الرجل كذاب .. أنا لا اريد ان أسمع هـــذا .. انى سئمت كل هذا الهراء ..

سبق الاصرار

ومرة اخرى يرفع القاضى ووكر الجلسة ، ريثما يهدىء بارسونز سرحان فى قفص الاتهام .

وعندما عادت الجلسة الى الانعقاد أشار فيتس باصبعه الى سرحان قائلا انه واثق من انه يمثل ، وان هياجه هذا مفتعل . وعاد فيتس يعدد ادلة الاتهام ويبرهن على ان سرحان انما يتظاهر كاذبا بفقدان الذاكرة ، فاعاد الى اذهان المحلفـــين شهادة جامع القمامة والكتابة فى المذكرات والشهود الخمســة الذين رأوه وهو يتدرب على اطلاق النار بسرعة فى نفس يوم الحادث ونفيه للمحامين انفسهم انه كان فى فندق الامباسادور يوم ٢ يونيه وخلص من هذا كله الى قوله :

ـ كيف نوفق بين اقوال كل هؤلاء الشهود ، ومزاعم سرحان ؟ انى اقرر انه كان يدرك تمام الادراك ان كافة هذه التصرفات انما هى تصرفات منطقية من رجل قرر ان يغتال السناتور كنيدى ، وانه ادرك انها دليل على سبق الاصرار . وهذا هو السبب فى انكاره لها بكل هذه القوة ، اما من هياج سرحان فى ساحة المحكمة فلم تكن اكثر من مشاهد تمثيلية .

عدالة أمريكا

وبينما كان فيتس يغادر القاعة ، وسط عدد من رجال الصحف ، قابله كوبر ، فهز يده محييا وهناه على مرافعته الرائعة . ووقف فيتس امام كاميرات التليفزيون ، ليحاول عبثا ان يلخص مرافعته التى استمرت ٤ ساعات فى دقيقتين ثم انطلق فى طريقه ، متقبلا التهانى التى قدمها اليه الكثيرون .

وعندما بلغ المصعد ، اقبلت عليه سيدة مسنة ، ضئيلة الجسم وقالت له بلهجة عزاء :

ـ حسنا .. لقد فعلت اقصى ماتستطيع ، لم يكن بوسعك أن تفعل اكثر من هذا ..

وفتح فيتس فمه مندهشا فقد كان يعلم انه القى بالفعل مرافعة رائعة .

ولكن الدفاع كان فى تلك اللحظة فى الداخل يحاول جاهدا أن يتغلب على الاثر الذى تركه فيتس وبدا بارسونز يقول ان الاعدام او السجن مدى الحياة لسرحان لن يكون من العدالة فى شىء . واضاف ان الحكم الذى سيصدر يجب أن يكون رسالة تجد طريقها الى كل كوخ والى كل بقعة صحراوية فى العالم العربى وفى أوروبا لتقول للناس كافة ان اى انسان يستطيع ان يجد العدالة فى امريكا .

ـ ان العدل فى هذه القضية لن يكون بعقوبة الموت او السجن مدى الحياة لهذا المريض المسكين الذى لم يكن يعى ما يفعله .

ومضى بارسونز يقول :

ـ ان الامر يحتاج الى شىء من الشجاعة لكى يصدر الاتهام السليم فى هذه القضية . شىء من الشجاعة لكى يتحقق العدل . ولكن العدل لابد ان يتحقق لان هذه القضية سوف تحتل مكانها فى كتب التاريخ .

ولكن كان واضحا ان بارسونز فقد الامل ، لانه اخذ يتكلم كانما وصلت هيئة المحلفين الى توجيه تهمة القتل من الدرجة الاولى ، قال :

ـ انى لا اؤمن بعقوبة الموت .. انى لا اصدق انكم تستطيعون هنـــا انتزاع حياة هذا الرجل ·· ان الله وحده هو صاحب هذا الحق ·

واستطرد بارسونز يقول انه يسلم بأن سرحان قتل كنيـدى ، تماما مثلمـا اغتيل شقيقه جون كنيدى منذ ٥ سنوات ، ثم قال بلهجة مسرحية : لا يوجد رجل فى امريكا لا يصلى كل ليلة من أجل من بقى من هذه العائلة .

وهنا ، فوجىء الجميع بسرحان ـ الذى كان يســـتمع مبتسما لمرافعـــة بارسونز طول الوقت ، ينفجر فى الضحك ، ثم يرفع يده بسرعة ليخفى فمه .

وهكذا انهى بارسونز مرافعته ، دون ان يناقض أية نقطة هامة من النقاط التى أثارها المدعى فيتس ، ولم يكن بيرمان افضل منه ، وانمـا اكتفى بالتركيز على ان سرحان قد ذلل على جنونه المطبق عندما طلب بنفسه الحكم عليه بالاعدام فى غرفة الغاز .

ـ ولو رأيتم وجهه ، وأصابعه المتقلصة ، وارتعاش جسمه من اعلى الراس لاخمص القدم ، لتاكدتم أنه لا يمكن أن يكون ممثلا . وكان السبب فى هـــذا كله وجود فتاتين كنا نريد سماع شهادتهما ، ولكنه أصر على الاعتراض ، وطاوعناه نحن فى النهاية لانه لم يكن لدى الفتاتين الكثير لتقولاه ، وأعتقد اننا نعرف شيئا عن طبائع البشر ، ونعرف ان هذا النوع من التفكير لا يصدر الا عن عقـل مختـل . ولا يهم هنا تعريف هذا الخلل .

وفى هذه اللحظة ، كان سرحان يعبث بابهامه بين اسنانه ، وقد اكتسى وجهه نظرة حاقدة ، وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة بينما علا صوت بيرمان وهو يقول :

ـ اننا باسم الانسانية ، لا نستطيع ان نوجه الى شخص عاجز العقل تهمـة القتل من الدرجة الاولى ، انى اقول لكم هذا ببساطة ووضوح . وانما بايمان كامل باسم الانسانية .

واخيرا ، دعونى اذكركم بالقاعدة الاساسية للمجتمع الحر، الا وهى انه اذا ما انتهـــكت حقوق شخص واحـــد فـكأنما انتهـكت حقوق الناس جميعا ·· ولن استطيع ان اقول مزيدا بكل ما أملك من قوة وطاقة ، وانما الامـر لله بين يديكم والمسئولية مسئوليتكم ، والحكم حكمكم ، والرأى الاخير لكم ولسوف تقفون مع الحق ، رغم كل بشاعة هذه الجريمة .

وبهذه النهاية التى لا داعى لها سوى تذكير المحلفين ببشاعة الجريمة ، ختم بيرمان مرافعته ، بينما التفت سرحان الى شقيقه عادل الذى كان يجلس خلفه فى القاعة ، وهز كتفيه ساخرا .

ذهب كوبر اثناء الاستراحة الى غرفة الحجز والتقى بسرحان وقال له « ثق بي .. انا اعلم انك لا تحب ما اقول غير انني احاول ان تكون ادانتك بتهمة القتل من الدرجة الثانية .. ثق بي » ..

وقف كوبر بعد ذلك امام هيئة المحكمة وبدأ مرافعته بشكر القاضي والمحلفين وقال موجها حديثه للقاضي انه واثق من انه سيكون عادلا لان سير اجراءات التحقيق في كل مراحله كان كذلك ، وفي البداية لا بد ان اقول انني لست هنا لكي ابرىء مذنبا . فسرحان مدان بقتل السناتور روبرت كنيدي ، ولكني اؤكد على النقيض لما قاله زميلي فيتس امس ، أنه ليس من واجب المحامي ان يبرىء رجلا مذنبا ، فواجب المحامي ان يتبنى القضايا التي هيقانونية وعادلة.. واجب المحامي هو ان يدافع عن مثل هذه القضايا لا ان يحاول تبرئة مذنب .. ونحن هنا لا نطلب البراءة » .

والقى كوبر بقنبلة ادهشت القاضي وكل من في قاعة المحكمة عندما قال : « سواء رضي السيد سرحان بذلك ام لم يرض ، ففي اعتقادي انه يستحق ان يقضي بقية حياته في مصحة الامراض العقلية .

ولم يبد على سرحان للوهلة الاولى أي رد فعل .. ولكن لوحظ ان والدته ماري سرحان التي كانت تجلس في الصف الثاني بدأت تهمهم .

وقال كوبر ان امام هيئة المحكمة قضية محددة وهي : هل كان المتهم يتمتع بكامل قواه وارادته أم لا .. ففي الاجابة على السؤال تكمن مفاتيح القضية كلها . ان المشكلة الوحيدة هي ان القتل من الدرجة الاولى لابد وان يسبقه سبق الاصرار والترصد . أما القتل من الدرجة الثانية فانه يسبقه الترصد ولكن ليس مع سبق الاصرار .. والقضية التي نحن بصددها هي قضية قتل مع عدم سبق الاصرار او الترصد

ومضى كوبر يقول : ان تقارير الاطباء النفسية اكدت ان سرحان لم تكن لديه القدرة على سبق الاصرار أو الترصد .

« ان هناك في شخصية المتهم نقيضين .. سرحان الطيب وسرحان الشرير ، أما سرحان الشرير فهو شخصية مضطربة ، ولقد أحببت دائما سرحان الطيب الذي يمكن ان يظل شخصية وديعة ومحبوبة طالما بقي خلف الجدران »

وذكر كوبر ان قتل كنيدي اقترن بشرط سبق الاصرار والترصد غير انه اكد

أن مثل هذه الحالة يمكن أن تكون عقوبتها القتل من الدرجــــة الثانيــة وذلك بالرجوع الى قانون الارادات المسلوبة · وهو قانون لا يمكن تجسيده بوضوح .

واشـــار كوبر الى بعض الحقائق التى تصـــور شخصيه سرحان وافتقـاره للنضج والتفكير السوى . فضرب على ذلك مثلا بصيحاته الهستيريه داخل قاعات المحكمة .. وحلل حالته المزقة ليلة الاغتيال باستفاضة ، ثم اخذ يفند تقـارير الاطباء النفسيين الذين اجروا كشوفا طبية ونفسية على سرحـــان . فذكر انه يختلف مع بعض الاطباء الذين لم يستطيعوا أن يتبينوا بوضوح العقد النفسية التى يعانى منها سرحان ، واثنى على الذين أكدوا ان سرحان يعانى من مرض جنون العظمه والشيزوفرانيا . وقال ان الدكتور بولاك وان كان لم يستطع خلال مقابلته الاولى مع سرحان أن يضع يده على الخيوط الاساسية لشخصينه الا انه انتهى الى نتيجة بان سرحان يعانى من جنون العظمه وسببه به العواطف الجامحة مما يعزز الراى القائل بانه يعانى من عقد نفسية واضطراب نفسى .

وذكر بولاك ان المرض العقلى الذى يعانى منه سرحان يمكن ان يكون مبررا قويا للتشكيك فى قدرته على التفكير السوى وبالتالى فى احقيته للعقوبة مقـــابل جريمة ارتكبها . وطالب كوبر بان تكون عقوبة سرحان هى الادانة بالقتـــل من الدرجة الثانية على أن تصدر المحكمة قرارا يقضى بارساله الى مصحة عقليـــة ليقضى بها بقية حياته .

ونهض كومبتون المدعى العام صائحا : « ان الاسلوب الذى يلجا اليهالدفاع ليس أسلوبا سليما » ورد ووكر بانه لم يطل فى موضوع العقوبة التى يستحقها سرحان لانها نوقشت بافاضة شديدة وتدخل فيبس فهمس فى اذن القاضى ووكر بان يصدر تعليماته الى هيئة المحلفين بانبحث النتائج القانونية المترتبـــة على كلا الحكمين كل على حدة . غير ان القاضى تجاهل هذا الاقتراح ، وتحدث كوبر من جديد فقال ان كل ما يريده هو محاولة عرض القضيه طبقا لتسلسلها المنطقى . وانه لا يعتقد بالتأكيد ان سرحان يستحق ميدالية مكافأة له على ما فعل .. غير اننى اعتقد ان كل الدلائل التى بسطناها امامكم وان كل ملابسات القضية تبرر أن تصدروا حكما بأن المتهم مذنب فى جريمة قتل من الدرجة الثانية »

حقا لم يكن ذلك يوم كوبر فى المحـــاكم ، وربمـــا كان ذلك اليوم مـــن أسـوا أيامه فى ساحة القضاء ، ولقد تحاشى كوبر ان يتحدى الادعاء فى تفسيره للحقائق ، كذلك فانه لم يكن متحمسا للتفسيرات التى قدمهـــا الخبراء الذين استعان بهم ، ولم يقدم كوبر المبررات المقنعة التى تؤكد وجهات نظره بل كان معظم ما قاله فى خدمة وجهة نظر كومبتون المدعى العام .

لماذا يرتكبون الجريمة

قال كومبتون والميكروفون أمام فمه ويداه في جيوبه : اننا نرى في هذه القاعة سنويا مابين ٣٠ و ٣٥ ألف متهم .. ودائما اسأل نفسي : هل يمتع واحد من هؤلاء بالقدرة على الحكم الصائب والنضج في التفكير ؟.. طلبة الجامعــة الذين يضبطون متلبسين بتعاطى المارجوانا او بتدخين الحشيش وشم الهــيروين .. الشاب الذى يسطو على متجر للمشروبات الكحولية لسرقة زجاجة ثمنها ١٥ دولارا الشاب الذى يحطم واجهة محل جواهرجى لسرقة لؤلؤة .. هل يمنع كل هؤلاء بالقدرة على الحكم الصائب والتفكير الناضج ؟ الواقع ان احدا من هؤلاء لا يقدم البرهان على نضجه أو قدرته على التصرف السليم .. ومع ذلك فالمحاكم ملأى بهم

ماذا عن الشاب الذى يحطم واجهة محل جواهرجى .. انه لا يفعل ذلك الا لواحد من اسباب ثلاثة .. اما ان يكون جائعا ، أو فى حاجة الى نقود ، أو انه يريد وضع اللؤلؤة فوق تمثال فى بيته لصرف الارواح الشريرة من البيت وهى كلها أسباب تتصف بالجنون ولكن ماذا نعنى ؟ ان الشاب بعد كل شيء سرق اللؤلؤة .. القضية هى . كل شخص ناضج وعاقل يتخذ دائما قرارا صائبا ؟

واشار كومبتون الى السبورة التى كتب عليها كوبر اسماء الاطباء النفسيين الذين اجروا فحوصا طبية لسرحان .. لقد ذكر هؤلاء الاطباء ان عنصر الترصد لم يكن قائما عندما ارتكب سرحان فعلته .. بينما نرى المحامى عن سرحــان يطالب بادانة موكله بتهمة القتل من الدرجة الثانيــة مع ان الادانة بمثل هذه التهمة تشترط وجود عنصر الترصد .. ومعنى هذا ان كوبر يرفض من حيث لا يدرى تحليل اطبائه

ولو اخذنا برأى الاطباء فانه سيكون من الحماقة أن نعاقب سرحان بشيء ، فما معنى عقاب شاب ليس مسئولا عما فعل . فاذا اقتنع القاضى والمحلفون بأن ما جاء فى تقارير هؤلاء الاطباء لا يساوى شيئا مثلما اقتنع أنا فان الامر يصــبح واضحا تماما وهو اننا بصدد جريمة قتل من الدرجة الاولى .

وطلب كومبتون من المحلفين بان يتمعنوا فى الحقائق وسرد كل الملابسات التى احاطت بالجريمة قبل وقوعها ، وقال للمحلفين ان عليهم ان يحكموا عقلهم الراجح فى كل هذه الملابسات ذلك لانها تؤكد وجود سبق الاصرار أيضا .

واضاف المدعى العام : لقد قال سرحان انه علم ان كنيدى كان فى أوريجون ولم يكن احد منا يعرف هذه الحقيقة .. ان معنى ذلك ان سرحان كان يتعقب السناتور كنيدى وانه كان يتعقبه ، بقصد أن يقتله .

وفى هذه اللحظة ابتسم سرحان ـ ووصف أحد الصحفيين هذه اللحظة فقال: « ابتسم سرحان كما لو كان قد شعر بانه ضبط متلبسا » .

ان سرحان يعتقد تماما ان ما فعله كان امرا صائبا .. ليكن ذلك صحيحا ولكن ليس هذا مبررا لاعفائه فرجال كوكلوكس كلان يذبحون السود ويؤمنون بان ما يفعلونه شيء اخلاقى ولكن هذا ليس عذرا يبرر اعفاءهم .

وهاجم كومبتون الاطباء النفسيين متسائلا : لماذا ياتى الاطباء النفسيون الى هنا ويكذبون ؟.. ساجيب بنفسى على هذا السؤال ان كل ما يعنى هؤلاء الاطباء لتبرير عملهم ووجودهم هو ان يكتشفوا وجود خلل فى اى شخص ، واننى على ثقة من أن هؤلاء الاطباء لو أجروا كشفا على هيئة المحلفين فانهم سيجدون خللا .

⦿●⦿

ناقش القاضى ووكر وهيئة الادعاء القانون الذى تحتاجه هيئة المحلفين للاسترشاد به فى هذه القضية . وقرا ووكر تعليماته الى هيئة المحلفين « الاغتيال هو قتل انسان بطريقة غير مشروعة مع سبق الاصرار والترصد والعمد . اما القتل من الدرجة الثانية فهو أن يقوم شخص لا يملك القدرة العقلية السوية والنضج الكامل باغتيال شخص اخر بحيث لا يتوافر عنصر سبق الاصرار فى الجريمة » .

بعد خمسة عشر اسبوعا بالضبط من بدء المحاكمة صعد المحلفون الاثنا عشر سلما من الخشب الى حجرة خاصة بداخلها منضدة اجتماعات قديمة وسبورة ترجع الى عهد قديم ، وكان هناك استعداد كاف فى الصومعة بحيث يجد المحلفون والمحلفات طعامهم وشرابهم .

وكانت هيئة المحلفين مكونة من سبعة رجال وخمس نساء ، وقد تم استبدال اثنين من المحلفين بغيرهما خلال المحاكمة ، وبذلك لان الاولمات قريب له فاعتذر اما الثانى فقد اصيب بنزيف ناتج عن قرحة فى المعدة .

قرار المحلفين

جلس القاضى ووكر مستريحا على مقعده يتحدث الى الصحفيين فى ود غير مالوف.. قال القاضى « لا بد انهيئة المحلفين تكتب الان قرارها وتختار من يمثلها فى تلاوة القرار امام المحكمة . وروى قصة قضية قديمة جلس فيها المحلفون اربعة أيام متواصلة وهم عاجزون عن التوصل الى قرار وعندما توصلوا اليه اختاروا اصغرهم سنا لتلاوته .

ومن الناحية الاخرى كان الصحفيون يتشاورون فيما بينهم : هـل سيكون الحكم من الدرجة الاولى ام من الدرجة الثانية ؟

وقالت الاغلبية انه سيكون من الدرجة الاولى .

وكانت مجلة تايم قد أجرت استفتاء بين عدد من القانونيين ، قالت غالبيتهم ان الحكم سيكون بالادانة بتهمة القتل من الدرجة الاولى .

صفقة سياسية

كان على الجميع ان يعيشوا لحظات الانتظار الطويلة - فحراس السجن الذين كانوا يرتدون الخوذات الحديدية ويحرسون زنزانة سرحان داخل مبنى المحـــكمة ، كانت تراودهم الآمال فى ان تصـــدر الحـــكم بالادانة بتهمة القتل من الدرجة الاولى . وفى الطابق الثالث عشر كان سرحان يجلس مسترخيا فى زنزانته عاجزا عن القراءة . وقد استبد به التعب بسبب التوتر الشــــديد الذى شعر به طوال ١٥ اسبوعا هى فترة المحاكمة .

وكانت مارى سرحان تجلس فى شقتها تتلو آيات من الانجيل المكتـوب باللغة العربية .

وكذلك عكفت هيئة الادعاء رهيئة الدفاع كل منهما على تهيئة اوراقهما .

وكان بارسونز يبدو قلقا لانه لاحظ ان الصحفيين تجاهلوه فى الفتـرة الاخيرة ..

وقال بارسونز لجرين انه يحاول منذ فترة عقد اتفاق حول سرحان بين الدول العربية والولايات المتحدة . والواقع ان بارسونز لم يفعل شيئا اكثر من أن يتحدث عن هذا الموضوع ولـكنه قال ان عيسى نخـــله موجود الآن فى نيويورك لكى يتفق على اتمام صفقة بين امريكا والاردن . وكان احد المسئولين الاردنيين موجودا آنذاك فى نيويورك . وكان من راى بارسونز ان الاتفاق مـع الاردن يمكن ان يخفف من وطأة النقد الموجه للسياسة الامريكية فى العـــالم العـــــربى ..

ثم اتضح فيما بعد ان مثل هذه المحاولات كانت تتسم بعدم النضج لان احدا لم يكن قد تحدث الى أى مسئول اردنى عنها .

المحلفون فى صومعة

فى السادس عشر من ابريل طلبت هيئة المحلفين ان تنزل من صومعتها لاستيضاح احدى النقاط المتعلقة بالتعليمات التى اعطيت اياها قبل دخولها الصومعة حول ثبوت جريمة القتل من الدرجـة الاولى او من الدرجة الثانية ..

واجتمع القاضي وهيئة الدفاع والادعاء مع المحلفين الذين ســالوا عن احدى النقاط المتعلقة بثبوت جريمة القتل من الدرجة الثانية فرد القاضي بأن ما ذكره في تعليماته كان صريحا • كل ما هناك ان الجمل طويلة بعض الشيء • واوضح لهم القاضي ووكر ما ارادوا الاستفسار عنه ثم سألهم « هل اصبح كل شيء واضحا قبل ان تعودوا الى مكانكم لتكملوا كل شيء» ••

وفي الساعة العاشرة والدقيقة ٤٧ من صبيحة يوم الخميس خرج بروس اليوت من الصومعة بعد ان دق الجرس ثلاث مرات مشيرا الى ان المحلفين توصلوا الى القرار •• وكان قد مضى على دخولهم الى الصومعة ١٦ ســاعة و ٤٢ دقيقة امضوها في مشاورات مستمرة •

وفي الحادية عشرة تماما دخل سرحان الى غرفة المحكمة وهو يطرد من فمه النفس الاخير من سيجارة كانت في يده واتخذ مجلسه في القاعة • وربت بارسونز عليه فابتسم سرحان •

وفي الحادية عشرة و ٩ دقائق اتخذ المحلفون مجالسهم في القاعة •• لم يكن احد منهم يبتسم •

وتكلم القاضي ووكر « سيداتي سادتي اعضاء هيئة المحلفين •• ان لديكم الان قرارا » •

ورد بروس اليوت المتحدث باسمهم « لدينا الشرف يا سيدي » •• ثم سلم القرار لاحد الكتبة الذي سلمه بدوره الى القاضي ووكر •

نظر القاضي ووكر الى القرار ثم قرأه دون ان يبدو على وجهه اي انفعال وبعد ذلك سلمه الى اليس نيشيكاوا التي قرأته بصوت مرتفع :

« نحن • هيئة المحلفين ، وجدنا ان المتهم سرحان بشارة سرحان مذنب في جريمة القتل طبقا للمادة ١٨٧ من قانون العقوبات ، ووجدنا ايضــا ان الجريمة تعتبر جريمة قتل من الدرجة الاولى •• ١٧ ابريل ١٩٦٩ • عنهم بروس اليوت » ••

وتحدث القاضي ووكر « سيداتي سادتي هيئة المحلفين هل هذا هو حكمكم •• هل توافقون عليه جميعا ؟ ••

وهمس المحلفون والمحلفات معلنين الموافقة •

وكان سرحان فى تلك اللحظة يتطلع فى ثبات الى الناحية المواجهة له •
وطلب المحامى كوبر ان يعلن المحلفون واحداً واحداً موافقتهم على القرار فردوا جميعا ، واحدا واحدا مؤكدين الموافقة •

وسمعت عائلة سرحان بالحكم فى المنزل عندما قطع التليفزيون برامجه ليذيع النبأ . ورد عادل سرحان على احد الصحفيين الذين طلبوه فى التليفون « لا جديد يمكن ان اقوله لك لم نكن نتوقع هذا الحكم » •

اعتراض على المحلفين

وضعت « اليس نيشكاوا » الحكم فى مظروف ثم ختمته باختام المحكمة وكان جميع من فى القاعة ينصتون الى صوت الختامة فى صمت رهيب •

وقام المحامى كوبر يطلب من القاضى تعيين هيئة محلفين آخرين • وتدافع المحامون والمدعون نحو منصة القاضى فنادى سرحان احد الحراس يسأله « ماذا يفعلون هناك ؟ » فاجابه الحارس « ان محاميك يطلب هيئة محلفين جدد » فقال سرحان على الفور : « لا اريد هيئة محلفين جدد • أريد هذه الهيئة » ثم اشار بيده الى المحلفين قائلا : « اريدهم أن يصدروا قرارا باعدامى » •

ورفض القاضى طلب الدفاع بتعيين هيئة محلفين جدد •• واقترب كوبر وبارسونز من سرحان وتحدث كوبر اليه قائلا انه لا ينبغى ان يردد مرة اخرى تهديداته بانه لا يريد هيئة محلفين جدد وانه يريد صدور الحكم باعدامه .

خرج المحامون وممثلو الادعاء من قاعة المحكمة ليجدوا عشرات الصحفيين فى انتظارهم ••

وسأل البعض كومبتون عما اذا كان سيطلب صدور الحكم باعدام سرحان بعد ادانته بتهمة القتل من الدرجة الاولى •

فاجاب بأن هذه القضية فريدة فى نوعها وانه لا يستطيع ان يقطع برأى الان ••

وذكره احد الصحفيين بانه قال ذلك مرة اثناء مرافعته انه يوافق على صدور الحكم بسجن سرحان مدى الحياة ، فاجاب كومبتون بان هذه المسألة متروك تقديرها لهيئة المحلفين التى عليها ان تجتمع من جديد لترى اى حكم يستحقه سرحان ••

وسأل صحفى كوبر عن رأيه فى الحكم فاجاب بانه لا يدرى تماما ماذا كان يجول فى خواطر المحلفين ولكنه لن يعترض على قرارهم • وقال كوبر ان

سرحان مستاء من الحكم ، فسئل كيف عبر عن هذا الاستياء فأجاب بأن الاستياء كان واضحا على وجهه ماما .

واختتم كوبر تصريحاته بقوله « كل ما أريد ان اؤكده اننا بذلنا كل ماف استطاعتنا وخسرنا القضية » .

جلست هيئة الدفاع في المركز الموسيقى لتناول طعام الغداء . وكان التجهم باديا على الوجوه .. كانت هذه هى القضية الثانية التى خسرها كوبر فى مرتين متتابعتين .

واعترف كوبر فى الحديث بانه لم يكن هو الاخر يستسيغ وجهات النظر التى ابداها الاطباء النفسيون ، وانه لم يفاجأ عندما لم تقتنع هيئة المحلفون بارائهم وقال : « لا استطيع ان الوم هيئة المحلفين ولا القاضى ووكر ، واعتقد أن القاضى لم يكن يحب ان يرى الاطباء النفسيين فى غرفة المحكمة » .

شاهدان عربيان :

وفى داخل قاعة المحكمة ، وفى غياب هيئة المحلفين قال كوبر ان جميع افراد هيئة المحلفين لا بد أن يعرفوا القصة كلها فلقد اعترف بعضهم بأنه لم يتابع القضية بكل تفاصيلها . ولهذا فانه يريد أن يعرف المحلفون القصة من اولها وان يعرفوا أيضا أن من رأى المدعى العام فى لوس انجلوس أن سرحان لا يستحق الموت فى غرفة الغاز .

ورد كومبتون بأن العرف القضائى ليس فى صف كوبر فى هذه المنطقة واقره القاضى على رأيه ..

وسأل كوبر - هل أستطيع ان اقدم شاهدين عربيين يقولان كل شىء عن الجوانب التاريخية للنزاع العربى الاسرائيلى ، لان معظم المحلفين ليسوا على دراية كافية بالنزاع .

ورفض القاضى هذا الطلب ايضا توجه عادل سرحان الى غرفة الحجز وتحدث مع سرحان لمدة ١٥ دقيقة ، ثم خرج من الغرفة دون أن يبدو عليه أنه مستعد لان يخبر أحدا بما دار من احاديث .

مارى تشهد

دعا كوبر السيدة مارى سرحان لكى تدلى بشهادتها امام المحلفين قبل أن يصدروا قرارهم النهائى بنوع العقوبة التى يستحقها سرحان ، ونهضت السيدة العجوز وقد تورمت عيناها من كثرة البكاء طوال المحاكمة - وكادت السيدةمارى تسقط لولا أن استندت بيدها على كوبر فقد دفنت ثمانية من

اطفالها الثلاثة عشر وعاشت حربين ثم هجرها زوجها بعد ذلك .

وسألها كوبر ـ هل خالف سرحان القانون يوما ما ؟

فأجابت السيدة العجوز ـ قط .. لم يحدث قط شيء من هذا ، وهذا ليس بدافع مني ، ولكن لانني ربيته على طاعة الله ومحبته .

واستدار كوبر ناحية هوارد قائلا انه ليس لديه شهود جدد .

وكانت هذه أقصر جلسة لسماع الشهود في تاريخ ولاية كاليفورنيا .

بدأ جون هوارد مرافعته ، لم يقل شيئا عن العقوبة التى يريدها ولكنه قال كلاما لم يكن يترك مجالا للمحلفين غير أن يختاروا عقوبة الاعدام .

قال هوارد ـ لقد قتل روبرت فتزجرالد كنيدى فى لحظة كان يمثل فيها آمال وافكار قطاع كبير من هذه الامة .. البعض يقول أن هذه الجريمة لهـا بواعث سياسية ولكن فليتصور المحلفون ماذا يمكن ان يحدث لو وقعت فى الولايات المتحدة ٢٠٠ جريمة من هذا القبيل .

ومضى هوارد يقول ـ واجبكم ان تفصلوا فى وجود سرحان فى هـذا المجتمع ، أو تبعدوه عن مجتمعكم .. ان هذا المتهم سيعتبر اى قرار ببقائه على قيد الحياة انتصارا شخصيا له .. لا ينبغى عليكم ان تتركوا له الفرصة لكى يتباهى بأنه ارتكب جريمة القرن العشرين .

واضاف ـ لقد قرأت صحيفة هذا الصباح فوجدت انها كتبت خبرا صغيرا جدا عن مصرع ٢٠٢ جندى من قواتنا فى فيتنام اما بقية الصفحة فقد خصصتها لهذه المحاكمة .

ونهض راسل بارسونز ليتولى مرافعة الدفاع ، وكان وجهه متجهما عندما قال « لم يقل الادعاء صراحة انه يطلب الموت لسرحان ولكنه قال ذلك بوضوح من خلال مرافعته ، ان ما نريده الان ليس انقاذ سرحان من الموت وانما العدالة ، وان العالم بأسره يتطلع اليكم ليرى ما اذا كنتم ستنطلقون بالحكم الذى يحقق العدالة أم لا ..

وبدأ كوبر مرافعته فتحدث عن الجوانب التاريخية للقضية قائلا انه حدث فى الخامس من يونيو ان لقى السناتور كنيدى مصرعه بعد ان حقق انتصاره الاول فى الانتخابات التمهيدية للرئاسة على يد شاب فلسطينى عربى مختل القوى العقليـة ..

كان سرحان ساعتئذ يلوك فى فمه قطعة من اللبان وكان يتجول بعينيـه فى أى مكان غير عابىء بشىء على الاطلاق .

ومضى كوبر فى مرافعته فقال ـ على ارض احد ممرات فندق الامباسادور مات كنيدى ضحية للكراهية .. الكراهية التى اشعلتها نيران حرب وقعت

بعيدا عن اراضى الولايات المتحدة .. الكراهية التى تملكت وجدان الطفل سرحان فى سنى شبابه الاول فتركت بصماتها على عقله ليتحول هذا العقـــل الى انسان آخر وصفه الاطباء النفسيون بانه مريض بقواه العقلية الى درجة كبيرة وقال كوبر ان امام هيئة المحلفين طريقا من اثنين اما ان تحكم عـــلى سرحان بالسجن مدى الحياة واما ان تحكم عليه بالموت فى غرفة الغاز .

وهكذا فان على هيئة المحلفين ان تختار بين واحدة من هاتين العقوبتين وقال كوبر انه يعتقد ان هيئة المحلفين اصدرت قرارها بادانة سرحان بتهمة القتل من الدرجة الاولى اعتمادا على تقرير الدكتور بولاك ، ولقد اوصى هـــذا الطبيب ايضا بان سرحان مريض عقليا ولا ينبغى ان يموت فى غرفة الغاز .

ضمير المجتمع

وطلب كوبر من هيئة المحلفين ان يستمع الى ما قاله السناتور كنيـــدى نفسه عن العنف والكراهية . لقد قال روبرت كنيدى قبل شهرين من مقتله « ان العنف يولد العنف .. اننا نعجب فى مجتمعنا لمناظر القتل والاغتيال التى نشاهدها يوميا فى الافلام التليفزيونية . كذلك فاننا نسمح لكل من شـــاء بأن يقتنى اى سلاح او اى كمية من السلاح يريدها فلماذا نفعل ذلك .. ان ما نريده فى الولايات المتحدة ليس الانقسام وليس العنف وليس الكراهيةوانما نريد المحبة والعدالة » .

هذا هو ماقالهكنيدىقبلموته بشهرين..وانسرحانكما تعلمون هو نتاج التفرقة والكراهية والعنف فاذا كانت الولايات المتحدة منقسمة على نفسها فان العالم ايضا منقسم على نفسه واذا كانت الولايات المتحدة تعانى من العنف فانالعالم ايضا يعانى منه كثيرا ..

واختتم كوبر مرافعته بقوله « ان انقاذ حياة سرحان يعتبر تكريما لافكار كنيدى نفسه ، وهى ان نرفض وحشية الانسان وقساوته وان نجعل حياة هذا العالم هادئة وجميلة » ..

والتفت كوبر الى سرحان وقال له : « لقد بذلت كل ما فى وســـعى لخدمة قضيتك ولخدمة المجتمع الامريكى ولخدمـــة العدالة الامريكية ثم التفت الى مارى سرحان وقال لها : « وانت يا مارى سرحان ايتها الام لا استطيع ان افعل اكثر من ذلك اننى اضع الان حياة ابنك فى يد العـــــدالة الامريكية وليستجب الله الى دعواتك ايتها الام ..

لاتتحدث اليه

دخلت هيئة المحلفين الى صومعتها لكى تتداول فى القضية ، واصطحب

بارسونز وماك كوان السيدة ماری سرحان وابنها عادل الى غرفة الحجز ليلتقيا بسرحان لمدة ثمانى دقائق وفى نفس الوقت كنت اتحدث مع منير سرحان في غرفة المحكمة ..

كان منير متفائلا : وقال لى ان سيدة من اصل مكسيكى يشترك زوجها فى هيئة المحلفين اتصلت به تليفونيا فى المنزل وابلغته ان سرحان لن يحكم عليه بأى حال من الاحوال بالاعدام .

انفتح باب غرفةالحجز وخرج منه عادل سرحان ومارى سرحان والمحاميان بارسونز وماك كوان وخرج وراءهما سرحان ليودعهما حتى الباب الخارجى فرای شقيقه منير يتحدث الى فصاح به « لا تتحدث اليه .. لا تتحدث اليه .. واسرع عادل الى غرفة المحكمة وشد منير من ذراعه ثم همس اليه ببضع كلمات عربية..

كانت هيئة المحلفين تتداول فى الحكم وبدا بروس اليوت يحصى الاصوات فاتضح ان خمسة من المحلفين يؤيدون عقوبة الاعدام بينما يؤيد ثلاثة منهم عقوبة السجن مدى الحياة ، اما الاربعة الاخرون فلم يكونوا قد قرروا شيئا بعد ..

وعادوا يتداولون من جديد وقال احد الذين يؤيدون عقوبة الاعدام « ان الادعاء كان على حق . فسرحان لم يبد قط أى دليل على ان ضميره قد انبه على فعلته » ..

وقال آخر انه تأثر بوجهة نظر المدعى العام التى قال فيها ان العقاب الصحيح لجريمة الاغتيال السياسى فى امريكا هو الاعدام .. وعندما اجرى التصويت الثانى كان هناك اثنان فقط يعارضان عقوبة الاعدام .

وفى يوم الثلاثاء كان الفونسو كاليندو وهو كاثوليكى وسوزان بروم وهى جدة عجوز ما زالا يصران على ان سرحان يستحق عقوبة السجن مدى الحياة ..

وتساءل واحد من الذين يقفون على الجانب الاخر :

« اليست عقوبة الاعدام مقررة فى القانون ؟ السنا جميعا متفقين على انه يستحق العقوبة القصوى ؟

وقال مراسل مجلة نيوزويك ان كاليندو لم ينم تلك الليلة الا بعد ان اقتنع بصورة او باخرى بهذا الرأى . وفى صباح الاربعاء كانت مسز بروم قدتحولت عن رأيها .

قال سرحان وهو فى زنزانته للمحامى بارسونز ولعيسى نخلة :

« لقد ظلوا داخل صومعتهم وقتا طويلا . واعتقد انهم سيصدرون قرارا ضـــــدى »

واخيرا وفى الساعة العاشرة وخمس وخمسين دقيقة من صباح الاربعـاء استسلم كالينـدو نهائيا وقال فى هدوء « دعونا نعد الى منازلنا » .

دق اليوت الجرس ثلاث مرات ودخل المدعون العامون وممثلو الصحافة الى قاعة الاجتماع .. ونقل سرحان من زنزانته عبر ممرات وقف على حراستها رجال عديدون الى قاعة المحكمة ، وكان كوبر متوترا ، وهمس فى اذن صديق له « انى لا احب هذا . انى لا احب هذا » .

كان ممثلو الادعاء يشعرون بالتشاؤم وقال واحد منهـــم انه سيصدم لو كانت العقوبة هى السجن مدى الحياة » . وكان عادل سرحان متوترا للغاية يشعل السيجارة تلو الاخرى . اما والدته فقد فضلت ان تبقى فى المنزل .

الحكم

جلس المحلفون على مقاعدهم وكانت وجوههم تبدو جامدة وقد تحاشـــوا هذه المرة ايضا ان ينظروا ناحية سرحان وتسلمت مسز نيشيكاوا من القـاضى الحكم وكان بتاريخ ٢٣ أبريل ١٩٦٩ ثم قرأته بصوت مرتفع :

« نحن هيئة المحلفين وقد وجدنا ان المتهم سرحان بشارة سرحان مذنب فى جريمة القتل من الدرجة الاولى نقرر انه يستحق عقوبة الموت » .

وهرع مراسلو وكالات الانباء الى الخارج ليطيروا النبا .

طلب المحامى كوبر ان يعلن المحلفون واحدا واحدا موافقتهم على هـــذا الحكم . وبداوا يجيبون « بنعم » .. وعندما جاء دور مس ســـــتلمان غطت عينيها بيدها واجابت بصوت خفيض لا يكاد يسمع « نعم » ..

اما مس بورتلز فلم تستطع النطق وأومات بوجهها علامة الموافقة وهى تكاد تجهش بالبكاء ..

قدم المحامى كوبر على الفور طلبا باعادة المحاكمة . اما بارسونز فقد هـــز راسه . ونظر سرحان الى شقيقه عادل ثم تحول بعينيه ناحية هيئة المحلفين ورمقهم بنظرة تكشف عن احتقار شديد وقال فى شجاعة « حسنا كل شىء على ما يرام ان عيسى المسيح لم يكن يستطيع ان ينقذ حياتى فى هذه المحكمة » .

التقى المحامون بممثلى الصحافة بعد ذلك وقال كوبر الذى كانت تبدو عليه الهزيمة « ان كل شىء سيىء فى هذه البلد ، وانه لامر شاق للغاية ان تكون هناك محاكمة عادلة ..

وقال كوبر انه يوافق على رأى احد الصحفيين الذى قال ان هيئة المحلفين كانت متأثرة بشخصية الضحية ، فلو كان الشخص الذى قتل رجل آخر غير روبرت كنيدى لكان المحلفون قد اقتنعوا بادانة القاتل بتهمة الاغتيال من الدرجة الثانية ..

العدالة تعنى الموت

ابدى بعض الامريكيين ومن بينهم واحد من رجال كنيدى ، دهشتهم عندما علموا بالحكم ، وقال واحد من هؤلاء « كنت اتوقع ان يكفل له المجتمع العدالة ، ولكننى اعجب لان العدالة فى عام ١٩٦٩ تعنى الموت فى غرفة الغاز »

اما سرحان نفسه فلم يكن يدهشه اى شىء من هذا لانه كان يعرف ان الولايات المتحدة تخلصت من جميع قتلة الرؤساء او الاشخاص المرموقين مثل روبرت كنيدى باستثناء قاتل واحد هو ريتشارد لورانس الذى حاول اغتيال الرئيس جاكسلن فقد قيل آنذاك انه يعانى من اختلال فى قواه العقلية .

احتفالات

وقف عدد من الامريكيين امام فندق بلتيمور وصفقوا لهيئة المحلفين عندما نزلوا من الاوتوبيس الذى اقلهم من قاعة المحكمة .. ودخل المحلفون والقاضى ووكر الى قاعة الطعام ليحتفلوا بالمناسبة .. ورأى الصحفيون الذين تجمعوا هناك اعضاء هيئة المحلفين وهم يتبادلون الانخاب جدلا ويضحكون بصوت عال .

واكتشف مراسل النيوزويك ان عددا من المحلفين جاءوا الى المحاكمة وقد كونوا رأيا سيئا عن سرحان فواحد منهم كان دائما يصف سرحان « بالنذالة» وآخر كان يصفه بانه « حيوان » يستحق ان يقطع من جسمه كل يوم قطعة من اللحم تعذيبا له ـ وتساءل مراسل « النيوزويك » ما الذى جعل هؤلاء جميعا يقررون رأيا واحدا مع ان القضية لو عرضت على عدد من الخبراء لكانوا قد اختلفوا فيما بينهم كثيرا » ..

وقالت سيدة من هيئة المحلفين انها منذ الوهلة الاولى اقرت رأيها على ان سرحان يستحق عقوبة الموت فى غرفة الغاز ذلك لان لها قريبا مات منذ فترة عندما القى القبض عليه احد الاشخاص قنبلة حارقة ..

واضافت « وتستطيعون ان تروا القاتل الان حسرا طليقا فى شـــوارع لوس آنجلوس » .

مقابلتى مع سرحان :

ذهبت لارى سرحـــان يوم ٢ مايو فقد ابلغنى كوبر ان سرحان غير رأيه وانه يريد ان يرى مـــا كتبتـــه فى كتـــابى حتى الان .. وقدمـــت الى سرحان ٢٠٠ صفحة من صفحات الكتاب عدا عدد من الوثائق وعندما قرأ عن روزفلت جرير ورامز جونسون ، حراس كنيدى السود ، قال :

« لقد خدع الزنوج روبرت كنيدى اما السود فانهم لم ينخدعوا ، لقـــد خدع من هم على شاكلة العم توم بروبرت كنيدى اما القاتلون من الســـود فلم تهزهم الصورة »

وقرأ سرحان عن اللجنة التى شكلها ليندون جونسون لبحث موضـــوع الجريمة فعلق على ذلك بقوله :

« يريدون اصدار مزيد من القوانين .. مزيد من القـــوانين لو ان كل شخص كان له الحق فى العمل والمساواة والعدالة لما كان هنـــــاك شىء من هـــذا » ..

العالم الثالث والغرب

سالت سرحـــان عما اذا كان يرى بعـــد كل ما حـــدث له انه الرجل الذى استطاع ، بصورة او بأخرى ان يضرب الضربة الاولى للعالم الثالث ضد الغـــرب ..

اجاب سرحان فى هدوء « اعتقد ذلك » ثم مضى يوضح وجهة نظـــره « ان روبرت كنيدى فاشى » .

- هل كنت تؤمن بذلك ؟ منذ البداية وقبل ان تقتل كنيدى ؟
- لا .. قرات ذلك فقط ، ثم اصبحت اؤمن به بعد ذلك .
- هل توافق على اراء انصار القوة السوداء ؟
- نعم بكل قوة
- أنت تعلم ان انصار القوة السوداء قد نفذ صبرهم .. هل نفذ صبرك ايضا ؟
- اعـــرف ذلك
- ليس لدينا الكثير لناكله او نرتديه ، ولهذا فنحن نضرب لانه ليس هناك شىء آخر بديل
- هل ضربت بعد ان استبد بك اليأس ؟

- نعم .. ولكن هذا لم يحقق شيئا نافعا .. نحن مسحوقون
وصمت سرحان برهة ثم اردف قائلا « ولكن يا للجحيم ، لقد حققت شيئ .. انهم يستطيعون قتلى فى غرفة الغاز .. لقد حققت فى يوم ما قضى كنيدى عمره كله لكى يحققه .. اننى لست فخورا بما فعلت .. ولكن ..
قال سرحان ان عواطفه رقيقة وانه يمكن ان يستفز بسرعة .
قال سرحان معلقا على سير المحاكمة انه يعتقد ان الدفاع قام بجهد لا باس به فى ظل الظروف التى كانت سائدة انذاك .. لكنه اتهم الادعاء بانه كاذب ، ومزيف .. ولقد كانوا يعلمون اننى احمل سلاحى معى دائما .. ومع ذلك قال فيتس انني عندما تركت سلاحى فى السيارة قدمت دليلا جديدا على سبق الاصرار والترصد »
وتحول الحديث بعد ذلك الى الموقف فى الشرق الاوسط .. قلت له : ان العدد الاخير من مجلة « لوك » تضمن موضوعا من اشبال منظمة فتح ، ثم سأل سرحان « هل قرأت هذا العدد ؟ » فاجاب بالنفى قائلا انه لا يقرا كثيرا هذه الايام ، وذكر انه يشك فى النوايا الحقيقية لمجلة « لوك » من وراء نشر مثل هذا المقال ، وربما كان هدف المجلة هو تقديم البرهان على ان العرب قوم متشددون ولهذا لا بد ان تعطى امريكا مزيدا من السلاح ومزيدا من التاييد لاسرائيل .. واضاف سرحان ان العرب لن يرضوا بهذا الامر .. وانهم سينتقمون ..

حل المشكلة

وسألت سرحان عن رايه فيما يجرى الان من احداث فى الشرق الاوسط « .. كيف ترى حل المشكلة .. اننى اقترح مثلا نزع سلاح المنطقة . ولنتركهم بعد ذلك يتحاربون بالايدى .. هب انك تملك سلطة عليا فما الحل الذى تريد فرضه على المنطقة ؟ »
اجاب سرحان « لا اعتقد ان السلطة يمكن ان تحل المشكلة..انها مشكلة جماهير الشعب .. ان زعماء المنطقة ليسوا هم الذين يامرون بشن الهجمات .. وانما هى الجماهير فى الشوارع التى تامر بذلك وتنفذه .. وهذا شيء ينطوى على ديمقراطية تفوق كثيرا ديمقراطية الولايات المتحدة »

- حسنا .. هب ان رايك هذا يصدق على المناوشات الصغيرة .. على الاشتباكات اليومية .. ولكن ما رايك فيما لو نشبت حرب كبرى هناك .. هل سيكون ذلك استجابة لراى الجماهير ؟
- اعتقد ذلك .. ان الجماهير العربية غير راضية .. انها لم تحصل

على شيء .. ان الكلام لم يعد يفيد .. انها تريد افعالا .. ونتائـــج لهذه الافعـــال ..

وابتسم سرحان ثم قال « لقد حققت لهم شيئا . انني الان بطل بالنسبة للعرب .. انهم معجبون بي لانهم يريدون افعالا ، وهذا هو الشيء الذيلا تفهمه الولايات المتحدة ..

وهو ايضا الشيء الذي يقلقني بالنسبة لموقفي من الشعب الامريكي .. اننا نرى في امريكا كثيرا من الاطباء والمحللين النفسيين ، ومع ذلك فهـــذا الشعب لا يفهم الشعوب الاخرى .. لا يفهم ما تريده الشعوب وما هي في حاجة اليه .. ان الشعب العربي لا يريد سلاحا .. انه يريد الاعتراف .. يريد ان يقدره الامريكيون قليلا ..

ـ ولكن هب انك تملك القوة فكيف تحقق للعرب هذا الاعتراف ؟

ـ احقق لهم العلم .. الصناعة والزراعة المتطورة .

ـ ولكنك لا تستطيع ان تحقق كل هذا في بلد يخوض حربا ؟

قال سرحان : العرب محتاجون للعلم لكي يخوضوا الحرب ..

قلت : هل تؤيد الحرب ام تقف ضدها ؟

فقال سرحان انه مع الحرب طالما العرب في حاجة اليها « انني مع العنف اينما كان .. طالما هناك حاجة اليه »

ـ هل تعتقد أن هذا الطريق سهل وحق ؟

ـ اعتقد ذلك .. فلم يحاول احد ان يضمد الجراح التي اصبت بها .. ان حديثك معي جعل هذه الجراح اكثر ايلاما .. وهنا يحدث الانفجار .

ـ ولكن ما الذي يمكن ان يغير رايك ؟ .. ما الذي يمكن ان يجعلك تنتهج طريقا آخر غير ما ترى ؟

ـ أن يقبلني المجتمع الامريكي ، أن يبرهن المجتمع الامريكي على انه مجتمع حقيقي واصيل .. لا تقل لي ان امريكا هي الاعظم .. ولكن أرني ذلك .. قدم لي البرهان على ذلك .. لا تدعني احملق في هذا الكلام ولكن دعني احس به »

واستطرد سرحان قائلا : « انت لا تتصور الضغوط التي تعتمل في داخلي.. أن تحس بانك عاطل .. ان تحس بانك لا تعيش الحياة اللائقة .. حياة الفرد الامريكي المتوسط »

ـ ولكن انا اعرف انك كنت تعمل في مخزن اغذية .. اليس كذلك ؟

ـ نعم .. ولكن هذا ليس هو الشيء الذي اريده في حياتي .. اريـــد شيئا ارتبط به .. احبه »

ـ هل حقا انك خدعت بالحلم الامريكي ؟

ـ نعم لقد انخدعت به تماما ٠٠ وكنت أعتقد انه كان فى مقدورى ان احقق هذا الحلم ٠٠ لكنه لم يكن حلما .. كان كابوسا مزعجا ٠٠ هذا افضل وصف يمكن ان ينطبق عليه ٠٠ لم يكن حلما بل وهما ٠٠ ان حلمى ليس هنا ٠٠ ليس فى امريكا .. انها مجرد كلمات ٠٠ مجرد اشباح وسراب »

طريق العنف

كان القاضى ووكر يرأس الجلسة يوم ٢١ مايو وكان المحامى كوبر يقدم حيثياته مبررا طلبه باعادة محاكمة سرحان عندما دخل احد المدعين العامين.

وقال كوبر ان الادعاء طلب ان يعترف سرحان بانه مذنب وفى مقابل ذلك لن يطلب الادعاء الاعدام لسرحان ولو كان يعرف ـ اى كوبر ـ ان الحكم سيصدر بالقتل لكان قد طلب من سرحان الا يعترف بأنه مذنب

كذلك قال كوبر ان القاضى لم يكن على صواب عندما اعتبر مذكرات سرحان جزءا من القضية مع ان هذه المذكرات ضبطت بطريقة غير قانونية

وقرا المحامى خطاب ادوارد كنيدى الذى كتبه بخط يده وقد جاء فيه ان الاسرة توصى بانقاذ حياة سرحان

القاضى يصدر الحكم

وقف سرحان امام القاضى الذى ساله

ـ هل اسمك الحقيقى هو سرحان بشارة سرحان ؟

ـ نعم ٠٠

وقرا ووكر تاريخ القضية ابتداء من قرار الاتهام حتى آخر لحظة فيها وراح يقرا من نص مكتوب ٠

ـ لقد حان الان وقت صدور الحكم ٠ هل هناك سبب قانونى يمنع النطق بالحكم الان ؟

وقال كوبر : « كلا »٠٠٠

فقال القاضى ٠٠

ـ اما وانه ليس هناك من سبب قانونى يحول دون النطق بالحكم فان حكم هذه المحكمة هو توقيع عقوبة الاعدام عليك يا سرحان بشارة سرحان بسبب جريمة القتل من الدرجة الاولى التى قضى المحلفون بادانتك بها ، على ان يتم تنفيذ هذه العقوبة فى سجن كونتين فى كاليفورنيا بالطريقة التى يحددها القانون وفى الوقت الذى تحدده هذه المحكمة قبل التنفيذ ٠٠

وقال القاضي ان عمدة لوس انجلوس سيقوم بتسليم سرحان الى رئيس سجن سان كونتين خلال عشرة ايام .

ووقف سرحان وقد وضع يديه في وسطه ، ولم يعطه القاضي الفرصة المتعارف عليها والتي يستطيع بموجبها ان يدلي « بكلمة اخيرة » كما ان سرحان ايضا لم يشأ أن يحصل على هذه الفرصة لانه ستكون لديه الفرصة للتحدث الى عشرين مليون شخص على شاشة التليفزيون غدا

وبكت امه في صمت وهي تجلس في الصف الثاني بقاعة المحكمة وكانت قد كتبت للقاضي ووكر رسالة طالبة الرأفة بابنها وأوردت فيها بعض الايات من الانجيل وها هي الان تقوم من مكانها متجهة الى الزنزانة لرؤية ابنها .. ربما للمرة الاخيرة ..

كتاب كايزر يضايقني

ولم يشعر احد من الواقفين في الزنزانة ـ وهم كوبر وبارسونز وماككوان وماري ومنير سرحان وأنا ـ لم يشعر أحد بالرضى لرفض القاضي التراجع عن موقفه ، لكن سرحان لم يكن مهتما .. وقال :

ـ انني لا أهتم بعقوبة الاعدام ..ولكن ما يضايقني هو كتاب كايزر ..

أوضح كوبر ان تلك قد تكون اخر فرصة لمنير سرحان وماري لتبادل الحديث مع سرحان لبعض الوقت .. وخلال النصف ساعة التالية تحدث سرحان مع امه واخيه عن كتاب كايزر واحتمال قيام البعض برفع دعاوى مدنية اخرى ضد سرحان ممن اصابهم الرصاص في فندق الامباسادور .

واخيرا قال كوبر ان والدة سرحان ربما تريد ان تقبل ابنها قبلة الوداع .. ونهض ليحصل على تصريح خاص بذلك ، فلما حصل عليه اتجهت ماري الى الناحية الجنوبية من المنضدة التي كانت موجودة خارج زنزانة سرحان .. واتجه اليها سرحان والقت بذراعيها حوله وقبلته في عنقه وبدات تتمتم في اذنيه ببعض العبارات باللغة العربية .. ثم انفجرت في البكاء وبدا سرحان ايضا يبكي ، ودفع نفسه بعيدا عن امه واتجه الى داخل زنزانته للحظة واحدة تقريبا بينما الجميع ينتظرونه بالخارج .. ثم عاد سرحان يمسح عينيه من الدموع وصافح اخاه .. وطوقه كوبر بذراعه ..

حديث تليفزيوني

وفي صباح اليوم التالي كانت كاميرات تليفزيون محطة « ان . بي . سي » بمرافقة المذيع جاك بير كنز واحد المخرجين في انتظار سرحان حينما خرج

من زنزانته ليدلى بحديث الى العالم •• ودق قلبه بعنــف امام الكاميرات والاضواء وقال على غير انتظار
وساله بيركنز :
ـ لماذا تحب الخيل ؟
ـ لانه ليس •• لانه من السهل التعامل معها •• اننى احب ان اكون معهــا ••
ـ وماذا عن الناس ؟
ـ اننى احب ايضا ان اكون معهم •• ولكن ••
ـ اظن انك لا تقصد انه ليس من السهل عليك التعامل مع الناس ••
وقد كان هذا بالضبط ما يقصده سرحان لكنه لم يكن ليقبل ان يعترف بذلك ، فاخذ يتحدث عن سباق الخيل والحماسة التى يشعر بها خلاله ••

عربى فلسطينى :

وتحدث عن تجربة سرحان مع السحر وعن مشاعره ازاء روبرت كنيدى ووجهات نظره بالنسبة للنزاع العربى الاسرائيلى •• وقال سرحان :
ـ اننى لا ازال فخورا باننى عربى •• عربى فلسطينى ••
ـ وكيف اساء كنيدى الى مشاعر سرحان العربية ؟
وقد رد سرحان على ذلك بقوله ان ذلك حدث فى برنامج تليفزيونى تسجيلى ظهر فيه كيف يؤيد كنيدى الاسرائيليين لانهم « المضطهدون فى الشرق الاوسط » •• لكنهم ليسوا كذلك ••
ـ انهم المنتصرون عسكريا •• وهم يملكون الخبرة والتكنولوجيــا التى يملكها الغرب يا سيدى ••
وقال سرحان ان العرب هم المضطهدون الحقيقيون •• لقد كان اجــدر بكنيدى ان يقف الى جوارهم ••
وسال بيركنز :
ـ هل اشتريت مسدس ؟
ـ نعم يا سيدى •
ـ لماذا اشــتريته ؟
ـ لانى احب الاسلحة النارية •
قال سرحان ذلك .. ثم ضحك •• وبدا بيركنز غير مقتنع •• ولــرك هذا الموضوع الى موضوع آخر حتى وصل الى الحديث عن مذكرات سرحان ، وقــال :

ـ لقد كنت تنوى اغتيال السناتور كنيدى ..

وقال سرحان :

ـ فى عقلى فقط ..

وقال بيركنز ..

ـ حسنا ، فهذا هو المكان الوحيد الذى يمكنك ان تنوى به تنفيذ القتل

ـ اقصد اننى لم اكن انوى تنفيذ ذلك عمليا .. اننى لم افكر على الاطلاق فى تنفيذ ذلك . اننى لم افكر ابدا ابدا فى الاقدام على ذلك ، وانه لشىء يناقض طبيعتى ..

ـ لكنك فعلتها ..

ـ نعم .. لقد فعلتها ، ولكننى لم اكن فى وعيى ..

وعاد بيركنز الى الحديث عن مذكرات سرحان ..

قال سرحان « لقد توقفت الحياة بالنسبة لى بعد ٥ يونيو .. كل ما تلا ذلك غير حقيقى .. لا زلت لا اتصور .. ما حدث ..

ـ هل كنت تتمنى ان يعيش كنيدى ..

ـ نعم يا سيدى ..

ـ هل كنت تنتخبه رئيسا للولايات المتحدة ..

ـ كنت انتخبه لو كان مع الله .

ـ ما هو الفرق بينك وبين اوزوالد وجيمس راى .

ـ أنا اختلف عنهما كثيرا .. كلاهما دبر جريمته ودبر هربه اما انا فانى مذنب من وجهة نظر القانون ولكنى لا أشعر اننى مذنب فى قرارة نفسى .

ـ هل انت مريض عقليا ؟

ـ كلا .. ولكن لست سليما تماما ..

ـ هل تعتقد ان حكم الاعدام سينفذ فيك .

ـ ان الموت اهون كثيرا من قضاء بقية الحياة داخل الزنزانة .

ـ هل تجول فى خاطرك مؤامرة اخرى ؟

ـ لقد قام رجال المباحث والبوليس السرى ومكتب التحقيقات الفيدرالى ومكتب الادعاء بجهود ضخمة لاثبات ان هناك مؤامرة ولكنهم لم يعثروا على اى دليـــل ..

« تمـت »

مؤلف الكتاب

روبرت كايزر

كان روبرت كايزر هو الصحفي الوحيد في العالم الذي أتيح له أن يلتقي عدة مرات بسرحان بشارة سرحان في زنزانته بالطابق الثالث عشر في سجن لوس انجيلوس. وكانت هذه اللقاءات تتم باعتبار كايزر عضوًا في هيئة الدفاع عن سرحان ومصاحبًا للمحامي بارسون.

ويقول كايزر عن زيارته الأولى لسرحان إنه كان عازفًا عن الحديث عن نفسه مفضلًا الحديث عن أفكاره وقراءاته، ويصف قراءات سرحان في السجن فيقول: إنه في الصيف كان يقرأ "البؤساء" لفيكتور هوجو، و"المشاهد" لهوتيكار تشامبرز ولكنه انتقل في الشتاء إلى قراءة المؤلفات الجامعية في المنطق والفلسفة الهندية.

وقد فتح سرحان قلبه لكايزر فقص عليه ذكرياته عن طفولته في صباه .. وعن حياة الفقر والاحتياج التي عاشها بعد نزوحه مع أمه من فلسطين إلى أمريكا .. وكيف كان ومعه الكثيرون يسيرون على أقدامهم والثقوب واضحة في أحذيتهم البالية بينما بين زملائهم من يذهب للمدرسة يوميًا في سيارات "الجاجوار" الفخمة.

وقد التقى كايزر عشرات المرات مع والدة سرحان، وإخوته، وعاش معهم يناقشهم ساعات وأيامًا طويلة ..

ولكن .. لماذا كان كايزر مهتمًا كل هذا الاهتمام بكل ما يتصل بسرحان بشارة سرحان .. ؟! هل فقط لأنه كان يخطط لهذا الكتاب المثير .. ؟ أم لأنه كما يقول كان يبحث عن السؤال الهام: لماذا قتل سرحان روبرت كنيدي ؟ .. ولماذا روبرت كنيدي بالذات ؟!



